# شرح العرشية

شيخ المتألهين الأوحد

الشيخ أحمد الشيخ زين الدين الأحسائي

أعلى الله تعالى مقامه

تقديم

توفيق ناصر البوعلي

الجزء الثالث

مؤسسة الإحقاقي

شبكة الفكر
alfeker.net

تراث الشيخ الأوحد ٨

# شرح العرشية

شيخ المتألهين الأوحد
الشيخ أحمد الشيخ زين الدين الأحسائي
أعلى الله تعالى مقامه

تقديم

توفيق ناصر البوعلي

## الجزء الثالث

الأخير

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

## هويـــة الكتـــاب

| | |
|---|---|
| اسم الكتـاب: | شـــرح العرشـــية |
| المؤلـــف : | الشيخ احمد الأحسائي |
| تقـــديم: | توفيق ناصــر البوعلي |
| الناشـــر: | مؤســـسة الإحقــاقي |
| عني بطباعته: | الأميرة للطباعة والنشر |

الأميرة
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

هاتف: ٠٣/٩٤١١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٢٧٦٩٨٨
http://www.Dar-Alamira.com
e-mail:zakariachahbour@hotmail.com

مؤسسة الإحقاقي
للتحقيق والطباعة
والنشر
alehqaqe@hotmail.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام ، على محمد وآله الطاهرين .

**وبعد** : قال العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي هذا الجزء الثالث من شرح العرشية لصدر الدين الشيرازي الشهير بـ ( **ملا صدرا** ) .

في قول المصنف : **قاعدة في النفختين قال الله تعالى . .**

**قال : ( قاعدة في النفختين قال الله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الآية ، واعلم أنّ النفخة نفختان : نفخة تطفئ النار ، ونفخة تشعلها والصور بسكون الواو ، وقرئ بفتحها أيضاً جمع الصورة ولما سئل النّبي صلى الله عليه وآله عن الصور ما هو ؟ فقال : ( هو قرن من نور التقمه إسرافيل ) فوصف بالسعة والضيق . واختلف في أنّ أعلاه أوسع وأسفله أضيق ، أو بالعكس ولكل منهما وجه فإذا تهيأت الصور كانت فتيلة استعدادها كالفحم للاشتعال بالنار التي كمنت فيها فتبرز بالنفخ . والصور البرزخية**

**مشتعلة بالأرواح التي فيها فينفخ إسرافيل نفخة واحدةٍ فتمر بها فتطفئها وتمر النفخة التي تليها وهي الثانية على تلك الصور المستعدة لأرواحها كالسراج للاشتعال بل الاستينار : ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ ، فتقوم تلك الصور أحياء ناطقة فمن ناطق ( الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور ) ، ومن ناطق يقول : ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا ﴾ ، وكل ما ينطق بحسب عمله وحاله ).**

**أقول** : قوله ( **واعلم أنّ النفخة نفختان نفخة تطفئ النار ونفخة تشعلها** ) ، في الجملة ، وعلى الظاهر صحيح .

وأمّا على التحقيق فهو كلام من لا يتصوّر ذلك فإنّ النفختين مختلفتان في الانبعاث وذلك ، لأنّ نفخة الصعق نفخة جذب بأن يجذب النفَس بفتح الفاء إلى الجوف وإسرافيل عليه السلام ينفخ في نفخة الصعق وهي النفخة الأولى نفخة جذب ، فتنجذب الأرواح إلى الصور ، وتدخل كل روح في ثقبتها ، وتتفكك أركانها وتبطل تركيبها كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأعرابي في وصف النفس الحيوانية .

ونفخة الفزع والبعث نفخة دفع بأن يدفع النفَس من الجوف إلى الفضاء فإذا نفخ إسرافيل عليه السلام نفخة الدفع وهي النفخة الثانية فتمر الحقيقة الأولى التي هي حقيقة العبد من ربّه وهي النور والفؤاد والوجود الذي هو المادة على العقل في خزانته ، وهو نائم تحت ظل الشجرة البيضاء فيتعلق بها ثم على النفس وهي نائمة تحت ظل الشجرة الخضراء فتتعلق بها ثم على الطبيعة وهي نائمة تحت قبة

الياقوت فتتعلق بها ثم على الهباء الجوهري ، وهو نائم في هواء الجعل فيتعلق بها ثم على الصورة في الأظلة الشبحية فتتعلق بها فتنزل بما تعلق بها إلى طينة الشخص المستديرة في قبره وهي مادة جسده الذي كان في الدنيا المصورة بمقتضى صور أعماله فتلبسها ثم ينشق التراب من قبره : ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ .

**وأقول** : ويحتمل أن يكون مراد من قال في تمثيله أنّ النفخة نفختان : نفخة تطفئ النار ونفخة تشعلها هو ما ذكرنا ، وإن كان بعيداً ، لأنّ قوله : ( **تطفئ النار** ) ، وقوله : ( **فينفخ إسرافيل نفخة واحدةٍ فتمر عليها فتطفئها** ) ، يُشعر بفناء الأرواح وليس كذلك ، وإنما الأجساد والأرواح باقية ، نعم هي متفككة الأعضاء والأجزاء بين النفختين مدة أربعمئة سنّة وفيها تبطل حركتها وتركيبها فإذا نفخ الثانية تركبت وحييت .

**وقوله : ( والصور بسكون الواو وقرئ بفتحها أيضاً جمع الصورة )** ، فالمراد بالصور بسكون الواو قلب الإنسان الكبير ، وهو المنفوخ به ، لأنّ النفخة تقع أولاً فيه ولذا قيل نفخ في الصور وتخرج منه على الأرواح .

وبفتح الواو جمع الصورة ، وهو المنفوخ فيه ، أوْ لَهُ ولما سئل النّبي صلى الله عليه وآله عن الصور ما هو؟

**فقال** : ( **هو قرن من نور التقمه إسرافيل عليه السلام** ) ، ولما قام الدليل كما مرة عن الرضا عليه السلام : ( **قد علم أولو الألباب أنّ الاستدلال ، على ما هناك لا يكون إلّا بما هاهنا** ) انتهى . وكذا عن آبائه عليهم السلام .

وثبت أنّ الصور ـ بسكون الواو ـ قلب الإنسان الكبير دل على أنّ هيئته كهيئة قلب الإنسان الصغير لأنه في كل شيء مثله فيكون هيئة الصور كالجسم الصنوبري الذي في صدر الإنسان هكذا .

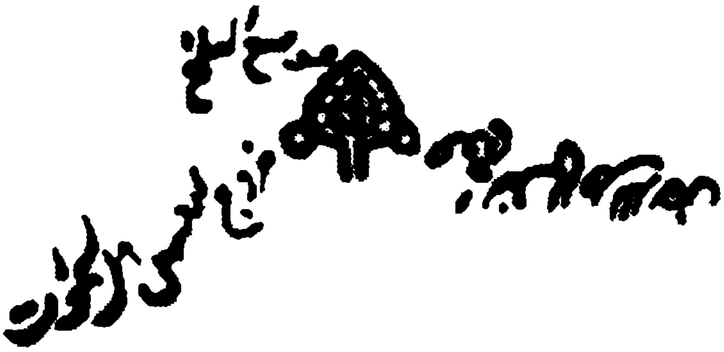

**قال** : فوصف بالسعة والضيق نعم كما مثّلنا .

**وقوله : ( واختلف في أنّ أعلاه أوسع وأسفله أضيق ، أو بالعكس ولكل منهما وجه ) .**

**وأقول** : أما ذكر مجرد الأعلى والأسفل فله وجه بالاعتبار وبعد إرادة الأعلى مثلاً بالمختوم كما ترى فهو أوسع باطناً وأضيق ظاهراً لأنه آخر القلب وخزانته .

وأمّا الشعبتان فهما الأذنان أي أُذنا القلب اليمنى إلى جهة أهل السماوات وأهل الحجب .

واليسرى إلى جهة أهل الأرض ويبتدئ خروج الصوت في نفخة الجذب من الأيسر الذي يلي الأرض لأنه في النفخة الأولى قبل الدنيا في نفخة البدء كان من العليا قبل السفلى ، لأنّ نفخة الجذب في العَود فتكون بعكس الترتيب في ذلك فافهم .

وكذلك في النفخة الثانية نفخة البعث الابتداء بالعليا قبل السفلى

لأنها وإن كانت من العود ، إلّا أنها بالنسبة إلى نفخة الصعق كالبَدْء .

وقوله : ( **فإذا تهيأت الصور كانت فتيلة استعدادها كالفحم للاشتعال بالنار التي كمنت فيها** ) ، يريد به أنّ الصور التي هي المعادة مستعدة للحياة كاستعداد السنبلة للحبة الكامنة فيها وكاستعداد الفحم للاشتعال بما كمن فيه من النار عند النفخ عليها . فإنّ النار المشتعلة في الفحم إذا مرّ بها النفخ طفأها وإذا كان في الفحم نار غير مشتعلة فمر بها النفخ اشتعل .

ومن التمثيل يستفاد أنه يرى أنّ الروح كامنة في الصورة ويدل عليه قوله والصور البرزخية مشتعلة بالأرواح التي فيها ، فيلزمه أنّ جعل الصورة في قبره أن تكون إمّا أنها قائمة بمادة ، أو لا ، فإن كانت قائمة بمادة فإمّا أن تكون هي مادتها في الدنيا كما نقوله ويلزمه خلاف قوله ، أو غيرها ، ويلزمه خلاف ما دلّ عليه الكتاب والسنة وإن كان قائمة بغير مادة خلاف المعقول ، لأنّ الصورة عرض لا يقوم بدون معروض ، وإن كانت ليست في قبره فإمّا أن تكون قائمة بروحها كما هو ظاهر قوله ( **التي كمنت فيها** ) ، وقوله : ( **والصور البرزخية مشتعلة بالأرواح التي فيها** ) ، ويلزمه خلو الأرض منهم أصلاً ، وهو خلاف الكتاب والسنّة ، أو بغير روحها ، وهو خلاف المعقول فلا يصح شيء من قوله إذ لا يخرج عن هذه الاحتمالات .

**فإن قلت** : فإذا أبطلت جميع الشقوق فما قولك الذي تصححه في كيفية الإحياء ؟ .

**قلت** : ما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : سئل سائل عن النفختين كم بينهما ؟

**قال** : **( ما شاء الله )** .

**فقيل له** : فأخبرني يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله كيف ينفخ فيه ؟

**فقال** : أما النفخة الأولى فإنّ الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الأرض ومعه الصور وللصور رأس واحد وطرفان بين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض .

**قال** : فإذا رأت الملائكة إسرافيل ، وقد هبط إلى الأرض ومعه الصور قالوا : قد أذن الله في موت أهل الأرض ، وفي موت أهل السماء .

**قال** : فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ، وهو مستقبل الكعبة فإذا رأوه أهل الأرض قالوا قد أذن الله في موت أهل الأرض .

**قال** : فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلّا صعق ومات ، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماء فلا يبقى ذو روح في السماوات إلّا صعق ومات إلّا إسرافيل فيمكث في ذلك ما شاء الله .

**قال** : فيقول الله لإسرافيل يا إسرافيل : مت فيموت إسرافيل فيمكثون في ذلك ما شاء الله .

ثم يأمر السماوات فتمور ويأمر الجبال فتسير ، وهو قوله : ﴿ يَوْمَ

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ يعني تبسط ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعني بأرض لم تكتسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مرة ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة مستقلاً بعظمته وقدرته .

**قال** : فعند ذلك ينادي الجبّار جلّ جلاله بصوت من قبله جَهْوري يسمع أقطار السماوات والأرضين ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فلا يجيبه مجيب فعند ذلك يقول الجبار عزّ وجلّ مجيبا لنفسه ﴿ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ وأنا قهرت الخلائق كلهم وأمتّهم إني أنا الله لا إله إلّا أنا وحدي لا شريك لي ، ولا وزير وأنا خلقت الخلق بيدي وأنا أمتهم بمشيئتي وأنا أحييهم بقدرتي .

**قال** : فينفخ الجبّار نفخة أخرى في الصور فيخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السماوات ، ولا يبقى في السماوات أحد إلّا حيِيَ وقام كما كان ، وتعود حملة العرش ، ويحضر الجنة والنار ويحشر الخلائق للحساب .

**قال الراوي** : فرأيت علي بن الحسين عليهما السلام يبكي عند ذلك بكاءً شديداً .

**وعن الصادق عليه السلام : (إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء ، على الأرض أربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم) .**

**وقال عليه السلام** : أتى جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ بيده فأخرجه إلى البقيع فانتهى به إلى قبر فصوّت بصاحبه فقال : (**قم بإذن الله فخرج منه رجل أبيض الرأس واللحية**

**يمسح التراب عن رأسه ، وهو يقول الحمد لله والله أكبر . فقال جبرئيل : عد بإذن الله . ثم انتهى به إلى قبر آخر فقال : قم بإذن الله فخرج منه رجل مسودّ الوجه ، وهو يقول : ياحسرتاه يا ثبوراه . ثم قال له جبرائيل : عد إلى ما كنت فيه بإذن الله عزّ وجلّ . فقال : يا محمد هكذا يحشرون يوم القيامة فالمؤمنون يقولون هذا القول وهؤلاء يقولون ما ترى )** انتهى .

**أقول** : هكذا كيفية الإحياء وكيفية الإماتة قبل ذلك وبيان ما أقول : ( **أنه إذا أراد الله إماتة الخلق أمر إسرافيل فنفخ في الصور نفخة الصعق نفخة جذب ، وإنما قال علي بن الحسين عليه السلام : فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض** ) ، لأنّ النَّفس المجذوب لا يحس بصوته إلّا ما كان خارج القرن فيموت أهل الأرض أولاً لأنهم آخر من أحييَ في البدء وذلك في مدة مثل ما أُحيوا .

ومثله باعتبار حياتهم في الدنيا والبرزخ ثم يخرج الصوت بالنفخ كالأول من الشعبة اليمنى فيموت أهل السماء الدنيا في مثل ما مضى وضعفه وهكذا جميع أهل السماوات ، على الترتيب ثم ملائكة الحجب .

وبتلك النفخة نفخة الجذب يرجع كل شيء إلى أصله فتبطل المركّبات ﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴾ أي تضطرب يعني يذهب منها ما أخذ لها من غيرها من أعراض الدنيا والبرزخ ويرجع إليها ما أخذ منها لسائر الحيوانات من النفوس والأجزاء فحينئذ تشتدّ بساطتها فتكون وردة كالدهان وتسير الجبال سيراً وتبسط الأرض وتبدّل الأرض غير الأرض كما قلنا في قوله تعالى : ﴿ بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا

غَيْرَهَا ﴾ ، وذلك لأنّ الأرض خلقت صافية شفافة فتكثفت بذنوب بني آدم فإذا صفّيت ولحقت الذنوب وأعراضها بأهلها عادت على صفائها كما خلقت أول مرة .

وليس كما توهمه المصنّف أنّ الأرض المعادة غير هذه الأرض ، وإنما تعاد صورتها ، وهو غلط وخطأ ولهذا قال علي بن الحسين عليهما السلام : ( **يعني بأرض لم يكتسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ، ولا نبات كما دحاها أول مرة** ) .

**فإن قوله عليه السلام** : ( **كما دحاها أول مرة** ) صريح في أنّ المَعاد هو هذه الأرض لأنها هي المدحوة أول مرة .

**وأمّا قوله عليه السلام** : ( **لم يكتسب عليها الذنوب** ) فيريد بها هذه الكثافة كما قلنا في : ﴿ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ .

**وقوله عليه السلام** : ( **ويعيد عرشه ، على الماء كما كان أول مرة** ) يريد أنه تعالى إذا أبطل الأشياء وفكّكها لم يبطل دينه وذكره ويكون القائم به حينئذٍ الماء الذي جعل منه كل شيء حيّ أعني وجهه الذي لا يفنى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ، وهو محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام فإنهم هم : ﴿ **الذين** عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ ، هكذا قال جعفر بن محمد عليهما السلام .

وروي عنهم عليهم السلام أنهم هم القائلون بأمر الله : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ ، وأنهم هم المجيبون بقوله : ﴿ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ .

واعلم أنه إذا نفخ في الصور نفخة الصعق انجذبت كل روح إلى

ثقبتها كما أشرنا إليه ، وفي الثقبة ست مخازن ، ومنها أخذت أركان الروح .

**فالأول** : مخزن تلقى فيه صورتها المثالية وشبحها .

وفي **الثاني** : حصتها الهبائية وهي كالحصة المأخوذة من الخشب لعمل السرير قبل تقديره .

وفي **الثالث** : طبيعتها

وفي **الرابع** : صورتها الجوهرية

وفي **الخامس** : رقيقتها الروحية

وفي **السادس** : معناها العقلي

فإذا نفخ نفخة الإحياء والنشور تركّبت كما تفككت ، فإذا أراد الله سبحانه النشور أمطر ماءً من صاد ، وهو بحر من ماءٍ تحت العرش رائحته كرائحة المني ، وهو أبرد من الثلج وأحلى من الشهد ، وهو الذي توضأ منه رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة المعراج فقال له جبرائيل : ( **ادن من صاد** ) فتوضأ للصلاة ، أمطر على الأرض أربعين صباحاً فيكون وجه الأرض بحراً واحداً فتضربه الريح فتموج فتجتمع أجزاء كل شخص في قبره ، على هيئة صورته التي يحشر عليها فتنبت اللحوم كّل في قبره كما تنبت الكمأة في الأرض .

فإذا نفخ إسرافيل بأمر الله نفخة الإحياء تطايرت الأرواح وقصدت كل روح جسدها في قبره فتدخل في الجسد الذي تألف بعد تصفيته من الأعراض الغريبة فتتّحد به اتحاد اشتياق ووفاق فلا تنفك عنه أبداً للاتحاد المذكور بعد إزالة الموانع الغريبة .

وبرهانه مذكور في العلم الطبيعي المكتوم .

**وقوله : ( فتقوم تلك الصور )** ، مبني على مذهبه من أنّ المَعاد إنما هو الصور وأما المواد فإنها تفنى .

ونحن نقول فتقوم تلك الأجساد التي كانت في الدنيا لابسةً صور أعمالها إحياءً لِعَود أرواحها إليها التي خرجت منه في الدار الدنيا ، لأنّ هذه الأجساد عاملة مع أرواحها فهي المعادة للثواب والعقاب .

## في قول المصنف : قاعدة في القيامتين الصغرى والكبرى . .

**قال : ( قاعدة في القيامتين الصغرى والكبرى أما الأولى فمعلومة لقوله صلى الله عليه وآله : ( من مات فقد قامت قيامته ) .**

وأمّا الكبرى فلها ميعاد عند الله لا يطّلع عليها إلّا هو والراسخون في العلم ، وكل ما في القيامة الكبرى له نظير في السفلى ومفتاح العلم بيوم القيامة ومَعاد الخلائق هو معرفة النفس وقواها ومنازلها ومعارجها .

والموت كالولادة والقيامتان الصغرى والكبرى كالولادتين الصغرى وهي الخروج من بطن الأم ومضيق الرحم إلى فضاء الدنيا .

والكبرى هي الخروج من بطن الدنيا ومضيق البدن إلى فضاء الآخرة ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ .

**أقول** : القيامة قيامتان صغرى وكبرى ، أما الكبرى فهي المعلومة

التي تعاد فيها الأشياء الموجودة في الدنيا بعد تفرق أجزائها .

وأمّا الصغرى فالمسماة بالقيامة باعتبار التأويل ، أو المجاز مَنْ أمات نفسه كما أمره الله فقد قامت قيامته ومارت سماوات حواسه الباطنة وسيّرت جبال إنّيّاته وشهواته وقام قائم عقله حتى ملأ أرض جسده قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

ومَنْ مات في هذه الدنيا وخرجت روحه من جسده فقد قامت قيامته كما قال صلى الله عليه وآله وعرف ما هو عليه من خير ، أو شر ، وهو قوله تعالى : ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ ، أي بما ختم له به من أعماله وهذا المعنى يتجه حمله في طائفتين من الناس .

**الأولى** من محض الإيمان محضاً فإنّ ملك الموت يقول له : أما ما كنت تحذره فقد آمنك الله منه ، وأما ما كنت ترجوه فقد أدركته أبشر بالسلف الصالح مرافقة رسول الله وعلي وفاطمة صلوات الله عليهم .

**والثانية** : مَن محضَ الكفر والنفاق محضاً فيقول له ملك الموت : يا عبد الله أخذت فكاك رهانك أخذت أمان براءتك تمسْكتَ بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا .

**فيقول** : لا ، **فيقول** : أبشر يا عدو الله بسخط الله تعالى وعذابه والنار أما ما كنت تحذر فقد نزل بك .

**وأمّا الطائفة الثالثة** : فهم الذين لم يمحضوا الإيمان من المؤمنين ، ولا الكفر والنفاق من الكافرين والمنافقين وهؤلاء لم يأتهم الموت بما هم عليه لأنهم لم يتبيّن الهدى من الضلالة فهؤلاء يُلهى عنهم فهم موقوفون لأمر الله فيكون قوله صلى الله عليه وآله

محمولاً على أهل البرزخ وهم الطائفتان الأوليان .

وللقيامة الصغرى إطلاق من حيث المعنى ويُراد بها قيام القائم عليه السلام من آل محمد صلى الله عليه وآله ، أو رجعتهم عليهم السلام التي أولها خروج الحسين عليه السلام ، أو مطلق ظهور دولتهم التي أوّلها ظهور قائمهم عليه وعليهم السلام وآخرها خروج رسول الله صلى الله عليه وآله .

ومما يدل على ذلك حشر كثير من الأموات ، ومن الآيات كثير مثل قوله : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، أنه عند قيام القائم عليه السلام عجّل الله تعالى فرجه وسهّل مخرجه .

وآية القيامة الكبرى بعد هذه الآيات قوله : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ ، والقرآن فيه كثير .

ومما يدل ما رُوي عن الصادق عليه السلام قال : ما معناه : ( **إن الذي يحاسب الناس في الرجعة هو الحسين بن علي عليهما السلام . فقيل له : ويوم القيامة؟ قال : إنما في يوم القيامة بَعْثٌ إلى الجنة وبعث إلى النار** ) .

والحاصل أنّ إطلاق القيامة ، على الرجعة هو المعروف من مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وهو أولى من إطلاقها ، على من أمات نفسه ، أو مات بخروج روحه من جسده .

**وقوله : ( وأما القيامة الكبرى فلها ميعاد عند الله لا يطّلع عليها إلّا هو والراسخون في العلم )** ، فأما أنه تعالى مطّلع على وقت قيامها فمما لا شك فيه .

وأمّا الراسخون في العلم فالأمور المحتومة يعلمونها والتوقيت بالتعيين لتلك المعلومة المحتومة موقوف على التعيين .

وتعيين القيامة الكبرى فيها خلاف فقيل بعدمه لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ ، وقد نصّ كثير من المفسرين بأنّ ما في القرآن من ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ ﴾ فقد أخبر به وما فيه ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ فإنه لم يُخبر به ولقوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ ، وأمثال ذلك .

**وقيل** : باطّلاعهم عليهم السلام لعموم الأخبار الدالة على أنّ الله تعالى أعلمهم بما كان وما يكون والذي يترجح عندي الأول بمعنى أنّ الأدلة ، على الإخبار بها ليست صريحة في التوقيت ، على جهة التعيين ولو وجد فيها ما يدل على ذلك لم يكن على جهة الحتم .

وكون الإعلام بالتوقيت على جهة الحتم فيما لم يقع بعيدٌ نادر الوقوع بل كان حال المعلَّمين به يقتضي عدم الحتم فيما لم يقع كما دلّت عليه الأخبار مثل قول علي عليه السلام لميثم التمار : ( **لولا آية في كتاب الله** ـ وهو قوله : ﴿ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ ، ـ **لأخبرتكم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة** ) ، وهو السرّ في أخبار العلماء الراسخين الذي أخبرهم سبحانه أنهم ملاقوه غداً أخبر عنهم أنهم يظنون أنهم ملاقو ربّهم مع أنهم يتيقنون ولكنهم تأدبوا لعلمهم بربّهم أنه تعالى لو شاء لحجبهم عنه فقال الذين

يظنون فأتى بلفظ الظن جمعاً بين صدق وعده ومقتضى تسلّطه فإنه : ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ .

وقوله : **( وكل ما في الكبرى له نظير في السفلى ( الصغرى ) )** ، ظاهر ، لأنّ ما في الصغرى كالبذر لما في الكبرى ، إذ ليس في الصغرى إلّا ما نزل من الخزائن ، وكل شيء يعود إلى أصله .

ومما يدل على ذلك قول الباقر عليه السلام لمّا سأله عالم النصارى فقال : من أين ادّعيتم أنّ أهل الجنة يطعمون ويشربون ، ولا يحدثون ، ولا يبولون؟ وما الدليل فيما تدعونه من شاهد لا يجهل؟ قال جعفر عليه السلام : فقال أبي عليه السلام : **( دليل ما ندّعي من شاهد لا يجهل الجنين في بطن أمه يطعم ، ولا يحدث )** انتهى .

فقد أشار بكلامه إلى أنّ ما هنالك فنظيره ومثاله ودليله هنا حتى أنهم قالوا : إنّ دليل أنّ نهر الخير في الجنة ينبت ما على حافتيه أشجار يحملن بنساء متعلقات بشعور رؤوسهنّ أنّ نظير ذلك موجود في جزيرة الوقواق كما هو متحقّق عند أهل التواريخ ، ومن شاهد ذلك من التجار .

وقال عليه السلام : **( الدنيا مزرعة الآخرة )** ، وقول الرضا عليه السلام المتقدّم .

وقوله : **( ومفتاح العلم بيوم القيامة ومَعاد الخلائق هو معرفة النفس وقواها ومنازلها )** ، يريد به أنّ معرفة يوم القيامة وكيفية المَعاد هو معرفة النفس إلخ ، صحيح ، على غير مراده ، لأنّ معرفة النفس لا تكون علماً صحيحاً إلّا إذا كانت مأخوذة عن

الهادين عليهم السلام ولو كانت على نحن معرفته للنفس للزم منها إنكار المَعاد الجسماني كما هو متيقن من كلامه لأنه يقول بعدم مواد أجسام الخلائق ، وإنما تعاد صورها ونفوسها وهذا عنده من معرفة النفس فأي دلالة تدل بها معرفة النفس على هذا ، وهو يشير إلى ما قرر من الأصول السبعة والقواعد التي ذكرها ، وقد تقدم الكلام ، على بطلان كلّها .

**وقوله** : ( **والموت كالولادة ، إلخ** ) ، هذا من معرفة النفس عنده التي يستدلّ بها ، على معرفة يوم القيامة والمعاد .

واعلم أنّ الموت في الدنيا ، وإن كان دليلاً ، على نمط ما يستدل به الهداة عليهم السلام إلّا أنه لا يهتدي إليه كل ناظر بعين غيرهم عليهم السلام ، لأنّ الموت في الدنيا في قوس الصعود ، وهو قوس القيامة والمعاد .

والقاعدة عندهم أن يستدل بما في قوس النزول ، على مقابله مما في قوس الصعود نعم ، على نمط استدلال موالينا عليهم السلام الولادة كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام : ( **ولادتان ولادة جسمانية وولادة الدنيوية** ) .

**فالأولى** : تظهر فيها النفس الحيوانية من غيب النباتية .

**والثانية** : تظهر فيها الناطقة من غيب الحيوانية .

**فالولادة الأولى** : فيها تحرج النفس من الجسم وهي آية الموت من هذه الدنيا التي تخرج فيها النفس من الجسم .

**والولادة الثانية** : فيها تخرج النفس الناطقة من النفس الحيوانية

وهي آية خروج النفس الناطقة من النفس البرزخية ، وسكرة النفس الحيوانية حال الولادة الجسمانية كسكرة الموت حال خروج النفس من البدن بالموت في الدنيا ، وسكرة النفس الناطقة من النفس البرزخية بين النفختين .

وصحو النفس الحيوانية وانتباهتها بعد الولادة الجسمانية كصحو النفس الناطقة وانتباهتها بعد الموت في هذه الدنيا وخروجها من البدن ، ومن الدنيا وصحو النفس الناطقة وانتباهتها بعد الولادة الدنيوية كصحوها وانتباهتها بعد الخروج من البرزخية بعد النفختين .

فهنا ولادتان للدنيا وولادتان للآخرة فما في الدنيا مثال ما في الآخرة ودليله ، فالخروج من الولادة الجسمانية بتخلّص النفس الحيوانية من مضيق الأجسام وممازجتها آية الخروج من الدنيا بتخلص النفس الناطقة من مضيق الدنيا وسجنها ومضيق الأبدان الكثيفة وتعلّقها ، والخروج من الولادة الدنيوية بتخلّص الناطقة من مضيق الحيوانية وتعلّقها بكثافات شهواتها ودواعيها آية الخروج من البرزخية بتخلصها من جميع الأعراض الغريبة .

وقوله : ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ، يشير إلى الاستدلال بالآية الشريفة ، على قاعدة مقررة لا يختلف فيها العارفون وهي أنّ الصانع عزّ وجلّ واحد والصنع واحد والمصنوع واحد بنمطٍ واحدٍ ، وإنما تعددت المصنوعات واختلفت وتعاقبت بحيث تقدم بعضها على بعض وتفاضلت باختلاف قوابلها ومتمماتها كالكمّ والكيف والوقت والمكان والجهة والرتبة وكالوضع والإذن

والأجل والكتاب وكالنسب والتضايف وغير ذلك من اشتراط كل واحدٍ منها بكل واحدٍ منها ، وهذا ظاهر مشاهد عند أهل العلم ليس فيه بينهم اختلاف .

في قول المصنف : **فمن أراد أن يعرف معنى القيامة الكبرى . .**

**قال : ( فمن أراد أن يعرف معنى القيامة الكبرى ورجوع الكل إليه تعالى وعروج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنّة وظهور الحق بالوحدة التامة وفناء الجميع حتى الأفلاك والأملاك كما قال : ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ، وهم الذي سبقت لهم القيامة الكبرى فليتأمل الأصول التي بطناها في الكتب والرسائل سيّما ما في رسالة الحدوث ، ومن أمكن له أن يعرف كيفية حدوث العالم بجميع أجزائه بعد ما لم يكن بعديةً زمانيةً من غير أن ينقدح به شيء من الأصول العقلية ، ولا أن ينثلم به تنزيه الله وصفاته الحقيقية عن وصمة التغير والتكثر فقد أمكن له أن يعرف خراب العالم وما فيه وزواله واضمحلاله بالكلية ورجوعها إليه ، من أنكر هذا فلأنه لم يصل إلى هذا المقام ولم يذق هذا المشرب بذوق العيان ، أو بوسيلة البرهان ، أو لأنه مغرور بعقله الناقص ، أو لضعف إيمانه بما جاء به الأنبياء عليهم السلام ) .**

**أقول** : يريد أنّ الله سبحانه كان وحده ثم إنه أفاض من ذاته الأشياء فيكون قبل القيامة وحده بمعنى أنه قد تقرر أنّ كل شيء

يرجع إلى أصله ، وهو تعالى بعد نفخ الصور النفخة الأولى بل بعد الموت في كثير من الأشياء تفنى كثرتها في وحدته تعالى ، وذلك عند عروج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .

ومراده أنّ الملائكة تعرج إليه والروح ، فتفنى تشخصاتها في وحدته وكأنه يريد بقوله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنّة فلعله يعني بذلك بين النفختين وما قبلها ، لأنّ ما بين النفختين عندهم أربعون سنّة وعندنا أربعمئة سنّة بقرينة قوله : ( **وظهور الحق بالوحدة التامة وفناء الخلق حتى الأفلاك والأملاك** ) ، ثم استشهد بالآية فقال : كما قال : ( ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ) ، فذكر يوم الفناء والاتّحاد بربّ العباد سبحانه بأنه اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنّة فخالف ظاهر القرآن وباطنه وتأويله ، لأنّ الله سبحانه يخاطب الأرض بعد فناء الخلق بما معناه : (**يا أرض أين ساكنوك أين المتكبرون أين من أكل رزقي وعبد غيري** ) ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ ، فلا يجيبه أحد فيردّ على نفسه فيقول : ﴿ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ ، فأين الوحدة التامة والسماء التي تمور غير الجبال التي تسير وغير الأرض التي خاطبها بعد فناء كل ذي روح إذ ليس المراد بالفناء والهلاك العدم الحقيقي ، أو اتّحاد المفعولات بفاعلها كما يريده المصنّف من قوله : ( **ورجوعها إليه** ) ، وإنما المراد بالفناء والهلاك تفكّك تراكيبها وبطلان أفعالها وحركاتها .

والمراد برجوعها إليه رجوع أحكامها وما يُناط بها وتُناط به إلى حكم قَدَرِه وقضائه بأمره .

**وقوله : ( وهم الذي سبقت لهم القيامة الكبرى )** ، يعني به أنّ الذين استثناهم الله من الذين صعقوا ممّن في الأرض والأرض الأرواح القادسة ، وهو يريد بالغير الصاعق من كان متّحداً بالحق تعالى فإنه باقٍ ببقاء الله لا بإبقائه ، لأنه تعالى حينئذٍ لا يفيض شيئاً ويلزمه ما ذكرناه مراراً مكرّراً من وجود شيء قائم بغير مددٍ من الله فهو غني عن مدده تعالى ، وأنه تعالى مختلف الحالات لأنه في هذه الحالة ما كان فيّاضاً وقبلها كان فياضاً .

ونريد نحن بالمُستَثْنين ظاهراً جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل فإنهم لا يصعقون بالنفخة ، وإنما بأمر الله عزرائيل فيقبض روح ميكائيل وإسرافيل ، وفي جبرائيل روايتان :

**إحداهما** : أنّ عزرائيل يقبض روحه .

**وثانيتهما** : أنّ الله تعالى يقبض روحه .

**ويقول تعالى لعزرائيل** : مت فيموت .

فكان استثناؤهم إنما هو في الظاهر .

وأمّا المستثنون الذين لم يصعقوا أبداً ، وإنما نفخة الصعق في الحقيقة من آياتهم وهم محمد وآله الطيبون صلى الله عليه وآله الطيبين لأنهم وجه الله تعالى الباقي ، فعن السجاد عليه السلام في قوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ، **( نحن وجه الله الذي يؤتى )** .

وفي المناقب عن الصادق عليه السلام ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ قال : **( نحن وجه الله )** .

وقد ذكرنا في شرح الزيارة الجامع ما يدلّ على أنهم وجه الله الذي لا يفنى .

ومنه قول علي عليه السلام : ( **إن ميّتنا إذا مات لم يمت ، وإنّ مقتولنا إذا قُتل لم يُقتل** ) انتهى .

وأضرب لك مثلاً تعرف منه دليلاً قطعياً ، وهو أني أقول لك نفخة الصور حادثة مخلوقة لله بل الصور والنافخ فيه كذلك فأيما أقرب إلى الله تعالى وأقوى وأشد تحققاً ووجوداً محمد وآله صلى الله عليه وآله ، أو نفخة الصور فإن عرفت هذا ظهر لك ، على جهة القطع أنّ النفخ لا تجري على ذواتهم لأنهم عليهم السلام أشد وأقوى وجوداً من النفخة ، ومن النافخ ، ومن كل شيء لأنهم الوسائط بين الله تعالى وبين سائر خلقه الذي من جملته النفخة والنافخ والموت وملك الموت ، واسمع إلى قول علي عليه السلام في خطبته في يوم اتفق فيه الجمعة والغدير ، على ما رواه الشيخ في مصباح المتهجّد في خطبة يوم الغدير إلى أن قال علي عليه السلام : ( **وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله استخلصه في القدم ، على سائر الأمم ، على علم منه انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس وانتجبه آمراً وناهياً عنه ، أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه إذ كان لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، ولا تحويه خواطر الأفكار ، ولا تمثّله غوامض الظنون في الأسرار ، لا إله إلّا هو الملك الجبّار ، قرن الاعتراف بنبوّته بالاعتراف بلاهوتيّته واختصّه من تكرمته بما لم يلحقه أحدٌ من بريّته ، فهو أهل ذلك بخاصته وخلّته إذ لا يختص من يَشوبه التغيير ، ولا يخالل مَن يلحقه التظنين وأمر بالصلاة عليه مزيداً في تكرمته وتطريقاً ( وطريقاً ) للداعي إلى**

**إجابته فصلّى الله عليه وكرّم وشرّف وعظّم مزيداً لا يلحقه التنفيد ، ولا ينقطع ، على التأبيد ، وإنّ الله تعالى اختصّ لنفسه من بعد نبيّه صلى الله عليه وآله من بريّته خاصة علّاهم بتعليته وسما بهم إلى رتبته وجعلهم الدعاء بالحق إليه والأدلاء بالإرشاد عليه لقرنٍ قرنٍ وزمنٍ زمنٍ أنشأهم في القِدَم قبل كل شيء مذروء ومبروء أنواراً أنطقها بتحميده وألهمها شكره وتمجيده وجعلها الحجج ، على كل معترف له بمَلَكة الربوبية وسلطان العبودية واستنطق بها الخرسات بأنواع اللغات بخوعاً له بأنه فاطر الأرضين والسماوات وأشهدهم خلق خلقه وولّاهم ما شاء من أمره وجعلهم تراجمة مشيّته وألسُن إرادته عبيداً : ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ ، الخطبة ) .**

والمراد بالقِدَم في حقه ، وفي حق آله صلى الله عليه وآله ، القدم الراجح الإمكاني أي القِدَم الفعلي السرمدي لا القِدَم الواجب الحق عزّ وجلّ فتدبّر هذه الخطبة الشريفة وتفهّم كلامه عليه السلام ليظهر لك أنه وآله صلى الله عليه وآله لا يدركهم ما انحطّ عن مقامهم كالموت والقتل والصعق ، وإن جرت على ظواهرهم التي بها ظهروا في الخلق فافهم ما لوّحتُ لك وصرّحتُ .

**وقوله : ( فليتأمل الأصول التي بسطناها في الكتب والرسائل ) ،** يعني بها مثل ما قدّم من الأصول السبعة وغيرها ، وقد سمعت ما يرد عليها وما لم يرد عليها وما لم تسمع ، وإنما آيات ذلك ما ضربه الله من الأمثال في الآفاق ، وفي الأنفس وذلك مثل قوله تعالى : ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ

ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ .

**وقوله تعالى** : ﴿ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ ، ومعلوم أنّ الذي ينبت بالمطر إنما هو بذر النبات الذي كان في العام الماضي بعد أن يَبِسَ وقع بذره في التراب فلمّا وقع عليه المطر خرج ذلك النبات من ذلك البذر الذي هو المادة والصورة ذهبت وصوّره القادر تعالى ، على تلك الصورة وليس المُعَاد هو الصورة بل المَعاد هو المادة .

وقد صرح تعالى بذلك حيث قال منكرو البعث : ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ ، يعنون أنّ الأرض قد أكلت جميع لحومنا وعظامنا فكيف نرجع فبين عزّ وجلّ أنّ ما أكلت الأرض محفوظ عندنا فقال : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴾ ، وهو صريح في أنّ المَعاد هو المادة والقرآن مشحون من ذلك : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ ، ألم يعلموا أنّ منكر وقوع الإعادة للمادة الموجودة في الدنيا منكر للبعث تارك لنصّ المعيد سبحانه وإخباره في كتابه ولسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وتابع لأصحاب الآراء السخيفة التجاءً إلى أنها قد فَنيَت وكانت تراباً وحجة الله جعفر بن محمد عليهما السلام قد نص على أنّ طينته تبقى في قبره مستديرة حتى يعاد منها كما بدأه وأنها كبُرادة الذهب في التراب إذا غسلت وصُفّيت عاد الذهب الأول بعينه والله عزّ وجلّ يقول في كتابه المهجور : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ ، فليت شعري هل يريدون بـ ( **من في القبور** ) ، الصُّوَر وأي صورة بقيت في القبور ولكنهم بنوا علومهم واعتقاداتهم على عدم الالتفات

إلى الكتاب والسنّة ، وإنما علومهم مبنيّة على ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام فيهم ، وفي أمثالهم : ( **ذهب من ذهب إلى غيرنا إلى عيونٍ كدرة يفرغ بعضها في بعض** ) انتهى ، والله سبحانه ما ترك شيئاً إلّا دلّ عليه في كتابه وكيفية حدوث العالم هي بعينها كيفية حدوث الناس :

**أتحسب أنك جرم صغير**
**وفيك انطوى العالم الأكبر**

وهو تعالى قال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ ، وذلك ، لأنّ الطينة الأصلية التي هي المادة كانت تراباً فامتزجت بالماء النازل من بحر صاد كما ذكرنا ، وأنّ رائحته رائحة المني فتتكوّن منهما النطفة ثم العلقة إلى آخر أطواره حتى تضع الأرض حملها مما فيها من الأموات ، ولهذا فسّر كثير من المفسرين أنّ قوله تعالى : ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾ ، يُراد من ذات حمل الأرض ، أو بقاع الأرض فإنّ الأرض عند النفخة تلقي ما فيها من الأموات المقبورة فيها ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ .

**وقوله : ( بعد ما لم يكن بعدية زمانية )** ، وهذا غير صحيح ، لأنّ أجزاء العالم لم تكن كلها زمانية إذ العقول والنفوس ليست زمانية لأنها لو كانت زمانية لمّا استحضرت ما مضى من الزمان كما أنّ الأجسام لا تستحضر شيئاً من الزمان الماضي والمصنف صرّح في الكتاب الكبير أنّ الزمان ما سبقه إلّا الله تعالى .

وصرح في المشاعر وغيره أنّ روح القدس لم تدخل تحت (كن) ، لأنها هي (كن) ، فنقول له : إذا لم تدخل تحت كن فهي قديمة ، ومع هذا لا ينكر أنّ أول ما خلق الله العقل والعقل إن أراد به روح القدس فهو مخلوق ، وإن أراد به الروح الكلية فهي مخلوقة .

هذا ، وقد ذكر في شرح أصول الكافي أنّ العقل بل سائر المجردات خلقها من نور ذاته بغير توسط شيء بل يفهم من كلامه أيضاً بغير اختيار لأنه قال : ( **ولكن إيجاده تعالى للثابتات بنفس ذاته بلا وسط وللمتغيرات بواسطة العرش الذي هو واسطة فيض الرحمن والبرزخ بين عالمَي الأمر والخلق** ) .

**ثم قال** بعد كلام طويل فنقول : ( **جميع ما يصدر منه في الأشياء الخارجة لا بدّ أن يكون منشؤها ومبدؤها حاصلاً أوّلاً في العرش قبل صدورها ووجودها ، لأنّ الله تعالى فاعل لها بالإرادة والاختيار ، وكل فاعل لشيء بالاختيار لا بدّ ، وأن يتصوّره أولاً ولأجل تصوره إياه يشاؤه ويريده** ) ، انتهى ، وهو طويل هذا بعضه .

ففهم من قوله ( **في الأشياء الخارجة** ) ، التي أحدثها بواسطة أنه تعالى فاعل لها بالإرادة والاختيار أنّ الأشياء غير الخارجة التي أحدثها بذاته من غير توسط شيء أنه فاعل لها بغير إرادة ، ولا اختيار لأنها مخلوقة من نور ذاته .

قال في الشرح المذكور بعدما ذكرنا عنه من نوره أي ( **خلق العقل خلقاً من نور ذاته الذي هو عين ذاته إلى أن قال : فإنّ الروحانيين كلهم مخلوقة من نور ذاته** ) .

**وقال في المشاعر** : إنّ الأرواح القادسة ليست من العالم ، ولا ممّا سوى الله تعالى ، وهذا كله يدل ، على أنّ المجردات عنده كلها ليست من العالم ، ولا مما سوى الله تعالى فإذا قال : إنّ العالم كله في الزمان ، وإنّ الزمان لم يسبقه شيء إلّا الله تعالى لم يضره كون هذه الأشياء خارجة عن الزمان لأنها ليست غير الله عنده تعالى الله عن قوله علوّاً كبيراً .

فيكون اعتراضنا على كلامه ليس عنده في محلّه لأنها ليست من العالم .

**وقوله : ( من غير أن ينقدح به شيء من الأصول العقلية )** ، يعني بها ما تقدم ، ونحن قد بيّنا بطلانها كلها وأثبتنا القدح فيها لكنه عنده لا يقدح فيها قدحنا عيباً لبناء مذهبه ، على وحدة الوجود ، وعلى أنّ الجوهر يترقى بنفسه ، وعلى أنّ الكثرة نقوش والذات واحدة وأمثال ذلك من قواعده .

**فإذا قلت** : هو تعالى كل الأشياء في وحدته لا ينثلم به تنزيه الله وتوحيده لأنك لو لم تقل في وحدته منع المصنف منه ولكن إذا قلت في وحدته لم ينثلم تنزيه الله وتنزيه صفاته ، وإن كانت مغايرة له ولبعضها بعضاً في المفهوم عن وصمة التغير والتكثر لأنك إذا عرفت أنّ الله تعالى مبدأ الأشياء منه ظهرت فإذا أفناها عاد كل شيء إلى أصله فتعود إليه تعالى إذا أفنى العالم فتنطوي كثرتها في وحدته فيظهر الحق بالوحدة التامة .

**يقول المصنف** : إذا عرف العالم بهذا في البدء في القوس النزولي أمكن له أنّ يعرف خراب العالم بعكس نظامه وعوده بعكس

بدئه ، وعرف زوال العالم في العود واضمحلاله بالكلية ورجوع الأشياء كلها إليه تعالى لأنها قبل بروزها كانت كامنة في ذاته كما قال : الملّا محسن في الكلمات المكنونة : ( **بأن العالم كان كامناً فيه لكنه مستعد لقبول الكون إذا ورد عليه الأمر بـ ( كن ) . قال : ولما أمر تعلّقت إرادة الموجد بذلك واتصل في رأي العين أمره ظهر الكون الكامن فيه بالقوة إلى الفعل** ) انتهى .

هذا في البدء فإذا أفنى العالم في العود رجع إلى ما منه تولد ولذا قال المصنف : ( **ورجوعها إليه** ) ، لا حول ولا قوة إلّا بالله .

**وقوله** : ( **ومن أنكر هذا فلأنه لم يصل إلى هذا المقام** ) ، يعني به مقام اتّحاد الأشياء به إذا أفناها ( **ولم يذق هذا المشرب** ) ، يعني به مشرب الصوفيّة ( **بذوق العيان** ) ، يعني أنه تولّد من نور الحق تعالى الذي هو ذاته لأنه يقول : إنّ حقيقة زيد المحسوس صورة علمية عقلية متحدة بذات عاقلها تعالى وزيد المحسوس شبح لتلك الصورة المتّحدة بالعاقل عزّ وجلّ ربّي ، لأنّ الإنسان عند المصنف مخلوق على مثال الخالق أخذ هذا الكلام من الحديث المحرف ، وهو ( **أن الله خلق آدم على صورته** ) .

وأصل الحديث أنّ النّبي صلى الله عليه وآله سمع رجلاً يقول لآخر : قبّحك الله وقبّح من يشبه صورتك .

**فقال صلى الله عليه وآله** : ( **لا تقل هكذا فإنّ الله خلق آدم ، على صورته** ) فحذف المجسّمون أول الحديث ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .

والمصنّف حكم بأنه تعالى خلق الإنسان ، على صورته تعالى .

قال في شرح الكافي في شرح حديث العقل : ( **والإنسان لكونه مخلوقاً ، على مثال الله تعالى ذاتاً وصفةً وفعلاً ، فروحه الذي هو من أمر ربّه مثال ذاته ودماغه الذي هو معدن إدراكاته ، وهو ملكوته الأعلى الذي فوق قلبه ، هو مثال الروحانيات التي عن ( على ) يمين العرش وقلبه الذي هو مستقر نفسه مثال عرش الرحمٰن ، وصدره مثال الكرسي، إلخ** ) ، انتهى .

فتدبر هذا التشبيه الذي هو بيان التوحيد عنده ، ولا ينافي التنزيه أنّ نسبة دماغ زيد إلى روح زيد كنسبة الروحانيين إلى ذات الحق تعالى فشبه ذات الله تعالى بروح زيد والعقول والأرواح المجردة من ذات الله تعالى بمنزلة الدماغ من زيد ، وهذا عنده لا ينافي الأصول التي قررّها ، وهو كذلك .

وعنده أنّ هذا لا ينافي تنزيه الله وصفاته الذاتية عن وصمة التغير والتكثر ، ولا ينثلم به التوحيد ، وأنّ ذلك ثبت عنده بذوق العيان أي شاهدها متحققة في الكون ، وأن من أنكر ذلك فلأنه إمّا لعدم ذوقه لتلك المشاهدة ، أو لم يثبت له ذلك بالمقدمات القطعية ، أو أنه قد اغتر بما فهم بعقله الناقص الذي لم يتكمل بحكمة ابن سيناء والفارابي ، ولا يعلم مميت الدين والبسطامي وعبد الكريم الجيلاني وابن عطا العازمي ، ولا برابعة العدوية وأمثالهم .

أو أنه شاكّ فيما جاء به الأنبياء عليهم السلام لأنه إنما اعتمد على ما أتى به محمد بن عبد الله وأهل بيته صلى الله عليه وآله فإنه مخالف لعلم أولئك وحكمتهم فاعتبِروا يا أولي الأبصار .

في قول المصنف : **ومن تنوّر بيت قلبه بنور اليقين شاهد تبدل . .**

**قال : ( ومن تنوّر بيت قلبه بنور اليقين شاهد تبدل أجزاء العالم وأعيانها وطبائعها وصورها ونفوسها في كل حين إلى أن تزول تعيّناتها وتضمحل تشخصاتها ، ومن شاهد حشر جميع القوى الإنسانية مع تباينها في الوجود واختلاف مواضعها في البدن إلى ذات واحدةٍ بسيطة روحانية حتى تزول وتضمحل بالكلية وتفنى فيها راجعة إليها ، ثم تنبعث من تلك الذات تارة أخرى في القيامة بصور تحتمل الدوام والبقاء هان عليه التصديق برجوع الكل إلى الواحد القهار ثم صدورها وانشاؤها منه تارة أخرى من النشأة الباقية . واعلم أنّ النفخة ، وإن كانت واحدة ضرباً من الوحدة من جانب الحق لإحاطته بجميع ما سواه لكنها بالإضافة ، إلى الخلائق متكثرة حسب كثرتها العددية والنوعية وغيرهما كما أنّ الأزمنة والأوقات بالقياس إليه ساعة واحدة ضرباً آخر من الوحدة . والساعة أيضاً مأخوذة من السعي ، لأنّ جميع الأشياء الكونية الطبيعية ساعية إليها من جهة نحوها من باب الحيوانية ثم الإنسانية وتحقيق هذا المرام يطلب من أهل هذا الكشف بكثرة المراجعة إليهم وطول الصحبة معهم ) .**

**أقول** : يريد أنّ من تنور بيت قلبه بنور اليقين المستفاد من طريقة من أشرنا إليهم بذكر بعضهم وهم الصوفية لأنه عيّنهم بقوله : **( وتحقيق هذا المرام يطلب من أهل هذا الكشف بكثرة المراجعة إليهم وطول الصحبة معهم )** ، ونحن نعتقد أنّ من كثّر المراجعة

إليهم وطول الصحبة معهم مائلاً إليهم أنه يشرب من زقّومهم وغسلينهم .

وأمّا من تنوّر بيت قلبه بنور اليقين المستفاد من طريقة أهل الحق صلى الله عليهم فإنه يشاهد تبدل أجزاء العالم وأعيانها وطبائعها وصورها ونفوسها في كل حين إلى أن تزول تعيّناتها الوضعية وتلبس أوضاعاً غيرها ، إن تغيرت في الأعمال وإلا فتدور على أوضاعها الأولى حتى تستقر على فطرتها الأولى التي خلقها الله عليها وهي كناية عن إجابته داعي الله في قوله : بلى بقلبه ولسانه وأركانه .

ومن شاهد حشر جميع القوى الإنسانية مع تباينها في الوجود ، يعني مع تقدم بعضها على بعض منها ملكوتية ومنها طبيعية ومنها عنصرية واختلاف مواضعها التي تتعلق بها كالحواس الباطنة الخمس فإنها تتعلق بالدماغ في بطونه الثلاثة كما تقدم .

وكالحواس الظاهرة الخمس أعني حاسة اللمس والذوق والشم والسمع والبصر كما ذكرناه سابقاً من قوله وقولنا لأنه يريد أنها كلها برزت من النفس وانبعثت عنها كما تقدم فإذا رجعت إليها اضمحلت كليتها وانمحت صورتها وعادت النفس ، على حال بساطتها ووحدتها ، فإذا نفخ في الصور نفخة الفزع انبعثت من النفس تارة أخرى كما انبعثت أول مرة بصور محكمة كاملة لرجوعها إلى النفس الكاملة فشابهتها في البقاء .

**يقول المصنّف** : من شاهد تلك القوى النفسانية في رجوعها إلى النفس واتّحادها بها هان عليه التصديق بما قلنا من أنّ المراد بفناء الأشياء رجوعها إلى الخالق المُشَيِّئ واتّحادها به كما كانت قبل

النشأة الأولى ثم يحشرها يوم القيامة للجزاء فتخرج بصور كاملة محكمة تقتضي من ذاتها البقاء لرجوعها إلى الباقي تعالى واتّحادها به ، لأنّ مسألة النفس وقواها دليل على هذا المدّعى .

ونحن قد بيّنا فيما سبق بطلان هذه الدعاوى في النفس وقواها ، وفي الخالق تعالى وخلقه بأنّ هذا إنما يصح في المقامُيْن إذا كانت الأشياء المنبعثة عن الشيء أجزاء مقتطعة من ذات كالقطرات المأخوذة من النهر الماء ، فإذا عادت إلى الماء اضمحلّ تركيبها وصورها واتّحدت بالماء حتى لا تبقى لها إنية أصلاً فإذا أخذت منه مرة ثانية كان حكمها حكمه والقول بهذا كفر وجحود .

وأمّا إذا لم يقل بأنها أجزاء من الشيء من ذاته فلابدّ بأن يُقال إنها أحدثت بفعله لا من شيء ، فهي إنما هي آثار فعله وآثار الفعل لا تكون من الفعل ، ولا تعود إليه ، ولا تتحد به ، وإنما تجاور الفعل بمعنى أنها تقوم به قيام صدور ، أو يقال إنها إشراق منه والإشراق ليس من ذات المشرق ، ولا يعود إليه بل يعود إلى رتبته التي ابتدأه المشرق منها أو فيها ، فإنّ نور الشمس ، وإن كان يصير حيث صارت إلّا أنه إذا غربت لا يتّحد بها ، وإنما هو في رتبته ومقامه : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴾ لا يتجاوز موضعه الذي وضعته فيه وأقامته فيه وأحدثته فيه وهذه ﴿ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾ .

وأمّا مثل قوله : ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ ، ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ ، وإليه يرجع الأمر كله ونظائرها . فالمراد منها أنّ كل شيء راجع إلى حكمه وقدره وقضائه وتدبيره لا يخالف شيء منها

محبته وهي الآن في الدنيا كذلك بلا فرق باعتبار الحقيقة كما قال : سيد الساجدين عليه السلام في دعاء الصباح من الصحيفة : (**أصبحنا وأصبحت الأشياء كلها بجملتها لك ، سماؤها وأرضها ، وما بثثتَ في كل واحد منهما ، ساكنه ومتحركه ، ومقيمه وشاخصه ، وما علا في الهواء ، وما كنَّ تحت الثرى . أصبحنا في قبضتك يحوينا ملكك وسلطانك ، وتضمّنا مشيّتك ونتصرف عن أمرك ونتقلب في تدبيرك ليس لنا من الأمر إلّا ما قضيت ، ولا من الخير إلّا ما أعطيت**) الدعاء .

فتدّبر كلماته عليه السلام فيها بيان تلك الآيات وما شابهها ، على أكمل بيان ، ولكن المصنّف لمّا كان يعتقد أنّ الأشياء المجردة أحدثها بذاته من نور ذاته الذي هو ذاته بغير واسطة وثبت أنّ كل شيء يرجع إلى أصله قال ما سمعتَ . ولو كان يعتقد أنّ الأشياء أحدثها لا من شيء ، وإنما هي أثر فعله ، وأنّ فعله ليس له أوليّة حادثة ، فإذا رجع كل شيء إلى أصله رجعت الأشياء إلى فعله وأمره ، ولكنها لا تصل إلى فعله وأمره أبداً فلا تفنى فيه ، لأنها لم تبرز من ذاته لتعود إلى ذاته ، وإنما برزت من رتبتها منه أي من رُتَب أثره فيعود كل واحد منها إلى رتبة كونه ولكنه لمّا كان في بقائه محتاجاً إلى المدد ، ولا يمد بما وصل إليه مما هو مدد له ، بل إن كان مما تحلل منه فإنه إذا جُدّد للأمداد جدّد من فوق رتبته الأولى فإذا اتصل بالممدود كسر الممدود وصيغ من رتبة المجدّد فإنها أعلى من رتبته الأولى ، وإن كان من مدد جديد بمعنى أنه وإن كان مما للممدود لكنه لم يصل إليه ، لأنّ رتبته أعلى من مبدأ الممدود ، لأنه حين البدء لم يصل إلى رتبة هذا المدد ، فإذا اتصل

به المدد الجديد كسِر وصيغ من رتبة هذا المدد الجديد ، ومثل هذا وذاك يترقى الممدود في مراتب البدء السابق إلى ما لا يتناهى من الدرجات فلا ينقطع عن سيره في رتب البدء ، ولا في ما تقتضيه من رتب العود هذا باعتبار عدم النهاية في الأولية والاخرية .

وأمّا باعتبار ما بينهما فلأن الإنسان من طَوْر النطفة هو يترقى قاصداً إلى جهة مبدئه الذي لو اتصل به فني فيه ، أو اتّحد به فكان علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم يُكسى لحماً ثم أنشئ خلقاً آخر فكان في الدنيا يسير سيراً حثيثاً إلى جهة مبدئه لكنه لا يصل ، ثم مات في ترقيه ليخلص من الأعراض المانعة له من السير فإذا تخلّص من صيغ صيغة محكمة لا تقبل الفناء بإذن الله تعالى وحشر يوم القيامة للجزاء وليُوَفّى ما كسب يدخل الجنة ، أو النار ، وهو سائر إلى جهة مبدئه فأين الفناء ، أو الاتحاد المدّعى .

وإنما كسر في قبره وتفرقت أجزاؤه لأجل التصفية لا أنّ قبره مبدؤه لينتهي إليه ، ولا أنّ الدنيا أصله ليفنى فيها ، وإنما أتى من مكان عال : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ .

**فقوله : ( في أنها تفنى في مبدئها برجوعها إلى الواحد القهار )** ، جهل بما كانت الأشياء عليه في الدنيا ، فإن تنظيره يدل على أنها بعد الموت في هذه الدنيا ترجع إلى خلقها وتتحد به ثم يبدؤها يوم القيامة منه ويحشرها فيصير محصّل كلامه أنه بدأها منه وأظهرها في الدنيا ثم يعيدها إلى نفسه ، أو تعود بطبائعها إليه وتتّحد به ثم يبدؤها منه مرة ثانية ثم يحشرها .

وينبغي على كلامه أنها تعود إليه بعد الحشر فتتّحد به لأنها عنده تكون جميع الأشياء صوراً نورانية والصور النورانية غير المادية تتحد عنده بعاقلها فترجع الأشياء كما هي قبل الخلق الأول ونحن لا نقول بأنه تعالى فقد الأشياء من أماكنها بحال من الأحوال ، بل هي حاضرة عنده تعالى كل شيء في مكانه ووقته قبل أنّ يكون شيء منها عند نفسه وعند جميع الخلائق وبعد ذلك فيكون قول المصنف عندنا قولاً بفناء الجنة والنار وما فيهما وانقطاعهما من غير شك ، وإن لم يرد ذلك ولكنه لازم ، على كلامه .

وقوله : ( **واعلم أنّ النفخة ، وإن كانت واحدة ضرباً من الوحدة ، إلخ** ) ، صحيح على ظاهره ، وإنما قلنا على ظاهره لأنه ربما أراد أنه من جهته متحدة به ، ومن جهة الخلائق غير متحدة به وهذا باطل .

بل التصحيح لظاهره أنا نريد أنه عزّ وجلّ بسط النفخة كما بسط فعله فقبلت منه الأشياء بحسب قوابلها فتقدم بعض ، وبعض تأخّر فكذا الصيحة والنفخة ، وكما أنّ عنده وحدتها بالنسبة إلى فعله من حيث ذات الفعل فهي عنده بكثرتها من حيث تعلّقها بالمفعولات كما قلنا في فعله ، لأنّ وحدة النفخة وكثرتها كليهما في ملكه وخلقه وكذا الأزمان والأوقات في حالتيهما عنده في ملكه وخلقه .

وقوله : ( **والساعة أيضاً مأخوذة من السعي ، لأنّ جميع الأشياء الكونية الطبيعية ساعية إليها من جهة نحوها من باب الحيوانية ثم الإنسانية** ) ، فيه أنّ قوله ( **الكونية الطبيعية** ) ، يريد به إخراج المجرّدات من هذا السعي وليس كذلك بل النفوس والعقول

والأرواح كلها ساعية إليها قال تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ ، أي : حشرت مع من شاكلها في أعمالها تسير إلى يوم القيامة بأرجل أعمالها وبأيدي بطشها وألسن أقوالها وبجميع أدوات جميع مشاعرها من باب الحيوانية ، ومن باب الإنسانية وما فوق ذلك .

وأمّا النباتات والجمادات والمعادن فكذلك ولكنها في أيام اكتساباتها وذكرها وغفلتها وأكثرها يحاسب في هذه الدار ويحضر يوم القيامة البقاع التي وقعت فيه الطاعات لتشهد لعاملها والتي عملت فيها ، والمعاصي ليشهد على عاملها ، وكذلك الشهور والسنون والأيام والليالي ، والساعات كما نطقت به الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام .

والأشياء تسير إلى الآخرة بأرجل أعمالها وأقوالها وأحوالها وما كان منها . ولقد شاهدت كيفية ذلك في المنام ، وهو أني كنت في أيام إقبالي رأيت في المنام كأن جميع الخلائق يسيرون في أرض واسعة لا ترى أطرافها من جهة الشرق إلى الغرب وكلّهم صامتون ما يسمع منهم إلّا صوت أرجلهم في المشي ، ولا يلتفت منهم أحد إلى الجهة ، ولا توجّه لأحدٍ لشيء إلّا لمحض سيره ذلك .

ورأيت كأني معهم واقف وعندي كتاب كبير ما رأيت في الدنيا كتاباً مثله وعن يساري رجل لا أعرفه واقف معي وأنا فاتح لذلك الكتاب ، وهو يعرّفني في معانيه في الصفحة اليمنى منه وأنا أجد في نفس اعتمادي على ذلك الرجل وثقتي ببيانه وأحس أني أنا والرجل ونحن واقفان وجميع الخلائق يسيرون سيراً حثيثاً أني أنا والرجل وكل الخلائق يسيرون بما ينقلني ذلك الرجل إليه من معاني

ذلك الكتاب فانتبهت وكان نومي وقت القيلولة فرأيت أنّ الشمس ما زالت فسبغت الوضوء ونمت ، وأول دخولي في النوم كنت على تلك الحال مع الرجل ، وهو يعرّفني في ذلك الكتاب ونحن واقفان والخلائق تسير ونحن نسير بما ننتقل إليه من معاني ذلك الكتاب ، لا بأرجلنا ، وأرى الخلائق تسعى بأرجلهم وأنا أعلم أنّ المحرك لأرجلهم في السعي هو تنقلنا في معاني ذلك الكتاب فكانت عندي معاني ذلك الكتاب وتنقّلنا فيها ، لنا ولسائر الخلائق كالسفينة تسير براكبيها وهم فيها قاعدون .

فلما انتبهت ورجعت إلى وجداني وإلى ما قسم لي ربّي عزّ وجلّ من فهم كتابه وسنّة نبيّه وأخبار أوليائه صلى الله على محمد وآله وجدت أنّ الخلق كلهم يسيرون إلى الآخرة بأعمالهم وأقوالهم وأحوالهم واعتقاداتهم .

ثم أقول رُوي عن جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال : ( **ما كل ما يعلم يقال ، ولا كل ما يقال حان وقته ، ولا كل ما حان وقته حضر أهله** ) انتهى .

### في قول المصنف : **قاعدة في أرض المحشر ، هذه الأرض . .**

**قال : ( قاعدة في أرض المحشر ، هذه الأرض التي في الدنيا إلّا أنها تبدل غير الأرض كما تمد مدّ الأديم وتبسط فلا ترى فيها عوجاً ، ولا أمتاً تجمع فيها الخلائق من أول الدنيا إلى آخرها لأنها في ذلك اليوم مبسوطة ، على قدر يسع الخلائق . ومعنى بسطها لا**

**ينكشف إلّا لذوي البصائر النورانية الذي أطلقت ذواتهم من أسر الطبيعة وقيد الزمان والمكان فيعرف أنّ مجموع الأزمنة وما يوازيها كلمحة واحدةٍ وما فيها ، ومجموع الأمكنة وما يطابقها كنقطة واحدةٍ فكانت الأراضي كلها أرضاً واحدة وللأرض صورة أرضية أخرى بيضاء نقية فيها الخلائق كلها والنبيون والشهداء والكتب والموازين وفيها الفصل والقضاء بالحق كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ) .**

**أقول** : قد بيّنا لك مراراً أنّ الله سبحانه قد ضرب الأمثال وجعل بحكمته الصورة الإنسانية أعلى الأمثال وأعمّها وأشملها في الاستدلال على كل شيء ، وكل من طلب دليلاً صحيحاً على ما يريد معرفته فليس يجد مثل نفسه شيئاً إلّا مجموع العالم ولهذا كان فيما نسب إلى علي عليه السلام :

**وأنت الكتاب المبين الذي**
**بأَحرُفه يظهر المضمرُ**
**أتحسب أنك جرم صغير**
**وفيك انطوى العالَمُ الأكبرُ**

وإذا ثبت أنّ جسدك الذي معك في الدنيا هو المَعاد بمادته وصورة أعماله ، ثبت أنّ هذه الأرض المعادة هي هذه الأرض الموجودة في الدنيا بمادتها والصورة المناسبة للحشر وجمع الخلائق .

والمصنف ، وإن كان كلامه يوهم الموافقة لما قلنا لكنه صرّح

في غير هذا الموضع فيما أنّ المواد كلها تفنى وتعدم إنما تعاد بصورته لا بمادته ، لأنّ حقيقة العود عنده إنما هو للنفس واللازم للمَعاد حقيقة هو الصورة .

ومما يدل ، على هذا من كلامه قوله : (**إن المَعاد في يوم المَعاد هذا الشخص الإنساني المحسوس الملموس المركّب من الأضداد الممتزج من الأعضاء والأجزاء الكائنة من المواد مع أنه تتبدل عليه في كل وقت أعضاؤه وأجزاؤه وجواهره وأعضاؤه حتى قلبه ودماغه سيما روحه البخاري الذي هو أقرب جسم طبيعي إلى ذاته وأول منزل من منازل نفسه في هذا العالم وهو كرسي ذاته وعرش استوائه ومعسكر قواه وجنوده ، وهو مع ذلك دائم الاستحالة والتبدل والحدوث والانقطاع فإنّ العبرة في بقاء البدن بما هو بدن شخصي إنما هي بوحدة النفس فما دامت نفس زيد هذه النفس كان بدنه هذا البدن ، لأنّ نفس الشخص تمام حقيقته وهويته وهذا كما يقال : إنّ هذا الطفل ممّن يشيب ، أو هذا الرجل الشائب كان طفلاً وعند الشيب قد زال عنه جميع ما كان له عند الطفولية من الأجزاء والأعضاء إلى أن قال : ولا يقدح في ذلك أنّ هذا البدن الدنيويّ مضمحل فاسد مركّب من الأضداد والأخلاط الكثيفة العفنيّة ، وأنّ البدن الأخروي لأهل الجنة نوراني باقي شريف حي لذاته غير قابل للفناء والموت والمرض والهرم**) انتهى .

وقال أيضاً في جواب الاعتراض السادس للمنكرين للحشر الجسماني : (**وإن هذه الأرض ليست محشورة ، على هذه الصفة ، وإنما المحشورة صورة هذه الأرض إذا مدّت وألقت ما فيها وتخلّت**) انتهى .

فقوله : ( **ليست محشورة ، على هذه الصفة** ) ، لو أريد من الصفة المنفية الكثافة خاصة لما قال : ( **وإنما المحشورة صورة هذه الأرض** ) ، فافهم الإشارة .

وقال أيضاً في الأصل الأول : ( **أن يقوم كل شخص بصورته لا بمادته وهي عين ماهيّته وتمام حقيقته ومبدأ فصله الأخير فهو هو بصورته لا بمادته حتى لو تجرد صورته عن مادته لكان هو بعينه باقياً عند ذلك التجرد ، وإنما الحاجة إلى المادة لقصور بعض أفراد الصور عن التفرد بذاته دون التعلق الوجودي بما يحمل لوازم شخصه** ) ، إلى آخر الأصل الأول .

فيلزم من كلامه أنّ زيداً إذا أعيدت نفسه وصورته بمادة غير مادته كان المَعاد هو زيداً بحقيقته التي يترتب عليها الثواب أو العقاب ، وهو مراده هنا في حشر الأرض ، فلا تتوهّم أنه يريد مرادنا من أنّ المَعاد هي المواد ولكن في صورة أعماله فقد تتغير صورته ولا تتغير مادته في حال من الأحوال ، بل المَعاد الذي يريده ما هو به زيد من الهيئة الإنسانية الخاصة ولهذا قال : ( **بل إصبعه هذا صدق أنه الإصبع الذي كان له في الطفولية مع أنه قد عدم في ذاته مادة وصورة ولم يبق بما هو جسم معين في ذاته من نوع معين ، وإنما بقي بما هو إصبع لهذا الإنسان لبقاء نفسه فهذا ذاك بعينه من وجه وهذا ليس بذاك بعينه من وجه** ) انتهى .

**ونقول** : إنما هو جسم معين بمادته وصورته فإذا لم يبق بما هو جسم معين في ذاته لم يبق للإعادة إلّا الهيئة الوجودية الإنسانية وهي لا تكون زيداً إلّا بما هو هو من مادته وصورته .

والمصنّف بنى أمره في اعتقاده ، على دعويين :

**الأولى** : أنّ المجردات ثابتة لا يمكن أن يطرأ عليها التغير والتبدل والفناء ، وهو خطأ فإنه إن جعلها ممكنةً فحكمها حكم الماديات في احتياجها إلى المدد ، وإن جعلها قديمة أو من لوازم القديم فهو أيضاً باطل ، إذ القديم لا يتغير عن حاله وهذه على قوله : ( **كانت عاريةً عن الصور ثم تلبست بها في هذا العالم فاختلفت أحوالها ومختلف الحالات حالات حادث** ) .

وأيضاً القديم لا يكون له ظهور غير بطونه وبطونٌ غير ظهوره ، وإن فرضها من لوازم القديم كما صرّح به في كتابه الأسفار وأنها لا يمكن تصوّر انفكاكها فهو غلط من وجوه .

**منها** : أنّ القديم لا يكون له لوازم وإلا كان حادثاً للزوم الاقتران الموجب للحدوث .

**ومنها** : أنّ اللوازم ليست هي المتنزلة في الأجسام بل المتنزلة في الأجسام أشباح تلك اللوازم وأظلّتها كما صرّح به في هذه الرسالة وغيرها .

وصرّح أيضاً ، على أنّ الثابت لا يلزم أن تكون آثاره وأظلته ثابتة .

**ومنها** : أنّ اللوازم صرّح بأنها لا يمكن تصوّر انفكاكها فكيف جعلها هي النازلة في صورة زيد ؟ .

**الثانية** : أنه بنى أمره هنا ، على اعتقاد أنّ المواد الجسمانية تفنى وتضمحل وتعدم ، وإنما المُعاد صورتها وهذا غلط لأنها دخلت في ملك الله فلا تخرج عنه ، وقد صرّح بذلك تعالى في كتابه فقال : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴾ ، وقال تعالى :

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ ، لأنّ من في القبور لا يكون إلّا المواد الجسمية لا النفس ، ولا الهيئات الوجودية .

وقد ذكرنا ما توهموا منه فيما تقدّم ، من أنه لو اغتذى زيد بعمرو حتى كان عمرو جزءاً لزيد فإنه لو كان الواقع إعادة الأجسام الدنيوية لتعذّر إعادتهما معاً لاستلزام إعادة مادة أحدهما نقصان الآخر ، وقد بيّنا علّة ذلك فيما سبق من أنّ مادة عمرو لا تكون غذاءً لزيد وزيد إنما يغتذي بغير مادة عمرو الأصلية .

وأمّا مادته وطينته التي خلق منها فإنها لو حرقت بنيران الدنيا لما سطت عليها ، ولا أثّرت فيها لأنها ليست من هذه العناصر ، وإنما نزلت من عالم الغيب وحيث جهلوا هذا المعنى قالوا : بأنها تفنى وأنها تكون جزءاً من آخر ، فالأرض المحشورة هذه الأرض بعد إزالة الأعراض الدنيوية ، لأنها أصلها نزل من عالم الغيب : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ .

**وقوله : ( تمد مدّ الأديم وتبسط )** ، يشير به إلى الجواب عن الإشكال السادس لمنكري حشر الأجسام في قولهم ( **إن جرم الأرض مقدار ممسوح بالفراسخ والأميال وعدد النفوس غير متناهٍ فلا يفي جرمها بحصول الأبدان غير المتناهية** ) .

فأجاب هناك ونبّه هنا بهذا الكلام ملاحظاً فيه تتمة الجواب من أنّ الأرض تمدّ مدّ الأديم أي تبسط ، على قدر يسع الخلائق من أول الدنيا إلى آخرها ، ومَن فهم المراد عرف أنّ الأرض ليس بسطها ومدها مدّ الأديم أي الجلد لتسع الخلائق إذ لو لم تمد لما وسعت الخلائق المحشورين بل تسع الخلائق ، وإنما بسطت ليحضر الكل للكل فلا يستتر أحد عن أحد بوهدة ، ولا تلعة

بل بَسطت لتبدو الضمائر وتَبلى السرائر هذا ظاهر المد والبسط .

وأمّا حقيقته فإنها إذا أزيل عنها الموانع والأعراض من كثافة المعاصي اتصفت بصفات المجردات كما هو مقرر في العلم الطبيعي من أنّ الأرض المقدسة ما دام فيها القوم الجبارون فهي ضيقة لمّا فيها من الجبال والصخور ، فإذا خرجوا منها زالت منها الجبال والصخور وسعت كل ما يقع فيها ، وإن كان غير متناهٍ ، لأنّ الداخل الأول يشغل منها مكاناً ويكون هو ومكانه مكاناً للداخل الثاني ، وهكذا فتتسع بنسبة من يكون فيها ويصدق على ما قلنا قوله : ( **لأنها في ذلك اليوم مبسوطة ، على قدرٍ يسعها** ) ، وإن كان لا يتصوّر ما أشرنا إليه **وكذا** قوله : ( **ومعنى بسطها لا ينكشف إلّا لذوي البصائر النورانية الذي أطلقت ذواتهم من أسر الطبيعة** ) ، يعني تمحّضت في تجرُّدها وخلعت أحوال الزمان وما يتعلق به وجهات المكان وما يحل فيه فيعرف بصفاء حِسِّه أنّ مجموع الأزمنة وما يوازيها كلمحةٍ واحدة بالبصر وما فيها ومجموع الأمكنة وما يطابقها من المتحيّزات كنقطة واحدةٍ قد طاشت في دائرة فكانت الأراضي السبع أرض الحياة وأرض العادة وأرض الطبع وأرض الشهوة وأرض الطغيان وأرض الإلحاد وأرض الشقاوة كلها أرضاً واحدة أي في الظهور والبروز ليحشر في كل أرضٍ أهلها .

فإذا عرفت أنّ كل أرض يحشر فيها أهلها ، وأنّ كل سابق هو ومكانه مكان للاحقه ، وأنّ أجسام الآخرة لم تبق على حالتها في الدنيا ، بل أزيلت عنها أعراض الدنيا فكانت بأنفسها حية بإذن الله تعالى فكانت بجعله تعالى روحانية .

**وقوله** : ( **وللأرض صورة أخرى بيضاء نقية** ) ، توصف بالفضة

لبياضها وصفائها وطبيعتها لأنها من طبيعة الأرض الأولى أرض الحياة ، لأنّ الدار الآخرة هي الحيوان .

وتوصف بالخبزة النقية ، لأنّ أهل الجمع يأكلون منها إلى أن يفرغوا من الحساب ، فيها الخلائق كلها من كل ذي روح حيوانية طبيعية أي من نوع الأفلاك ، أو نباتية من نوع لطائف العناصر ، أو روح ظرفية كأرواح الأمكنة والأزمنة ، أو عرضية كأرواح الأعراض من الألوان والحركات والسكونات والمقادير والهيئات والأحوال والأقوال وما أشبه ذلك .

وفيها النبيون كلهم من ذوي الأرواح الكَرُوبية .

وفيها الشهداء كلهم من ذوي الأرواح النورانية .

وفيها الصالحون كلهم من ذوي الأرواح الجوهرية .

وإنما قلت كأرواح الأعراض ، لأنّ كل نوع من أنواع الأشياء كالأعراض والطبائع كالحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وكالحروف والكلمات والكلام وما أشبه ذلك مما ذكرناه ، أو أدخلناه في هذه المشابهة أمم أمثالكم في كل أمة ذكر وأنثى وسعيد وشقي ومؤمن وكافر وتناكح وتوالد ، وكل ما يوجد في الأمم الحيوانية إلّا أنها بنسبة حالها مثلاً لو ظهر لك كلام زيد ، أو طوله ، أو بياضه ، أو حرارته ، وما أشبه ذلك وقعد بجنب زيد ، لم تكد تفرّق بينهما إلّا أنّ زيداً إذا تكلّم حكى عن نفسه وكلامه ، أو طوله إذا تكلم حكى عن زيد .

وكلامي هذا تنبيه لك ، على سِّر عظيم بالتلويح ، لأنّ التفصيل يطول به الكلام .

وفيها أيضاً الكتب أي نظائرها وهي كتب الأعمال ، والمراد بكتابك جمع أعمالك بعد تفرّقها وذلك ، لأنّ الإنسان أول ما يدخل في قبره ويشرج عليه اللبن يأتيه رومان فتان القبور ويضع روحه في جسده إلى حقويه فيقول له : اكتب أعمالك .

**فيقول للملك** : ما أحفظها؟

**فيقول** : أنا أمليها عليك .

**فيقول** : ليس عندي دواة؟

**فيقول** : من ريقك .

**فيقول** : ليس عندي قلم؟

**فيقول** : إصبعك .

**فيقول** : ليس عندي قرطاس؟

**فيقول** : قطعة من كفنك .

فيكتب ورومان يملي عليه فعلت كذا يوم كذا ، وفي المكان الفلاني ويذكر له كل شيء عمله أو قاله في مكانه ووقته حتى يذكره ثم يطوّي تلك القطعة المكتوب فيها ويطوّقه بها في عنقه فيكون أثقل عليه من جبل أُحد ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ ، فإذا كان يوم القيامة وكان مؤمناً أتاه كتابه الذي كتبه على نفسه من أعماله بإملاء الملك رومان فتّان القبور من أمامه فيأخذه بيمينه .

وإن كان كافراً أتاه من خلفه وضرب ظهره وخرج من صدره فيأخذه بشماله ، ثم يقوم كتاب الله الناطق عليه السلام فينطق على

الخلائق بعبارة واحدةٍ تطابق كل كتاب املأه رومان بما فيه من خير أو شر لا يخالف منها حرفاً واحداً ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ، وهو تأويل قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ فيشاهدون عليهم السلام أعمال الخلائق فهم الأشهاد يقول تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ ، قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ هذا بيانه بكلام الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله .

وأمّا ترجمته بلغتكم فكيفية الكتابة أنك إذا رأيت زيداً يصلي صلاة الظهر ، يوم الخميس ، في المسجد الفلاني في اليوم الخامس عشر من شهر رجب مثلاً سنة الرابعة والثلاثين بعد المائتين والألف من الهجرة كل ما ذكرت ذلك ذكرته في ذلك الوقت في ذلك المكان بتلك الحالة فما دمت حيّاً لا تذكره ولو بعد خمسين سنّة إلّا هكذا ، لأنه لمّا صلى كتبت الحفظة مثاله في غيب ذلك المكان ، وفي غيب ذلك الوقت متلبساً بذلك العمل أبداً إلى يوم القيامة .

وإذا رأيت عمراً يسرق شيئاً من السوق من الدكان الفلاني يوم كذا كل ما ذكرته ذكرته كذلك ، لأنّ الحفظة كتبت مثاله في غيب ذلك المكان ، وفي غيب ذلك الوقت متلبساً بتلك السرقة فما دمت حيّاً لا تذكره إلّا هكذا ، فإذا أتاك زيد رأيته متصفاً بذلك العمل لابساً لذلك المثال العامل المتلبس بذلك العمل ، وإذا أتاك عمرو رأيته متصفاً بذلك العمل لابساً لذلك المثال العامل المتلبس بذلك العمل فإن أتاك عمرو بعد أن تاب وأنت عالم بتوبته لم تره متصفاً

بذلك ، ولا لابساً لذلك المثال العامل المتلبس بذلك العمل ، ورأيت المثال غير قائم بعمرو ، وإنما هو قائم بمبدئه من لوح الباطل أعني سجّين كتاب الفجار ، وهو وجه الثرى الذي لا يعلم ما تحته إلّا الله عزّ وجلّ . فإذا كان عمرو مؤمناً وأخلص توبته بقي ذلك المثال السارق إلى نفخة الصور ثم يمحى ذلك المثال السارق من الألواح الصغار وألواح المحو والإثبات كنفوس الملائكة الحفظة والناس ، ومن ذلك المكان والزمان ، ومن غيبيهما وإلا بقي متصفاً به في الدنيا فإذا كان يوم القيامة لبسه وظهر به مكشوفاً بين كل الخلائق : يا من أظهر الجميل وستر القبيح جلّلني بسترك واعف عن توبيخي بكرم وجهك يا كريم .

هذه كيفية كتابة الحفظة وما رأيته إنما تذكره لأنك تقابل بمرآة خيالك مثاله في مكانه ووقته فتراه متلبساً بذلك العمل فتنقش صورة ذلك بما تلبّس به من العمل ، أو القول مع الهيئة في مرآة خيالك .

وفيها الموازين وهي جمع بالنسبة إلى كل شخص كما قال : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ ، وقال : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ ، وذلك ، لأنّ العمل الواحد له موازين متعددة منها ميزان القدر بأنه مثلاً عشرة مثاقيل ، أو خمسة ، أو مئة يوزن في ذي الكفتين .

ومنها : ميزان اللون كما يميز به بين الحمرة الياقوتية والعقيقية .

ومنها : ميزان القيمة كأن تكون قيمته واحداً ، أو عشرة ، أو ألفاً .

ومنها : ميزان البقاء بأنّ يبقى يوماً ، أو سنة .

ومنها : ميزان التأثير مثل أن يكون تأثيره قوياً أو ضعيفاً ، سريعاً أو بطيئاً ، يثبت أو يزول .

ومنها : ميزان الحصول مثل أن يكون وقت الجزاء عليه الدنيا ، أو البرزخ ، أو الآخرة .

ومنها : ميزان الرتبة في الدرجات بأن يبلغ أدنى الجنان ، أو أعلاها ، أو أوسطها .

ومنها : ميزان العدد بأن يكون أجره ألفاً ، أو عشرة آلاف ، أو أكثر ، أو أقل وما أشبه ذلك .

وكل واحدٍ من الموازين يوكّل الولي عليه السلام بإذن الله على تمييزه نوعاً من الملائكة لا يصلح لغيره يميّز ما وُكّل به بهداية الولي وتعليمه عليه السلام .

وفيها أي في الأرض ، أو فيها ، على الصراط المستقيم في طريقته على طبق استقامته ، وعلى المعوج في طريقته بطبق اعوجاجه ، ولا يظلم ربّك أحداً قال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ ، أي : باهتدائه إلى الإسلام باختياره : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ ، أي : يجعله كذلك بإعراضه عن الإسلام باختياره قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، أي : بتركهم الإيمان باختيارهم وميلهم إلى الضلالة باختيارهم فوهب لأهل طاعته القوة على طاعته بحقيقة ما هم أهله .

ووهب لأهل المعصية القوة على معصيته لسبق علمه فيهم ومنهم إطاقة القبول منه .

ومعنى سبق علمه فيهم أنه تعالى أشرف على ما فعلوا حين فعلوا

في مكان فعلهم ووقته قبل أن يكونوا في أنفسهم وقبل أن يقع منهم فعل عند أنفسهم وعند جميع الخلق لأنه تعالى ليس معه استقبال، ولا انتظار لشيء إذ لم يفقد شيئاً لذاته وأزله شيئاً مما سواه من ملكه كل شيء من الأشياء في مكان حدوده ووقت وجوده حاضر عنده قبل أن يكون ذلك الشيء نفسه وعند جميع الخلق: ﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًاۗ ﴾، وذلك الفصل والقضاء المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾، هو المعبّر عنه بقوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾، أي: ما أظهر فيها مربيّها والقائم بالقسط فيها بإذن الله عزّ وجلّ من العدل القويم والصراط المستقيم ووضع الكتاب الناطق بالحق على الخلق ﴿ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ عطف عام على خاص. فالشهداء هم النبيّون والملائكة وأتباع النبيين والسنون والشهور والأيام والليالي وبقاء الأرض وقضى بين الخلق بالقضاء الحق الذي هو آثار ولاية ولي الله عليه السلام وهم لا يظلمون إذ لم يحكم إلّا بأعمالهم التي عملوها باختيارهم وهم يعلمون.

## في قول المصنف: قاعدة في أنّ الصراط حق ورد في الحديث . .

**قال: (قاعدة في أنّ الصراط حق ورد في الحديث، وقد رواه المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (الصراط هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجلّ وهما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة. أما الصراط الذي في الدنيا فهو**

**الإمام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر على جهنم في الآخرة ، ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردّى في نار جهنم ) .**

وروى الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ( **الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام** ) .

وأيضاً عنه عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، قال : هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته .

وفي رواية أخرى عن واحدٍ منهم عليهم السلام : ( **الصراط المستقيم صراطان : صراط في الدنيا وصراط في الآخرة . فأما الطريق المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل . والطريق الآخر هو طريق المؤمنين إلى الجنة ، وهو مستقيم لا يعدلون عن الجنة إلى النار ، ولا إلى غير النار سوى الجنة . وعنهم عليهم السلام : ( نحن أبواب الله ونحن الصراط المستقيم ) ) .**

**أقول** : الصراط لغة الطريق .

وقول الصادق عليه السلام : ( **الصراط هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجلّ** ) لبيان الطريق الكامل المؤدي إلى الله ولهذا فسّره بمعرفة الله التي تكمل بتوحيد الله وتوحيده تعالى في أربع مراتب :

**الأولى** : توحيد ذاته عن التعدد والتركيب واختلاف الأحوال قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ ﴾ .

**الثانية** : توحيد صفاته قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ .

**الثالثة** : توحيد أفعاله ، لأنّ الفاعل الحقيقي هو الذي يحدث

مادة مفعوله لا من شيء وليس لله سبحانه شريك في ذلك إذ لا يحدث شيئاً من المواد غيره قال تعالى : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ .

**الرابعة** : توحيد عبادته قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ .

وهما صراطان : صراط في الدنيا وصراط في الآخرة .

أما الصراط في الدنيا فيطلق ، على معانٍ :

**أحدها** : القيام بأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه ، على حدّ ما أمر به ، على ألسنّة أوليائه عليهم السلام وذلك فروعهم واتبّاعهم والتسليم لهم والردّ عليهم والتفويض إليهم في كل شيء مما علمت ومما لم تعلم وهذه ظاهرُ ولايتهم عليهم السلام

**وثانيها** : محبتهم والتولي بهم والموالاة لوليهم والتبرؤ من أعدائهم ومخالفتهم والمجانبة لهم ولأتباعهم وهذه أركان ولايتهم عليهم السلام .

**وثالثها** : الاعتقاد لما اعتقدوا له والإيمان بما آمنوا به والكفر به وهذه أبواب ولايتهم .

**ورابعها** : الإمام المفترض الطاعة صلوات الله عليه ، مَن عرفه في الدنيا باسمه وصفته واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم يمرون عليه الخلائق صعودهم إليه ألف سنّة وحُذَال ألف سنّة ونزولهم ألف سنّة ويأتي بعض أوصافه .

ومَن لم يعرف الإمام عليه السلام في نحو ما ذكرت زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم لأنه جسر للجنة على

جهنم تمر الخلائق على قدر أعمالهم لأنه صورة أعمالهم لما كلفوا به من القيام بأمر الله والانتهاء من معاصي الله والاعتقاد لما أريد منهم ، فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ، ومنهم من يمر عليه كالجواد السابق ، ومنهم من هو كالماشي ومنهم من يحبو حبواً ، ومنهم من تأخذ النار بعضه ، ومنهم من يمر عليه حتى يصل إلى مكانه من جهنم فيسقط فيه وذلك كما قال تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾ .

وقوله : (**وروى الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (الصّراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام**)) ، يريد به ذكر معنى من الصراط في الباطن .

والمراد من كونه عليه السلام الصراط المستقيم أنه عليه السلام هو ورسول الله صلى الله عليه وآله علة الأشياء المادية والصورة بل والفاعلية والغائية ، أما أنهما صلى الله عليهما وآلهما العلة الفاعلية فلأن الله سبحانه خلقهما وألقى في هويتهما مثاله فأظهر عنهما أفعاله فهو تعالى فاعل بهما كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ذكر العالم العلوي من المدبرات أمراً ، فإنّ تلك الملائكة قال عليه السلام في بيان معرفتهم : (**وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله**) انتهى ، وذلك كما ألقت النار في هوية الحديدة المحميّة بها مثالها أي أثر فعلها فظهر بها أثر الإحراق كما يظهر بالنار وذلك المثال هو أمره الفعلي المسمى بالمشيّة والإرادة والإبداع فهم : ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ .

وإن شئت قلت فهو تعالى بهم يفعل ما يشاء ، لأنّ فعله متقوّم

بهما تقوّم ظهور وهما تقوما بفعله تقوّم تحقق فآية فعله تعالى بهما أي تقوّم فعله بهما وتقوّمهما بفعله كالقائم والضارب بالنسبة إلى زيد : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ فإنّ القائم والضارب اسما فاعل القيام وفاعل الضرب وليسا اسما لذات زيد ، ولا يحملان ، على ذات زيد إلّا مجازاً ، والمجاز هو الصراط فهما بالله العلة الفاعلية لأنهما محلا فعله الحاملان له .

وأمّا أنهما العلة المادية والعلة الصورية فلأن الله سبحانه خلق من شعاع نور محمد صلى الله عليه وآله أنوار جميع الأنبياء عليهم السلام وحقائقهم وذلك جميع موادهم عليهم السلام ، وخلق من أشعة أنوار الأنبياء عليهم السلام جميع المؤمنين أي موادهم وخلق من أشعة أنوار المؤمنين مواد الملائكة وهكذا إلى رتبة الجماد فشعاع نوره صلى الله عليه وآله هوالعلة المادية لجميع الخلق ، وهو النور الذي عناه الصادق عليه السلام في قوله : (**إن الله خلق المؤمنين من نوره**) .

وأمّا العلة الصورية فلأن الله سبحان خلق من هيئة أعمال عليّ عليه السلام وقابليته صور جميع الأنبياء عليهم السلام وخلق من هيئة صور الأنبياء عليهم السلام صور المؤمنين وهكذا إلى الجمادات الطيبة العذبة كما خلق من هيئة صورة المقابل وهيئة حركته الصورة في المرآة وحركتها ، وكما خلق من هيئة حركة يد الكاتب هيئة الكتابة بحركة يده .

وأمّا صور الكفار والمنافقين وأتباعهم من الحيوانات والنباتات والجمادات فقد خلق الله عزّ وجلّ من عكوسات هيئات أعمال

علي عليه السلام وعكوسات قابلياته صور الكافرين والمنافقين وخلق من هيئات صورهم صور أتباعهم إلى الجمادات المرة والسبخة والمالحة ، وقد قال صلى الله عليه وآله : ( **أنا وعلي أبوا هذه الأمة** ) .

وإذا فسّرنا هذه الأُبوّة ، على تفسير التأويل قلنا الأب هو المادة كما ذكرناه في سائر كتبنا مبرهناً عليه عقلاً ونقلاً خصوصاً في الفوائد وشرحها .

والأم هي الصورة لا كما ذكره الحكماء ، بل كما ذكره أئمة الهدى عليهم السلام : كما في قول الصادق عليه السلام : ( **إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة** ) انتهى .

**وقوله** : ( **من نوره** ) ، هو المادة ، لأنّ المادة هي تدخل عليها لفظة من كما تقول علمت السرير من خشب وصُغْتُ الخاتم من فضة فما دخلت عليه من فهو المادة فدلّ على أنّ المادة هي الأب فشبّه الشعاع المشتق من إشراق نوره صلى الله عليه وآله بالأب والهيئة المشتقة من هيئة أعمال علي عليه السلام وقابلياته التي هي الرحمة المكتوبة الخاصة بالمؤمنين بالأم ، لأنّ مواد جميع الخلق من شعاع نور محمد صلى الله عليه وآله وصور جميع الخلق من شعاع هيئة أعمال علي عليه السلام ، أو عكسها .

وأمّا العلة الغائيّة فهم عليهم السلام العلة الغائية ، لأنّ الله خلق الخلق لأجلهم كما قال علي عليه السلام : ( **نحن صنائع الله والخلق بعد صنائع لنا** . . . ) انتهى ، أي صنعهم الله لنا .

وفي الإنجيل : ( **خلقتك لأجلي وخلقت الأشياء لأجلك** ) انتهى ، فإذا عرفت أنّ أمير المؤمنين عليه السلام علة لجميع الخلق في إيجاد أكوانهم وأعيانهم فهو طريق الله تعالى إلى خلقه وترجمان إمداداته ومؤديها إليهم ومعطي كل ذي حقٍّ حقّه بإذن الله تعالى ، وهو عليه السلام الحامل لأعباء ولاية الله التي جعلها لنبيّه محمد صلى الله عليه وآله على جميع خلقه وذلك في جميع ذرّات ما يُناط بالخلائق كلهم من أحوال أركان التكوينات الأربع التي دار عليها الوجود الإمكاني الخلق والرزق والممات والحياة ، وهو طريق الله إلى خلقه في حدوده التكليفية والتكونية .

وعن الصادق عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، قال هو : ( **أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته** ) .

والمراد بمعرفته التي تكون هي الصراط المستقيم الذي يكون أحدّ من السيف وأدقّ من الشعرة هي معرفته بالنوانية كما رواه سلمان وأبو ذر عنه عليه السلام في تعليمه لهما المشتمل على الأسرار يجمعها قول الصادق عليه السلام : ( **اجعلوا لنا ربّاً نوب إليه وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا . فقال له السائل : نقول ما شئنا؟ قال عليه السلام : وما عسى أن تقولوا والله ما خرج إليكم من علمنا إلّا ألف غير معطوفة . . .** ) انتهى .

وإنما قيّد بالمستقيم تنبيهاً على أنّ غيره أيضاً سُبل ولكنها غير مستقيمة بل تهجم بسالكها ، على كل ما يكرهه الله .

وأمّا هذا عليه السلام فإنّ الله تبارك وتعالى خلقه في أحسن تقويم وصوّره على صورة مشيّته ومحبّته بحيث لو تُرك وَميل نفسه

بفطرته وشهوة بنيته لم يفعل إلّا ما يريد الله تعالى لأنه هو وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام علّاهم الله تعالى بتعلية محمد حبيبه ورسوله صلى الله عليه وآله وسما بهم إلى رتبته وهو صلى الله عليه وآله قد خلقه الله على فطرةٍ لا يحتمل الإمكان فطرة لبَشر أعدل من الفطرة التي فطره عليها فلذا قال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، ولأجل أنَّ الله عزّ وجلّ سما به إلى رتبة المستقيم الذي ليس في الإمكان استقامة تزيد على استقامته أو تساويها سمّاه بعلي ووصفه بالصراط المستقيم .

وقوله : ( **في رواية أخرى عن واحدٍ منهم عليهم السلام في تفسير الميرزا القمي رحمه الله ، قال : حدثنا محمد بن القاسم الأسترابادى المفسّر قال : حدثني يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيّار عن أبويهما عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في قوله : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ . قال : أدِمْ لنا توفيقك الذي به أطعناك فيما مضى من أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا . والصراط المستقيم هو صراطان : صراط في الدنيا وصراط في الآخرة . فأما الطريق المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل . والطريق الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنة إلى النار ، ولا إلى غير النار سوى الجنة** ) انتهى .

والمروي عنه هو الحسن العسكري عليه وعلى آبائه وابنه السلام في تفسيره .

وفسّر ﴿ وَٱهْدِنَآ ﴾ بالمعنى لا باللّغة فقال : (**أدِمْ لنا توفيقك**) وفيه تنبيه ، على أنّ العمل الباقي هو مادام عليه المكلف ، أو أنّ الهداية إنما تكون ملكة وطبيعة بالدوام ، أو أنّ الاعتبار في الأعمال بما يكون خاتمة لها كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

والصراط صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة ، فأما الطريق المستقيم أعني الصراط فإنه لغةً وشرعاً وعرفاً هو الطريق ، وهو في الدنيا ما قصر عن الغلو والإفراط وارتفع عن التقصير والتفريط واستقام لتوسطه بين الطرفين فلم يعدل بالسالك فيه إلى شيء من الباطل ، لأنّ الباطل لا يكون شيء منه مستقيماً بل إمّا إفراط وارتفاع ، وإما تفريط وانحطاط ، ومعنى استقامته انطباقه على ما يحب الله بامتثال أوامره كما أمر ، واجتناب نواهيه كما نهى .

والطريق الآخر يعني الصراط المستقيم الذي في الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم يعني بغير ارتفاع ولا تقصير ، لا يعدلون يعني السالكين له عن الجنة إلى النار ، ولا إلى غير النار سوى الجنة .

**وقوله عليه السلام** : (**ولا إلى غير النار سوى الجنة**) لا يريد به أنّ هناك شيئاً ليس بنار ولا جنة ليحترز بهذا عنه ، بل المراد بيان ما هو الواقع إذ ليس شيء في الآخرة لأحد من المكلّفين إلّا الجنة أو النار كما قال صلى الله عليه وآله : (**ليس وراء دنياكم هذه بمستعتب ، ولا دار إلّا جنة أو نار**) انتهى .

وعنهم عليهم السلام : (**نحن أبواب الله ونحن الصّراط المستقيم**) أما أنهم عليهم السلام أبواب الله فإنه تعالى حيث كان

لا يدركه الأبصار ، ولا تحويه خواطر الأفكار ، اختار محمداً وآله صلى الله عليه وآله من جميع خلقه وأنهى إليهم علم ما خلق بعد أن أشهدهم خلق جميع ما خلق وأقدرهم ، على ما أراد منهم ، ثم جعلهم أولياء على سائر خلقه أقامهم بياتاً وخزائن لأسرار العبودية ، وأقامهم أبواباً له تعالى في تلك الخزائن في أداء ما جعل لخلقه كما جعلت النار في السراج ، الشعلة المرئية التي هي دخان من الزيت الذي كلّسته ونّعمته فاستضاء بفعلها فيه باباً لجميع أشعة السراج في إحداثها وإمدادها بما به هي وبما به بقاؤها .

وللأبواب باعتبار أربع مراتب بل خمس مراتب :

**الأولى** : مرتبة الأمثال العليا وهي المقامات باعتبار نسبة الأفعال إليه تعالى بمعنى أنّ الله تعالى فاعل لأفعاله بهم وباعتبار أنهم فاعلون بإذن الله وأمره لا يكونون ظاهراً أبواباً .

**الثانية** : مرتبة المشيّة الحالّةِ فيهم ، فهم أبواب ظهور آثارها بهذا الاعتبار .

**الثالثة** : مرتبة الأمر المفعولي أعني النور المحمدي صلى الله عليه وآله وهذه مرتبة المعاني ، فهم باعتبار أنّ الوجودات الحادثة تشرق من شعاعهم أبواب لإشراقها .

وفي المراتب الثلاث الغالب فيها إطلاق غير الأبواب .

**ففي الأولى** : الإطلاق الغالب عليها الأمثال العليا والمقامات والعلامات .

**وفي الثانية** : الإطلاق الغالب عليها المشيّة والإرادة والاختراع والإبداع والأمر الفعلي .

**وفي الثالثة** : الإطلاق الغالب عليها المعاني أي معاني الأفعال والأمر المفعولي .

**الرابعة** : مرتبة الأبواب ، وهي مرتبة عقل الكل والقلم قال له الله سبحان وتعالى : أدبر فأدبر .

**ثم قال له** : أقبل فأقبل .

**الخامسة** : أيضاً مرتبة الباب وهي مرتبة نفس الكل واللّوح المحفوظ ، قال عليه السلام : ( **ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمٰن الرحيم** ) .

وباعتبار آخر الأبواب الأربعة :

**الأول** : ركن العرش الأيمن الأعلى ، وهو باب الرزق .

**الثاني** : ركن العرش الأيمن الأسفل ، وهو باب الحياة .

**الثالث** : ركن العرش الأيسر الأعلى ، وهو باب الموت .

**الرابع** : ركن العرش الأيسر الأسفل ، وهو باب الخلق .

وأمّا أنهم الصراط المستقيم فكما مرّ عليك بعض معانيه .

في قول المصنف : **وهذه الأحاديث المروية عن ساداتنا . .**

**قال : ( وهذه الأحاديث المروية عن ساداتنا عليهم السلام متوافقة المعاني والبواطن يحتاج شرحها إلى بسط في الكلام ، مَن أراد الاطّلاع عليه فليرجع إلى تفسيرنا لفاتحة الكتاب والإشارة إليه**

**أنّ للنفس الإنسانية من مبدإ حدوثها إلى منتهى عمرها الدنيوي انتقالات نفسانية وحركات جوهرية لأجلها في نشأة ذاتية ، فكل نفس صراط إلى الآخرة بوجهٍ كما أنها سالكة أيضاً بوجهٍ ، فالمتحرك والمسافة شيء واحد بالذات متغاير بالاعتبار ، فالنفوس صراطات إلى العاقبة بعضها مستقيمة وبعضها منحرفة وبعضها منكوسة والمستقيمة بعضها واصلة وبعضها واقفة أو معطلة ، والواصلة بعضها سريعة وبعضها بطيئة . وأتم الصراطات المستقيمة نفس أمير المؤمنين عليه السلام ثم نفوس أولاده المقدّسين عليهم السلام ) .**

**أقول** : إن هذه الأحاديث وغيرها من أحاديثهم عليهم السلام كلها متوافقة في المعاني والبواطن ولكن بيانها يحتاج في تعريفه ، وفي فهمه إلى إمدادٍ منهم عليهم السلام

**وقوله : ( يحتاج شرحها إلى بسطٍ في الكلام )** ، صحيح .

**وقوله : ( من أراد الاطّلاع عليه فليرجع إلى تفسيرنا لفاتحة الكتاب )** ، يريد به تفسير معنى الصراط ، على تفسير التأويل كما ذكره في قوله والإشارة إليه .

**وأنا أقول** : من أراد الاطّلاع ، على معنى الصراط بتفسير الباطن الذي هو معنى كونهم عليهم السلام الصراط المستقيم وكون ولايتهم عليهم السلام الصراط المستقيم فليرجع إلى شرحنا على الزيارة الجامعة الكبيرة فإنه قد حوى ما لا يحويه كتاب ، ولا يجري عليه خطاب ، فإني قد ذكرت فيه من أسرار معرفتهم ما هو من المكتوم المستور عن أولي الألباب وشاهدي العيان لمن كان له عينان .

وقوله : ( **والإشارة إليه أنّ للنفس الإنسانية** ) ، يعني بها الناطقة القدسية فينا وفيهم عليهم السلام الملكية الإلهية المعبّر عنها باللّوح المحفوظ وليست هي النباتية ، ولا الحيوانية الحسيّة الفلكية ، ولا البرزخية وليست هي التي مَن عرفها عرف ربه لا فينا ، ولا فيهم عليهم السلام ، لأنّ التي من عرفها عرف ربّه هي وجوده من الله تعالى المعبر عنها بالنور التي خلق منها ، وبالفؤاد وبحجاب الجلال من مبدأ حدوثها إلى منتهى عمرها الدنيوي انتقالات نفسانية يعني أنها بكونها ونفس وجودها تتنقّل إلى جهة مبدئها بحركات جوهرية وهي تنقّل نفس الشيء بكنهه من غير موجب من خارج .

ونحن قد أبطلنا فيما سبق هذه الحركة بأن يكون جوهر الشيء منتقلاً عن رتبةٍ إلى أخرى بنفس ذلك الجوهر من غير داع موجب للانتقال غير نفس الجوهر وأثبتناها بالموجب الخارجي المتجدد مثل ما لو كان في موضع من الأرض جزء من الزئبق الصافي اتصل به جزآن من الكبريت الصافي وامتزجا فإنهما لا يزالان في موضعهما كما هما من غير تغيير ولا انتقالٍ ، فإذا اتصلت حرارة الشمس بهما مع الرطوبة الطبيعية واستمر ذلك من غير عروض يبس لقلة التبريد والترطيب ، وبالعكس فإنهما ينعقدان ذهباً فينتقلان بالمعين الخارجي من مدد الشمس والقمر على نسبة الجزأين فالنَّفس تنتقل صاعدة بمدد أعمالها الصالحة ونازلة بمدد أعمالها الطالحة فإثبات الحركة الجوهرية صحيح بهذا المعنى ، وهو أنّ الجوهر يترقى بالمدد ويتحرك بالمحرك في نشأة ذاتية ، لأنّ انتقالها بالحركة الجوهرية من نشأةٍ ذاتية إلى نشأةٍ ذاتية ، ولكن المصنف يذهب إلى أنّ النفس تترقى بحركتها إلى أن تكون عقلاً ونحن نمنع

ذلك ، لأنّ النفس مادتها التأييدات العقلية وهي إشراقات من العقل محلها من العقل محل الإشراق من الشمس فكما لا يكون الإشراق بترقيه مشرقاً ، ولا النور منيراً كذلك لا تكون النفس بترقيها عقلاً .

والمصنّف يثبت التعقل وإدراك المعقولات وينفي وجود العقل فلا بدّ له من أن يحكم على النفس بالوصول إلى هذه ، فمراده أنها تكون عقلاً أنها تعقل الأشياء لا أنها تنقلب عقلاً عنده لأنه لا يثبت العقل ، ونحن نقول النفس تدرك الصور وأما المعاني فلا إذ لا يدركها إلّا العقل .

والحاصل أنّ النفس إذا ثبتَ لها الحركة الجوهرية ترقَّت بحركتها سواء قيل بنفسها كما يقول أم بموجب خارجي مُحرّك كما نقول .

ولا تزال صاعدة في سيرها إلى جهة مبدئها بلا نهاية لكنها لا تتصل بمبدئها أبداً ، وإنما تسير في المراتب النفسانية . فسيرُها في نفسها صراطها ، فكل نفس صراط إلى الآخرة بوجهٍ أي من حيث هي سائرة فيه ، فالمتحرك والمسافة شيء واحدٍ بالذات متغاير بالاعتبار ، لأنّ السالك سائر بتنقّل نفسه في أطوارها ، وإن كان السالك من حيث سالك غير مسافة سلوكه في الاعتبار . فالنفوس صراطات إلى عواقبها ولكنها بحسب تحريك محرّكها ، فإن كانت الأعمال المحركة صالحةً كانَتْ بإعمالها صراطات مستقيمة لأن أعمالها كانت مستقيمة لكونها مطابقةً لأمر الله ونهيه اللذين هما مستقيمان لمطابقتهما لفعل الله .

وسير النفوس إنما هو بتلك الأعمال ، وإن كان سيرها في أنفسها وبعضها منحرفة ، لأنّ أعمالها منحرفة لكونها غير مطابقة لأمر الله ونهيه وبعضها منكوسة ﴿ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ ،

لأنّ أعمالها منكوسة لكونها ، على عكس ما أمر الله ونهى فكانت أعمالها التي هي المحركة لها أظلّة معاكسة لأوامر الله ونواهيه .

والظل منتكس من الشاخص القائم وتلك المنكوسة تحرك العاملين ، على مقتضى أوضاعها فتحركت النفوس العاملة بحركة أعمالها فكانت صراطاتها منكوسة لأنّ جاعلها تعالى كذلك إنما جعلها بقوابلها .

وقوله : **(والمستقيمة بعضها واصلة وبعضها واقفة ، أو معطلة)** ، ليس بصحيح ، لأنّ المستقيمة لا تقف إلّا إذا طرأ عليها الاعوجاج ، كما لو صعدت بعمل صالح درجة ، وانحطت بعمل طالح درجة ، وصعدت بصالح درجة ، وانحطّت بطالح درجة وهكذا فإنها بترددها بين الصعود والنزول ينسب إليها الوقف لعدم تجاوزها رتبتها الأولى في الجملة كما كانت بنو إسرائيل في التيه ، لبثوا أربعين سنّة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح إلى المساء ، فإذا هم بحيث ارتحلوا عنه فلا يتحقق الوقف ، ولا التعطيل في شيء من الممكنات إلّا بمثل تيه بني إسرائيل ونحوه .

وأمّا الوصول فيكون للسائرين إلى الله تعالى في الطريق الذي أمرهم بسلوكه وحال هؤلاء في سيرهم في كل رتبة واصلون وغير واصلين بمعنى ما في حديث الأسرار حيث يقول تعالى في شأنهم في دار قربه الجنة : **(كلّما وضعت لهم علماً رفعتُ لهم حلماً وليس لمحبتي غاية ولا نهاية. . .)** انتهى .

وعدم الوصول للمحجوبين عن ربّهم فإنهم لا يزدادون بسيرهم إلّا بُعداً عن الله تعالى بمعنى أنهم صائرون إلى الله تعالى حيث يكره كما أنّ الواصلين صائرون إلى الله تعالى حيث يحب .

والنفوس الواصلة إلى الله عزّ وجلّ أعني الصائرات إليه حيث يحب منها سريعات السير إلى الله تعالى لأنهم تخففوا واجتمعت قلوبهم وتجمّعت شؤونهم ، على رضى الله تعالى فقربوا إلى الله عزّ وجلّ من غير أنّ تقصر المسافة بينهم وبينه تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ الذين بسط لهم بساط القرب في سفح رضوانه : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ ﴾ .

ومنها : بطيئات السير لِثِقَلِهم بشوائب من أحوال الخلق فرّقت قلوبهم وبها تفرّقت شؤونهم فقعدت بهم تصادم الدواعي فأبطؤوا في سيرهم .

**وقوله : ( وأتمّ الصراطات نفس أمير المؤمنين عليه السلام ثم نفوس أولاده المقدسين عليهم السلام )** ، يحتمل وجوهاً حيث لم يذكر نفس النّبي صلى الله عليه وآله مع أنها أتم من نفوس آله عليهم السلام .

**الأول** : أنه ورد : **(أن الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام )** ، فاستطرد عند ذكره ووصفه بالصراط المستقيم تفسير الصراط المطلق المشتمل ، على المستقيم وغيره وبيّن أنّ نفسه ونفوس أولاده المعصومين عليهم السلام أتم الصراطات المذكورة ، لأنّ المذكور هنا هو وأولاده عليهم السلام والنبي صلى الله عليه وآله لم يذكر في الموصوفين بالصراط المستقيم .

وإن كان فسّر مطلق الصراط ، لأنّ الموجب لذكر المطلق هو

ذكره بالصراط المستقيم ولعلّ المصنّف لم يرد غير هذا الوجه :

**الثاني** : أنه عليه السلام هو المشتهر بالولاية والنبي صلى الله عليه وآله اشتهر بالنبوة ، والولاية فسرت الصراط المسقيم دون النبوة .

**الثالث** : أنّ نفس النّبي صلى الله عليه وآله هي الغاية التي الصراطات كلها تؤدي إليها لما دلت عليه الأدلة النقلية والعقلية ، على أن كل شيء فمرده ومصيره إلى الله تعالى ، وقد دلّت الأدلة عقلاً ونقلاً ، على أنّ الردّ إلى الله والرجوع والمصير إليه هو الرد والرجوع والمصير إلى رسوله صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة ، لأنّ الحوادث لا تنتهي إلّا إلى مثلها كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : ( **انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله** ) .

وقوله عليه السلام في شأن النّبي صلى الله عليه وآله في خطبته يوم الجمعة والغدير قال : ( **أقامه في سائر عالمه مقامه في الأداء إذ كان لا تدركه الأبصار ، ولا تحويه خواطر الأفكار** ) انتهى .

وإذا قطعنا النظر عن كلام المصنف وعن مراده فلك أن تعتبر الوجه الثالث لأنه هو الجاري على تفسير باطن الباطن وبيان السر المقنّع بالسر ، ولك أن تفسّر الصراطات المطلقة مطلقاً يعني الشاملة لكل أحد .

**فإن قلت** : أكملها تعيّنت نفس النّبي صلى الله عليه وآله .

**وإن قلت** : أتمّها فكما قال المصنّف .

ولك أن تستعمل أتم بصيغة التفضيل المطلق فتقول أتمّها نفس النّبي صلى الله عليه وآله وتلك الأتمية الحقيقية .

وإن أردت الأتمية الإضافية فكما قال المصنّف ، وقد أشرنا أنّ تفسير المصنّف للصراط من تفسير التأويل .

وإذا فسّرناه بتفسير الباطن فصورته الأعمال الشرعية ومادته ، بل حقيقته الوجودات التكليفية إذ بها ترقى الذوات لأنها هي لبه .

وبيانه في المثال أنّ الشخص إذا قام بحدود الله وفعل ما أمره الله فذلك صورة صراطه إلى الجنة ، فإذا فعل ذلك واستقام عليه كتب الله في قلبه الإيمان وأيدّه بروح منه يسدده ويرشده إلى طريق النجاة ويعينه على ما يرضى ويحبب له ما عند الله فيكون بذلك راضياً بما يرد عليه من الله فيكون مرضياً عند الله ، فتشابه نفسه أوائل جواهر عللها فهذا مادة صراطه وحقيقته ، فهذه هي سفينته التي توصله إلى القرب من الله وتحرك نفسه وذاته الحركة الجوهرية الذاتية لأنها هي أرواح نفسه وتساقيه الكونية كما هو مذكور في مرآة الحكماء يشاهد عياناً هناك بأنّ هذه الأرواح الشرعية هي تساقيه التي لا تبلغ الكمال بدونها وهي تبلغ الحجر الرخيص درجة الياقوت الأحمر البهرماني العديم النظير ، وإلى ما أشرنا إليه أشار الإمام الناطق جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام بقوله : ( **بالعقل يُستخرج غور الحكمة وبالحكمة يُستخرج غور العقل** ) انتهى ، فإنّ النفس تعمل الأعمال والأعمال ترفعها إلى غاية الكمال وتقرّبها من ذي الجلال .

## في قول المصنف: وذلك بحسب القوتين العملية والنظرية . .

**قال : ( وذلك بحسب القوتين العملية والنظرية وإليهما الإشارة في الحديث بصراط الدنيا وصراط الآخرة . فالأول عن تحصيل العدالة وملكة التوسط في استعمال العملي ، القوى الثلاث الشهوية والغضبية والوهمية بين الإفراط والتفريط لئلا يكون فاجراً ، ولا خاملاً بل عفيفاً ، ولا يكون متهوراً ، ولا جباناً بل شجاعاً ، ولا يكون جربزاً ، ولا أبله بل حكيماً لتحصل من تركيب هذه الأوساط هيئة إذعانية انكسارية للقوى وهيئة استعلائية للروح عليها والتوسط بين الأطراف الشديدة بمنزلة الخلو عن جنسها فتصير النفس كأنها لا مرتبة لها من الصفات النفسانية التعلقية ، ولا مقام لها في الدنيا : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْ ﴾ ، فصارت كمرآة مجلوّة تستعد لأن تتجلى فيها صورة الحق وذلك لا يحصل إلّا بانقياد الشريعة وطاعة الإمام المفترض الطاعة وهذا معنى كون صراط في الدنيا هو الإمام عليه السلام ) .**

**أقول قوله : ( وذلك بحسب القوتين العملية والنظرية )** ، يعني أنّ كون النفس هي الصراط المستقيم لسيرها في ذاتها بحركتها الجوهرية إنما هو بحسب قوتَيْها العملية والنظرية فعلى قدر عملها وعلمها تنتقل ذاتها بذاتها ، ونحن نقول كما أنّ الدخان الذي في السراج إنما استنار بمس النار واستضاء بفعلها فيه لا بنفسه ، وكما استضاء الجدار بإشراق الشمس لا بنفسه كذلك النفس إنما انتقلت في درجاتها ومعارجها بالأسباب الخارجية وهي العمل فإنه علة

النور التشريعي المسمّى بالقوة العملية ، والعلم فإنه علة النور الكوني المسمّى بالقوة العلمية والنظرية ، وبالعمل يُستخرج غور العلم وبالعلم يستخرج غور العمل .

وإلى **الأول** الإشارة بقوله تعالى : **( ما زال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به . . . )** الحديث .

وإلى **الثاني** الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله : **( ليس العلم بكثرة التعلّم ، وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء فينفسح فيشاهد الغيب وينشرح فيحتمل البلاء . قيل : وهل لذلك من علامة؟ فقال صلى الله عليه وآله : التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله . . . )** انتهى ، فتنقّل النفوس في درجات كمالاتها إنما هو بالقوتين اللتين هما كسبيّتا المقدمات موهبيّتا الذوات فافهم لا بذوات النفوس .

**وقوله : ( الإشارة في الحديث صراط الدنيا وصراط الآخرة )** ، يريد به أنّ استعمال القوة العملية هو سير النفس بذاتها في تعديل قواها وملكاتها ، وهو الصراط في الدنيا ، وأنّ استعمال القوة العلمية النظرية هو سير النفس في مراتب أطوارها وأطوار الموجودات الحسية والنفسية والعقلية ، وهو الصراط في الآخرة .

**وقوله : ( فالأول : عبارة عن تحصيل العدالة وملكة التّوسط )** ، بين الإفراط والتفريط ، والمراد بملكة التوسط ما قرّ من مجموع الطرفين كما ذكره المصنف ، أو القوة المتوسطة في الذات والصفة والفعل المقتضي للآثار الحسنّة بين الطرفين ، كذلك فإنّ القوة

المعتدلة نور والطرفان ظلمة فلا تتركب منهما ، إذ المتركب من الظلمتين ظلمة أشد منهما .

وذكر الملكة احتراز عن الحال ، فإنّ الملكة ما قرّ من الأعمال والأحوال حتى كان كالطبيعة والحال ما لم يقر بل يتبدل .

وتحصيل العدالة برياضة العقل وحضر النفس ، على ملازمة آداب الشرع من الأوامر والمندوبات واجتناب المناهي والمكروهات فالقوى التي تحصل بينها العدالة العملية ثلاث :

القوة الشهوية فاعتدالها وحسنها أنّ يكون فعلها بالعقل الذي هو شرع باطن وبالشرع الذي هو عقل ظاهر بأنّ تكون جارية ، على مطابقتهما ويكون عفيفاً متقياً لله سبحانه .

وللنفس الأمّارة وميولاتها وللخلق وهي ملكة تحصل بالتدريج ومداومة الأحوال الطيبة حتى تثبت وتكون ملكة وهي فطرة مطابقة لفطرة الصنع التي فطر الله عباده عليها ، وهي بين الإفراط بأن يكون صاحبها فاجراً ، وبين التفريط بأن يكون خاملا والخامل الساقط الذي لا نباهة له .

والقوة الغضبية اعتدالها وحسنُها أن يقصر انبساطها وانقباضها ، على موجب العقل والشرع بأنّ تكون مطابقة لمقتضاها بأنّ يكون صاحبها شجاعاً وهي ملكة مطابقة للفطرة الإيجادية وهي بين الإفراط الذي يكون صاحبه متهوراً ، وهو من لا يبالي ، ولا ينظر العواقب وبين التفريط الذي يكون صاحبه جباناً .

والقوة الوهمية حسنها واعتدالها أنّ يكون بحيث يدرك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال ، وبين النافع والضار في الآراء ،

وبين الحسن والقبيح في الأفعال وهذه الملكة هي الحكمة العملية ، وهي علة ثبات الحكمة العلمية النظرية وبقائها ، وهي بين الإفراط الذي هو الجربزة من جربز أي ذهب ، أو انقبض ، أو سقط معرب كربز .

وهذا الإفراط تحصل منه آثار قبيحة كالدّهاء والمكر والخداع والحيلة والغواية والشيطنة ، لأنّ قوة الإدارك إذا لم يعتدل بتأديبات العقل والشرع تحصل منه هذه الصفات القبيحة وأمثالها .

وإذا اعتدل بتأديبات العقل والشرع ، حصل منه التفرقة بين الحق فيأخذ به وبين الباطل فيتركه فيحصل منه جودة الذهن والتفطن لدقائق الأعمال ولآفات النفس الأمّارة والظن الصحيح والرأي المصيب ولطافة الحس وذكاء الفهم .

وبين التفريط الذي يكون صاحبه أبله أي الغافل والأحمق الذي لا تمييز له والقليل الفطنة لدقائق الأمور والمتحيّر والمنخدع .

**وقوله : (ليحصل من تركيب هذه الأوساط)** ، أي وسط ما بين الفاجر والخامل في الشهوية وما بين المتهور والجبان في الغضب وما بين المجربز والأبله في الوهمية هيئة إذعانية أي سريعة في طاعة العقل والشرع منقادة لهما وهي العفة .

والشجاعة والحكمة انكسارية أي خاضعة ذليلة مقيّدة بقيود تأدّباتها العقلية والشرعية للقوى الطامحة الإفراطية .

والقاعدة التفريطية من الشهوية والغضبية والوهمية وهي أيضاً هيئة استعلائية أي أنّ هذه الهيئة تستَعلي الروح بها على القوة الشهوية والقوة الغضبية والقوة الوهمية بكسر إفراطاتها وتفريطاتها .

وإنما ذكر الروح لأنها قريبة من العقل ، أو أنّ المراد منها العقل لإطلاقها عليه في كثير من المقامات .

**وقوله** : ( **والتوسط بين الأطراف الشديدة** ) ، أي القوية المتقابلة بمنزلة الخلوّ عن جنسها يشعر أنّ القوة المتوسطة بين الطرفين مركبة منهما ، وكذا قوله قبل هذا من تركيب الأوساط ، وقد نبّه بعضهم ، على هذا أيضاً أخذاً من أنّ الشيء المتولد من شيئين أنه مركّب منهما كتأليف العقار المعتدل في المزاج أنه من العقاقير المتضادة كالكافور والمسك يعمل منهما كحل معتدل في الحرارة والبرودة ، وقد ذكرنا بطلان هذا ، لأنّ الطرفين الإفراط والتفريط في القوى الثلاث ظلمة والوسط الاعتدالي فيها نور ، ولا يكون مركباً من الطرفين ، لأنّ المركب من الظلمتين أشد ظلمة منهما وكذا قوله : ( **والتوسط بين الأطراف الشديدة بمنزلة الخلو عن جنسها** ) ، فإنه يشعر بأنّ الوسط مركّب من الطرفين إلّا أنه بمنزلة المغاير لهما .

ومراده أنّ النفس المتصفة بالتوسط بين تلك الأطراف لما كانت بمنزلة الخلو عن جنسها الذي هو التعليقي بالأجسام الظلمانية صارت كأنها لا مرتبة لها من تلك الصفات التعليقية فقد فارقت أحوال الدنيا فلا مقام لها فيها .

واستشهد بتأويل هذه الآية على مفارقتها فصارت النفس بعد مفارقتها للآفاق الضيقة كأنها مرآة قد استعدّت بصفاتها ونوريّتها ، لأن تتجلى فيها صورة الحق تعالى وذلك لا يحصل لها إلّا بانقياد الشريعة وطاعة الإمام عليه السلام المفترض الطاعة .

**وأقول** : إذا ثبت أنّ الإمام عليه السلام مفترض الطاعة وجب أن

يطاع في منعه لكون شيء تتجلى فيه صورة الحق تعالى إلّا إذا أريد بالصورة مثاله الأعلى ، أعني صورة ظهوره بإيجاد تلك النفس فإنّ صورة إيجاده لها تتجلى فيها ، إذا تزكّت بما أشرنا إليه سابقاً ألقى المثال الذي هو صورة إيجادها فيها لأنه تعالى تجلّى لها بها وبها امتنع منها كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : ( **لا تحيط به الأوهام بل تجلّى لها بها وبها امتنع منها** ) ، ولا تتجلى فيها إلّا الصورة ذات المقدار ، ولا تنسب إلى الحق تعالى إلّا مجازاً .

**وقوله : ( وهذا معنى كون صراط الدنيا هو الإمام عليه السلام )** ، يريد أنّ معنى صراط الدنيا هو الإمام عليه السلام هو أنّ كمال النفس وحصول التوسط لها بين الطرفين إنما هو بطاعة الإمام عليه السلام ، مع أنه ذكر قبل هذا أنّ صراط الدنيا هو عبارة عن تحصيل العدالة وملكة التوسط في استعمال العملي القوى الثلاث .

**وقوله : (أن ذلك لا يحصل إلّا بانقياد الشريعة وطاعة الإمام عليه السلام )** ، يشعر بأنّ صراط الدنيا مشروط بطاعة الإمام عليه السلام لا أنّ الإمام هو صراط الدنيا بهذا المعنى ، وإنما الإمام عليه السلام هو صراط الله في الدنيا والآخرة ، وهو الصراط للخلائق أيضاً في الدنيا والآخرة إذ لا يصل شيء من الله سبحانه إلى أحد من الخلق بعد محمد صلى الله عليه وآله إلّا بواسطة الإمام عليه السلام إذ هو باب الله تعالى في الخلق والرزق والحياة والممات ، بمعنى أنّ الله تعالى أعطى الخلائق ما يستحقونه بقوابلهم بواسطة الإمام عليه السلام ، ولا يصعد عمل ، ولا يقرب عامل إلى الله تعالى إلّا بواسطته .

وأمّا ما في رواية المفضل بن عمر المتقدمة التي ذكر فيها : (أن

**الصراط الذي في الدنيا هو الإمام عليه السلام )** فالمراد منه أنه عليه السلام هو الصراط لجميع المكلفين في الدنيا في مقابلة أنّ الصراط في الآخرة جسر على جهنم فما الصراط في الدنيا؟

فأما الصراط في الدنيا فإنه مثل الآخرة ، وكل ما في هذه في هذه فأخبر عليه السلام بأنه الإمام عليه السلام لا أنّ الإمام عليه السلام ليس صراطاً في الآخرة بل هو صراط في الدارين للحق تعالى وللخلق أجمعين .

في قول المصنف : **والثاني : عبارة عن مرور النفس بقوته النظرية . .**

**قال : ( والثاني : عبارة عن مرورو النفس بقوته النظرية وعقله العلمي ، على مراتب الموجودات والأطوار الحسية والنفسية والعقلية وخروجها من مكامِن الحجب والغواشي إلى أضوية أفضية الأنوار الإلهية فللصراط المستقيم وجهان : أحدهما أحدُّ من السيف مَن وقف عليه شقّه . والآخر أدق من الشعر . والوقوف ، على الأول يوجب القطع والفصل كقوله :** ﴿ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِۚ ﴾ **. وجاء في الخبر : (يمر المؤمن ، على الصراط كالبرق الخاطف ) . والانحراف عن الثاني يوجب الهلاك والعقاب :** ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴾ **) .**

**أقول** : يريد بالثاني القوة النظرية أي عقله العلمي يعني أنّ النفس إذا أدركت العلوم بصَدْرها وعقلت بعقلها المعاني وبحواسها الباطنة

صور المحسوسات الغيبيّة وبالظاهرة صورها الظاهرة الشهادية وشاهدت بحسّها الأطوار المحسوسة وبحسّها الباطن أطوار الحواس الباطنة وبصدرها أطوار جوهر هبائها وأطوار طبيعتها النورانية وأطوار رقائقها بروحها وأطوار عقلها بتعقل عقلها ، وعرفت آيات ربّها التي في ذاتها بذاتها التي هي فؤادها وجهتها من ربّها فقد مرت على جميع مراتب الموجودات ووقفت عند تكوين كل شيء منها حين بدئه من عالم الإمكان الراجح إلى عالم الإمكان المساوي أعني عالم الأكوان وتحقق حينئذ خروجها عن مكامن الحجب والغوشي إلى أضوية أفضية الأنوار الإلهية وهذا هوالصراط الذي قال : إنه في الآخرة .

ونحن قد بيّنّا فيما مضى أنّ الحكمة النظرية ليست هي الصراط الأخروي الموصل إلى السعادة الأبدية بنفسه كما يظهر من كلام المصنف في سائر كتبه تبعاً للحكماء الذين لم يبنوا ثمرات حكمتهم ، على مقتضى الشرائع والكتب السماوية ، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم ، وذكرنا أنّ الصراط الموصل إلى السعادة الأبدية إنما هو الحكمة العملية التي هي شرط في تحقق النظرية ، وفي بقائها كما قال عليه السلام : ( **العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل عنه** ) انتهى ، وفي صحتها قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ ، وقال الصادق عليه السلام في الدعاء كما رواه الشيخ في المصباح : ( **لا علم إلّا خشيتك ، ولا حكم إلّا الإيمان بك ليس لمن لم يخشك علم ، ولا لمن لم يؤمن بك حكم** ) انتهى .

نعم النظرية شرط في كمال العملية ، أو في صحتها إذ قد يُقبل العمل بدون علم ، ولا يقبل العلم بدون عمل .

وقوله : ( **إلى أضوية أفضية الأنوار** ) ، ليس عبارة مطابقة ، على ما ينبغي إذ القول المطابق للمعنى أنّ يقال إلى أفضية أنوار الأضوية الإلهية ، لأنّ الأضوية جمع ضياء ، وهو المنير والأفضية جمع فضاء والنور شعاع الضياء كما قال تعالى : ﴿ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ .

وقوله : ( **فللصراط المستقيم وجهان : أحدهما : أحدّ من السيف من وقف عليه شقه** ) ، والمراد من تشبيهه بحدّ السيف في كونه يشق قدم من مشي ، أو وقف عليه الكناية عن دقته وصعوبة الثبات واجتماع المشاعر عليه ، بل أكثر من يمر عليه تتفرق مشاعره وحواسه الظاهرة والباطنة ، ولا تكاد تجتمع المكنى عن ذلك بالشق فإنه يفرّق قدم السائر عليه فرقتين المكنى بهما عن الحق والباطل .

والوجه الآخر أدق من الشعر كناية عن كونه يمور ويضطرب بالسائر عليه ، ولا يثبت عليه إلّا من ثبّته الله بالقول الثابت من المؤمنين .

والوقوف ، على الأول أي الوجه الأول يوجب القطع والفصل أي تفريق الإدراك والعمل حيث لا يقدر السائر على تخليص الحق عن شائبة الباطل ، ولا على إخلاص العمل عن شائبة الشرك والأغراض الباطلة والغفلات المبعدة عن الزلفى لديه تعالى فيكون النظر والعمل شقين لأنه أحدّ من السيف فيشق القِدَم المعبّر به عن بصيرة النظر ونيّة العمل .

واستشهاد المصنف بقوله تعالى : ﴿ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِۚ ﴾ ، الذي يُراد منه الكناية عن القعود

وطلب الراحة وعن العجز يدل على أنه لم يفهم المراد من شق القدم حيث أشار إلى معناه بالتثاقل إلى الأرض ، وإن كان من لوازمه .

وكذا بيانه لكونه أدق من الشعر بالانحراف عنه لضيقه عن السلوك ، وإنما هو كناية عن اضطرابه ، وإن كان الانحراف عن لوازمه .

واستشهاده بقوله تعالى : ( ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴾ ) إنما هو للانحراف .

## في قول المصنف : **بصيرة كشفية اعلم أنّ الصراط المستقيم . .**

**قال ( بصيرة كشفية اعلم أنّ الصراط المستقيم الذي إذا سلكته أوصلك إلى الجنة هو بعينه صورة هدى النفس الممدودة من مبدأ الطبيعة الحسيّة إلى باب الرضوان فهو في هذه الدار كسائر الحقائق الغائبة عن الأبصار لا تشاهد له صورة معيّنة ، فإذا انكشف غطاء الطبيعة بالموت يكشف لك يوم القيامة جسراً ممدوداً محسوساً ، على متن جهنم أوله في الموقف وآخره على باب الجنة كل مَن يشاهده يعرف أنه صنعك وبناؤك ويعلم أنه قد كان جسراً ممدوداً على متن جهنم التي قيل لها هل امتلأت فتقول : ﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ ، ليزيد في طول طبيعتك عرضها وعمقها وهي حقيقتك ذي ثلاث شعب ، وهو ظل غير ظليل لا يغني جوهر ذاتك من اللّهب لهب**

**جهنم بل هو الذي يقودها إلى لهب الشهوات الكامنة نارها الآن البارزة يوم القيامة لقوله : ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾ إلّا أن يُطفئها ماءُ التوبة المطهرة للنفس عن المعاصي وماء العلم المطهّر للقلوب عن رجس الجاهلية الأولى والثانية )** .

**أقول** : يريد أنّ الصراط الموصل للجنّة هو صورة هدى النفس لإصابة الحق فيما يسلكه من العلوم النظرية التي من جملتها ما يحدس من معرفة النيازك والشهب وتصوّر هالة القمر وترتيب ألوان قوس السّحاب ، ومثل معرفة طبائع الأجساد وأمثال ذلك من الأمور التي لا تعلق لها بشيء من أصول الدين ، ولا فروعه كم يذهب إليه بعض الحكماء كما ذكرنا .

والحق أنّ الصراط الذي يوصلك إلى الجنة هو سيرك بأقدام أعمالك ونظر علمك ومعرفتك على حدود الله وتعريفه للهدى وتعرفه لك بآياته التي في نفسك فإنّ صورة هذه الحدود والتعريفات والتعرفات بآياته هي الصراط الممدود يوم القيامة ، على جسر جهنم ، وهو الكلي الجامع لجميع الصراطات الجزئية وسيرك على تلك الحدود والمعالم التي هي الصراط الأعظم الممدود على متن جهنم بأقدام أعمالك وبعينَيْ علمك ومعرفتك هو صراطك الخاص بك الموصل لك إلى ما خُلقتَ له .

**وقوله : ( الممدودة )** ، يعني بها أنّ النفس هي صراطها وهي الممدودة جسراً لأنها ممتدة في أطوار تكوناتها من الطبيعة العنصرية التي كنّي بأرض الموقف عنها إلى باب الرضوان من الجنة ، يعني أعلاها الذي كنّي به عن مرور النفس بعلمها النظري على خفايا الموجودات وأطوار التكونات ، وقد قدّمنا سابقاً أنّ النفس المجردة

ليست من عالم الأجسام والطبائع ، وإنما هي من عالم الملكوت موادها من تأييدات العقل وإشراقه .

وإنما تعلقت بالأجسام بأفعالها ، لأنّ عالم الأجسام مملكتها تتصرف فيها بأفعالها لا غير وهي بريئة منها في ذاتها إذ الملكوت مغير للملك ، وإنما أنزله الحكيم عزّ وجلّ إلى عالم الملك في الوسائط ، على جهة التدريج ليتعلم لغة عالم الملك وأفعاله وكيفية أطواره فيعلم علمه فيترقى في ثمرات أفعاله فيه وهي ثمرات ما زرع فيه صاعداً إلى أن يصل إلى رتبته في الملكوت والدهر فيقعد على كرسيّه ويستوي على عرشه فإذا أخذ يترقى من رُتَبته ترقى في رتب آثار الجبروت التي هي من نوع مواده فلا يتجاوز نوعه ، وإنما ترقيه اشتداده في نوعه .

**وقوله : ( فهو في هذه الدار )** ، يعني الصراط كسائر الحقائق الغائبة عن الأبصار من حيث الصورة الصراطية أعني أنه جسر ممدود على جهنم لا تشاهد له صورة معيّنة ، وإنما يشاهَد منه الأعمال والعلوم ، لأنّ المشاهد هو النفس ولكنها لما نزلت من عالمها الأعلى وغطت بصيرتها الأجسام وأحوالها قبل أن تمر على الصراط ، فلما أُمرت بالمرور على الصراط في الدنيا لم تُشاهَد جسراً ممدوداً على جهنم ، لأنّ بصيرتها غطتها غشاوة الأجسام وطبائعها فإذا أمات نفسه وراضها برياضة أهل الشرع عليهم السلام اجتمع متفرقها فعاينت عملها وعلمها جسراً ممدوداً على متن طبيعتها المكنّى عنها بجهنم ، لأنّ سلوك مقتضاها مؤدي إلى جهنم لأنهاخلقت منها ، أو مجانسة لها وكذا إذا كشف الغطاء بالموت ، وهو قوله : فإذا انكشف غطاء الطبيعة بالموت يكشف لك يوم القيامة

جسراً ممدوداً محسوساً على متن جهنم أوله في الموقف وآخر على باب الجنة إن كان مستقيماً وإلا فأخره ، على باب النار .

وإنما لم يُشاهَد هو وما دونه بدرجة كأحوال البرزخ وما فيه من الذوات والصفات والأقوال والأفعال وكأحوال القيامة وما فيها كالصراط والحوض ، وتطاير الكتب والحساب ، والختم على الأفواه وإنطاق الجوارح والسلاسل والأغلال وجميع ما أعدّ للكافرين من أنواع العذاب وجميع ما أعدّ للمؤمنين من أنواع الثواب ، وما فوق ذلك من عالم الملكوت والجبروت ، وما هنالك من الصفات والأحوال والأفعال والأقوال ، لأنّ الناظر إلى شيء من ذلك بعين جسمانية ليس معه في صقع بل هذه العين الجسمانية والناظر بها في هذه الأجسام والمنظور إليه في عالم آخر خارج عن عالم الأجسام ، لأنّ أدنى ما ذكر إلى عالم الأجسام عالم البرزخ ، وهو في الإقليم الثامن أسفله فوق محدّب محدّد الجهات في الرتبة وعالم الملكوت خارج عن عالم البرزخ ووراءه بين مسير ألف سنّة وعالم الجبروت وراء عالم الملكوت بينه وبين الملكوت مسير ألف سنة .

وأمّا إذا مات ، أو أمات نفسه خرج من عالم الأجسام وشاهد كل عالم وصل إليه .

**وقوله : (أوله في الموقف)** ، يريد أول الصراط الصوري المشاهد يوم القيامة لا مطلق المشاهدة فإنّ من شاهده في الدنيا شاهد أنه في الدنيا سائر عليه فلا يكون عنده أوله الموقف إلّا إذا أريد بالموقف الموقف الباطني أعني ، على معنى التأويل .

**وقوله : (كل من يشاهده يعرف أنه صنعُك وبناؤك)** ، وذلك لانكشاف الحقائق يوم القيامة يوم تُبدَى الضمائر .

والصراط الممدود جسراً على جهنم واحدٍ لأنه صورة ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والخلائق كلهم مكلّفون بالمرور على ذلك الجسر الواحد .

وأمّا صراطك الخاص بك فهو صورة سيرك في ذلك أعني سيرك في القيام بأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه على النحو الذي أمرك به وعلمك واعتقاداتك التي هي سيرك فيما يُراد منك معرفته واعتقادك له وهو الذي مَن وراءه عرف أنه من صنعُك وبناؤك لأنه صورة عملك وعلمك واعتقادك .

ويعلم أيضاً أنّ هذا كان جسراً ممدوداً على متن جهنم يعني يعلم أنّ ما كان عليه من القوة العملية والقوة النظرية هو هذا الجسر الممدود على متن جهنم التي قيل لها هل امتلأت فتقول : ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ ، لأنّ عمله وعلمه المكلّف بهما ممدودان ، على إنيّته وطبيعته ليصرفانها عن مقتضى ميلها إلى محبة الله تعالى وتضعف وتصغُر وتتلاشى كثافتها وتخفّ فتلحق بالملكوت فتقول : ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ ، أي هل مَن يقوّي ضعفي ويزيد في كمي وكيفي فما ازدادت بالتأديب والتخويف إلّا نفوراً واستكباراً في الأرض ومكر السيّئ : ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ ، وهي ظل حقيقتك يعني ماهيتك ذي ثلاث شعب : شعبة النفس وشعبة الطبيعة وشعبة الجسم ، وهو ظل غير ظليل قيل : إنما قيل ذي ثلاث شعب لا ظليل ، لأنّ المثلّث إذا وضع في الأرض قائماً ، على زاوية من

زواياه في الشمس لا يكون له ظل وهذا إنما يتحقق إذا كان ضلعاه القائمان لا يزيد انفراجهما عن سعة الشمس إذا فُرض قرص الشمس قاعدة لِذَيْنَكِ الضلعين ، بل إمّا أن يساوي قاعدة المثلّث الموضوع على رأسه في الأرض ، أو يزيد عليها وتكون قاعدته إلى جهة الشمس بحيث يكون المثلّث قطعة من رأس المثلّث قاعدته قرص الشمس .

وكون الظل غير ظليل لأنه من سنخ النار ، ولا يُغني عن لهب جهنّم لأنه هو الجالب لها أي للهب الشهوة والغضب ، لأنّ ذلك هو بذر جهنم ولهبها ، لأنّ جهنم ولهبها كامن في الطبيعة ، وفي القوة الشهوية والغضبية إذا لم يُعدَّلا وهي الآن كامنة في أهلها فإذا كان يوم القيامة برزت ليكونوا فيها قال تعالى : ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ ، وقال تعالى : ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ .

**وقوله : (إلّا أن يطفئها ماءُ التوبة المطهرة للنفس عن المعاصي)** ، التي تنشأ عن طرفَيْ الحكمة العملية ، وماء العلم المطهّر لدنس القلوب الناشىء عن رجس الجاهلية الأولى والجاهلية الثانية المنبعث عن طرفَي الحكمة النظرية .

**والمراد بالجاهلية الأولى** : ما قبل بعثة النّبي صلى الله عليه وآله وما قبل التوسط بين أطراف الحكمة النظرية .

**والجاهلية الثانية** : ما قبل ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وما قبل التوسط بين أطراف الحكمة العملية .

## في قول المصنف: قاعدة في نشر الكتب والصحائف . .

**قال : ( قاعدة في نشر الكتب والصحائف قال تعالى : ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ ، وقال : ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ . اعلم أنّ كل ما يفعله الإنسان بنفسه ويدركه بحسّه يرتفع منه أثر إلى ذاته ويجتمع في صحيفة نفسه وخزانة مدركاته آثار الحركات والأفعال ، وهو كتاب مُنطَوٍ اليوم غائب عن مشاهدة الأبصار فيكشف له بالموت ما يغيب عن البصر في حال الحياة مما كان مسطوراً في كتاب : ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ ، وقد مرت الإشارة إلى أنّ رسوخ الهيئات الباطنة وتأكد الصفات النفسانية ، وهو المسمّى عند الحكماء بالملكة وعند أهل الشريعة بالملك والشيطان مما يوجب خلود الثواب والعقاب فكل من فعل مثقال ذرة من خيرٍ ، أو شرٍّ يرى أثره مكتوباً في صحيفة ذاته ، أو صحيفةٍ أعلى منها ، وهو عبارة عن نشر الصحائف وبسط الكتب ) .**

**أقول** : نشر الصحائف والكتب عبارة عن نظائرها ، وذلك لأنها في قبره موضوعة في أعناق المكلفين كما تقدّم في ذكر كتابتها في قطعة من كفنه بإصبعه وريقه بإملاء رومان فتان القبور وكانت الدنيا كذلك كتبها رقيب وعتيد في ورقة من اللّوح المحفوظ بمعنى أنه إذا عمل عملاً صالحاً مثلاً كما إذا صلى يوم الجمعة في المسجد ركعتين كتبها رقيب وعتيد كما يكتب المقابل للمرآة صورته فيها يكتبان صلاته للركعتين بهيئة المصلّي في غيب ذلك المسجد وغيب

ذلك الوقت ويبقى ذلك مكتوباً في غيب ذلك المكان وذلك الزمان إلى يوم القيامة ، ويبقى ذلك مكتوباً في غيب ذلك المكان وذلك الزمان إلى يوم القيامة فإذا كنت حضرته حين الصلاة في المسجد يوم الجمعة لا تزال كلما التفتَّ بخيالك إليه رأيت مثاله يصلي في الصلاة التي حضرته فيها ، وإن كان العامل قاعداً عندك فإنّ مثاله لا يزال في تلك فإذا حضر عندك وجدته لابساً لذلك المثال وكذلك لو رأيته سارقاً لشيء .

وجميع الأعمال مكتوبة بهذا النحو ، ولكن رومان فتّان القبور هو الذي يلبسه تلك الأمثال المتعددة المتفرقة المتباينة بأن يلبسه الآثار القائمة بها ، فإذا كان يوم القيامة تطايرت ذوات الأمثال من أمكنتها وأوقاتها وذلك حين مَدَّت الأرض وألقت ما فيها وتخلّت ونشرها أن يجيء كل عمل في مكانه ووقته ومثاله متلبّس بذلك فكل مثال عامل بعمله ، فلزيد مثلاً ألف مثال في ألف عمل بل مئة ألف مثال في مئة ألف عمل كل مثال متلبس بعمله ، فذلك نشر الكتب والدواوين وكشف السرائر : (**يا من أظهر الجميل وستر القبيح يا من لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر يا الله**) ، قال تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ ، وذلك في قبره ، على يد رومان : ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ ، وهذا كتاب الأعمال التي تعمل فيها الأمثال وآثارها ما وضعها رومان في عنقه فيقال له اقرأ كتابك أي الذي طوّقك به رومان فإنه لا يخالف الكتاب المنشور الجامع للأمثال العاملة بتلك الأعمال في أماكنها وأوقاتها : ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ ، لأنه إذا رأى نفسه في أمثاله عاملة لأعماله كما ترى نفسك في صورتك التي في المرآة

محرّكةً للصورة لا يقدر على إنكار ما أقرّ به حالة إقراره فكفى بنفسه ذلك اليوم عليه حسيباً وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ ، وهي كتب الأمثال فإنها هي الكتب المنشورة والصحف المنشورة .

**وقوله : ( اعلم أنّ كل ما يفعل الإنسان بنفسه ويدركه بحسِّه يرتفع منه أثر إلى ذاته )** ، وهو اتّصافه بذلك العمل فالعمل متلبس به .

**مثاله** : في مكان الفعل ووقته إلى يوم القيامة ، وهو الكتاب المنشور يوم القيامة .

والأثر المرتفع إلى ذاته هو اتصافه بذلك العمل ، وهو طائره اللازم لذاته في عنقه .

**مثاله** : إذا رأيت عمراً يسرق من دكان زيد في السوق يوم الخميس شيئاً ثم أتاك بعد ذلك عمرو فإنك تراه متصفاً بتلك السرقة فتشاهد الوصف الذي هو طائره لازماً في عنقه أي غير منفكٍّ عنه وترى فعله ومثاله الذي سرق والسرقة عند الدكان المعروف هو في غيب الدكان المحسوس ، وفي غيب يوم الخميس فتشاهد الكتاب المنشور في غيب مكانه وغيب وقته ومثاله يسرق أبداً لتلك السرقة هذا وعمرو ما لم يتب تراه متصفاً بآثار فعله لازمةً لعنقه كلزوم الظل للشاخص ، فإذا تاب وعلمت بتوبته وأتاك لم تره متصفاً بتلك الآثار ولكن ترى مثاله في السوق يسرق من دكان زيد يوم الخميس ، ولا ترى آثار ذلك المثال بعمرو لأنها متعلقة بمبادئها من سجِّين كتاب الفجار ، فإذا كان يوم القيامة وقد تاب في الدنيا محا الله سبحانه صورة ذلك المثال السابق من الأمكنة والأوقات ، ومن نفوس الملائكة ومدّ الله سبحانه على عمرو سرادق ستره .

وإن لم يتب بقي أثر ذلك منطوياً مدة حياته غائباً عن مشاهدة الأبصار فإذا مات كشف عنه الغطاء فعاين الأشياء كما هي قال تعالى : ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ، مما كان مسطوراً في كتاب : ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ ، أي : لا يكشفها في الوقت الذي تكون فيه إلّا هو سبحانه .

**وقوله : ( وقد مرّت الإشارة إلى أنّ رسوخ الهيئات الباطنة وتأكد الصفات النفسانية ، وهو المسمّى عند الحكماء بالملكة وعند أهل الشريعة بالملك والشيطان )** ، نعم ولكن أشرنا إلى بطلانه .

أما أنّ رسوخها يكون ملكةً ثابتة فلا كلام فيه ، لأنّ الأعمال والواردات من الأفكار والاعتقادات إن لم تستقر تسمى أحوالاً ، وإن استقرّت سميت ملكات عند الحكماء والصوفية .

وأمّا أنها أي رسوخ الهيئات الباطنة وتأكد الصفات النفسانية تسمّى عند أهل الشريعة عليهم السلام بالملك والشيطان فلا ، لأنّ الملك عندهم عليهم السلام وكذلك الشيطان نفوس ، على حدة ذوات شعور وتكليف واختيار إلّا أنّ الله سبحانه بلطيف صنعه ، وكل الملائكة بما يريد إيجاده مثلاً إذا أراد إيجاد زيد أمر كلمته فقبض له عشر قبضات من كل فلك من الأفلاك التسعة قبضةً ، ومن مجموع العناصر الأربعة قبضة ، وجعل لكل قبضة من القبضات العشر ملائكة فملائكة القبضة منهم ملائكة الدور الأول يديرون عناصرها ، وملائكة الدور الثاني يديرون معادنها ، وملائكة الدور الثالث يديرون نباتيتها ، وملائكة الدور الرابع يديرون حيوانيّتها ، وملائكة تألّف القبضات العشر وملائكة تربّي المركّب منها من نطفة

إلى علقة إلى مضغة إلى عظام إلى أنّ تكسى لحماً إلى أنّ تنشىء خلقاً وملائكة تصوّره على ما يشاء تعالى .

وملائكة في أكوار تلك القبضات في تربية نفوسها وملائكة الأحكام تربّي سعادته ، أو شقاوته .

وهؤلاء الملائكة المذكورون محال أمر الله تعالى وحملته بواسطة أوليائه صلى الله على محمد وآله فهم المدبرات أمراً وهم حملة فعله فهم بأمره يعملون . قال أمير المؤمنين عليه السلام في شأن الملأ الأعلى : (**تجلّى لها فأشرقت وطالعها فتلألأت وألقى في هُويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله**) انتهى .

فالملائكة في جميع ما أعطاهم من القوة والقدرة والاستطاعة والاختيار والمعرفة بجهات ما أمروا به كالآلة لفعله لأنهم أعضاد للمسببات ويحملون الأسباب وهي أفعاله وبها يعملون وليسوا قوى المخلوقات كما توهّموا ، لأنّ القوى أجزاء المخلوق وآلاته الصالحة لجميع إراداته يفعل بها خيره وشرّه .

والملائكة جند الله المطهرون : ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ، ولكن الحكيم إذا رأى السبب ضعيفاً وضع له مقوّياً يعضده ليقدر على مسبّبه ، وإذا رأى المسب ضعيفاً عن مباشرة السبب وضع له حجاباً يحجب قوة السبب لئلا يحترق المسبّب قال صلى الله عليه وآله : (**إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشف حجاب منها لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**) انتهى .

والملائكة من القسم الثاني فهم الحجب والسبحات أفعاله .

**فإن قلت** : قوله : وظلمة ينافي ما قلت من أنها الملائكة لأنهم كلهم نورانيون؟

**قلت** : إن ملائكة النور نورانيون وملائكة الظلمة ظلمانيون وملائكة النعيم في غاية الحسن والجمال كرضوان .

وملائكة العذاب في غاية القبح كمالك ومنكر ونكير .

وأيضاً يُراد بالنور الملائكة العقلانيون المجردون وبالظلمة الملائكة الجسمانيون الماديون .

وأيضاً وجود النور نور ووجود الظلمة نور كوجود النور ، فالملك والشيطان نفسان متحركان بالإرادة مباينان للإنسان ولسائر الحيوان وليسا ملكة .

**وقوله** : ( **مما يوجب خلود الثواب والعقاب** ) صحيح على ما بيّناه سابقاً من أنّ الرجل إذا عمل عملاً كتبت له الحفظة مثاله في غيب عمله وغيب وقته فلا يزال ذلك المثال يعمل ذلك العمل في ذلك المكان والوقت وثمرات تلك الأعمال تصل إليه ويتّصف بها ، فإنّ دام على ذلك العمل حتى حصلت له منه ملكة وطبيعة دامت له تلك الثمرات من ثمرات الأعمال الصالحة من الثواب ، ومن ثمرات الأعمال الطالحة من العقاب وهذا وجه لا يجاب الخلود .

ووجه آخر أنّ أهل الجنة انطوت سرائرهم وتحققت نياتهم وعزمهم ، على أنهم لو بقوا أبد الآبدين أن يطيعوا الله سبحانه في كل ما يأمره ، وإنما يمنعه عن بعضها بعض الموانع ويكون حينئذٍ

ماقتاً لنفسه معترفاً بتقصيره في كل حال وذلك من أعظم الأعمال وأفضلها ففي الحقيقة لا يفتّر المؤمن عن طاعة الله طرفة عين لأنه إمّا عامل وإمّا معترف بالتقصير والذنوب فهو بذلك عامل .

وأهل النار ، على العكس من أهل الجنة في كل ما ذكر ولذا ورد : ( **إنما خُلّد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بنيّاتهم** ) .

**وقوله : ( من فعل مثقال ذرة من خير ، أو شرٍّ يرى أثره مكتوباً في صحيفة ذاته ، أو صحيفة أعلى منها** ) ، نعم كل من فعل وجد أثر فعله مكتوباً في صحيفة ذاته أي تكون ذاته متصفةً بأثر ذلك العمل ويجد ذلك العمل مكتوباً في صحيفة أعلى من صحيفة ذاته لا أثره إذ أثر عمله لا يكون على غيره : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ ، ويجد ذلك مكتوباً في صحائف دون صحيفة ذاته ، فأما ما في ذاته فهو لون عمله وهيئته فتتقدر مادته بصورة عمله ويبيضّ وجهه ، أو يسود .

وأمّا ما في صحيفة ، أو صحائف أعلى من ذاته فهو ما في ألواح نفوس الملائكة والأشهاد من الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين .

وأمّا ما في صحائف أدنى من ذاته فهو ما في ألواح بقاع الأرض التي عمل فيها والأوقات من الساعات والأيام والشهور والسنين كذلك وما على الأرض من الحيوانات والنباتات والجمادات وهذا معلوم ، إلّا أنّ ما في صحيفة ذاته أمثال أعماله وآثارها التي هي نتائج تلك الأعمال وثمراتها وما في ما هو أعلى من ذلك أمثال

أعماله وما في ما هو أدنى من ذاته صور أمثال أعماله وعكوسات آثارها ولذا تقع من وجود المؤمن الصالح العامل بركات وخصب ورخاء في الزروع والثمار والأسعار .

وتقع من وجود المنافق قلة البركة وقلة الريع والغلاء .

**وقوله : ( وهو عبارة عن نشر الصحائف وبسط الكتب )** ، قد بيّنا في معناه أنّ الآثار التي تلزم ذات العامل عبارة عما أملأه عليه رومان عند أول دخول قبره ، وأنّ نشر الصحائف عند تطاير الكتب ولبس العامل أمثاله التي عملت به أعماله وظهور بها مكشوفة بين الخلائق بحيث لا يُستر منها شيء إلّا ما ستره الله بستره وعفوه ، أو ما ستره الله بتوبة عبده وذلك عند حضور الأشهاد من الملائكة المقرّبين والأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين والأمكنة والبقاع والشهور والسنين .

في قول المصنف : **فإذا حان وقت أن يقع بصره على وجه ذاته . .**

**قال : ( فإذا حان وقت أن يقع بصره على وجه ذاته عند كشف الغطاء ورفع الغشاوة فيلتفت إلى صفحة باطنه وكتاب نفسه فمن كان في غفلة عن ذاته وحساب حسناته وسيئاته يقول عند ذلك :** ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ **، وذلك أنّ نشأة الآخرة نشأة إدراكية حيوانية كل من فيها حديد البصر لقوله :** ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ **، فمن كان من أهل السعادة وأصحاب اليمين أوتي**

**كتابه بيمينه من جهة عليين ، لأنّ معلوماته أمور كلية عالية كما قال : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ . ومن كان من الأشقياء المردودين إلى أسفل سافلين وأصحاب الشمال فقد أوتي كتابه بشماله ، أو من وراء ظهره من جهة سجّين ، لأنّ مدركاته مقصورة على أغراض جزئية سفلية ولاشتمال كتابه على الكذب والبهتان والهذيان فحريٌّ بأن يلقى في النار وخليق بأن يحترق في الجحيم كما قال : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ) .**

**أقول** : يريد أنّ المكلف الذي كتبت آثار أعماله في صحيفة ذاته إذا قرب وقت اطّلاعه ، على ما كتب في صحيفة ذاته وقع بصره أي بصيرته ، على وجه ذاته .

والمراد بالوجه مقدّمها الذي هو متعلق الاتصاف بتلك الآثار وتلك المشاهدة عند كشف الغطاء غطاء الطبيعة المادية أعني الجسم بأن تُلقيه وتخرج أي الروح عنه .

ورفع الغشاوة ، أي : رفع كدورات الطبيعة الشاغلة للروح عن الالتفات إلى ما كتب في نفسها فتلتفت إلى صفحة باطنه وكتاب نفسه فمن كان منتبهاً حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يُحاسب ، ومن حاسب نفسه في الدنيا وقام بما يُراد منه المعبّر عنه بمحاسبة النفس في الدنيا لم يحاسبه الله تعالى يوم القيامة لأنه تعالى أكرم وأرحم من أن يجمع على عبده حسابين ، ومن كان في غفلة عن ذاته وعن حساب حسناته وسيئاته يقول عند ذلك : ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا

يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ .

قال المصنف ( **وذلك** ) ، أي كونه قد عاين ما هو مكتوب في ذاته ، لأنّ نشأة الآخرة نشأة إدراكية أي عقلية تعقلية حيوانية ليس فيها موت من جهل ، أو غفلة بل كلها حياة ويَقَظة وتعقّل وتذكّر فيكون كل من فيها حديد البصر لقوله تعالى : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ .

**وأقول** : وإن كان كلامه غير مناف في الجملة لكنه ليس مبنياً ، على كون العود عين البدء إذا أزيلت الأمور العارضة عنه وذلك لأنّ العائد قبل وصوله دار التكليف على حاله في العود بعد التخلص من الأمور العارضة له من مراتب النزول ، ومن شرائط التكليف الجاري في استيجاب الثواب ، أو العقاب ، على مقتضى الحكمة المحفوفة بالعدل والفضل المشفوعة بالابتلاء والاختبار : ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ ﴾ ، فالعود كالبدء : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ فحالته في الإدراك والتذكر والتعقل ومشاهدة الغيب في العود نفس حالته في البدء ، ولكن تيقظه في الدنيا مستور بالغواشي الطبيعية والظلمات المادية ، فلمّا كُشفت ظهر منها ما كان مستوراً فيه فمن ساعده التوفيق وانتبه من غفلته في هذه الدنيا وجد ما يجده في الآخرة وعرف ما يعرفه وشاهد هنا ما يشاهده هناك فإن كانت مشاهدته هناك مشاهدة تامة على مقتضى صحة الحكمتين العملية والنظرية قامت قامته وعرف مفصوله وموصوله ، وإلا فإذا مات وكشف عنه غطاءه الذي هو جسده كان بصره حديداً يشاهد الغيب كما قال : ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ

حَدِيدٌ ﴾ ، فمن كان من أهل السعادة وأصحاب اليمين يعني أصحاب علي عليه السلام فإنه هو يمين الله حتى أنه قد اتفق أنّ حساب يمين موافق لحساب اسم علي عليه السلام بحساب الجُمل الكبير أوتي كتابه بيمينه ليطابق الظاهر الباطن من جهة عليين وعليون أعالي الجنان لأنه محل جنة عدن التي هي مسكن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، وهو محل كتاب الأبرار .

والمراد منه نفس فلك الثوابت المسمى بالكرسي وباللّوح المحفوظ وفيه صور الأعمال الصالحة أعني صور الإجابة حين سألهم داعي الله صلى الله عليه وآله عن أمر الله يقول لكم : ( **ألست بربكم؟ قالوا : بلى** ) .

والمجيب يؤتى كتاب بيمينه من تلك الجهة أي الجهة العليا ، لأنّ معلوماته أمور كلية بل وجزئية كما عندنا رفيعة عالية ، لأنّ اليمين تطلق ، على الحق ، وعلى العالي ، وعلى اللّب والباطن والغيب فيؤتى كتابه بيمينه لذلك كما قال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ ، وهم الرجال الكروبيون أعني ملائكة الحجب الذي جعلهم الله خلف العرش لو قسم نور واحدٍ منهم على أهل الأرض لكفاهم .

ولما سأل موسى ربّه ما سأل أمر رجلاً من الكروبيين فتجلّى للجبل فجعله دكّاً كذا رواه ابن إدريس في مستطرفات السرائر نقلاً من بصائر الصفّار .

والكروبيون في القاموس إنه مخفف الراء وبعضهم قرأ بالتشديد ومعنى ذلك أنه صيغ من كرَبَ بمعنى قرب .

ومَن كان من الأشقياء المردودين إلى أسفل سافلين وأصحاب الشمال فقد أوتي كتابه بشماله ، أو من وراء ظهره .

وظاهر عبارة المصنّف هنا وفيما تقدّم أنهم فريقان فريق يُؤتى كتابه بشماله وفريق يؤتى كتابه من وراء ظهره .

والذي صرّح به كثير من العلماء أنهم فريق واحدٍ ، وإنما ذكر في القرآن مرة : ( **وإما من اوتى كتابه بشماله** ) مرة : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴾ ، لأنه تعالى يكرر الذكر والقصة لتستقر في قلوب المكلّفين وليدل على تعظيم الأمر في نفوسهم فيكون أردع لهم عن المعاصي ولئلا ينسى ما هو نبأ عظيم ويُعرض عنه ولو ذكر القصة كلها في موضع واحدٍ من كتابه وذكرها في موضع آخر بغير زيادة في المعنى وبغير تغيير العبارة لمجَّتها النفوس وملّت من استماعها فجرت عادته سبحانه أنّ يكررها ليتذكر أولو الألباب بزيادة معانٍ في الثانية ليرغب المكلّف إلى استماعها طلباً لفهم المعنى الجديد وبتغيير العبارة لئلا يملّ من استماعها وليكون الذكر الثاني مغايراً للأول معنى ولفظاً ولما فيه من الأسرار التي لا يحيط بها إلّا هو ، ومن أطلعهم عليه من أوليائه عليهم السلام التي من جملتها أنه لم ينزل لقوم دون قوم بل هو جار لجميع المكلفين إلى انقضاء التكليف موافق لِطباع كل طبقة بما يلائم لهم . فلذا كان مرة قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ ﴾ ، ومرة قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴾ ، ومعناه كما قال بعضهم إنّ كتاب المنافق والكافر يأتيه من وراء ظهره فيضربه فيخرق ظهره ويظهر من صدره ويأخذه بشماله .

**وقوله** : ( **المردودين إلى أسفل سافلين** ) ، من قوله : ﴿ لَقَدْ

خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ ، ولكن المخلوق في أحسن تقويم ليس هو المردود إلى أسفل سافلين ، لأنّ المخلوق في أحسن تقويم هو محمد ، أو محمد وعلي صلى الله عليهما وآلهما .

والمردود إلى أسفل سافلين حبتر ، أو حبتر وزُريق وهما أعرابيان من المنافقين صُوِّرا بصورة الإنسان فدخلا في الإنسان بالاسم الصوري فيكون ضمير المفعول في رددناه عائداً إلى الإنسان الصوري لا إلى المعنوي لأنهما ليسا من أصحابه صلى الله عليه وآله الذين بايعوه بيعة الرضوان ( رضوان الله تعالى عليهم ) .

وإنما كانا من الجن ولم يحضرا بيعة الشجرة إلّا بتلك الصورة الأولى ، فإذا عاد كل شيء إلى أصله عادا إلى رتبتهما من الكون ، وهو الردّ المذكور .

**وقوله** : ( **من سجّين** ) ، وهو الصخرة التي تحت الأرض السابعة وهي كتاب الفجّار .

**قال المصنّف** ، لأنّ مدركاته يعني من أوتي كتابه بشماله مقصورة على أعراض جزئية سفلية منتزعة من أمثاله العاملين لأعماله وتلك المدركات صور قائمة بالصخرة ومبادئها في الثرى الذي لا يعلم ما تحته إلّا الله سبحانه ، وإنما اشتمل كتابه على الكذب والبهتان والهذيان ، لأنّ الصور التي كتبت فيه من الثرى الذي هو مظهر الجهل الكلي الذي قال الله سبحانه : أدبر فأدبر .

ثم قال : له أقبل فأدبر ، فلعنه وطرده من رحمته ، وكلّ ما منه لاحق به فمَن كان كتابه الذي أخذه بشماله مشحوناً بذلك فهو حري

بأن يُلقى في النار وخليق أي حقيق بأن يحترق في الجحيم كما قال : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ، وويل اسم وادٍ في جهنم يرده من أوتي كتاب بشماله ، ومن وراء ظهره .

في قول المصنف : **قاعدة في ظهور كيفية ظهور أحوالٍ تعرض . .**

**قال : ( قاعدة في ظهور كيفية ظهور أحوالٍ تعرض يوم القيامة على الإجمال وتفاصيلها مستفادة من القرآن والحديث على أتم تفصيل وأوضحه إلّا أنه نبأ عظيم والناس عنه معرضون كما قال عزّ من قائل : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ . واعلم أنّ القيامة كما أشرنا إليها من داخل حجب السماوات والأرض ومنزلتها من هذا العالم منزلة الإنسان من الرحم والطير من البيضة فما لم ينهدم بناء الظاهر لم ينكشف أحوال الباطن ، لأنّ الغيب والشهادة لا يجتمعان في موضع واحدٍ فلا تقوم الساعة إلّا إذا زلزلت الأرض زلزالها وانشقت السماء وانتشرت الكواكب وتساقطت النجوم وكوّرت الشمس وخسف القمر وسيّرت الجبال وعُطّلت العشار وبُعثر ما في القبور وحُصّل ما في الصدور وحملت الأرض والجبال فدكّتا دكّةً واحدة ) .**

**أقول** : يريد أنّ العارف في هذه الدنيا تظهر له كيفية ظهور أحوال الآخرة ويتعقلها ويتصورها كلًّا أو بعضاً ، وذلك يحصل في هذه الدنيا لمن أمات نفسه حتى قامت قيامته وظهر سلطان عقله

على جميع جوارحه فإنه لما قطع العلائق وصل إلى الخالق سبحانه يعني انمحى في نور أمره واشتغل بطاعته وذكره .

**وقوله** : ( **على الإجمال** ) ، يريد أنّ اسم العارف والواصل يصدق على من لم يقدر على تفاصيل أحوال الآخرة ، وإن كانت في جميع جهاتها مفصلة في الكتّاب والسنّة على أتم تفصيل وأوضحه إلّا أنه ليس على نمط واحدٍ بل منها مبيّن في التفسير الظاهر ومنها في غيره كالباطن وباطن الباطن إلى سبعة ، وكالظاهر وظاهر الظاهر وظاهر ظاهر الظاهر وهكذا إلى سبعة ، وكالتأويل وباطن التأويل وباطن باطنه وهكذا إلى سبعة ، بل إلى سبعين ولكن لا يطّلع عليها إلّا من خوطب به كما قال تعالى : ( **لا يسعني أرضي ، ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن لأنه يتقلب معي وفي وبي** ) انتهى وذلك هو الذي يحيط بتفاصيلها وتفاصيلها بعضاً ، أو كلّاً مستفادة من الكتاب والسنّة وكذلك من الآفاق والأنفس ، لأنّ الله تعالى قال : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ ، وقال الصادق عليه السلام : ( **العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فقد في العبودية وُجد في الربوبية وما خفي في الربوبية أصيب في العبودية. . .** ) ، الحديث ، وقال الرضا عليه السلام : ( **قد علم أولو الألباب أنّ الاستدلال على ما هناك لا يعلم إلّا بما هاهنا** ) انتهى .

وآيات الكتاب مشتملة على الإشارة إلى أنّ تفاصيل الأشياء موجودة في الآفاق ، وفي الأنفس مثل قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ،

وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾، وأمثال ذلك كثير يشير إلى كلها قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، أي: اقرؤوا القرآن بالتدبّر، أو انظروا في الآفاق: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾، تعالى وحتى يتبّين لكم حقائق الأشياء وحتى يتبّين لكم ما يراد منكم.

واعلم أنّ الكتاب التدويني طبق الكتاب التكويني، وكل ما في الكتاب التكويني فهو في نفسك لأنك قد انطوى فيك العالم الأكبر فإذا أردتَ أن تعتبر في الآيات أما في الآفاق وأما في نفسك فإذا ظهر لك في العالم فانظر هل هو مطابق لما في نفسك أم لا وبالعكس فإذا تطابقا فهو الحق، وإن تخالفا فهو الباطل، وإن لم تقف إلّا على واحدٍ فتأمّل وتدبّر فإنهما لا يختلفان.

والمصنف إنما ذكر هذه الآية للإشارة إلى أنّ ما ذكره مأخوذ من التدبّر في الآيات، وهو ممّن يتدبّر إلّا إن شرط الصحة، وهو المطابقة بين العالم الكبير والعالم الصغير قد لا يتوجه له، لأنّ المهتدي إلى هذا الشرط قليل لكثرة وقوع الخطأ في الاقتصار، على أحدهما، ومع التطابق ربما لا يقع خطأ.

وقوله: ( **واعلم أنّ القيامة كما أشرنا إليها من داخل حجب السماوات والأرض ومنزلتها من هذا العالم، إلخ** )، يريد به أنّ عالم الآخرة إمّا جنّة وهي في غيب هذه السماوات، وإمّا نار وهي في غيب هذه الأرضين وهذا صحيح، لأنّ الدنيا ما نزل إليها من عالم الغيب في القوس النزولي كالأجسام الباقية يعني المبعوثة يوم

القيامة فإنها باقية في القبور قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ ، وكالصور البرزخية وكالجواهر الهبائية والطبيعية والنفسانية فإنها نزلت من المكان الرفيع فلمّا نزلت لحِقَتها عوارض المراتب فلمّا عادت : ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ ، فإذا مات الإنسان رجع إلى البرزخ في الصورة البرزخية ، فإذا نفخ في الصور رجع إلى الهبائية والطبيعية في أربعمائة سنة ويتخلص فيها من العوارض ويرجع إلى النفسية يوم القيامة لأنه مقابل النفس ومسامت لها في القوس الصعودي ، فالجنة في سماوات الآخرة والنار في أرض الآخرة ، وسماوات الآخرة وأرضوها في سماوات الدنيا وأراضيها كالزجاج الشفاف في الحجر الكثيف ، وكالطير في البيضة ، وكالشجرة في النواة .

وليست منزلتها كمنزلة الإنسان في الرحم ، بل ولا كمنزلة الطير في البيضة والشجرة في النواة ، لأنّ الإنسان متميز في الرحم والطير والشجرة غير موجودين بالفعل والجنة والنار والآخرة ليست متميزة كتميّز الإنسان في الرحم بالظرفية وليست في وجودها بالقوة كوجود الطير والشجرة ، وإنما وجودها بالفعل كوجود الزجاج في الحجر وكوجود الزبد في اللّبن وكُبرادة الذهب في الترب كما مثّل بها الإمام عليه السلام .

فأجسادنا هذه التي في الدنيا بعينها هي أجساد الآخرة ، وإنما غطّاها عن الأبصار العوارض كما غطّى سحالة الذهب التراب عن الأبصار ، فإذا غسل التراب بالماء ، أو نفخ بالهواء ظهرت برادة الذهب وإذا أُذيب الحجر بالنار تخلّص الزجاج وكذلك الجنة والنار .

وسماوات الآخرة وأرضوها موجودة الآن بالفعل كوجود الزجاج في الحجر بالفعل وبرادة الذهب في التراب بالفعل .

وأمّا وجود الإنسان في الرحم فإنه متميز إلّا أنه مظروف والطير موجوده بالقوة ، ولا كذلك الآخرة والجنة وسماواتها وأرضوها والنار وأرضوها وسماواتها فإنّ للنار سماوات كما للجنة لأنها ظلها وعكسها ، وهو قوله تعالى : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ ، وهي سماواتها كما أنّ السماوات تظل من تحتها .

وإنما لم يصرح بذلك لخفائه على عامة المكلفين ولئلا يتوهّموا أنّ فيها فسحة واسعة ولكن على نحو السماوات في الدنيا ، فإنّ بين كل سماء فاصلة وهي المتممات الحاوية والمحوية والأرضون ظلها وعكسها وليس بينها فواصل ظاهرة ، ولا يتفوّه بها .

والمصنف في قوله : إنّ ( **القيامة من داخل حجب السماوات والأرض** ) ، على ما هو الظاهر أنه عرف رتبتها ولكنه ما عرف آيتها ومثالها ، ويحتمل أنه أخذ ذلك من كلام القوم ولو أخذه بالمعاينة لما أخذه إلّا من آياته في الآفاق ، وفي الأنفس ولو أخذه من آياته لمثّل بها لأنها هي مثاله وهي دليله فافهم .

**وقوله** : ( **فما لم ينهدم بناء الظاهر لم تنكشف أحوال الباطن ، إلخ** ) ، صحيح ، لأنّ المراد بذلك هو تخليص الغيب الموجود الآن بالفعل ولذا قال : فلا تقوّم الساعة إلّا إذا زلزلت الأرض زلزالها وانشقت السماء ، وانتثرت الكواكب ، وتساقطت النجوم وكوّرت الشمس ، وخسف القمر ، وسيّرت الجبال ، وعُطلت العشار وبُعثر ما في القبور ، وحُصّل ما في الصدور ، وحملت الأرض والجبال فدكتا دلة واحدةٍ وبيان هذه على الظاهر مذكور في التفاسير .

والمراد أنّ هذا كله من كيفيات التخليص والتصفية لما تلوّث من العالم ليلتحق بالصافي منه ، فهذه الأجسام الدنيوية المادية هي بنفسها تعود بعد التصفية .

**فإن قلت** : إنك رددت ، على المصنّف فيما تقدم حتى قلتَ إنه عند أهل البيت عليهم السلام غير قائل بالمَعاد الجسماني لأنه لا يقول بإعادة المادة ، وإنما المَعاد هو الصورة مع أنه قائل بإعادة الإنسان بعد تصفيته لأنه لا يُعاد بهذه العوارض والكثافات ، وإنما المُعاد الجسم النوراني يعني بعد تصفيته .

ويريد بالصورة الصورة الوجودية ، لأنّ الإنسان إنما هو إنسان بهذه الصورة فقوله غير مناف لما تذهب إليه ، وإنما النزاع لفظي .

**قلت** : النزاع معنوي لأني أقول إنّ الذي يعاد هو هذا الجسد الموجود بالفعل بعد تصفية مادته الموجودة بالفعل . الآن يُعاد بمادته هذه بعد تصفيتها كتصفية الزجاج من الحجر الكثيف في صورة عمله فإنّ عمل عمل الإنسان من الطاعات أُعيد بمادته في صورة الإنسان لأنها هي صورة الطاعة ، وإن عمِل عَمَلَ الحيوان أعيد بمادته في صورة الحيوان من حمار ، أو ثور ، أو كلب ، أو خنزير ، أو غير ذلك مما اقتضاه عمله من الصور ، وعلى كل تقدير .

فصورته في الدنيا لا تعود ، وإن أُعيد عليها أُعيد على صورة مثلها لأن الصورة التخطيطية ليست جزءاً من الجسد بخصوصها كما لو كسرتَ خاتمك وصغته على صورته الأولى فإنه هو هو بغير تبديل والصورة الوجودية ليست إلّا المادة .

والمصنّف يقول : إنّ الإنسان المَعاد بصورته لا بمادته حتى قال : فيما تقدم في الأصول السبعة في الأصل الأول : **( فهو هو بصورته لا بمادته حتى لو فُرض تجرّد صورته عن مادته لكان هو بعينه باقياً عند ذلك التجرد ، وإنما الحاجة إلى المادة لقصور بعض أفراد الصور عن التفرد بذاته دون التعلق الوجودي بما يحمل لوازم شخصه ويحمل مكان وقوعه ، ويقرّبه باستعداده إلى جاعله ، ويرجّح وقت حدوثه على سائر الأوقات . ونسبة المادة إلى الصورة نسبة النقص إلى التمام والشيء مع تمامه واجب الحصول بالفعل ، ومع نقصه ممكن بالقوة )** انتهى .

فقوله : **( حتى لو فُرض تجرّد صورته إلى آخر )** ، صريح في عدم اعتبار المادة في الإعادة ، وإنما المعتبر في الإعادة عنده الصورة الوجودية مثل ما مثّلنا بالنهر فإنه يقال لهذا الماء الجاري الذي في النهر هذا الماء الذي شربنا منه في العام الماضي مع أنه يتبدّل ويتغيّر كل لحظة ، ولكنه باعتبار الصورة الوجودية هو ذلك الأول ، وقد قال في قاعدة بعد الأصول السبعة الماضية : إنّ المَعاد في يوم المَعاد هذا الشخص الإنساني المحسوس الملموس المركّب من الأضداد الممتزج من الأعضاء والأجزاء الكائنة من المواد مع أنه يتبدل عليه في كل وقت أعضاؤه وأجزاؤه وجواهره وأعراضه حتى قلبه ودماغه سيّما روحه البخاري الذي أقرب جسم طبيعي إلى ذاته وأول منزل من منازل نفسه في هذا العالم ، وهو كرسي ذاته وعرش استوائه ومعسكر قواه وجنوده ، وهو مع ذلك دائم الاستحالة والتبدل والحدوث والانقطاع ، فإنّ العبرة في بقاء البدن بما هو بدن شخصي إنما هي بوحدة النفس فما دامت نفس زيد هذه النفس كان

بدنه هذا البدن ، لأنّ نفس الشخص تمام حقيقته وهويّته وهذا كما يقال : إنّ هذا الطفل ممّن يشيب ، أو هذا الشاب كان طفلاً وعند الشيب قد زال عنه جميع ما كان له عند الطفولية من الأجزاء والأعضاء إلى آخر كلامه .

فتأمل في كلامه وما قبله هل يدل على إعادة المواد وهل يكون كما ذكرنا وهل يكون النزاع لفظياً ، وقد تقدم هذا الكلام وذكرنا هناك ما يرد عليه ولكن أعدته لتتأمل فيه في مثل قوله : وعند الشيب قد زال عنه جميع ما كان له عند الطفولة من الأجزاء والأعضاء فاعتبروا يا أولي الألباب .

وإنما مراده بقوله : إنّ هذا البدن الملموس المحسوس في هذه الدنيا هو المَعاد ليس أنه بمادته إلّا أنها تصفّى ، وأنّ الجسم الأخروي الباقي هو هذا بعد التصفية ، على نحو ما بيّنا بل كما مثّلنا بالنهر ، لأنّ المَعاد عنده هو الصورة الوجودية فيا ليت شعري إذا كان الطفل عند الشيب يكون قد زال عنه جميع ما كان له عند الطفولية من الأجزاء والأعضاء هل تكون الأعضاء التي له قبل المشيب المباشرة للمعاصي تزول وتجدّد له أعضاء غيرها تُعذّب ولم تعمل شيئاً من المعاصي بل لأجل أنها جعلت عضواً للنفس العاصية والتي عملت المعاصي ، وباشرت ما حرّم الله وتلذذت بالمعاصي تذهب طلقاً سالمة من العذاب ويحمل عذابها على ما لم يعص فهنيئاً للأعضاء الفانية إذا كانت عاصية ، وتعساً لها إن كانت مطيعة لأنها حملت مشقة الطاعات بلا عوض فالله : تعالى قال : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ، والمصنّف قال : تزر وازرة وزر أخرى إذا كانت بصورتها .

في قول المصنف : **والعارف قد يشاهد هذه الأحوال والأهوال . .**

**قال : ( والعارف قد يشاهد هذه الأحوال والأهوال عند ظهور سلطان الآخرة ، على ذاته فيسمع نداء : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ ، فيرى السماوات مطويات بيمينه ، ويرى هذه الأرض عند القيامة في الزلزال والجبال في الاندكاك حيث لا استقرار ، ولا جمود لها ، فإذا انكشف الغطاء بالقيامتين الكبرى والصغرى يرى كل على أصله من غير غلط في الحس وشبهة في الوهم فيرى ذوات الأوضاع الشخصية المركبة مواد وصوراً متجددة مستحيلة مع أعراضها المختلفة التي كان يتم بها وجودها الشخصي المحسوس الذي مظهرها آلات الحواس وانفعالاتها عند الحواس وانفعالاتها عند القيامة ) .**

**أقول** : العارف في هذه الدنيا إذا ظهر في سلطان الآخرة على ذاته من جهة عقله على سائر بدنه حتى امتثل أوامر الله واجتنب نواهيه كما يحب الله واستقام على ذلك كان امتداد عقله من النور كما قال : الصادق عليه السلام : ( **دِعامةُ الإنسان العقل والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم وبالعقل يكمل ، وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره ، فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالماً حافظاً ذاكراً فطناً فهماً فعلم بذلك كيف ولِم وَحيث وعرف مَن نصحه ، ومن غشّه فإذا عرف ذلك عرف مجراه وموصوله ومفصوله وأخلص الوحدانية لله والإقرار بالطاعة ، فإذا فعل ذلك كان مستدركاً لما فات وواردا على ما هو آتٍ ويعرف ما هو فيه ولأي شيء هو هاهنا ، ومن أين**

**يأتيه ، وإلى ما هو صائر وذلك كله من تأييد العقل )** انتهى .

فإذا كان في الدنيا كذلك فقد أمات نفسه وقامت قيامته كما قال صلى الله عليه وآله : فيشاهد أحوال الآخرة وأهوالها لأنها كلها موجودة بالفعل .

وإنما غطاها عن أهل الدنيا الغواشي الدنيوية والحجب الطبيعية المادية .

ومن أمات نفسه فقد كشف الغواشي وخرق الحجب لأنه قد جمع قلبه على ما يحب الله فقذف الله سبحانه في قلبه العلم واليقين ، وقد قال تعالى : ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ ، فيسمع نداء : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ ، فيجيب لأنه سمع : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ ، فقال : ﴿ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ ، لأنّ الله أحدث الجواب في سرّه كما أحدث الكلام لموسى في الشجرة بل سمع نداء الله سبحانه للأرض بين النفختين : **( يا أرض أين ساكنوك أين الجبارون المتكبرون أين من أكل رزقي وعبد غيري : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ ، فلا يجيبه أحد فيردّ على نفسه تعالى : ﴿ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ )** ، فيسمع العارف ذلك الرد ويرى السماوات مطويات بيمينه يعني حين كشطت أي أزيل عنها القشر ، وغسلت من العوارض ، ويشاهد الأرض حين زلزلزت ، والجبال حين دكّت فكانت هباء ، لأنّ الأرض كانت منذ كانت في الزلزال والجبال في الاندكاك والناس سائرون إلى أرض المحشر منذ كانوا في النطف .

وتتم هذه الحالة الوصفية يوم القيامة العامة ويظهر ذلك لكل أحد .

وأمّا الغاية الذاتية أي الحالة الذاتية لهذا الاندكاك فلا غاية لها إلّا أنّ القيامة لما كان فيها زيادة تصفية وما بعدها ففي ابتداء دخول أهل الجنة قيل تحصل لهم بنسبة حالهم إذا دخلوا مقام الرفرف الأخضر فينتقلون إلى مقام أرض الزعفران فيصفّون ، ثم ينتقلون إلى مقام الأعراف فيصفّون ، ثم ينتقلون إلى مقام الرضوان ثم لا انتقال ، ولا تصفية إذ لا غاية لذلك المقام ، ولا نهاية هذا والاندكاك والتبدّل لا ينتهي ، لأنّ الحادث لا ينفك عن ذلك ولكنه في الجنة من أعظم أنواع النعيم ، لأنّ المؤمن دائماً في الجنة بلا نهاية يخلع من الإمدادات ويلبس كما يخلع الإنسان ثوباً من ثيابه ثم يلبس غيره ثم يخلع الملبوس ويلبس الذي كان لبسه أعني الأول ، أو غيره فهم لا يزالون في لبس من خلق جديد كما في الدنيا والبرزخ ، إلّا أنه في الدنيا والبرزخ تخليص من الغرائب والعوارض ، وفي الآخرة تبديل وتجديد لا تخليص .

**وقوله** : ( **لا قرار لها ، ولا جمود** ) ، يعني أنها كما وصفها الله تعالى فكانت هباء منبثاً وكثيباً مهيلاً وكالعهن المنفوش وكذلك هي الدنيا بل كل شيء مما سوى الله هكذا ، وإن اختلفت الأشياء في السرعة والبطء .

**وقوله** : ( **فإذا انكشف الغطاء بالقيامتين الكبرى** ) ، العامة لجميع الخلق ( **والصغرى** ) ، الخاصة بالشخص العارف الذي أمات نفسه بالإرادة في هذه الدنيا يرى كل شيء من الأشياء ، على أصله وحقيقته من غير غلط في الحس ، لأنّ الحقائق تنكشف لكل أحد فلا يجهل أحد شيئاً من أحوال أهل الجمع العامة فلا يكون غلط في الحس ، ولا شبهة في الوهم ، لأنّ في ذلك تكشف السرائر وتبدأ الضمائر .

وقوله : **( فيرى ذوات الأوضاع الشخصية المركبة مواد وصوراً متجددة مستحيلة ، إلخ )** ، هذه الرؤية يراها المصنّف وأتباعه وأما الذين عرفوا ونظروا بنور الله فإنهم يرون ذوات الأوضاع الشخصية والمجردة مواد وصوراً متجددة متغيرة في كل جزء من موادها العنصرية والبرزخية والملكوتية والجبروتية ، وفي كل حال من صورها وهيئاتها إلّا أنّ تبدل موادها الذاتية بكونها ذاهبة عنه عائدة عليه بعين مادتها كما يعود كله بعين مادته يوم القيامة في صورة أعماله كذلك في الدنيا وما قبلها ، وفي القيامة وما بعدها فهو بما فيه من الأجزاء كالنهر المستدير عوده إلى بدئه وآخره يصب في أوله فإذا ذهب عنه شيء منه عاد إليه إمّا مجدّداً كما لو وصل الذاهب منه إلى بعض خزائنه الكونية ، وإما جديداً كما لو انتهى إلى خزانته الإمكانية . فالشخص أبداً يمد بما ذهب منه وبما له .

وأمّا تبدل صورها فإنها تبدل الصورة الذاهبة بصورة قد قدّرت في قالب الأولى وهذا حكم جميع الممكنات الماديات والمجردات إلّا أنّ المجردات لما كانت في التبدل والتغير أشد وأسرع بمعنى أنّ المادي إذا دار في تبدله وتغيّره دورة واحدةٍ دار المجرد في تبدله وتغيره ألفي دورة ، أو ثلاثة آلاف دورة ، أو أربعة آلاف دورة وكلما كان أشرف وأعلى كان أسرع .

وأول المكوّنات وأشرفها وأعلاها محمد صلى الله عليه وآله فهو إذا دار المادي دورة واحدة دار نوره صلى الله عليه وآله في التبدل والتغير ألف ألف دورة .

وربما يُستفاد من بعض الروايات سبعين ألف ألف دورة وذلك لشدة فقره إلى الله سبحانه وشدة اعتناء الله عزّ وجلّ به في إمداده

ولكن لشدة دورانه قصّرت العقول والأفهام عن ذلك حتى توهمته ساكناً قائماً بذاته وذلك ، لأنّ الشيء إذا كان شديد الاستدارة يراه الإنسان بحسه المشترك ساكناً وليس بساكن واعتقاد ذلك غلو وشرك بالله العظيم .

والمصنّف بنى تحقيقاته هذه على منوال أقوام يقيسون الأمور بأوهامهم ، وهو قد اغتر بهم ولو فتح عين بصيرته لم ير منهم إلّا أنهم أشباه الرجال : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ ، حيث جعلوا المجردات غنية عن الاستمداد وأنها مجردة عن مطلق المادة أصلاً ، وكل ما لها بالفعل وليس فيها ما بالقوة فلا تنتظر شيئاً وتعالى الله عما يشركون .

ولأجل ذلك خصص التجدد والاستحالة بذوات الأوضاع الشخصية مع أعراضها اللازمة للمواد المختلفة باختلاف المراتب والأطوار التي كان في نزولها إلى الدنيا وفيها يتم بتلك الأعراض وجود المركبات الشخصي المحسوس المتعين لأنه يتشخّص بها لا بغيرها ومظهر تلك الأعراض آلات الحواس أي فعلها وانفعالاتها .

وقد قدّمنا أنّ الأعراض المشخصة من لوازم الانفعال أي القبول عند اجتماع متمماته ، لأنّ المواد الوجودية ليس مشخصاتها من ذاتها كما توهّمه المصنّف ، وإنما هي متممات صورها وماهياتها من الكم والكيف والمكان والوقت والرتبة والجهة والوضع والكتاب والأجل والإذن التي تلزمها تلك الأعراض والهندسة المميزة .

في قول المصنف : **ولها نحو آخر من الرؤية فليس لها في مشهد . .**

**قال : ( ولها نحو آخر من الرؤية فليس لها في مشهد الآخرة هذا النحو من الوجود فيشاهد الأشياء في عرصة القيامة على حقائقها الأصلية بمشعر أخروي يتنور بنور الملكوت فيشاهد الجبال كالعهن المنفوش ويتحقق بمعنى قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ ، ويشاهد يومئذ نار جهنم محيطة بالكافرين ويراها كيف تحرق الأبدان وتنضج الجلود وتذيب اللحوم ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ ، ويرى الحجارة مسجورة ) .**

**أقول** : إن العارف الواصل المتحقق بالسير في أفعال الصنع بأن قرأ القرآن وكشف الله عن بصيرته الأغشية والحجب بحقيقة ما هو أهله ، وصدقه مع الله تعالى مع توفيق الله سبحانه ، وسبق العناية له من الله تعالى فشاهد من مضى ومن غبر وكأنما كان في الأولين واهتدى للتي هي أقوم ونظر إلى من نجا بما نجا ، وإلى من هلك بما هلك ، فإذا استقام على الإقبال إلى الله والإخلاص لله شاهد الأشياء على حقائقها الأصلية بمشعر ذاتي بنسبة واحدةٍ في الدنيا والآخرة إلّا أنه لما كان التخلص في الدنيا إنما هو بالوجدان كان إذا نظر من حيث التخلص نظر الأشياء على ما هي عليه فيشاهد ( **كذا** ) الجبال كالعهن المنفوش ويراها منسوفةً ويرى الأرض قاعاً صفصفاً : ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ ، وهو ما يظهر من مرّ الريح ، على الرمل وكذا من جري الماء على الرمل .

وإذا نظر من حيث الوجود وجد الأشياء على ما هي عليه عند أهل الدنيا ورأى الجبال ثابتة ولم ير من تلك الحالة التي شاهدها من حيث الوجدان ، لأنه الآن لم يتخلص إلّا من الوجدان والاعتبار لا من حيث الوجود ، لأنه من حيث الوجود مختلط بالأعراض المادية الكثيفة والأغراض الدنيوية السخيفة .

وأمّا في الآخرة فإنه يشاهد الأشياء على ما هي عليه كما شاهدها في الدنيا من حيث الوجدان بذلك المشعر الذاتي ، لأنّ المشعر الذاتي في الدنيا والآخرة واحد وليس له في الآخرة حالة أخرى يشاهد بها الأشياء على حالة أخرى ، لأنّ مشاهدته في الآخرة بعد التخلص الوجودي والوجداني ، ومشاهدته في الدنيا بعد التخلص الوجداني قبل التخلص الوجودي ، وكذلك أيضاً في الدنيا بعد التخلص الوجداني يشاهد نار جهنم محيطة بالكافرين كما قال تعالى : ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ ، ويراها كيف تحرق الأبدان وتنضج الجلود وتذيب اللحوم : ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ ، أي : حجارة الكبريت ، أو القلوب القاسية كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ، أو أشد قسوة .

ويرى الحجارة مسجورة ، على المعنيين والمعنى الثاني كما لوّح تعالى به لأهل الإشارة في قوله : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ ، لأن الحصب لغة حبشية في الحطب .

وإنما عُدِل عن الحطب إلى الحصب مع أنّ المعنى واحد للإشارة بأخذ الحاء والباء من الحطب الذي يشتعل بالنار وأخذ الصاد من الحصى ، فالصاد من الحصى الذي يبقى ، ولا يفنى

والباء من الحطب الذي يشتعل والحاء منهما ليكون المعنى أنهم يشتعلون بالنار كالحطب ويبقون فيها كالحصى فكذا الحجارة إذا كُنِّي بها عن القلوب .

## في قول المصنف : **وهذه النار التي تحرق الجلود والأبدان . .**

**قال : ( وهذه النار التي تحرق الجلود والأبدان غير نار الله الموقدة التي تطّلع ، على الأفئدة فإنّ تلك النار قد تخبو بالنوم وشبهه فيخفّف ضرب من العذاب عنهم ، وإن كان نومهم مما لا راحة فيه قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ ، أي كل ما خبت فيهم النار الباطنة لغفلتهم عن الحسد والحقد والعداوة والبغضاء وسائر النيران الكامنة التي تحرق القلوب واشتغلوا بأعمال بدنية من قضاء شهوة البطن والفرج وغيرهما لا على وجه المصلحة بل على منهج البهيمية والمعصية فزيد فيهم قوة بدنية موجبة لزيادة نار السعير فيهم ، ومن هاهنا يعلم أنّ هذه النار محسوسة قابلة للزيادة والنقصان ) .**

وقال بعض أهل الكشف في معنى الآية وجهاً آخر ، وهو قوله : كلما خبت النار المسلّطة على أبدانهم زدناهم سعيراً بانقلاب العذاب من ظواهرهم إلى بواطنهم ، وهو عذاب التفكر في الفضيحة والهول يوم القيامة ، لأنّ عذاب حرقة القلوب بنيران الأمور القطعية والحجاب عن الملكوت أشد من عذاب حرقة الأبدان والجلود فتكون عذاب تفكرهم وتوهّمهم في نفوسهم أشد

من حلول العذاب المقرون بتسلط النار المحسوسة على أجسامهم ولأجل ذلك قيل شعراً :

**النـــارُ نـــارانِ نـــار كـــلُّـــهـا لَـــهَـــبُ**

**ونـــار مـــعـــنـــى عـــلـــى الأرواح تـــطّـــلـــعُ**

**أقول** : يريد أنّ النار تكون من نوع ما يتعذب بها ، فنار الأبدان والجلود الظاهرة المحسوسة نار ظاهرة محسوسة ، ونار القلوب والنفوس والأفئدة نار معنوية ولهذا قال : إنّ النار التي تحرق الجلود والأبدان غير نار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة فإنها معنوية من نوع الأفئدة ، فإنّ تلك النار أي نار الأفئدة قد تخبو بالنوم يعني يسكن لهبُها بالنوم وشبهه كشغل بشيء يلهيه عن ذكر المعصية الأولى فيخفف ضرب من العذاب المعنوي عنهم .

وإن كان نومهم مما لا راحة فيه ، لأنّ الملازم للمعاصي أغلب أحواله إذا نام رأى في منامه ما هو من نوع يقظته قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ ، أي كلما سكن لهب النار الباطن لِغفلتهم عن معاصيهم كالحسد والحقد والعداوة والبغضاء وسائر النيران الكامنة التي تحرق القلوب ، لأنّ ذكرى معاصيه تؤجّج نيرانها في قلبه وفؤاده وروحه ونفسه زدناهم من ثمرات أعمالهم الباطلة البدية التي تحرق الأبدان والجلود سعيراً في بواطنهم والمستعرة من أعمالهم هي الخابية أي الساكن لهبها ، لأنّ الأعمال البدنية من قضى شهوة البطن والظهر والفرج وغيرها مما ليس مباحاً .

وإنما هو في طاعة النفس الأمّارة تزيد في العاملين قوة بدنية

موجبة لزيادة نار السعير لأنها لتلك النيران كالحطب فإن النار إنما تزيد بالحطب وتنقص بقلّته وليس ذلك خاصاً بالنار المحسوسة كما توهّمه المصنّف من أنّ المحسوسة هي القابلة للزيادة والنقصان ، بل كلما دخل في الإمكان فهو داخل في الزيادة والنقصان لا فرق في ذلك بين النار المحسوسة والمعنوية والباطنة وغيرها إلّا أنّ كل شيء فزيادته من نوعه ونقصانه من زيادته هذا في الدنيا بأن يتألم الباطن بنار الحسرة والفضيحة وفقدان الخير ، أو المطلوب وأمثال ذلك ويتأمل الظاهر بإقامة الحدود فيه كقطع يد السارق والقصاص وبنقص العمر وذهاب ماءَ الوجه والفقر من الزاني وأمثال ذلك .

وأمّا في الآخرة فعذاب الأبدان والنفوس والعقول والأفئدة وغير ذلك بنيران مختلفة كلها موجودة في أمثالها في الدنيا وهي النار المعروفة العنصر الحار اليابس ، والزمهرير العنصر البارد اليابس والرطب والهم والغم والحزن والفقر والخوف وأنواع الأمراض والندم والحسرة والخزي والتأسف وفوت المطلوب وفراق المحبوب ووجود المنافي وفقدان الملائم والضيق في المعيشة ، وفي المكان ، وفي النفس بفتح الفاء وسكونها وآلام الجروح والقروح وآلام القتل وآلام الموت وآلام خروج الروح ما سوى نفس خروج الروح والدق والأكل والشرب المكروهان لكونهما حارّين ، أو باردين بحيث لا يُطاقان ، أو للمرارة ، أو الملوحة ، أو مُقَيِّئيْن .

والحاصل كل ما في الدنيا مما تكرهه النفوس وتمجّه الطباع من طعام ، أو شراب ، أو منام ، أو سهر ، أو ثياب ، أو كلام ، أو غير ذلك فهو في الآخرة معد لأهل النار ، على كمال غايته فكل

شيء مكروه في الدنيا يبلغ شديده الهلاك وخروج الروح فهو في الآخرة لأهل النار مضاعف أربعة آلاف ضعف وتسعمئة ضعف ويتزايد تضاعفه على مرّ الدهور والأوقات بلا غاية لذلك التألم ولذلك التضاعف سواء كان عذاباً للأبدان أم للنفوس أم للعقول أم للأفئدة أم لما بينها من البرازخ ولكلّ منها ، كل نوع من كل عذاب فللمحسوس عذاب محسوس وعذاب معنوي ، وللمعنوي عذاب معنوي ومحسوس وللمجرد عذاب مجرد وعذاب مادي ، وللمادي عذاب مادي ومجرد ، وكل ذلك ثمرات أعمالهم فإنك إذا رأيت شخصاً قد سرق من السوق رمانة كلما التفت خيالك إليه وجد مثاله هناك سارقاً لتلك الرمانة ، لأنّ الملائكة الحفظة كتبت مثاله ومثال عمله في غيب ذلك المكان ، وفي غيب ذلك الوقت فهو أبداً يسرق فإذا كان يوم القيامة ظهر ذلك المثال بعمله في مكانه ووقته ولبسه على رؤوس الأشهاد والمثال يسرق لأنه في الدنيا ألقى في مثاله روحاً من روحه ، وهو نيّته ونية الكافر شرّ من عمله ، فإن كنت ممّن يحل الرمز ويستخرج الكنز فقد دللتُك ، على مكانه وأعطيتك مفتاح فتحه وإلا فإن جرى لهذا ذكر في كلام المصنّف زدناه بياناً .

وأمّا ما ذكره المصنّف من كون النار التي تطلّع على الأفئدة قد تخبو فليس لسكون لهبها ولكنهم عند اشتغالهم بشيء آخر أموات لا تجري فيهم الحياة الناطقة القدسية فلا يحسّون بلهبها وإذا التفتوا جرت فيهم النفس الناطقة بإحساسها فتألّموا .

وأمّا النار المحسوسة فإنها قد تخبو كما تخبو النار المعنوية بل قد تخبو هذه النار ، ولا تكاد تخبو المعنوية لأنهم إذا اشتغلوا بالأعمال الخبيثة المحسوسة ازدادت المعنوية تأجّجاً وتلهُّباً ، ومن

هنا تبّين وعُلم أنّ النار المعنوية تقبل الزيادة والنقصان كالنار المحسوسة لابتنائها عليها وجوداً وعدماً لا كما توهّمه المصنّف من اختصاص قبول الزيادة والنقصان بالمحسوسة .

**وقوله : ( وقال بعض أهل الكشف في معنى الآية وجهاً آخر )** ، يشعر بارتضائه وصحته ، وعندي أنه مدخول في بعضه فإنّ قوله كلما خبت النار المسلّطة ، على أبدانهم زدناهم سعيراً بانقلاب العذاب من ظواهرهم إلى بواطنهم ، وهو عذاب التفكر في الفضيحة والهول يوم القيامة خلاف معنى الآية ، لأنّ معنى الآية كلما خبت النار المعنوية سعّرناها وهذا القائل قلب المعنى فقال معناها إذا خبت النار المحسوسة زدنا النار المعنوية سعيراً ، وهو خلاف المراد من الآية ، وإنما المراد منها كلما خبت النار المعنوية زدناهم سعيراً منها أي نسعّرها وإلا لما حسن كلما خبت ، لأنها إذا خبت لا يقال : كلما خبت بل خبت مرة واحدة وسكنت ، وإنما يقال : كلما خبت النار التي إذا خبت سُعّرت وهي جارية في المحسوسة كلما خبت المحسوسة باشتغالهم عن التألم بها بعمل خبيث موجب لزيادة سعيرها سعّرناها ، على أنّ هذا القائل لو عكس لم يتجه عليه اعتراض فقال كلما خبت المحسوسة انبسطت عليها المعنوية فزادتها سعيراً وذلك بانبعاث نيّته وميل نفسه الأمّارة بباعث ماهيّته إلى المعاصي التي تؤجّج النارين معاً .

وقول القائل ، وهو عذاب التفكر في الفضيحة والهول يوم القيامة ، لأنّ عذاب حرقة القلوب بنيران الأمور القطعية والحجاب عن الملكوت أشد من عذاب حرقة الأبدان والجلود ، إلى آخره يريد به أنّ عذاب المعنوية الباطنة كالعقول والنفوس إنما هو بالنار المعنوية .

وإنما قالوا ذلك ، لأنّ النار المحسوسة من نوع الماديّات ، ولا تتسلّط على البسائط كما يفهمونه في الدنيا بالفهم الظاهري وليس الأمر كما توهّموا ، ولا كما فهموا بل النار بجميع أبوابها السبعة التي أعدت للكافرين والمشركين والمنافقين آيتها ومثالها ودليلها هذه النار التي في الدنيا كما قال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ ، يعني جعلها سبحانه تذكرة لنار الآخرة ولاشك في كونها مثالاً وتذكرة لنار الآخرة التي أُعدَّت للكفرة الفجرة ونار الحطمة هي التي تّطلع على الأفئدة .

ففي تفسير علي بن إبراهيم : ( **والرابعة الحطمة ومنها يثور شرر كالقصر كأنها جمالات صفر تدق مَن صار إليها مثل الكحل فلا تموت الروح كلما صاروا مثل الكحل عادوا** ) انتهى ، فهي كما تحطم المعنوية منها القلوب والأفئدة تحطم الأجساد والأكباد والنار الحسية هي النار المعنوية وبالعكس فكما أنها تحرق الجلود والأجساد كذلك تحرق القلوب والأفئدة .

وكما أنّ المعنوية تؤلم الأفئدة والقلوب ، كذلك تؤلم الأجساد والجلود وتحرقهما وعذاب التفكّر في الفضيحة كما يعذّب القلوب يعذّب الأبدان بسرّ ما أشرنا إليه سابقاً من أنّ أهل الآخرة تدرك أجسادهم المعقولات والمحسوسات وتدرك قلوبهم المحسوسات والمعقولات ، وقد أشرنا سابقاً إلى المحسوسات وتدرك قلوبهم المحسوسات والمعقولات ، وقد أشرنا سابقاً إلى دليله مجملاً من جهة العقل والنقل ، ومن جهة الآية والمثل ما بُرهن عليه في علم الطبيعي المكتوم بما يوصل من فهمه إلى البديهي فافهم .

وقول الشاعر :

**النارُ ناران نارٌ كلّها لهبُ**
**ونار معنى على الأرواح تطّلعُ**

جارٍ على مفهوم أهل الدنيا كما قلنا .

**وقوله** : ( **على الأرواح تطّلع** ) ، مقتبس من قوله تعالى : ﴿ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ وهي كما قال تعالى : ﴿ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ﴾ وهي نار محسوسة ، وإن كانت في صفة المعنوية وفعلها وهي نار المعنوية في صفة المحسوسة وفعلها كما تقدم فافهم .

في قول المصنف : **أقول : وكلتاهما غير هذه النار التي في الدنيا . .**

**قال : ( أقول : وكلتاهما غير هذه النار التي في الدنيا ولأجل ذلك وصفها بأنها كلها لهب لأنّ هذه النار الدنيوية ليست ناراً محضة بل جوهراً مركّباً في نار وغير نار ولهذا قد تنقلب إلى هواء ، أو ماءً ، أو غير ذلك ، وأما النار المحسوسة الأخروية فهي صورة نارية بحتة لا يُطفئها شيء إلّا رحمة الله ) .**

**أقول** : في الظاهر أنّ النارين الأخرويتين المعنوية والمحسوسة غير هذه النار التي تستعملها الناس لأنهما لهب بحت كما أشار إليه الشاعر ويدل ، على هذا الظاهر ما رُوي ما معناه : ( **أن نار الدنيا توضع يوم القيامة في جهنم** ) ، بعد سلب نورها ورجوعه إلى أصله من نور الكرسي لأنها عُبدت من دون الله سبحانه ، وقد حكم تعالى

في قوله الحق : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ ، فتصرخ حين توضع في النار صرخة لو جاز على أهل المحشر أنّ يموتوا لماتوا من شدّة صرختها ولأن هذه النار الدنيوية ليست ناراً محضةً بل هي جوهر مركّب من أربعة أجزاء حرارة ، وثلاثة أجزاء برودة ، وأربعة أجزاء يبوسة ، وثلاثة أجزاء رطوبة ولهذا قد تنقلب إذا طُفئت هواء كما ذكره ابن سيناء في الإشارات .

وقد تنقلب ماءً كما لو طُفئت في قرع ثم ركّب عليه الإنبيق بحيث لا يتخلّله شيء من الهواء إلّا الهواء المنقلب عن النار وأُوقد تحته بنار الحضانة فإنه يعني ذلك الهواء المنقلب من النار يقطر ماءً عذباً بخلاف النار الأخروية .

**وقولي** : في الظاهر احتراز عن النظر الباطن فإنّ مقتضاه أنّ نار الدنيا هي نار الآخرة وجنة الدنيا هي الآخرة كما أشرنا إليه سابقاً من أنه على نحو أنّ أبدان الدنيا هي أبدان الآخرة ، وكما دلّ عليه القرآن .

وأمّا نار الدنيا التي يستعملها أهل الدنيا فقد رُوي ما معناه : (**أن آدم عليه السلام لما هبط من الجنة إلى الأرض هو وحواء احتاجا إلى نار لينتفعا بها في عمل طعامهما وغيره نزل جبرائيل عليه السلام وأخذ من جهنم جذوة فغسلها في نهر الكوثر سبعين مرة**) .

وفي رواية : (**وضعها في الكوثر سبعين سنة ، ولولا ذلك لأحرقت الأرض ، ومن عليها**) فحقيقة نار الدنيا المعروفة من نار جهنم وإنما لحقها الخلط بالماء من الكوثر وبالهواء من هذا الهواء الذي بين الأرض والسماء لاستنشاقها واستمدادها منه ولنزولها إلى محلها كما هو شأن كل نازل في تلوثه بلطخ مراتب النزول .

وأمّا صرختها من النار واحتراقها بها فليس لأنها ليست من النار وإلا لما احترقت ، بل لتخليصها من الأعراض الدنيوية وذلك الصوت صوت القلع لتلك الأعراض .

وأمّا احتراقها فلأنها من النوع الذي يأكل بعضه بعضاً ويصول بعضه على بعض ، فإنّ هذا النوع من النار يشتعل بعضه ببعض ويحرق بعضه بعضاً ، فإنّ هذا النوع إذا ثار منه لهب وكان قوياً اشتعل باللّهب الذي قبله وأحرقه وتقوّى به كما تتقوّى نار الدنيا بالحطب .

وإن كان ضعيفاً اشتعل به الأول وتقوّى به وإذا جاء لهب آخر كان حاله كاللّهب الأول في القوة والضعف ، وهذه التي أشار إليها علي بن الحسين عليهما السلام في دعاء صلاة الليل بعد الفراغ منها من أدعية الصحيفة قال عليه السلام : ( **ومن نار يأكل بعضها بعض ويصول بعضها على بعض** ) .

**وقوله : ( وأما النار المحسوسة الأخروية فلا يطفئها شيء إلّا رحمة الله )** ، صحيح لكنه ليس خاصاً بالمحسوسة الأخروية بل المعنوية أيضاً لا يُطفئها شيء إلّا رحمة الله وكذلك نار الدنيا لا يُطفئها شيء إلّا رحمة الله .

**فإن قلت** : نار الدنيا يطفئها الماء؟

**قلت** : لأنه أثر الرحمة وهي أثر نار الآخرة قال تعالى : ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ ، اللّهم أجرنا من النار برحمتك يا أرحم الراحمين .

## في قول المصنف: ومن جملة الأحوال يومئذ أنّ المرء . .

**قال : ( ومن جملة الأحوال يومئذ أنّ المرء : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ ، وذلك لأنّ النفس قد فارقت هذا البدن وخرجت عن الدنيا ، وكل ما فيها كما قال : ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ ، فلا يصادف الإنسان أحداً من هذا العالم إلّا نتائج أعماله وأفعاله وصور نيّاته ولوازم صفاته وملكاته ) .**

**أقول :** إنّ النفس قد فارقت هذا البدن ويوم القيامة تعود إليه وتجتمع به ويكونون كما قال تعالى : ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ ، وكل ما كان لله من صداقة وصحبة وخلة ومحبة فهي لازمة للإنسان لا تفارقه كما قال تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ، فإنّ خلتهم صداقة ومحبة في الله وهي باقية لا تفنى ، ولا تغيرها الدهور .

**فقوله : ( ومن جملة الأحوال يومئذٍ أنّ المرء : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾ ، . . . إلخ )** ، يريد به ما أشار إليه من المفارقة لكل شيء غيره وغير نتائج أعماله وأفعاله وصور نيّاته ولوازم صفاته وملكاته لأنه أخذ من الآية وجه تأويلها وإلا ففي عيون الأخبار قال : قام رجل يسأل أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الآية : من هم؟

قال : **( قابيل يفرّ من هابيل والذي يفرّ من أمه موسى والذي يفرّ من أبيه إبراهيم ـ يعني الأب المربي لا الوالد ـ والذي يفرّ**

**من صاحبته لوط والذي يفرّ من ابنه نوح وابنه كنعان )** انتهى .

والمراد أنّ منهم من يفرّ خوفاً كقابيل يفرّ خوفاً من هابيل لأنه يطالبه بدمه ، وكموسى عليه السلام يفرّ من أمه خشية أن يكون قصّر فيما وجب عليه من حقها .

ومنهم من يفرّ فرار تبرُؤ كفرار إبراهيم عليه السلام من أبيه المربّي له آزر الذي هو زوج أمه فإنه هو الذي قال تعالى في حقه : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ ، وليس المراد به أبوه الحقيقي الذي اسمه تارح .

وكلوط فإنه يفرّ من زوجته واهلة ، أو والهة فرار براءة وكنوح فإنه يفرّ من ابنه كنعان فرار براءة .

وآيات الكتاب والسنّة والمعروف من مذهب المسلمين وما عند العقول تنافي ما ذهب إليه من كون النفس حين خرجت من البدن خرجت من الدنيا ، ومن كل فيها .

ومن تأويله للآية الأولى من أنّ المراد من أنه لكل امرئٍ من الخلائق : ﴿ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ ، أنه لا يجد إلّا نفسه ونتائج أعماله وصور نياته ولوازم صفاته وملكاته .

وللآية الثانية في قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾ ، على ذلك فإنه يلزم من مراده أنّ كل واحدٍ يحشر وحده فلا تكشف السرائر من أحد لأحد ، فإذا كان لا يصادف أحداً من هذا العالم ، ولا شيئاً إلّا نتائج أعماله فهو يحشر وحده ويبقى وحده لأن جنته عند المصنّف قصورها وحورها وولدانها وحريرها وطعامها وشرابها وجميع ما ذكر مما هو معدّ للمؤمنين عبارة عن صور نياته وملكاته

وهذا حال عجيب لأنه يكون قوله : ﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ ، يراد من أولئك الإخوان صور نياته ولوازم ملكاته ، ولا يصح أن يحمل قوله على أنّ زيداً إنما يصادف من عمرو شأنه وما يناط به من مطالبه لأنه لو أراد هذا لقال فلا يلتفت إلى شيء ، ولا يعتني به إلّا إذا كان له معه رابطة مثل طلب حقّ ، أو أداء حقّ ، أو شهادة ، أو طلب شفاعة ، أو شفاعة للغير ونحو ذلك لكنه قال : فلا يصادف الإنسان أحداً من هذا العالم ، ولا شيئاً إلّا نتائج أعماله وصور نيّاته ولوازم صفاته وملكاته .

ولكن الواقع أنّ الإنسان يُحشر مع ما يشابهه كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ ، فالعشّار مع العشارين والحاكم مع الحكام والعالم مع العلماء وهكذا كل شخص يحشر مع ابناء نوعه المشابهين له في صفاته وأعماله .

وتحشر الخلائق كلهم في صعيد واحدٍ فهم على أنواع مختلفة يشاهد بعضهم بعضاً فمنهم ظالم ومنهم مظلوم ومنهم شاهد ومنهم مشهود ومنهم شافع ومنهم مستشفع ومنهم مفتضح يشاهد مساويه من له به تعلق ، ومن ليس له به تعلق .

ومنهم المتحابون ومنهم المتباغضون ومنهم المذكّرون ومنهم المتذكّرون ومنهم المتعارفون ومنهم المتناكرون إلى غير ذلك .

وكل أحد مما ذكر يكون يصادفه غيره غالباً لأنهم مجموعون ليوم عظيم فكيف لا يصادف الإنسان أحداً من العالم ، ولا شيئاً إلّا نتائجَ اعماله ، ولكن هذا الذي يطابق اعتقاده كما تقدم في ذكر الجنة .

في قول المصنف: **ومنها أنّ المُلك يومئذ لله وذلك لأنّ الروابط . .**

**قال : ( ومنها أنّ المُلك يومئذ لله وذلك لأنّ الروابط المادية والأسباب الوضعية والعلل المعدة مرتفعة هناك ، لأنّ هذه الروابط مختصة بعالم الاتفاقات التي منشؤها انفعالات المواد واستحالاتها بواسطة الجهات والأوضاع السماوية كما بيّن في مقامه . وأمّا النشأة الثانية فالأسباب هناك ليست إلّا ذاتية غير خارجة عن ذات الشيء ومقوّم وجوده وهذا العالم أيضاً الملك لله إذ الكل بإرادته وإيجاده وتدبيره وحكمته ، إلّا أنّ الوسائط العرضية والعلل المعدة موجودة هاهنا والاتفاقات واقعة بقضائه وقدره ) .**

**أقول** : يريد إنما قيل إنّ المُلك لله وحده يوم القيامة بمعنى أن في الدنيا من يملك ، وفي الآخرة ليس مالك إلّا الله لأنه وإن كان في الدنيا أيضاً ليس مالك إلّا الله كما في الآخرة على الحقيقة إلّا أنّ الأشياء المملوكة خلقت لمنافع الإنسان في هذه الدنيا لما فيها من موافقة دار الدنيا كما تنفع الأشياء الحارة في فصل الشتاء والباردة في فصل الصيف ، وكما لا ينفع البارد في الشتاء والحار في الصيف كذلك لا ينفع ما في الدنيا في الآخرة وما في الآخرة في الدنيا .

والعلّة في ذلك أنه خلق لخصوص الدار فلا ينفع لضدّها ، لأنّ الروابط المادية المقرونة بالاضمحلال وعدم الإعادة وبالانهدام وعدم البناء وبالذهاب وعدم العود .

وكذلك الأسباب الوضعية والعلل المعدة المقرونة بما ذكرنا

خلقت الأمور المملوكة عليها والآخرة وأحوالها مقرونة بالدوام والثبات فروابطها المادية يلزم اضمحلالها العود والتجدد على وجه أكمل من المضمحل وانهدامها البناء ، إنما يجدون الجدة والقوة والاشتداد فيضمحل ضعيفها إلى القوي ومتهافتها إلى الشدة وعتيقها إلى الجدّة لا أنها لا تتغير أبداً فإنّ ذلك وصف القديم الغني عزّ وجلّ ولكنها تتغير من الضعف إلى القوة والكمال أبداً .

فلما كان ما خلقت من المملوكات في الدنيا مقرونة بالاضمحلال والانهدام والذهاب ، لأنّ الدار ليست دار القرار لم يبق لأحد شيء مما ملكه في الدنيا من جميع الأشياء من أعيان أو أعراض لم يوجد لأحد من الخلائق شيء من التملّك والتسلّط على شيء مما تملكه وتسلّطه عليه في الدنيا ، ولا على ما هو من نوعه ومثله ولم يدخل في يوم القيامة ، وهو حينئذ لم يدخل الجنة ليعطى الملك الكبير كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ ، فخلص الملك يوم القيامة لله سبحانه هذا باعتبار الأمر الصوري الظاهري وإلا ففي الحقيقة في الواقع ، وفي نفس الأمر ليس مالك إلّا الله عزّ وجلّ في الدنيا والآخرة على حدّ سواء ولكنه تعالى أعطى عباده في الدنيا ما يتم به نظامهم وبلاغ معاشهم ومعادهم ، وهو في ملكه ، وفي قبضته لم يخله من يده مع أنّ الخلق ملكه وما ملّكهم ملكه فليس لأحد سواه ملك لا في الدنيا ، ولا في الآخرة فالعارف بالله لا يفرّق بين الدنيا والآخرة فإنّ الخلق فيهما ما يملكون من قطمير .

وأمّا العوام فإنهم يفرقون لأنهم يرون أنهم مالكون في الدنيا ويوم القيامة تنكشف الحقائق ويشاهدون الملك خالصاً لله .

وقوله : **( لأن هذه الروابط مختصة بعالم الاتفاقات والحركات التي منشؤها انفعالات المواد واستحالاتها لأنها بواسطة الجهات والاوضاع السماوية )** ، فيه أنّ هذه الروابط والإضافات ، وإن كانت ناشئة من انفعالات المواد لكنها ليست مختصة بعالم الدنيا وليس هذا بعالم اتفاقات بل أفعاله وانفعالات مفاعيله على نمط أفعال الآخرة وانفعالات مفاعليها نعم قد تخلل هذه المواد الدنيوية أعراض رتبتها فتغيرت الأوضاع وتغيرت التأليفات وذلك لفائدة الانتقال وعدم البقاء فيها لأنها دار اختبار لا دار قرار ، وإلا فإنها هي دار التجارة والتحصيل ودار الاكتساب جعلها تعالى هكذا بحكمته سوقاً تشتري منه متاعك لسفرك إلى دار القرار ، فاقتضت الحكمة هذا التغيير والتبديل والفناء والذهاب والاضمحلال فسبب الأسباب رب الأرباب سبحانه لتكون هذه الدار هكذا فكان حتماً ما أراد .

وفي الآخرة سبّب أسباب البقاء بأن رفع أسباب التغيير الموجب للفناء ووضع أسباب التغيير الموجب للبقاء ، وهو دوام الإعادة والتجديد ومضاعفة القوة والشدة وليست أسباب البقاء في الآخرة ، ولا أسباب الفناء في الدنيا ذاتية بل كل منها بإعطاء الجواد مقتضيات الاستعداد ، لأنّ الحادث مطلقاً يعني مادياً ، أو مجرداً في الدنيا ، أو في الآخرة لا يقدر أن يوجد نفسه ، وكما لا يقدر أن يوجد نفسه ويحدثها لا يقدر أن يبقيها ، ولا أن يفنيها فليس لأحد من الخلق من الأمر شيء إلّا ما أعطاه الله وأقدره عليه وليس من أسباب الإيجاد ، ولا أسباب الفناء ، ولا أسباب البقاء شيء ذاتي لشيء من الخلق وإلا لما تغير عنه ، ولا احتاج

إلى غيره فيه ، ومن استغنى عن غيره في شيء استغنى عنه في كل شيء فلو كانت الأسباب غير خارجة عن ذات الشيء لم يحتج إلى غيره في جميع مطالبه .

وقوله : ( **وهذا العالم أيضاً المُلك لله تعالى إذ الكل بإرادته وإيجاده وتدبيره وحكمته إلّا أنّ الوسائط العرضية والعلل المعدة موجودة هاهنا والاتفاقات واقفة بقضائه وقدره** ) ، أما أنّ الكل بإرادته وإيجاده وتدبيره وحكمته فصحيح في الدنيا والآخرة .

وأمّا ( **أن الوسائط العرضية والعلل المعدّة موجودة هاهنا** ) ، أي في الدنيا فكذلك وموجودة في الآخرة كل شيء بنسبة رتبته فليس العرضية والمعدّة مخصوصة بالدنيا وإلا لزم إمّا اتحاد ما في الآخرة وعدم تعدده ، إذ التعدد والكثرة إنما تكون بالقوابل ومتمماتها من الكم والكيف والمكان والوقت والجهة والرتبة والوضع والإذن والأجل والكتاب لا فرق بين المجرد والمادي ، وإن كان كل شيء بحسبه .

وأمّا الاتفاقات فلا توجد في حالٍ ، وإنما الأشياء كلها مرهونة بأوقاتها ، فإذا اقتضت الدواعي والأسباب أمراً جرى به القدر والقضاء وهذا في الدنيا ، وفي الآخرة ، وإن اختلفت الدواعي والأسباب شدةً وضعفاً وسرعةً وبطأً لأنه إنما يفعل بالأسباب .

وإما أنّ الفاعل في الآخرة هو الإنسان وهذه المملّكات في الآخرة شؤونه وصنائعه ، أو أنها مصنوعة من وجوده وكلا اللازمَتْين باطل .

ومراده أنّ الدنيا ، وإن كان فيها كوّن المُلك لله سبحانه إلّا أنّ

الدنيا يقع فيها اتفاقات لأهلها ليست بسبق العناية ليخلُص المُلك لله ، وإنما تقع بدواعي الأسباب الوضعية والوسائط العرضية فيجري بها القضاء والقدر فلم يخلص الملك لله .

وأمّا الآخرة فكل ما فيها بسبق العناية .

**أقول** : وهذا نظر ضعيف لم يصدر عن النور ، وأما النظر الصادر عن النور فهو أنّ كل الأشياء مجردها ومادّيها جوهرها وعرضها لازمها وملزومها دنيويَّها وأخرويَّها ، على نمط وصنع واحدٍ أجراها سبحانه على أسبابها ، ومن الأسباب أنّ الدار المخلوقة للفناء كالدنيا تقتضي تغير ما فيها واختلافَه وفناءه واضمحلاله واستتار وجوه الأشياء فيها وحقائقها كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ .

وإن الدار المخلوقة للبقاء كالآخرة تقتضي بقاء ما فيها وعدم اختلافه من قوة إلى ضعف ، ومن وجود إلى عدم واضمحلال .

ولما كانت الأشياء كلها لا تثبت ، ولا تبقى إلّا بدوام المدد وجب أن يكون كل ما فيها يختلف ويتجدد من ضعف إلى قوة ، ومن عدم إلى وجود ، ومن بلًى إلى جدّةٍ وذلك بإعادة ما فني منها بالتدريج السيّال بحيث لا يفقد شيء ، ولا قوة ، ولا جدّة .

وإنما كان ما في الآخرة من الضعف إلى القوة لكونها دائمة الترقي والقرب إلى المبدأ .

وإنما كان المَعاد أقوى منه قبل فنائه لما بُرهن عليه في العلم الطبيعي المكتوم الذي هو مخ العلوم أن الشيء كلما كثر حلُّه وعقده وحلُّه وعقده ازداد قوة وتأثيراً وذلك كاللِبنة إذا كسرتها ناعماً

ثم صُغتها كانت أقوى من الأولى ، فإذا دققتها ناعماً وصغتها كانت أقوى من الثانية .

فالثالثة أقوى من الثانية والرابعة أقوى من الثالثة وهكذا ، ولأن ما تحلل خلص من التأليف فيرجع إلى رتبة أعلى من رتبته في التأليف فإذا أعيد مع ما دونه أُلحق ما هو أدون إلى رتبة ما أعيد وهكذا .

في قول المصنف : **ومنها أنّ الملك يومئذ الحق ، وأنّ لا ظلم . .**

**قال : ( ومنها أنّ الملك يومئذ الحق ، وأنّ لا ظلم اليوم لما عرفت من ارتفاع المصادمات والمعارضات الاتفاقية في ذلك العالم ) .**

**أقول** : في يوم القيامة يخلص الحق في الوجود كله فينقسم ما فيه ، على شِقّي الرحمة الواسعة فأهل محبة الله مغمورون بالشق الأيمن الأعلى ، وهو الرحمة المكتوبة : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ ﴾ ، الآيات .

وأهل سخط الله جرى عليهم العدل ، وهو الشق الأيسر الأسفل فلا يكون يوم القيامة وما بعده إلّا فضل ، أو عدل ، فأهل الفضل الذاتي في الجنان الأصلية ، على حسب مراتبهم وأهل الفضل العرضي في جنات الحظائر السبع يسكنها ثلاث طوائف وهم المؤمنون من الجن وأولاد الزنى إذا كانوا مؤمنين وما تناسل

منهم ، على سبعة أبطن والثامن يلحق بالمؤمنين الطاهرين في الجنان الثمان الأصلية .

والمجانين الذين لم يرشدوا في الدنيا وليس في أقاربهم وذريّاتهم من هو من أهل الشفاعة وأهل العدل الذاتي في النيران السبع الأصلية .

وأهل العدل العرضي في نيران الحظائر والضحضاح على حسب مراتبهم وجنان الحظائر السبع أسماؤها بأسماء أصولها ونيران الحظائر السبع تسمى بأسماء أصولها : ﴿ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾ ، أي يوم القيامة لاستيلاء العدل ، على جميع ذرات الكون ولارتفاع الأعراض والأغراض المدافعة لسرّ الخليفة التي ما كوّنت هيئتها إلا على هيئة فعل الله وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها وما بال المصنّف مع ما عنده من العلم وما يدّعيه يُثبت في خلق الله ، وفي ملكه أموراً اتفاقيّة لأنه إن أراد أنّ العباد تفعل أشياء تترتب عليها أسباب وموانع فصحيح ولكن لا يعبّر عن تلك الأفعال بالاتفاقات لأنها لو كانت الأفعال بالاتفاق لقلّ ترتب الأسباب عليها لعدم إيقاعها عن قصدٍ واختيارٍ ذاتيّين غالباً .

وإن أراد أنها واقعة من غير أفعالهم الاختيارية فأسوأ حالاً سواء فرضت من فعله ، أو من فعله بهم .

والحاصل التعبير بالاتفاقيات ليس بمستقيم ، لأنّ ما يكون بقضاء الله وقدره لا يكون اتفاقاً ، على أي نحو فرض ، وإن كان ما يقع اتفاقاً لا يكون إلّا بقضاء الله سبحانه وقدره .

في قول المصنف: **ومنها أنّ القيامة يوم الجمع ، لأنّ الأزمنة . .**

**قال : ( ومنها أنّ القيامة يوم الجمع ، لأنّ الأزمنة والحركات علة التغاير والتعاقب في الحدوث والقدم والأمكنة والجهات علة الحضور والغيبة في الوجود والعدم فإذا ارتفعنا في القيامة ارتفعت الحجب بين الموجودات فتجتمع الخلائق كلهم الأولون والآخرون فهي يوم الجمع لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾ ) .**

**أقول** : يريد أنّ يوم القيامة هو يوم الجمع ، وإنما اقتضى الحال اجتماع الخلق لكون الخلق بأجمعهم خلعوا المواد وكانوا مجرّدين نورانيين ، لأنّ التغاير المقتضي للافتراق والتعاقب المقتضي لعدم الاجتماع في رتبة الحدوث والقِدم إنما هما لعلّة الأزمنة والحركات ولو لم تكن في الدنيا أزمنة ، ولا حركات ، لم يقع بين الخلق تغاير ، ولا افتراق .

وأيضاً الأمكنة والجهات علة الحضور والغيبة في وجود الأشياء وعدمها فلولم تكن أمكنة لم يحضر موجود ، ولو لم تكن جهات لم يغب معدوم فإذا ارتفعت الأزمنة والمدد وحركات الأفلاك والأمكنة والجهات في القيامة ارتفعت الحجب بين الخلائق الموجبة للغيبة والموانع المقتضية للافتراق فتجتمع الخلائق كلهم الأولون والآخرون .

فالقيامة يوم الجمع ويريد أنّ المقتضي للاجتماع هو تجرّدهم ، وإنما سميت القيامة بيوم الجمع لانطلاق الخلائق من قيود الأزمنة والأمكنة .

**وأقول** : في كلامه هذا بالنسبة إلى كلامه غير هذا تدافع وتناقض ، ومع هذا معارض بالكتاب والسنّة والمذهب الحق وعقول الملّيين ، وذلك لأنّ مذهبه أنّ الزمان ظرف جميع الكائنات لم يتقدم عليه إلّا الباري عزّ وجلّ وأنه نهر يجري من تحت جَبَل الأزل كما نقله عن بعض العارفين في شرحه لأصول الكافي مرتضياً له .

وقد صرح في كتبه (**أن الزمان عبارة عن حركة الفلك**) ، فتعارض قوله (**بأن الزمان ظرف جميع الكائنات وأنه لا يسبقه إلّا الله تعالى**) ، وقوله : (**بأنه عبارة عن حركة الفلك إذ يلزم منه كون الفلك سابقاً ، على الزمان مع أنه من المكوّنات**) .

وقوله : (**هنا بارتفاع الأزمنة والحركات والأمكنة والجهات يوم القيامة مع أنّ في المحشورين الحيوانات كلها كما قال تعالى :** ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ ) ، ويقتصّ يوم القيامة للجمّاء من القرناء وكذلك تحشر الأزمنة والأمكنة والحركات والجهات كما دلّت عليه الروايات بصريحها والبقر والغنم والجماد وأمثالها لا تكون مجردات ، ولا تكون خارجة عن الزمان والمكان وإلا لكانت غير داخلة فيه قبل أنّ يخلق فإنّ كونها بعده في العود دليل على كونها قبله في البدء فتكون سابقةً عليه فلا يصدق قوله إنّ الزمان لم يتقدم عليه إلّا البارئ عزّ وجلّ .

وأيضاً كون الأزمنة والحركات من علّة التغاير والتعاقب مما لا إشكال فيه ، وإن كان غيرهما علة التغاير والتعاقب إذ لا تنحصر في الأزمنة والحركات بل منها الأزمنة والحركات ومنها غيرها بمعنى

أنّ علة التغاير مركّبة من الوقت والمكان والجهة والرتبة والكم والكيف والوضع والإذن والأجل والكتاب وإذا ارتفع شيء منها ارتفعت كلها فلا منافاة في ذكره للزمان خاصة ، وقد قال : إنها علّة للحدوث والقدم ونحن نقول كذلك ، وفي الدنيا ، وفي الآخرة ، فحيثما وجد الزمان وجد التغاير وحيثما ارتفع ارتفع كما قال المصنّف .

ويلزم حينئذٍ أنّ أهل الجنة ، والجنة وما فيها من النعيم لا يتغير ، ولا يتبدّل ، وإن كان من ضعف إلى قوة ، ومن بلًى إلى جدّة ، ومن تماميّة إلى كماليّة ، ومن كماليّة إلى أكملية .

والمعلوم من الكتاب والسنّة والمذهب والعقل خلاف ذلك فإنّ أهل الجنة دائماً يترقون في الدرجات ، وفي مراتب الكمال إلى غير النهاية وليس إلّا لوجود الأزمنة والأجسام التي لا تنفك عن الزمان والمكان والمواد والصور والجهات والرتب والأوضاع وما أشبه ذلك إذ لا تتقوّم الأجسام بدون ذلك في الدنيا والآخرة بل ولا المجردات من جميع ما ليس بمعبود بالحق ، وإن كانت هذه المشخّصات والمتممات للقوابل والمقوّمات للذوات مجردة بحسبها .

**وإنما قلت** : من جميع ما ليس بمعبود بالحق دفعاً لاحتمال اتّباع المصنّف القائلين بأنّ الأرواح القادسة ليست مما سوى الله تعالى ، وأنّ روح القدس لم تدخل تحت حيطة كن ، لأنّ الذي يشيرون إليه إن كان هو معبودهم فما أدري ما أقول لهم وأما أنا فأقول : ما يشيرون إليه فعباد مخلوقون مركّبون بنحو ما تركّب به سائر المخلوقات إلّا أنّ كل شيء فمؤلّف من نوع رتبته من الكون

والحاصل معنى تسمية يوم القيامة يوم الجمع لاجتماع جميع الخلائق فيه لأنه يوم الجزاء والتزييل في قوله تعالى : ﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ .

**وإن قيل** : إنّ المصنّف يفهم هذا ولكنه يريد بيان علّة اجتماعهم من باب الأسباب كما هو طريقة الحكماء فلا اعتراض عليه؟

**قلنا** : إذا أراد هذا المعنى فإن كان أراد بيانه بما ينقل عن غيره فلا اعتراض عليه ، وإنما الاعتراض على غيره .

وإن أراد أنّ بيان هذا النمط بالحق هو ما ذكره فالاعتراض متوجّه عليه بل بيان الحق في سبب اجتماعهم أنّ الموجب لذلك هو العدل ( **أي وضع كل شيء موضعه ورد كل شيء إلى جوهره والتزييل فيجمعهم ليأخذ حق بعضهم عن بعض الذي هو العلاقة بينهم فيتفرقون بعد قطعها وردّ كل شيء إلى جوهره وأصله فالجمع للفصل الذي هو ثمرة العدل** ) الذي قام نظام الأكوان ودارت عليه رحاه .

وبلحاظ نمط أدلّتهم فالموجب هو معنى قوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ ، وذلك ما قرّرنا في كتبنا ورسائلنا ومباحثاتنا أنه تعالى خلق رحمته ( **صورة العقل** ) وكانت رتبتها في أعلى الإمكان وخلق من ظل إنيّتها غضبه ( **صورة الجهل** ) وكانت رتبته في أسفل الإمكان قضاء لحكم التضاد فأقام كُلًّا منها بالآخر ، على نحو ما ذكرنا في الكسر والانكسار فخلص أعلى الخيرات أي أقربها ( **فخلق منه محمد وآل محمد عليهم السلام** ) من المبدأ .

وأسفل الشرور أي أبعدها ( **فخلق منه أئمة الجور** ) منه وظهرت

آثار الاختلاط ( **فالشيعتان مختلطتان بينهم لطخ وخلط ويجب أن يخلصوا** ) مما بينهما فخلق من كل واحدٍ ( **من النور والظلمة في عالم النفوس والذر الأول فقال لقوم إلى الجنة ، ولا أبالي ولقوم إلى النار ، ولا أبالي** ) أهله فلمّا أمر النور امتثل ولما أمر الظلمة لم يمتثل فاجتمعا ( **في عالم الطبيعة** ) قبل التكليف كما قال تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ ، في الخلق الثاني ( **في عالم المثال** ) عندما قال لهم : ( **ألست بربكم** ) ، فأخذوا في التزييل ( **في المثال** ) والتفريق بعد الاجتماع ( **في الطبع** ) المسبوق بالتفريق ( **في النفس** ) ويتم التفريق يوم القيامة ( **إذا عادوا إلى النفوس كما بدوا** ) لأخذ حقوق ( **لطخ كل من كل** ) كل من كل وبكلٍّ يعني حتى حق الفضيحة وحتى يعلم كل أحد بأنّ الله سبحانه العدل لا يجور والحكيم الذي لا يلهو والمتسلّط الذي إليه ترجع الأمور .

وأكثر الخلق لا يعرفون من معنى هذا الكلام إلّا العبارة ، أو مفهومها ، ولا يعلم الجاهل والغافل بذلك كعلم العارف الذاكر العاقل إلّا يوم القيامة ، ولا يتم ذلك كله على كمال ما ينبغي إلّا بجمع جميع الخلق في صعيد واحدٍ ليشاهد كلُّ أحد كلَّ أحدٍ ، وهذا الذي أومأتُ إليه من الحقوق التي يتعلّق بها العدل ، ومعنى ما أردت مجملاً أنهم خلقوا من حقائق ( **في النفوس** ) متباينة ثم جمعوا ( **في الطبع** ) لما يُراد منهم ( **من الابتلاء والاختبار وظهور الاختيار** ) هذا في البدء .

وجمعهم لما يراد منهم حين قال لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ، لأنّ ذلك مما تعمّ به البلوى فيجب الاجتماع وتنتهي ثمرة الاجتماع

**( التي هي الاختبار وظهور الاختيار )** في يوم القيامة **( بعد انقطاع الطبائع )** لأنه مسامت مشهد : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ، في العود **( وهو مشهد النفوس التي هي حقائق المثال والدنيا )** فافهم .

ثم يتفرّقون **( إلى الجنة والنار )** ، ولا يجتمعون أبداً **( لأنهم لا يعودون إلى موادهم الأولية بل إلى الشرعية )** يعني لا يجتمع من كان من النور بمن كان من الظلمة أبداً ولو كان علّة الاجتماع ما ذكره المصنّف لما حصل افتراق أبداً لأنهم بعد القيامة ترتفع عنه تلك الحجب والموانع أشد من ارتفاعها يوم القيامة مع أنهم فريق في الجنة وفريق في السعير .

فإن قيل أهل الجنة لا يفترقون وأهل السعير لا يفترقون .

**قلنا** : فرفع الموانع إنما يقتضي جمع أحد الفريقين لا الجميع مع أنه جعله علة للجميع .

في قول المصنف : **ومنها أنها يوم الفصل ، لأنّ الدنيا دار اشتباه . .**

**قال : ( ومنها أنها يوم الفصل ، لأنّ الدنيا دار اشتباه ومغالطة تشابك فيها الحق والباطل والخير والشر يتعانق فيها الخصمان يتمازج فيها المتقابلان والآخرة دار الفصل والتمييز والافتراق فيتفرّق المختلفان ويتميّز المتشابهان لقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ . وقوله : ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ الآية . وقوله : ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ ، ولا منافاة بين هذا**

**الفصل وذلك الجمع بل يقرره ويوجبه كما قال : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴾ )** .

**أقول** : من لوازم القيامة أنها يوم الفصل ، وهو مقتضى قيام العدل لما قلنا سابقاً قبل هذه إنّ الخلائق إنما جمعهم التكليف لما بينهم من المشابهة **(أي لما ماتوا من عالم النفوس ودفنوا في أرض الطبائع ونبت نبات المواد وقع المشابهة وهي علة الجمع في التكليف والحشر )** ، وهو قولي وظهرت آثار الاختلاط مما بينهما ولهذا يميل كل شيء إلى شكله ونوعه فيتوافقان ويحصل بينهما تنافٍ فيختلفان فيحصل من ذلك مع التكليف **(أي التكليف الجامع هو المفرق بينهم لأنه الفرقان )** الجامع لهما إحسان وعدوان وإعطاء وحرمان وتصديق وتكذيب واعتراف وإنكار وطاعة وعصيان ، فيحصل من التوافق والتفارق الطبيعيين مع التكليف الجامع جميع الصفات المتضادة .

ولما كان علة إيجادهم وتكليفهم الرحمة الواسعة الجامعة للفصل والعدل اقتضى ذلك الفصل بينهم بعد جمعهم **(أي الرحمة الواسعة تجمعهم والفصل والعدل تفرق بينهم )** فيما كانوا فيه يختلفون : ﴿ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ، ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴾ ، وليعرفوا الخلائق أجمعون أنّ الله سبحانه هو الحق المبين العدل الحكيم وأنه كما وصف نفسه في كتابه المجيد فإنه لايعرف ذلك في الدنيا إلّا من هو أعز من الكبريت الأحمر وأقل من الغراب الأعصم .

وأمّا سائر الخلائق فلا يعرفون ذلك إلّا يوم القيامة و**( عطف على قوله أنّ الله وأنه )** إنما خلق الخلق على وصف معرفته

فانقسموا بما أشرنا إليه من الاتفاق والافتراق الطبيعيَيْن إلى المعرفة والإنكار ، وإلى ما بين ذلك من المراتب .

والمصنّف أشار إلى ذلك فقال : لأنّ الدنيا دار اشتباه وذلك لما أشرنا إليه سابقاً أنّ النفس الحيوانية الحسية الفلكية التي شأنها الغشم والظلم والغضب والشهوة وما أشبه هذا من الصفات الذميمة يكون وجودها وولادتها الجسمانية عند تمام الأربعة الأشهر من حين وقوع النطفة في الرحم وعند الولادة الدنيوية توجد النفس الناطقة ، وقد تمكّنت الحيوانية من القوى والآلات الجسمانية وسرت فيها بشؤونها وصفاتها الذميمة .

والنفس الناطقة عند ولادتها غريبة لم يأتها المربي لها المؤيد لما تقتضيه ، وهو العقل إلّا بعد أن تصرّفت الحيوانية في سائر القوى واستعبدتها ، ثم أتى العقل إلى بلد قد خرّبها الظالمون وتعبّد أهلها الفاسقون فوجد النفس الناطقة : ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ، فشرع مع ضعفه وقلّة ناصريه في تأييدها والإنسان الذي هو تلك القرية حصل له داعيان متعارضان في كل فعل وميل .

**أحدهما** : آمر .

**والآخر** : ناه فأرسل الملك الحكيم عزّ وجلّ إلى أهل هذه القرية رسولاً من عنده قوياً لا يشتبه عليه الداعيان ( **صلى الله على محمد وآله الطاهرين** ) ، ليبيّن لهم ما يريد الله سبحانه ويحب ما يكرهه ، ولا يريده ، فمن اتّبع رسول الله صلى الله عليه وآله اهتدى ولم تشتبه عليه الأمور فكانت الدنيا دار اشتباه لتعارض الداعيَيْنْ من نفس المكلّف إذا مالت إلى شيء لا يدري ما مراد الله تعالى من فعله ، أو تركه ، ودار مغالطة ، لأنّ النفس الأمّارة تحسّن له

مطلوبها من المعاصي والعقل يحسّن له مطلوبه من الطاعات ، وقد اجتمعا في بيت واحدٍ ، وهو القلب الصنوبري وله أذنان أذن عن يمينه عليها ملك مؤيد يوحي إلى العقل أن يبادر إلى طاعة الله سبحانه وتحت ذلك الملك جنود من الملائكة بعد ميولات الوجود وعدد بواعث وزيره العقل يعينون الملك على وحيه ويدفعون الشياطين عن المنع من حصول مطلوبه .

وأذن عن يساره عليها شيطان مقيَّض يوحي إلى النفس الأمّارة أنّ تبادر إلى معصية الله سبحانه قبل أن يستولي العقل على المتعلّق بفتح اللام المشددة .

وتحت ذلك الشيطان جنود من الشياطين بعدد جنود الملك المؤيّد وعدد ميولات الماهيّة وعدد بواعث وزيرها النفس الأمّارة يعينون الشيطان على منعه من فعل الطاعة ويدفعون الملائكة من حصول مطلوبهم ، فالملائكة يزيّنون للشخص فعل الطاعات ويرغّبونه فيه بتذكير ثواب الله تعالى والجنة ويكرّهونه فعل المعاصي ويخوّفونه بتذكير النار وسخط الله على العاصين ، والشياطين يزيّنون للشخص فعل المعاصي وأنها لذّة عاجلة قطعية ، ولا مانع منها ، وأنّ ما ذُكر من العقوبة لا أصل له ولو فرض ثبوته فبعضهم يقولون له من له طالع ينال به شهوته ، وإن كان بعثٌ ورجوعٌ إلى الحياة ، فالطالع الأول موجود .

وبعضٌ يقول لبعض لو فرض ذلك فتُب عن المعصية .

وبعضٌ يقول لبعض لذّات الدنيا يقين ولذّات الآخرة شك واليقين خير من الشك .

وبعضٌ يقول لذّات الدنيا نقد ولذّات الآخرة نسيئة والنقد خير من النسيئة وأمثال ذلك .

والحاصل لما اشتبه الميّلان وتشابه الداعيان وتشابك الخير والشر والحق والباطل لأجل اختبار المكلّفين كما قال تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ، وغير ذلك من الآيات .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : ( **لَتُبَلْبَلُنَّ بلبلةً وَلتغربَلُنّ غربلةً ولَتُساطُنّ سوط القِدْر حتى يعود أعلاكم أسفلكم وأسفلكم أعلاكم وليسبِقُن سبّاقون كانوا قصّروا وليقصّرُنّ مقصّرون كانوا سبقوا** ) انتهى ، خفي العدل الذي وصف تعالى به نفسه وخلقهم عليه فبيّن عزّ وجلّ لهم ما وصف به نفسه حتى لا يشك أحد من الخلق في شيء مما ذكره في كتابه كما أشار إليه في قوله : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴾ ، لأنه تعالى إنما خلقهم ليعرفوه فعرّفهم نفسه وما وصف به نفسه بفعله في قوله لئلا يقولوا : ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ ﴾ ما شاهدوا فعله في قوله ، وإنما سمعوا قوله أحب الله أن يريهم فعله في قوله : ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ ، فبلغت حجته وتمت كلمته : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فيجمعهم ويفصل بينهم بالحق : ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ ، ويحق الحق ويبطل الباطل ويتفرقون حينئذ فريق في الجنة وفريق في السعير ، وهو قوله : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ .

**وقوله : ( ولا منافاة بين هذا الفصل وذلك الجمع بل يقرره**

**ويوجبه كما قال :** ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ) ، فيه أنه إن أراد بهذا الفصل خصوص الحكم لا غير فكما قال ، وإن أراد به التفريق فينافيه الجمع ، على ما علّله كما ذكرنا مما يلزمه فراجع .

في قول المصنف : **ومنها أنّ المتخلّصين عن البرازخ والقبور . .**

**قال : ( ومنها أنّ المتخلّصين عن البرازخ والقبور يتوجهون عند قيام الساعة إلى الحضرة الإلهية بلا تراخ وانتظار كما لغيرهم من المقيّدين بالدنيا المأسورين بأسر التعلقات كما قال :** ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ . **أقول : من جملة أحوال القيامة أنّ الذين تخلصوا عن قيود البرازخ كالنفوس والأرواح قبل النفخ في الصور نفخة الصعق بهذه النفخة كما قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى :** ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ ، **ما معناه :** ( **تبقى الأرواح ساهرة لا تنام . . .** ) انتهى ، وعن مضيق المخازن والقبور كالأرواح والنفوس عند النفخة الثانية نفخة الفزع وكالأجساد يتوجهون عند قيام الساعة إلى الحضرة الإلهية بلا تراخٍ وانتظار لا كما يكون من التراخي والانتظار لغيرهم من المقيدين بالدنيا المأسورين المقّيدين بأسر التعلقات وقيدها ، بل المتخلّصون سيرهم حثيث مسرعون مهطعون إلى داعي الحق سبحانه كما قال سبحانه : ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ ، أي يُسرعون .

**أقول :** واعلم أنّ مدة القيامة كيوم من الأيام الثلاثة يوم الدنيا ويوم الرجعة ويوم القيامة والناس في الأيام الثلاثة كلهم يسيرون

إلى الله تعالى سيراً حثيثاً وليس سيرهم بعد النفخة الثانية مغايراً لسيرهم قبل ذلك والعارفون الذين علّمهم الله أسرار الخليقة ، أو بعضها يشاهدون ذلك نعم هم فيما يرون من أنفسهم يرون أنّ أهل الدنيا مقيمون وأهل الآخرة يسيرون إلى الله سبحانه .

وأمّا انطلاق أهل الآخرة من قيد التعلُّقات فلا يتم إلّا بعد الفصل بينهم وإلّا فقبله أشدّ تعلقاً وأعظم اختلاطاً ، لأنّ أغلب التعلقات في الدنيا معنوي بخلاف الآخرة فإنّ التعلقات حسيّة وكثير منها لا يعتبرونه في الدنيا .

وأمّا في الآخرة فقد قال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ ، وكل هذا مما يمنع من سرعة السير ولهذا كان مقداره خمسين ألف سنة لكن الظاهر مع المصنّف .

في قول المصنف : **ومنها أنّ الموت لكونه عبارة عن هلاك الحيوان . .**

**قال : ( ومنها أنّ الموت لكونه عبارة عن هلاك الحيوان بواحد من طرفي التضاد يقام بين الجنة والنار في صورة كبش أملح ويذبح بشفرة يحيى عليه السلام ، وهو صورة الحياة بأمر جبرائيل عليه السلام مبدأ الأرواح ومحيي الأشباح بإذن الله لتظهر حقيقة البقاء والسرمد بموت الموت وحياة الحياة ) .**

**أقول** : إن الموت هو خروج الروح من البدن إما بقتل أو موت ،

فأما القتل ففيه خلاف هل هو عند انفضاء العمر المكتوب بحيث لو ترك ولم يُقتل مات .

**وقيل** : لا يموت .

واختلف هؤلاء في قدر ما يبقى لو لم يقتل على أقوال لعدم عثورهم على نصٍّ يدل على شيء ، والنص موجود يذكرونه في الكتب ويقرؤونه ، ولا يفهمون معناه ، وهو أنه يبقى سنتين ونصفاً .

وأمّا الموت فقسمان مسمّى ومقضي .

فالمسمّى لا يزيد ، ولا ينقص .

والمَقضي يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي وليس هذا مكان بيان ذلك واعلم أنّ كثيراً من العلماء ذهبوا إلى أنّ الموت أمر اعتباري عدمي ليس بموجود لأنه عدم الحياة مما من شأنه الحياة .

والحق أنّ الموت شيء موجود مخلوق كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ ﴾ .

**وقوله** : ( **بواحد من طرفي التضاد** ) ، كأن تزيد حرارة الشخص على برودته فتحرقها ، أو برودته على حرارته فتطفئها ، أو رطوبته على يبوسته فتذيبها ، أو يبوسته على رطوبته فتجففها ، لأنه ما دامت الطبائع معتدلة ، أو قريبة الاعتدال فهو صحيح فإذا زادت واحدة على ضدها ولم تذهب ضدها تمرض الشخص فإن أذهبته هلك وليس مراده أنّ الهلاك يكون من واحدةٍ لا غير بل مراده أعم ، وهو كذلك .

**وقوله** : ( **يقام بين الجنة والنار ، إلخ** ) ، يعني أنه إذا دخل أهل

الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، أقيم الموت بين الجنة والنار في صورة كبش أملح بحيث يشاهد أهل الجنة وأهل النار ويعرفونه أنه الموت فيذبح بين الجنة والنار وينادي منادٍ يا أهل الجنة خلود ، ولا موت ، يا أهل النار خلود ، ولا موت ، فعند ذلك تشتد الحسرة على أهل النار .

أما أنه بصورة كبش فكناية عن ذلّته وحقارته في جانب قدرة القادر عزّ وجلّ .

وأمّا أنه أملح فلأن هذا اللّون مركّب من بياض وسواد ممتزجين فهو في حق المؤمن نور ، وفي حق الكافر ظلمة .

ولمّا كان ذلك ، أعني النور والظلمة كذلك ، وكان فعله كذلك ، ولم يكن في إحدى جهتَيْه مستمراً حتى يفرغ منها بل هنا وهنا اقتضى امتزاج طبعَيْه وفعليه اختلاط لونَيْه فكان أملح .

**وقوله : ( ويذبح بشفرة يحيى عليه السلام )** ، لم يحضرني كون الذبح بسكّين النّبي يحيى (**على محمد وآله وعليه السلام**) ، من طرقنا ولعلّه من طرق العامة .

وعلى فرضه فمعناه كما ذكره المصنّف من أنّ كون ذبح الموت بشفرة يحيى عليه السلام إشارة على ظهور الحياة يوم القيامة في كل شيء كما قال عزّ من قائل ، ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ أي لا موت فيها ، لأنّ الموت إنما يكون في مراتب الأعراض المتبدلة المتغيرة لفائدة عدم البقاء فيها كما في الدنيا ، وأما الآخرة فهي لما كانت إنما خلقت للبقاء كانت أعراضها صافية لا تتغير إلّا في

مراتب الترقي والشدة والقوة والجدّة والصفاء والحسن فإنها لا تزال في الترقّي فتبدّلها وتغيّرها إلى جهة العلو والكمال بلا نهاية .

**وقوله** : ( **بأمر جبريل عليه السلام** ) ، يعني أنه إنما قيل بشفرة يحيى عليه السلام لأنه كناية عن صورة الحياة وذلك بأمر جبريل عليه السلام لأنه موكل بذلك ولذا قال : ( **مبدأ الأرواح ومحيي الأشباح** ) ، ولكن الأمر أخص مما قال ، لأنّ جبريل عليه السلام هو الموكّل بالخلق والتصوير .

وأمّا الأرواح والحياة فموكّل بها إسرافيل عليه السلام لأنه صاحب الشاخص الذي ينبّه بالنفخة صرعة رهائن القبور كما قال سيد الساجدين عليه السلام .

ولكن بعض العارفين قال : إن كل واحدٍ من الملائكة الأربعة يعينه ملكان منهم كل واحدٍ بنصف قوته ، فجبرئيل يعينه إسرافيل بنصف قوته ، وعزرائيل بنصف قوته ، وإسرافيل يعينه جبرائيل بنصف قوته ، وميكائيل بنصف قوته ، وميكائيل يعينه إسرافيل بنصف قوته ، وعزرائيل بنصف قوته ، وعزرائيل يعينه ميكائيل بنصف قوته ، وجبرئيل بنصف قوته ، فعلى هذا يتجه قول المصنّف وجبريل مصوّر الأشباح .

وإنما ينفخ فيها الحياة بما أعانه به إسرافيل ، لأنّ إسرافيل هو المتلقي من النفس الكلية أعني اللوح المحفوظ .

وذبح الموت بسكين يحيى عليه السلام ليظهر للناس حكم السرمد والبقاء بذبح الموت وعدمه وحياة الحياة ووجودها .

في قول المصنف: **ومنها أنّ الجحيم تحضر في العرصات . .**

**قال : ( ومنها أنّ الجحيم تحضر في العرصات على صورة بعير لأجل حقده ليتذكر الإنسان صفاته الذميمة الباعثة للعقاب كما في قوله : ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ ، وهي بارزة في ذلك اليوم لقوله : ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ ، فيطّلع الخلائق من هول مشاهدتها على فنائهم وعذابهم فيفزعون إلى الله من شرها لولا أن حبسها الله برحمته لشردت شردة احترقت بها السماوات والأرض ) .**

**أقول** : من أحوال القيامة أنّ جهنّم يؤتى بها يوم القيامة تحضر في العرصات أي عرصات القيامة ، على صورة بعير لأجل أنّ طبع البعير الحقد بكسر الحاء لإضمارها لشدة الانتقام ، نعوذ بها من سخط الله والنار .

وأيضاً هذا الحديث بهذا الوضع مما رووه ما معناه أنّ النّبي صلى الله عليه وآله كان قاعداً مع أصحابه إذ عرض له حال شديدة فقيل : يا علي أدرك ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وآله .

فأتى علي عليه السلام وسند ظهره بصدره وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما الذي حدث؟

**فقال صلى الله عليه وآله : ( نزل جبرائيل عليه السلام عليَّ بهذه الآية : ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ ﴾ . فقال علي عليه السلام : يا رسول الله وكيف يُجاء بها؟ قال صلى الله عليه وآله : يؤتى بها تقاد بسبعين**

**ألف زمام في كل زمام سبعون ألف حلقة كل حلقة يمسكه ألف ملك فتشردُ شردةً فتخِرّ جميع الخلائق على وجوههم فأعترضها فتقول : ما لي ولك يا محمد ، وقد حرم الله جسدك عليّ فأمسكها للملائكة ولولا أني أمسكتها لأحرقت أهل الجمع )** انتهى .

ومن طرقنا ما رواه القمي قال : حدثني أبي عن عمرو بن عثمان عن جابر بن أبي جعفر عليه السلام قال : (**لما نزلت هذه الآية ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ ، سئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ذلك أخبرني الروح الأمين أنّ الله لا إله إلّا هو إذا برز الخلائق وجمع الأولين والآخرين أُتيَ بجهنم تُقاد بألف زمام أخذ بكل زمام مئة ألف ملك تقودها من الغلاظ الشداد لها هدّة وغضب وزفير وشهيق وإنها لتزفر الزفرة فلولا أنّ الله أخّرهم للحساب أهلكت الجميع . ثم يخرج منه عنق فتحيط بالخلائق بالبر منهم والفاجر فما خلق الله عبداً من عباد الله ملكاً ، أو نبياً إلّا ينادي ربِّ ، نفسي نفسي وأنت يا نبي الله تنادي أمتي أمتي ثم يوضع عليها الصراط . . .** ) ، حديث .

وقوله (**ليتذكر الإنسان صفاته الذميمة** ) ، يعني إذا رأى النار ندم على ما فعل في الدنيا من إفراط وتفريط يقول : ﴿ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ وهي بارزة في ذلك اليوم محسوسة ظاهرة لكل أحد والآن في الدنيا كامنة كما روي عنهم عليهم السلام : (**أنها الآن فيهم وغدا هم فيها** ) ، وهو قوله تعالى : ﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴾ .

**وقوله تعالى** : ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ ، فإذا برزت غدا كما قال تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾ ، اطلع

الخلائق من هول رؤيتها على فنائهم وهلاكهم وعذابهم فيفزعون إلى الله من شرّها وهي محيطة بهم لا يظن أحد منهم نجاة ، ولا ملجأ ، ولا مفزع إلّا إلى الله سبحانه ، ولولا أنّ الله تعالى بلطفه بعباده حبسها برحمته وقيّدها بقيد لطفه لشردت شردةً من الملائكة الموكلين بها احترقت بها السماوات والأرض ، ومن فيهن أجِرْنا من النار بعفوك يا مجير .

## في قول المصنف : **قاعدة في العرض والحساب وأخذ الكتب . .**

**قال : ( قاعدة في العرض والحساب وأخذ الكتب ووضع الموازين : أما العرض فهو مثل عرض الجيش ليعرف أعمالهم في الموقف ، وقد علمت صحة اجتماع الخلائق كلهم على ساهرة واحدةٍ فيعرف المجرمون بسيماهم كما تعرف الأجناد هاهنا ، وقد ورد أنّ النّبي صلى الله عليه وآله سئل عن قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ ، فقال : ( ذلك هو العرض ) ، ( فإن من نوقش في الحساب عُذِّب ) . وأمّا الحساب فهو عبارة عن جمع تفاريق الأعداد والمقادير ليعرف فذلكتها ومبلغها ، وفي قدرة الله تعالى أن يكشف في لحظة واحدةٍ للخلائق حاصل متفرقات أعمالهم وجمع نتائج أعداد حسناتهم وسيئاتهم وأثر كل دقيق وجليل من أفعالهم ونياتهم ، وهو أسرع الحاسبين ) .**

**أقول** : المراد بعرض الخلائق إيقافهم بين يدي ولي الله على خلقه : ﴿ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ، كما دلّت عليه أحاديثهم

وأدعيتهم مثل ما في الزيارة الجامعة الكبيرة : ( **وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم وفصل الخطاب عندكم** ) ، وهو معرفة لغات الخلائق ، ومن ذلك ما في الكافي عن الكاظم عليه السلام : ( **إلينا إياب الخلق وعلينا حسابهم فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله عزّ وجلّ حتمنا ، على الله في تركه لنا فأجابنا إلى ذلك . وما كان بينهم وبين الناس استوهبناه منهم وأجابوا إلى ذلك وعوّضهم الله عزّ وجلّ** ) انتهى .

وفائدة العرض لتعرف أعمالهم ظاهرة على رؤوس الأشهاد بعد اجتماع جميع الخلائق بالساهرة وهي الأرض البيضاء المستوية التي ليس فيها نبات ، ولا بناء فيعرف المجرمون بسيماهم أي بأمثالهم في أعمالهم ، مثلاً إذا سرق زيد من دكان عمرو رمانة كتبت الملائكة الحفظة مثاله في صورة عمله ، فإذا جاء يوم القيامة جاء لابساً ذلك المثال بعمله فكما أنك الآن ما دمت حيّاً ، كلما التفتّ بخيالك إلى ذلك رأيت صورة مثاله يسرق الرمانة ، كذلك إذا جاء يوم القيامة جاء لابساً ذلك المثال بما هو فاعل فتراه الخلائق مادّاً في دكان عمرو آخذاً لتلك الرمانة في ذلك الوقت الذي أخذها فيه في دار الدنيا وهكذا جميع الأعمال ، وعلى هذا قياس شهادة الجوارح .

والمؤمنون يُعرفون بسيماهم بما ألبسوا من أمثالهم الحسنّة بما هم فاعلون من الخيرات ، على حدِّ ما ذكرنا في المجرمين لظهور كل عامل بعمله والاعتقادات الصحيحة والنيّات الصالحة والاعتقادات الباطلة والنيات الطالحة تظهر أعمالاً ظاهرة محسوسة لأهل الجمع إذ يوم القيامة تبلى السرائر وتُبدَى الضمائر .

وأمّا الحساب فهو في اللّغة عبارة عن جمع متفرقات الأعداد والمقادير الممسوحات والمذروعات والموزونات والمكيلات .

والمراد به هنا ضبط الأعمال بأعدادها ومقاديرها في كمِّها وكيفها ومعرفة نهاياتها ويوم المجازاة عنها ، أو بها وبما تساويه في نحو القيامة ومدة بقائها وصحتها وفسادها واختلافها ومعرفةُ رَتب أرواحها من النيات والمقاصد والمرادات وبيان من أُريد بها وأمكنتها من الأكوان وأوقاتها وأمثال ذلك لتتميز فَذْلَكَتُها أي نهايتها في جهة ما طُلب منها ومبلغها من رتب الوجود ، على وجه لا يكون فيه خفاء ، أو يجوز عليه خفاء بحيث يتعلق به متعلل ، أو متعذر بل صحو قائم وعدل دائم .

**وقوله : ( وفي قدرة الله تعالى أن يكشف في لحظة واحدةٍ للخلائق حاصل متفرقات أعمالهم ، إلى آخره )** ، صحيح لأنه على كل شيء قدير إلّا أنه لا يفعل ذلك لأنه منافٍ للحكمة إذ مقتضى الحكمة أن تجري الأشياء على مقتضى أسبابها ، وهو تعالى حافظ لها ولأسبابها بقيوميته ويعطى أسبابها آثارها التي اقتضتها فلذا خلق ما خلق في الدنيا ، على مقتضى الأسباب والقوابل ليبيّن لخلقه ليعرفوه ويطيعوه فيستحقون الدرجات العالية من ثوابه ورضوانه وأخبر في كتاب المجيد أنّ سنّته لا تتبدّل ، ولا تتحوّل وجعل ما فعل في الدنيا دليلاً ومثالاً لمن أراد أن يعرفه ويعرف سنّته في عباده فقال : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ، فتستدلّون بها على النشأة الأخرى .

**وقوله : ( وجمع نتائج أعداد حسناتهم وسيئاتهم )** ، الأنسب في العبارة أن يقول وجمع نتائج حسناتهم وسيئاتهم ، لأنّ خصوص

الأعداد ليس فيها نتائج معتدّ لها ، وإن أمكن توجيهه مع قلة الفائدة .

**وقوله : ( وأثر كل دقيق وجليل من أفعالهم ونيّاتهم )** ، ربما اعترض بعض على هذا فقال الآثار المترتبة على الأعمال لا على النيات ، وإن كانت لا تترتب على الأعمال إلّا بالنيات ، لأنّ أفعال القلوب لا شيئية لها إلّا بأعمال الجوارح .

فأجيب بأنّ المراد بالنيّات الاعتقادات لأنها هي التي تترتب عليها المجازاة بالثواب والعقاب وعورض بما صحّ من أنّ نيّة فعل الحسنّة تكتب حسنة .

وأجيب بأنه لو كان المراد من النيات نيات الأعمال لما صحّ في نيّة فعل المعصية ، لما صح من أنها لا تكتب حتى يعملها فإذا عملها كتبت سيئةً واحدةً .

والحق أنّ كل نية فلها أثر كما أطلقه المصنّف .

أما نيّة الاعتقادات فظاهر لأنها هي أعمال القلوب .

وأمّا نيّة الحسنّة فلأن الآلات والأسباب وجميع ما يتوقف عليه العمل من تخلية السرب والصحة التي بها يكون العبد متحركاً مستطيعاً للفعل والدواعي وما أشبه ذلك كلها إنما خلقت للطاعة فتكون متأصلة فيها ، فإذا انبعثت النيّة من القلب بميل الفؤاد مرّت على مراتبها التسع : القلب والنفس والتعقل والعلم والوهم والوجود الثاني والخيال والفكر والحياة وهي متفرقة التأثير فلذا تحسب بحسنة واحدة ، لأنّ كل واحدةٍ ناظرة إلى عمل الجوارح على الانفراد ، فإذا عملت الجوارح كتبت عشراً لتعلق كل واحدةٍ

من التسع بعمل الجسد فإذا عمل كتب كل تعلق منها حسنة وعمل الجوارح حسنة .

وأمّا نية المعصية فلأنها لا تنبعث من القلب ، وإنما تنبعث من النفس الأمّارة وتمر على المراتب التي لم تخلق لها ، وإنما خلقت للطاعة فلا قرار لها بدون العمل واستقراره فتمر من النفس والعلم والوهم والخيال والفكر والحياة فهي ناظرة إلى عمل الجوارح لكنها مع تفرقها من كون كل واحدةٍ نظرها إلى عمل الجوارح على حدة غير متأصلة فيها ، فقبل عمل الجوارح لم يكن لها ثبوت ، ولا استقرار لأنها مجتثة فإذا عملت الجوارح تلك المعصية كانت واحدة إذا قرّت ، لأنّ قرار تلك الستة لا يتحقق لها تعلّق قبل فعل الجوارح لعرضيتها . فإذا عملت الجوارح انتظر سبع ساعات فإنّ تاب لم تكتب ، وإن مضت سبع ساعات ولم يتب كتبت سيئة ، لأنّ الجوارح إذا عملت ومضت ساعة قرّت في الحياة عرضيتها ، وفي الساعة الثانية تقر في الفكر ، وفي الثالثة في الخيال ، وفي الرابعة في الوهم ، وفي الخامسة في العلم ، وفي السادسة في النفس وذلك بعد ساعة الجوارح فهذه سبع ساعات تستقر بعدها سيئة واحدة .

وإن تاب مرّ ماءَ التوبة الذاتية على تلك العرضيات فغسلها فلا يحدث من نيّة المعصية البدنية أثر ، نعم يحدث منها إذا تكررت آثار عرضية إذا تراكمت ولم يرد عليها ما ينافيها حدثت عنها بواعث وشياطين مقيضين يزينون المعاصي ويصدون عن سبيل الله الذي أمر بسلوكه كما قال عيسى ابن مريم **( على محمد وآله عليه السلام )** ، **للحواريين ما معناه : إياكم والزنى . قالوا : يا روح الله إنا نُهمُّ**

**به . فقال : ما أريد أنكم لا تهمون به ولكن أريد أنكم لا تجروه على خواطركم فإنّ البيوت التي توقد تحتها النار تسودّ سقوفها فكذلك هذا ) .**

وكما نقل عن بعضهم : ( **أنه ما من خطوة ترد على قلب بشر إلّا هي مادة لملَكٍ ، أو شيطان** ) انتهى .

فميولات النفوس الأمّارة والحيوانية الفلكية والتفاتاتها إذا تكررت حدثت عنها بواعث ودواعٍ شيطانية ، أو حيوانية ، أو سبعية .

والحاصل أنّ مدة حساب الخلائق خمسون ألف سنة من سني الدنيا ولكنه حساب شخص واحدٍ فيفرغ حساب جميع الخلائق بفراغ حساب واحدٍ منهم إما لأنّ كل وجه من كتاب الله الناطق ووليّه الصادق عليه السلام يختص بشخص واحدٍ من الخلق فإذا فرغ من حسابه فرغت الوجوه .

وإما لِطَي الزمان بالقدرة العامة .

وإما لأنّ طول المدة كناية عن عظم الشدة .

وإما ، لأنّ الوجوه المذكورة عبارة عن التعلقات والوجه الواحد كما أشار إليه الحق تعالى في قوله الحق : ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ، وذلك بأمره الواسع : ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ ، فمدة الحساب كلمح البصر ، وهو أسرع الحاسبين .

في قول المصنف : **وأما طول مدة الحساب ومكثهم في العذاب . .**

**قال : ( وأما طول مدة الحساب ومكثهم في العذاب فلأجل قصور ذواتهم عن سرعة التفطن بجمع متفرقاتهم والوصول إلى حاصل حسابهم . وأمّا أخذ الكتب فقد علمت أنّ كتب النفوس وصحائف القلوب بعضها علوية وبعضها يمينية وبعضها شمالية :** ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ ، **لأنه المؤمن السعيد الذي قلبه منوّر بنور الإيمان مطهّر عن خبث الباطن وذَحَل السريرة ، ولا حساب له مع أحد من الخلق ، ولا شاغل لذمته عن التوجه إلى عالم القدس ولذلك قال :** ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ ، **لأنه كان عارفاً بالآخرة وبالحشر والجزاء عالماً بأنه يلاقي حسابه وكتابه إذ الظن هنا بمعنى الجزم واليقين :** ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ ، **وذلك لكثرة اشتغاله بالدنيا ولذّاتها وتلهّيه عن الآخرة وسرورها وخيراتها :** ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ . **أما دعوة الثبور فلتعلق نفسه بالأمور الهالكة الفانية . وأمّا صلي السعير فلكون كتاب الفجار المنافقين من جنس الأوراق المسودة الباطلة القابلة للنسخ والتبديل والتغيير اللائقة للاحتراق بنار السعير ) .**

**أقول** : أما طول مدة الحساب ومكثهم في العذاب قدر خمسين ألف سنّة فقد ذكرنا بعض الوجوه كالمتقدمة والمصنّف قال : إن

ذلك ليس لطول المدة في نفس الأمر ، وإنما كان الطول على أهل المحشر لأجل قصور ذواتهم عن سرعة التفطن بجمع متفرقات أعمالهم وأحوالهم وذواتهم وبالوصول إلى حاصل حسابهم لما هم فيه من الشدة .

ويحتمل أن يكون المراد بالواحدة في قوله : ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ ﴾ ، الواحدة الدهرية أوالسرمدية فإنه تعالى إنما قال : ﴿ كُن ﴾ ، فكان كل شيء بها مما كان ومما يكون إلى يوم القيامة وبعد القيامة بلا نهاية فهذه الكلمة الواحدة مع وحدتها ممتدة بلا أول لها في الإمكان ، ولا آخر كذلك ، على أنّا قد أشرنا في ما سبق أنّ يوم القيامة في القوس الصعودي مقابل ليوم التكليف الأول في عالم الذر في القوس النزولي ، وهو أيضاً خمسون ألف سنة .

ويوم القيامة يوم جزاء ذلك التكليف ، وهو خمسون ألف سنة فكما أنّ يوم التكليف بكلمةٍ واحدةٍ وهي : ( **ألست بربكم؟ قالوا : بلى** ) ، مع أنه أخذهم من أصلاب آبائهم كما في الدنيا بالتناكح ، ومن بطون أمهاتهم بالتوالد ، على التدريج ، وكل من حضر كلّف والتكليف ممتد بالكلمة الممتدة مثل نور الشمس لما طلعت استنار بها الجدار والموضع الذي ليس فيه جدار لم يستنر فإذا بُني فيه جدار استنار فكذلك ألست بربكم؟ بصوت واحدٍ كل مَن وجد ، وأرشد خوطب به إلى انقضاء التكليف بخطاب واحدٍ بكلمة واحدةٍ كذلك النشأة الأخرى .

وأهل المحشر لا يخفى عليهم هذا المعنى إلّا أنهم في شغل عن ذلك إلّا من كان مكلفاً به في الدنيا لا بدّ أنّ يتفطن في ذلك لأنه

مسؤول عنه ولو ترك لم يُترك لأنه مسؤول عن التفطّن إن غفل عنه لأنه مكلّف به ، إذ بعض الأشخاص مكلّف بالعلم كما دلّ عليه قوله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ ، ما معناه أنه تعالى يقول للعبد يوم القيامة : ألم آمرك ألم أنهك؟

**إن قال** : لم أعلم .

**قال تعالى** : لِمَ لم تعلم ، وقد جاءك المذكّر؟

**وإن قال** : علمت .

**قال** : لِمَ لا تعمل انتهى . فمن غفل عن التفطن ولم يدرك حقائق الأشياء وجد كلّ حينٍ تفرض عليه أعمال من أعماله في وقتها ومكانها فتعرض الأعمال في أوقاتها المتعددة المتعاقبة وأمكنتها المتجددة المصاحبة فالغافل يرى الطول في التجدد والتعاقب والتعدد بالنسبة إلى تنقُّل نظره إليه كما إذا نظرتَ إلى ورق الشجرة واحدةٍ بعد واحدةٍ في جهة بدء ظهورها من الغصن إلى نهاية تكوّنها ، فإنّ مدة استقصائها واحدة بعد واحدةٍ تطول عليك بخلاف ما لو نظرت إلى مجموع الورق من حيث تكوّنه من الشجرة فإنه بمادة واحدةٍ وسبب واحد .

وإنما تعددت وتعاقبت من جهة أركان قوابلها كما قرّرنا سابقاً مكرراً .

**وقوله** : ( **وأما أخذ الكتب ، إلخ** ) ، تفسير منه لأخذ الكتب وهذا لا يصح إلّا إذا أراد بقوله : ( **وأما أخذ الكتب** ) ، الكتب المأخوذة .

وأمّا إذا أراد أخذها فهو ما ذكرناه سابقاً من أنّ أخذ الكتب في

الظاهر عبارة عن أنّ الكتب الطيبة بالأعمال الصالحة تأتي أصحابها من بين أيديهم فيأخذونها بأيمانهم .

والكتب الخبيثة بالأعمال الخبيثة تأتي أصحابها من وراء ظهورهم فتضربهم وتخرق ظهورهم وتخرج من صدورهم ويأخذونها بشمائلهم .

وأمّا أخذه الحقيقي الذي ظاهره ما ذكرنا من الأخذ المعروف فهو ما أشرنا إليه سابقاً من كون الكتب عبارة عن نسخ أمثال العاملين بما هم عاملون له في غيوب أمكنتها وأزمنتها المعبّر عن تلك الغيوب بالألواح الجزئية من اللّوح الكلي الذي هو اللّوح المحفوظ .

وأخذها عبارة عن لبس تلك الأمثال وخروجهم بتلك الملابس بين الخلائق متلبسين بأعمالهم أي عاملين بها فمن لبس مثاله المصلِّي للنافلة خرج بين الناس يصلي تلك النافلة في المكان الذي صلّاها فيه في الدنيا في الوقت الذي صلاها فيه ، لأنّ الله سبحانه يحشر تلك البقعة وذلك الوقت وكذلك جميع أعمال الخير وأعمال الشر إلّا العمل الخبيث الذي تاب عنه في الدنيا توبة نصوحاً وأصلح بعد ذلك عمله بينه بين الله ، فإنّ الله عزّ وجلّ بفضله يمحوه من المكان والزمان وينسى الملائكة الحافظين وإلا فكل صغير وكبير مستطر : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ .

وقوله : **( فقد علمت أنّ كتب النفوس وصحائف القلوب بعضها علوية وبعضها يمينية وبعضها شمالية )** ، ظاهره أنّ الكتب النفسانية

والعقلية قسم ثالث وذلك بناءً منه على أنّ الكتب اليمينية والشمالية أمور حسيّة لأنها نسخ الأعمال الحسيّة وتؤخذ باليد اليمنى واليسرى وهما بدنيّتان بخلاف الكتب التي هي نسخ العلوم والاعتقادات فإنها من نوع الملكوت والجبروت فهي قسم ثالث وهذا ليس بصحيح .

**أما أولاً : فلأن الكتاب المجيد والسنّة النبوية الشريفة مصرّحان بحصر الكتب في اليمينية والشمالية وليس ذلك عن عدم علم ، ولا عن غفلة .**

**وأمّا ثانياً** : فلأن ذلك كما ذكرنا سابقاً من أنّ الأجسام إذا تخلّصت من الأعراض الدنيوية والبرزخية أدركت بذاتها الجبروت والملكوت لأنها من نوعه ، وإن كانت جامدة لكونها أسفلهما وأسفل الشيء من نوعه ، وإن كان الشيء الأعلى أكمل في مدركه من الأسفل إلّا أنّ الشيء الواحد لا تختلف مداركه اختلافاً كبيراً .

وأيضاً يكون ملكوتها وجبروتها يدركان الأجسام والجسمانيات بذاتهما فتكون كتب النفوس وصحائف القلوب داخلة في اليمينية والشمالية : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ ، بأن يبدّل الله سيئاتهم حسنات ، لأنّ سيئاتهم ليست ذاتية بل هي آثار اللّطخ الذي لحقه من مجاورة طينة المنافقين فإذا رجع كل شيء إلى أصله رجعت تلك المعاصي إلى المنافقين وما عمل المنافقون من حسناتٍ فليست ذاتية بل هي آثار اللّطخ الذي لحقهم من مجاورة طينة المؤمنين .

ومثاله إذا أخذت قطعة من الصبر الأسقطري ووضعتها في شيء

من الخل الثقيف فإن ذقت الصبر وجدتَ في مرارته حموضة ، وإن ذقت الخلّ وجدت في حموضته مرارة فهل تنسب حموضة الصبر إلى الصبر أم إلى الخل ؟ وهل تنسب مرارة الخل إلى الخل أم إلى الصبر ؟ بل تقطع بأنّ حموصة الصبر من الخل ومرارة الخل من الصبر فإذا عاد كل شيء إلى أصله بحكم العدل الحق عادت الحموضة كلها إلى الخل والمرارة كلها إلى الصبر : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ .

وعلى هذا فوجِّه أحاديث الطين ، ولا تقابلها بالإنكار مع كثرتها وصحة أكثرها من علم .

وللحساب اليسير وجوه كثيرة كالشفاعة والعفو والفضل وبراءة المحبة والولاية والعفو عمّا نقصت العقوبة عليه عن حقب وأمثال ذلك كثير مما يطول الكلام ببيانه بل بذكره : ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾ .

والمراد من اهله إخوانه في الدين من أقاربه البدنيين والروحانيين الذين اتّبعوه ، أو اتّبعهم بإيمانهم وذلك لقوله تعالى قال : نوح في سؤاله في شأنه ابنه كنعان : ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ ، قال : ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ ﴾ ، وقال تعالى في تعليم إبراهيم على محمد وآله عليهم السلام : ﴿ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ ﴾ ، لأنّ الأنساب والأسباب كلها تنقطع إلّا ما كان لله سبحانه فينقلب إليهم مسروراً بما هو قادم عليه مما بُشّر به وأُعدَّ له لأنه المؤمن السعيد الذي قلبه منوَّر بنور الإيمان لأنه كُتب في قلبه الإيمان وأيّده بروح منه ، وهو نور الحياة في قوله : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى

بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ ، فكان قلبه مطَّهراً من الأخباث الباطنة كالشرك الظاهر والباطن والاعتقادات السيئة والظنون السوء ، ومن كدورات الغفلات وذَحَل السريرة بالذال المعجمة والحاء المهملة بمعنى الحقد بكسر الحاء بأنّ لا يكون في قلبه غلًّا للذين آمنوا بل هو صافي السريرة حسن السيرة مع الله سبحانه بالإخلاص وذكره على كل وبالرضى بقضائه وبعطائه وبالصبر على بلائه ، ومع النفس بألّا يمكّنها من شهواتها ولم يهملها بل قيّدها بقيود الشريعة ورَاضَها بالطاعات حتى اطمأنت بمتابعة العقل في جميع مطالبه ، ومع الناس بألّا يكون له حساب مع أحد من الخلق ولاتعلّق عليه لأحدٍ منهم ، ولا له فيكون شاغلاً له عن التوجه إلى عالم القدس بالعمل الصادر عن العلم العياني ودوام الذكر وكثرة التفكّر في خلق الله ، وفي الموت والجنة والنار فإنّ تفكّر ساعة خير من عبادة سنة وإدامة النظر والاعتبار في آيات الله التي يُري عباده إياها في الآفاق ، وفي أنفسهم والتدبّر لكتاب الله والعمل بما أمر الله والانتهاء عمّا نهى عنه وإدامة التقرب إلى الله عزّ وجلّ بالنوافل والتخلق بأخلاق الروحانيين والتأدب بآداب الله سبحانه ولأجل كون ما عمله وصنعه في دار الدنيا عن علم ذوقي ومعرفة يقينية قال للملائكة أو لأولياء الله عليهم السلام : ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ ، فهو بأعماله التي تفضل الله عليه بقبولها في عيشة راضية أي مرضيّة ففاعل بمعنى مفعول مثل : ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ ، على أحد الوجوه في جنة عالية ، وقد تقدّم ذكر الجنان وأسماؤها وترتيبها .

**وقوله : (إذ الظن هاهنا بمعنى الجزم واليقين)** ، معلوم ، ولا

بيان نكتةٍ فيه وبيان النكتة في قوله : ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ ، مع أنه متيقّن فينبغي أن يقول إني علمت أو تيقنت .

وإنما عدل إلى الظن لفائدة هي أنه يريد أنّ عملي هذا الصالح الذي هو سبب نجاتي ، أعلم وأتيقن أنّ التوفيق له نعمة من الله عليَّ لا أقدر على أداء شكرها ، وأنّ قبوله مني نعمة أخرى ، وأن وعده تعالى لي بحسن المجازاة نعمة أخرى وأني لا استحق شيئاً من ذلك ، ولا غيره إلّا برحمة منه وفضل ابتدائي ، ومع هذا كله إذا شاء الله أن يعذبني فهو غير ظالم لي وأنا مستحق لأعظم من ذلك ولكن تصديقاً لوعده في كتابه أنه لا يضيع عمل عامل ، وحسن ظنٍّ به وعظم رجاءٍ في كرمه ظننتُ بعظيم أملي ورجائي النجاة وذلك كما قال زين العابدين عليه السلام في السجود بعد الثمان من صلاة الليل قال : إلهي وعزّتك وجلالك لو أنني منذ بدعت فطرتي من أول الدهر عبدتك دوام خلود ربوبيّتك بكل شعرة في كل طرفة عينٍ سرمدَ الأبد بحمد الخلائق وشكرهم أجمعين لكنت مقصراً في بلوغ أداء شكر خفي نعمة من نعمك عليَّ ولو أنني يا إلهي كربت معادن حديد الدنيا بأنيابي وحرثتُ أرضها بأشفار عينيَّ وبكيتُ من خشيتك مثل بحور السماوات والأرض دماً وصديداً لكان ذلك قليلاً في كثير ما يجب من حقّك عليَّ ، ولو أنك يا إلهي بعد ذلك عذّبتني بعذاب الخلائق أجمعين وعظَّمتَ للنار خَلقي وجسمي وملأت جهنّم وطبقاتها منّي حتى لا يكون في النار معذَّب غيري ، ولا لجهنم حطب سواي لكان ذلك بعَدِلك قليلاً في كثير ما استوجب من عقوبتك انتهى. فتأمل في كلامه عليه السلام هذا الذي لا يحتمله غيرهم إلّا من شاؤوا .

ومثله ما رُوي عن الصادق عليه السلام ما من معناه أنّ النّبي إلياس على محمد وآله وعليه السلام سجد وبكى فأوحى إليه ربّه أن ارفع رأسك فإني لا أعذبك .

**فقال : (يا ربّ إن قلتَ لا أعذّبك ثم عذّبتني ألستُ عبدك . . . )** انتهى ، رواه في الكافي والآن لا يحضرني لفظة فتأمل رحمك الله في كلام المقربين مثل هذا وأمثاله .

ومن فهم ما ذكرنا وأشاروا عليهم السلام إليه عرف أنّ الأنسب أن يقال إني ظننت أني ملاق حسابيه .

وكقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ ، فكيف يعلمون أنهم ملاقو ربّهم والله سبحانه يقول : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ، فالظن في الظاهر بمعنى الجزم ، وفي نفس الأمر ، على ظاهره ليستحقوا من الله عزّ وجلّ المدح بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ ، وكم من سرٍّ في الألفاظ في القرآن المراد منها غير ظاهرها ، ولكن إذا اقتضى المقام ذكر شيء منها ذكرته بنحو ما تفهمه الخواص وربما لا أذكره بما يفهمه الخصيصون إلّا قليلاً على جهة الإشارة ، لأنّ هذا الزمان زمان دولة الباطل عجّل الله فرج من يملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً . فحينئذ أكون إن شاء الله كما قلت في قصيدةٍ رثيتُ بها الحسين عليه السلام :

**هُناك ابن زين الدين أحمد يشتفي**

**وذلك أمرٌ في أحاديثكم سِرٌّ**

وقوله : (**في قوله تعالى** : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى

لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ ) ، فقد مضى ما يبيّنه والآية نزلت في الرابع ولم أدر ما حسابيه بل كنت تراباً ، أو لم أُخلق ويا ليت ما جرى علي من شدات الموت وسؤال القبر وعذاب البرزخ كانت قاضية في العقوبة والمجازاة عن هذه الأهوال وشدات الحساب والعذاب في الجحيم .

وإنما كان ذلك منه وجرى عليه ليس لكثرة اشتغاله بالدنيا ولذّاتها وتلهّيه عن الآخرة وسرورها وخيراتها بل لعدم إيمانه بالآخرة حتى أنّ من نزلت هذه الآية في حقّه لما حضرته الوفاة قالت له زوجته إني لا أتزوج بعدك وهي تريد حتى تكون أنت زوجي في الآخرة فأنشأ يقول :

**إذا مـتُّ يـا أُمَّ الـحُـمَـيـر فـانـكـحـي**
**فـلـيـس لـنـا بـعـد الـمـمـات تـلاقـيـا**
**وإن كـنـتِ قـد خُـبِّـرت عـن مـبـعـثٍ لـنـا**
**أحـاديـث لـهـوٍ تـجـعـل الـقـلـبَ واهـيـا**

ومثله قال أبوه ، وقد دخل على الثالث في أول خلافته في المسجد فقال يا بن أخي علينا عين .

**قال** : لا **قال** : تداولوا يا فتيان بني أمية الخلافة فوالذي نفس أبي سفيان بيده ما من جنةٍ ولا نار انتهى ، فإذا كان لا يؤمن بالآخرة ولا يخافها لم يعمل لها فكان جميع أعماله للدنيا ، على مقتضى شهوة نفسه وهواها فاقتضى العدل الذي جرت عليه الخليقة إعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه ، على حسب القوابل ، فأعمال الآخرة بالعقل الذي هو الجانب الأيمن يأخذها العامل لها بيمينه ، ومن

أمامه وأعمال الدنيا بالنفس وهواها التي هي الجانب الأيسر فيأخذها العامل لها بشماله ، ومن وراء ظهره كما ذكرنا سابقاً .

والدنيا ممرّ والآخرة مقرّ ، والمقرّ أطول من الممرّ وأدوم ، فإذا كانت الآخرة جاء مَن لم يعمل لها شيئاً لأنها عنده عدم وليس عنده شيء من الزاد لدار مقرّه الذي لا نهاية له ولا غاية ويرى ما أعدّ له من لوازم أعماله ومسبّباتها من العذاب الأليم الدائم الذي لا ينقطع وكان قد هُدي إلى النجاة والنعيم الدائم فاستحبّ العمى ، على الهدى والهلاك على النجاة مع قدرته على ما ينجيه وتمكّنه منه فلذا قال : ﴿ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾ ، الآيات .

وقوله : ( ﴿ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴾ ) ، قد قدّمنا عليه أنّ كلامه يحتمل أنّ الأقسام في أخذ الكتاب ثلاثة مَن أُوتي كتابه بيمينه ، ومن أُوتي كتابه بشماله ، ومن أوتي كتابه من وراء ظهره ، وقد تقدّم ردّه .

ولو أراد أنّ مَن أُوتي كتابه بشماله قسمان : قسم يُؤتى كتابه بشماله لا غير بأن يؤتى كتابه من أمامه ، أو مطلقاً فيأخذه بشماله .

وقسم يأتيه من ظهره فيضربه ويخرق ظهره وصدره فيأخذه بشماله لكان محتملاً إلّا أني لم أقف صريحاً ، أو احتمالاً راجحاً ما يدلُّ عليه .

وأمّا ذكره من توجيهه فيما بعد هذا فتخريج صوفي لا يدل عليه كتاب ، ولا سنّة .

ثم إنّ من أُوتي كتابه بشماله لا يقدر على أن يأخذه بيمينه ، لأنّ

يمينه مغلولة إلى عنقه حيث لم يُطلق جهتها في دار الدنيا بالعمل الصالح .

وقوله : ( ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ ) ، أما دعوة الثبور فلتعلّق نفسه بالأمور الهالكة الفانية فيعني به أنّ اعتماده في دار الدنيا كان على شهوات نفسه واتّباع هواها وحظ ذلك وأمثاله من التحقق والبقاء مدة تمتّعه بها ، فإذا كان توهم أنه أحسن الصنع ، وهو قد طلب الرّيَّ من السراب جاءه يوم القيامة ولم يجده شيئاً وذلك وقت انقطاع التدارك والتلاقي ولم يبق إلّا الندم والحسرة دعا وا ثبورّه واهلاكاه واحسرتاه .

وقوله : ( **وأما صلي السعير فلكون كتاب الفجار المنافقين من جنس الأوراق المسودة الباطلة القابلة للنسخ والتبديل والتغيير اللائقة للاحتراق بنار السعير** ) ، فما أدري ما يفهم من الكتاب وظاهر كلامه أنه يريد أنّ الكتاب شيء من نوع القراطيس ولهذا قال : من جنس الأوراق يعني شيئاً تكتب فيه الأعمال كتابةً من جنس كتابتنا لكلامنا فتأمل في فهم مدّعي الأسرار والاطّلاع على حقائق الأشياء مع أنّ الكتاب هو ما يكتب في القرطاس لا القرطاس كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾ .

وكلامه هذا في الكتاب كلام عوام الناس وفهمهم ، ومع هذا فهو عنده غير معلوم لأنه قال : ( **من جنس الأوراق المسوّدة** ) ، ولأجل أنه ما يفهم من معنى الكتاب إلّا ما تفهمه العوام قال : ( **القابلة للنسخ والتبديل** ) ، أخذه من لفظ قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ، ( **والقابلة للتبديل والتغيير تليق**

**للاحتراق )** ، أي الكتب مع أنّ المراد من الآية أنّ صاحب الكتاب هو المحترق بنار السعير لا الكتاب فانظر هذا الخبط العظيم من هذا العالم الحكيم الذي يدّعي أنّ جميع نتائج علومه من عند الله من باب الاختصاص لا من باب التعلّم .

في قول المصنف : **وأما الكافر المحض فلا كتاب له والمنافق . .**

**قال : ( وأما الكافر المحض فلا كتاب له والمنافق سلب عنه الإيمان ، ولا تقبل منه صورة الإسلام كما يقبل من العوام والضعفاء ويقال في حقّه : ﴿ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ، فيدخل فيه المعطّل والمشرك والجاحد ، لأنّ المنافق في باطنه واحد من هؤلاء الثلاثة إذ لا تنفع له هناك صورة الإسلام الظاهري كما مرّ ) .**

واعلم أنّ هذا الكتاب غير كتاب أعمال الفجار لأنه كتاب الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً ، وهو الكتاب المنزل عليه لا كتاب الأعمال فإنه حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور أي جزم كما في قوله : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ ﴾ .

فإذا كان يوم القيامة قيل له أي للمنافق خذ كتابك من وراء ظهرك أي من حيث نبذته في حياتك الدنيا كما في قوله تعالى : ﴿ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾ .

**أقول :** قوله ( **وأما الكافر المحض فلا كتاب له** ) ، غلط ، لأنّ

الكتاب إن أراد به كتاب الأعمال فإنّ الكافر إنسان ، وقد قال سبحانه : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ ، يعني كتابه .

وإن أراد به الكتاب الذي أنزله على رسول من رسله فلم يهلك الله عزّ وجلّ أمة من الأمم إلّا بعد أن يأتيهم نذير وبعد أن ينبذوا كتابه وراء ظهورهم .

فالكافر بكل اعتبار له كتاب ، والمنافق من أظهر الإسلام وأبطن الكفر فمن حيث كونه منكراً هو كافر ، ومن حيث كونه مظهراً للإسلام حينئذ لا تنفعه هذه الصورة من حيث إنه معتقد خلاف ما يظهر ولهذا كذّبهم الله فيما يظهرون من الإسلام فقال : ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ .

ولو كان ظاهر الإسلام الذي تلفظ به فيه شيء من النفع الأخروي ، وإن قلَّ لما كذّبهم الله عزّ وجلّ .

والمنافق أيضاً يقال في حقه أي يصدق أنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، بل إنما نزلت هذه الآية في منافق رابع فيدخل في هذه الآية المعطل والمشرك والجاحد .

والمنافق واحد منهم بل صادق عليه كلّ واحدٍ من الثلاثة فإنه معطّل وجاحد لإنكاره المرسل والرسالة ومشرك لجعله إلٰهه هواه وهذا المعنى الذي أشار إليه المصنّف من أنّ المنافق واحد من هؤلاء صحيح .

وأمّا أنّه ليس له كتاب فليس بصحيح .

وأمّا أنّ الكتاب الذي يؤتى من وراء ظهره فهو الكتاب المنزّل لا كتاب الأعمال فليس بصحيح .

وإنما هذا المعنى من تخريج الصوفية المنهي عن اتّباعهم وتصحيح كلامهم وتأويله .

**وقوله : ( واعلم أنّ هذا الكتاب يعني به الذي يؤتى من وراء ظهره ، إلخ )** ، يريد به بيان هذا المعنى المخرج من قوله تعالى : ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

فالمصنّف يريد أنّ الكتاب الذي يؤتى الإنسان من وراء ظهره هو كتاب الله الذي أوحاه إلى نبيّه صلى الله عليه وآله لأنه لما أعرض عن قبول ما أنزل الله تعالى فيه من أوامره ونواهيه ونبذه وراء ظهره أي رماه خلفه بأن جعله نسياً منسيّاً ولم يعمل بشيء يؤتى له به من المكان الذي رماه فيه ليكون حجة عليه وهذا المعنى ، وإن كان صحيحاً في نفسه إلّا أنه ليس هو المراد من قوله : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴾ ، بل المراد به كتاب الأعمال كما ذكرنا سابقاً في كثير من المفسرين أنّ المنافق والمشرك يؤتى له بكتاب أعماله فيأتيه من خلفه فيضرب ظهره فيخرق ويخرق صدره ويأخذه بشماله .

ومعنى كلام المصنّف ، وإن كان غير ما نحن بصدده يُقال للمنافق خذ كتابك الذي أوحاه الله سبحانه إلى رسوله الذي أرسله إليك ليهديك به وبكتابه إلى صراط مستقيم فخذ ذلك الكتاب من المكان الذي جعلته خلف ظهرك فيه ، وفي ذلك الوقت وكان قد حشر الله الأمكنة والأوقات لتشهد بما فيها على العاملين فيها ، أو لهم كما ذكرنا سابقاً على حدّ ما حكى سبحانه عن المنافقين حين سلبت عنهم أنوار الإيمان فكانوا يوم القيامة في ظلمة النفاق فيقولون للمؤمنين الذين كانوا معهم في الدنيا ويعرفونهم : ﴿ ٱنظُرُونَا

نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ ، فيقول لهم المؤمنون أو الأولياء عليهم السلام أو الملائكة : ﴿ ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ ﴾ ، حيث قُسمت الأنوار : ﴿ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا ﴾ ، ولم يقولوا لهم فالتمسوا أنواركم إذ لا نور لهم أصلاً بخلاف المؤمنين ، فلذا قيل نقتبس من نوركم ، لأنّ تلك الأنور أنوار المؤمنين أنوار اعتقاداتهم ومعارفهم وإيمانهم وأعمالهم .

في قول المصنف : **وأما وضع الموازين فالميزان عبارة عن معيار . .**

**قال : ( وأما وضع الموازين فالميزان عبارة عن معيار صحيح يعرف به قدر الشيء ووزنه سواء كان آلة محسوسة مخصوصة ، أو غيرها وميزان كل موزون من جنسه ، وإن لم يساو ميزان الآخرة لميزان الدنيا ، ولا موازين العلوم والأعمال لموازين الأجرام والأثقال كما لا يساوي ميزان الحنطة والشعير والأقط والدبس لميزان الشعر كالعروض . وميزان الفكر كالمنطق وميزان الأعراض والبناء كالنحو وميزان مقادير الساعات كالاسطرلاب ، أو الارتفاعات والأعمدة كالشاقول والدوائر والاستدارات كالبركار ( كالفرجال بيان ) والأضلاع والاستقامات كالمسطرة والعقل ميزان الكل ) .**

**أقول** : وضع الموازين إنزالها وإظهارها لإقامة العدل بين الخلق والمراد بوضع الموازين الموازين الموضوعة ليطابق التفسير المفسر كما هو عادته في أغلب عباراته .

والميزان آلة يستعلم بها الراجح من المرجوح من أفراد الأجناس

والأنواع والأصناف والأشخاص ، وتلك الآلة تكون من جنس الموزون بها والشيء الواحد الموزون إذا أريد بوزنه كمال الإحاطة به وجب تعدد موازينه فيوزن في كم مادته بأنها خمسة أمنان ، أو عشرة وجوهرها بأنها ذهب ، أو فضة ، أو خشب ، أو تراب ، وفي صفة نفسها بكونها صافية أو لا ، وببقائها وعدمه ، وفي رتبتها في الأكوان من الملك والملكوت ، أو الجبروت ، وفي وقت تكوّنها ومدة بقائها .

وكذلك موازين ألوانها كحجري ياقوت كل منهما أحمر ، وكل مثقال واحدهما : قيمته عشرة دنانير والآخر قيمته ألف دينار .

وكذلك موازين صورته وهندستها وحدودها ومتمماتها فإنّ موازينها متعددة كموازين المادة .

وكذلك موازين هذا الشيء المذكور في كونه ذاتاً ، أو ذاتَ ذاتٍ ، أو عرضاً أو عرضَ عرضٍ ، وهكذا كل عمل تجري فيه هذه الموازين المتعددة ، وهو السر في أفراد العامل وجمع موازينه في قوله : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ فافهم ، وذلك قول المصنّف ( **معيار صحيح يعرف به قدر الشيء ووزنه سواء كان آلة محسوسة مخصوصة ، أو غيرها وميزان كل موزون من جنسه** ) ، وهو صحيح .

**وقوله : ( وإن لم يساو ميزان الآخرة لميزان الدنيا )** ، هذا في الظاهر لا بأس به ، وأما في الحقيقة الكونية ، وفي نفس الأمر فهما متساويان ليس بينهما فرق في الوجود والعدم ، نعم بينهما فرق في الشدة والضعف والظهور والخفاء ويشير إلى هذا قوله تعالى :

﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ .

**وقوله : ( ولا موازين العلوم والأعمال لموازين الأجرام والاثقال )** ، هذا صحيح لتغاير الميزانين ، فينبغي أن يفصل بين تغاير ميزاني الآخرة والدنيا وبين تغاير ما ذكر ، لأنّ التغاير بين ميزاني الدنيا والآخرة صوري وإلا فهما شيء واحد لا تغاير بينهما ، وإلى هذا أشار عليه السلام بقوله : **( حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا )** ، إذ لو تغاير الميزانان لما كان حساب الدنيا كافياً عن حساب الآخرة .

وباقي كلامه في اختلاف صور الموازين باختلاف الموزونات ظاهر ، كموازين العلوم بالقواعد والضوابط وموازين الأعمال الإتيان بها على طبق حدود الله من أوامره ونواهيه .

وموازين الأجرام الفلكية بالأبعاد المقدارية والموازاة والخطوط المستقيمة وما أشبه ذلك .

وموازين الأثقال بالمعايير الصنجية لمحض الأثقال كما في وزن الحنطة والشعير ، أو لتعديل الطبائع كما قلنا : إنّ الحاجة إلى الماء أكثر من الحاجة إلى الطعام فإذا أريد ذلك أخذ من النار جزء ، ومن الهواء جزء ، ومن التراب جزء ، ومن الماء جزآن .

وميزان الشعر بضبط الحركات كما هو مذكور في علم العروض في دوائر البحور كالطويل والبسيط والكامل وما أشبهها .

وميزان النحو بمعرفة العامل وما يقتضيه من الإعراب .

وميزان الفكر والنظر في المعاني والمفاهيم بما قرر في علم المنطق .

وميزان الساعات والارتفاعات بالآلة المعروفة كالإسطرلاب والربع المجيَّب والكرة .

وميزان الأعمدة في تقوّمها واعوجاجها كالشاقول المستعمل لتعديل الأرض وأجزاء الأنهار .

وميزان الدوائر والاستدارات كالبركار المعروف بالفرجال .

وميزان الأضلاع والاستقامات في الخطوط والاعوجاجات كالمسطرة والبصر ومسقط الحجر وما أشبه ذلك ، والعقل هو ميزان الموازين إذ لا يعرف صحيحها عن سقيمها ومعوجّها من مستقيمها إلّا بالعقل لأنه في كل شيء نور الهداية وباب الدراية .

في قول المصنف : **وبالجملة ميزان القيامة نوع آخر من الموازين . .**

**قال : ( وبالجملة ميزان القيامة نوع آخر من الموازين ، فتوزن به الكتب والصحائف وتجعل فيه ومما ورد في هذا الباب عن أئمتنا عليهم السلام ما رواه عن محمد بن علي ابن بابويه رحمه الله أنه سئل هشام بن سالم عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ) .**

قال : **( هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ) .**

واعلم أنّ كل عمل بدني ، أو قلبي وكل ذكر ، أو نية يوضع في

الميزان ويدخل فيه ويقابله شيء إلّا كلمة التوحيد من قول لا إله إلّا الله مخلصاً ، لأنّ كل عمل له مقابل في هذا العالم عالم التضاد .

وليس للتوحيد مقابل إلّا الشرك وهما لا يجتمعان في ميزان واحدٍ ، لأنّ اليقين الدائم لا يجامع مع نقيضه في قلب واحدٍ ، ولا يتعاقبان على موضوع كما أومأنا إليه من أنّ نفس المؤمن الموحد بحسب الجوهر والذات تخالف نفس الكافر مخالفة نوعية فضلاً عن الشخصية ، فليست للكلمة وما يقابلها في الكفة الأخرى من قول ، أو عمل ، أو نية فضلاً عن أن يرجح عليها كما يدل عليه حدث صاحب السجلات ، ولهذا روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : ( **كما لا ينفع مع الكفر شيء لا يضر مع الإيمان شيء** ) .

وروى أبو الصامت عنه عليه السلام : ( **إن الله يعفر للمؤمن ، وإن جاء بمثل ذا ومثل ذا وأوما إلى القباب . قلت ، وإن جاء بمثل تلك القباب . فقال : أي والله ، وإن جاء بمثل تلك القباب ، أي والله مرتين** ) .

وفي رواية عن النّبي صلى الله عليه وآله فقال : ( **وإن زنى ، وإن سرق** ) .

واعلم أنّ أعمال الجوارح خيرها وشرها كلها مما يدخل في الموازني ، وأما الأعمال الباطنة فلا يدخل الميزان المحسوس لكن يقام فيه العدل ، وهو الميزان الحكمي المعنوي ، فالمحسوس يوزن بالمحسوس والمعنى بالمعنى ، فلذا توزن الأعمال من حيث ما هي مكتوبة .

وآخر ما وضع في هذا الميزان قول الإنسان الحمد لله ، وبه يملأ

الـميزان وإليه الإشارة صلى الله عليه وآله : ( **الحمد لله يملأ الميزان** ) .

ومن اللطائف الكشفية أنّ كفة ميزان كل أحدٍ بقدر عمله لا زيادة ، ولا نقصان .

**أقول قول** : ( **ميزان الآخرة نوع آخر من الموازين** ) ، قد ذكرنا قبل هذا أنّ موازين الدنيا وموازين الآخرة شيء واحد لا اختلاف فيه إلّا في الشدة والضعف والظهور والخفاء والكبر والصغر لأن الميزان المحسوس في الدنيا عين المحسوس في الآخرة والمعنوي عين المعنوي فلا فرق بينهما في النشأتين وتعدّدها في الدارين إنما هو لاختلاف الموزونات وتعددها كما نرى ذلك في الدنيا .

**وإنما قال** : ( **فتوزن به الكتب والصحائف** ) ، لأنّ الأعمال عنده أعراض فلا تؤذن بنفسها ، بل تكتب في صحائف وتوزن تلك الصحائف وأنت خبير بأنّ وزن صحائف الأعمال لا يستعلم منه وزن الأعمال على مراده إلّا مجازفة لا تليق بالعدل المستقيم إلّا أنه لما لم يقل بتجسيم الأعمال بأنفسها كما قاله بعضهم أو توزن هي بلحاظ الأمر ، أو النهي مطابقة أو مخالفة كما هو مختارنا ، وقد ثبت وزن الأعمال ووضعها في كفتي الميزان لم يجد له بدّاً من القول بأنّ وزنها في صحائفها ومنشأ الاختلاف الآيات الدالة ، على أنّ الثواب والعقاب هي الأعمال مثل : ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ ، ومثل : ﴿ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴾ .

وعلى أنّ الأعمال سبب الثواب والعقاب مثل : ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ و﴿ بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ ، وكذلك

اختلاف ظاهر الروايات ، وأيضاً اختلاف ظاهرها في ميزان الأعمال وأنه هل هو ذو كفتين أم لا ؟ وإنما هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، أو الأنبياء والرسل والحجج عليهم السلام ، وذكر ذلك كله وتفصيله مما يطول به الكلام ، بل لا يقتضيه المقام إلّا أنه لا بد من التلويح إلى ذلك بذكر كلماتٍ من باب دليل الحكمة يعرف بها الحق من كان : ﴿ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ، وذلك أنه قد ورد : **(أن الأعمال صور الثواب والعقاب)** ، فتتفاوت صورة صلاة ركعتين من زيد ، ومن عمرو تفاوتاً أبعد ما بين السماء والأرض ، وإن كانت المادة واحدة كما تتفاوت صور السرير من الخشب الواحد من نجارين بحيث تكون قيمة أحدهما خمسة والآخر خمسين .

ولو كان ما قيمته خمسة من الخشب وما قيمته خمسين من النحاس أو الحديد لكان تفاوت القيمة منسوباً إلى المادة فلا يصدق قوله : ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ، إذ معنى أحسنية العمل ليس إلّا من جهة الصورة التي هي عمل المكلف مع وحدة المادة فإذا كانت المادة واحدة وعمل المكلفون فيها صح ابتلاؤهم بالأحسنية في أعمالهم ، ولم يوجه إليهم إلّا الأمر والنهي الحاملان للمادة التي يكون عمل المكلف صورةً لها ، وهذه المادة التي وردت بها الاوامر والنواهي هي المعاني التي دلت عليها ألفاظ الأوامر والنواهي ، أو ما يقوم مقامها فالأعمال الموافقة لتلك الأوامر والنواهي في انطباقها ، على المعاني المشار إليها هي صور الثواب والأعمال المخالفة لتلك الأوامر والنواهي لعدم انطباقها عليها هي صور العقاب والمواد هي تلك المعاني .

فالثواب خلقه الله تعالى من مادةٍ هي تلك المعاني ، ومن صورة هي عمل المكلف بموافقة الأمر .

والعقاب خلقه الله تعالى من مادةٍ هي مخالفة تلك المعاني ، ومن صورة هي عمل المكلف بمخالفة الأمر .

فللوزن يومئذٍ أحوال ينقسم بسببها وزن العدد ووزن القيمة ووزن الرتبة ووزن الجهة ووزن الوقت ووزن مدة البقاء والابتداء والانتهاء ووزن المكان ووزن الكيف ووزن الكم في المقدار ، وفي إيجاد الثواب والعقاب .

فوزن العدد معرفة عدد الأعمال الحسنة والسيئة .

ووزن القيمة بكسر القاف وسكون الياء استعلام مقدار ما يستحق العامل بعمله من الحسنات والدرجات ، أو من السيئات والدركات .

ووزن الرتبة استعلام رتبة العمل من الدرجات ، أو الدركات .

ووزن الجهة استعلام جهة العمل من العامل مثل ما يستحق بفعل الطاعة جنة عن يمينه وبترك المعصية جنة عن يساره .

ووزن الوقت استعلام وقت جزاء العمل هل هو الدنيا أم البرزخ أم الآخرة ؟

ووزن مدة بقاء العمل يعني بقاء جزائه هو استعلامه هل هو يوم مثلاً أم سنة أم ألف سنة أم هو دائم ؟

ومدة وزن ابتداء جزاء العمل هل أول التكليف أم أول البرزخ أم أول القيامة أم غير ذلك .

ومدة انتهائه هل هو في الدنيا أم في البرزخ أم غير متناهٍ ؟

ووزن المكان استعلام مكان جزاء العمل هل هو في العامل كبياض وجهه ، أو اسوداده أم في قلبه كنور الإيمان ، ونور العلم أم ظلمة الكفر وظلمة الجهل أم في داره في الأرض والدنيا أم في الآخرة في الجنة ، أو النار .

ووزن الكيف استعلام نورية العمل ونورية جزائه ، أو ظلمتهما في أي رتبة من مراتب أجزاء النور ، أو الظلمة .

ووزن الكم في المقدار استعلام مقدار العمل في الكم والحجم الصوري والمادي في غيبه وشهادته .

ووزن الكم في المقدار الركني في الإيجاد استعلام مقدار العمل بالنسبة إلى المعنى الذي منه ، ومن العمل يركّب الثواب ، أو العقاب ، لأنّ العمل فصل وصورة للحصة المعنوية التي ورد بها أمر الشرع ونهيه التي هي مادة الثواب ، أو العقاب كما ذكرنا سابقاً ، فإنّ كل شيء مركّب من مادة وصورة ، وفي كل مرتبة من مراتب الترويج الأربع يؤخذ جزء من الصورة ، أعني الفصل والماهيّة وجزآن من المادة ، أعني الحصة النوعية التي أُخذت من الجنس كالحصة المأخوذة من الحيوان للإنسان وكالحصة المأخوذة من الإنسان لزيد ، فإنها جزآن والفصل المأخوذ للإنسان أعني الناطق جزء وحصة الفصل المأخوذة من الناطق لزيدٍ فإنها جزء وذلك هو ما أشرنا إليه من أنّ المعنى الذي أتى به الأمر أو النهي الشرعيان للتكليف ، الذي هو مادة الثواب مع الموافقة ومادة العقاب مع المخالفة يؤخذ منه جزآن كحصة الحيوان في خلق الإنسان .

وإن عمل المكلف في الموافقة ، أو المخالفة يؤخذ منه جزء في

خلق الثواب أو العقاب لأنه هو الصورة ، ويؤخذ جزآن من المعنى الذي دلّ عليه لفظ الأمر ، أو النهي لأنه هو المادة .

والموزون الذي يوضع في الميزان في كفتيه هي الأعمال التي يعملها المكلفون مطابقة للأمر ، أو مخالفة وهي الحسنات والسيئات ، لأنّ الأعمال حال تعلّقها بموادها المعنوية التي أتت بها ألفاظ الأوامر والنواهي تكون حسنات وسيئات ، وتوزن الحسنات والسيئات بتلك الموازين المتعددة التي أشرنا إلى أنواعها وبها تعرف جهات العمل الواحد .

فالأعمال أنفهسا هي الموزونة لا صحائفها ، ولا في صحائفها ، لأنّ صحائف الأعمال هي غيب أماكنها وغيب أوقاتها التي تكتب الحفظة الكرام أعمال العاملين فيها ، ومن ذلك الرق والقرطاس قطعة من كفن العامل يكتب أعماله فيها بإملاء رومان فتّان القبور عند أول دخوله في القبر قبل مجيء منكر ونكير إليه كما أشرنا إليه سابقاً .

**فإن قلت** : يلزم على هذا أيضاً أنّ الوزن مجازفة لا تحقيقاً ، لأنّ الأعمال على ظاهر قولك إنما توزن مع المعاني .

**قلت** : لا تلزم المجازفة لأنا نريد أنها هي الموزونة لا المعاني فلا يحصل اشتباه على المكلفين لأنها ثلث المجموع والمعاني ثلثان هذا على فرض ان الوزن بعد التركيب .

وأمّا إذا كان قبل التركيب فلا إشكال ، ولا يقال : إنها أعراض لا قيام لها بدون معروضاتها ، لأنّ الأعراض تستقل في العلم بدون معروضاتها إذا لم يلحظ فيها كونها عارضة ، فتستقل في الميزان

وتتقوّم به كما تستقل حمرة الثوب في الخيال إذا تخيلتها فإنّ الأعمال قائمة في كتاب الأبرار عليين ، وفي كتاب الفجار سجين ، أعني صحائفها كما أشرنا إليه قبل ذلك بمُثُل العاملين بضم الميم والثاء ، بمعنى أنّ قيامها بمُثُل العاملين في تلك الصحائف التي هي غيب مكان إيقاعها ووقته به يتحقق ، وفيه توزن ، وهو غير قيامها بتلك المعاني التي هي مواد الثواب والعقاب فافهم .

واعلم أنّ كل نوع من أنواع الموازين له كفتان بحسبه تسميان باسم الكفتين المعلومتين عند العوام ، وهما كفتان حقيقة في ذلك الميزان ، لأنّ المراد من الكفتين شيء يحيط بالموزون من الجهات الخمس ، فالكفتان في ميزان مثل الحنطة معلومتان ، لأنّ الكفة محيطة بالحنطة في الجهات الخمس .

وأمّا جهة العلو في الثقيل ، والسفل في الخفيف فغير مفيدة إذ المقصود والفائدة رفع الثقيل بالأثقل ووضع الخفيف بالأخف .

ومثل الكفتين المعلومتين مع الكفتين غير المعلومتين كمثل اليدين المعلومتين في الصنع مع اليدين بمعنى القدرة .

وحقيقة الصنع إنما هو بيدي القدرة ، وأما الصنع بيدي الجسم فتابع لما هو بيدي القدرة فافهم الإشارة من العبارة .

**وقوله : ( ومما ورد في هذا الباب عن أئمتنا عليهم السلام ما رواه عن محمد بن علي بن بابويه رحمه الله إلى قوله قال : ( هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام )** ، يعني أنّ الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، لما دعوا إلى الله سبحانه أطاع بعض الناس وعصى بعض فطاعتهم كفة يوزن فيها المؤمنون ومعصيتهم

كفة يوزن فيها الكافرون ، ومحبتهم كفة يوزن فيها المؤمنون ، وبغضهم كفة يوزن فيها المنافقون ، وولايتهم كفة يوزن فيها التابعون ، ومجانبتهم كفة يوزن فيها المخالفون وهكذا .

والمراد من الكفتين هنا في هذا المقام وغيره واحدٍ ، وكلٍ شيء بحسبه فما كان من عالم الغيب وُزن في كفة من عالم الغيب ، وما كان من عالم الشهادة وزن في كفة من عالم الشهادة .

**وقوله** : ( **واعلم أنّ كل عمل بدني ، أو قلبي ، إلخ** ) ، يريد به أنّ جميع الأعمال البدنية مما جرت به الشريعة الغراء ، وكل عمل قلبي من سائر الاعتقادات والنيات وسائر المطالب النفسانية تجري عليه الموازنة ، ويصح دخوله في الميزان ويوجد له ما يقابله إلّا كلمة التوحيد إذ لا شيء من الأعمال الجزئية يصلح لمعادلة كلمة التوحيد ليوزن معها إلّا الشرك ، فإنه يصلح لمعادلة التوحيد إلّا أنه لا يجتمع معه في قلب ، لأنّ الشرك إذا وجد في قلب المكلف لم ينصب له ميزان ، ولا يرفع له ديوان حيث إنّ الشرك يمحق كل عمل ، إذ لا يتحقق مع الوحدة الحقية **فقوله** : ( **لأن كل عمل له مقابل في هذا العالم عالم التضاد** ) ، يريد به أنّ العالم الزماني الذي هو عالم التضاد كلّما وجد فيه شيء وجد له ضد فيكون قول : ( **لا إله إلّا الله مخلصاً** ) ، يعني كلمة التوحيد من عالم التضاد أي عالم الحوادث ، إذ الحوادث عنده في الزمان ولم يتقدم على الزمان إلّا الباريء سبحانه عنده كما صرح به في كتابه الكبير الأسفار ، وقد تقدم ما يلزمه على ذلك .

فإذا كانت كلمة التوحيد من عالم التضاد حيث كانت فضدّها الشرك ، فعلى كلامه لا يجتمعان في قلب واحدٍ ، ولا يتعاقبان ،

أما إنهما لا يجتمعان فلمّا قال : ( **لأن اليقين الدائم لا يجامع مع نقيضه في قلب واحد** ) ، وفي هذا إن التوحيد الذي هو من عالم التضاد عالم الزمان يجتمع مع ضده كما أشار إليه تعالى بقوله : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ ، وبقوله تعالى : ﴿ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ، ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ، لاعتقادهم أنه موحدون وهم مشركون فلذا كذّبهم فقال : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ .

وقال الصادق عليه السلام : ( **هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا وأشركوا من حيث لا يعلمون** ) .

فقد اجتمع التوحيد والشرك لكونهما عالم التضاد ، وإنما يجتمع المتضادان في هذا العالم من جهة اختلاف الجهة والحيثية والاعتبار ، أو على التعاقب ولو كان التوحيد أريد به اليقين الدائم امتنع أنّ تكون من عالم التضاد ، لأنّ وصف الوحدة الحقية لا ضدّ له ، إذ من شرط كونه وصفاً للوحدة الحقية أنّ لا ضدّ له ، ولا ندّ ، ولا يلاحظ فيه الدوام ، ولا عدمه فلا يجامعه ضدّ ، ولا ندّ لأنه عنوان لمعرفة المعبود سبحانه وآيته وذلك هو نفس العارف وفؤاده فمن عرفها فقد عرف ربه .

وإنما يعرفها بأن يجردها من جميع سبحاتها .

وأمّا أنهما لا يتعاقبان على موضوع واحدٍ ففيه أيضاً أنهما إذا كان من عالم التضاد لا يكون يقيناً دائماً ، بل يتعاقبان كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ

كُفْرًا﴾ ، وهم عضل والفارة يعني عضل بن الهون بن خزيمة أخو الريش وهما الفارة كفروا مرّين بعد إيمانَيْن .

وإن كانت المسألة على خلاف بين المتكلمين إلّا أنّ الآية صريحة في وقوع الكفر بعد الإيمان ، وما حكى سبحانه عن قوم صالحين علموا بأنّ القلوب قد تزيغ أنهم قالوا : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ ، ظاهر في ذلك بل ربما لا إشكال في وقوع التعاقب وصحته ، وإنما يمتنع التعاقب في عالم الوحدة والبساطة ، وهو عالم الثبات ، لأنّ شرط تحقّقه نفي الغير عنه ، وبذلك يحصل اليقين الدائم المانع من النقيض اجتماعاً وتعاقباً .

وما أومأ إليه المصنّف من ( **أن نفس المؤمن الموحِّد بحسب الجوهر والذات تخالف نفس الكافر ، إلخ** ) ، مع كونهما معاً في عالم التضاد ، ومن ثبت فيه التوحيد وتحقق فهو المؤمن ، ومن ثبت فيه الشرك فهو الكافر .

والمؤمن من حيث هو مخالف في ذاته للكافر لا يحل الشرك في قلبه .

والكافر من حيث هو كافر لا يحل في قلبه التوحيد ، إنما يصح إذا كان كل واحدٍ منهم في عالم البساطة على جهة الانفراد بمعنى كون كلٍّ منهما متصفاً بصفةٍ قد اعتبر فيه نفي ضدها . أما المؤمن فقد تحقق في وجدانه شيء ليس كمثله شيء أعني معرفة نفسه لا إثبات شيء غير شيءٍ بحتٍ ، فإنه منافٍ للتوحيد فلا يعرف الله به .

وأمّا الكافر فقد تحقق في وجدانه شيء له ضد ، أو ندّ ، أو حدّ ، فإنه منافٍ للتوحيد .

وأمّا إذا فرضه في عالم التضاد فإنهما لا يجتمعان فيه ويتعاقبان كما أشرنا إليه ، لأنّ رتبة الخلط واللطخ في محل الاجتماع والتعاقب .

وأمّا تخالُف نفس المؤمن والكافر مع كونهما في الاصل من شيء واحدٍ كما تشهد به الآيات القرآنية مثل قوله تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ ، والآيات الآفاقية كما نرى في المداد فإنّ الاسم الشريف والاسم الوضيع من مدادٍ واحدٍ ، وإنما تخالفا وتمايزا بالقابلية ، فمن تَخَالُفِ القوابل الوجودية والشرعية كما قال الشاعر :

**أرى الإحسان عند الحرّ ديناً**
**وعند النذل منقصة وذمَّا**
**كقطر الماء في الأصداف درٌّ**
**وفي بطن الأفاعي صار سمّا**

لأن المراد بوجودات الأشياء موادّها وطيب المادة إنما هو من الصورة ، وكذا خبثها كما ترى في الباب والصنم فإنّ كلًّا منهما عُمِل من الخشب وخبث مادة الصنم وطيب مادة الباب إنما هو من الصورة التي هي الماهيّة ، ومراده من كون نفس المؤمن مخالفة لنفس الكافر حتى في النوع أنّ نفس المؤمن خُلقت ابتداء من شيء غير ما خلقت منه نفس الكافر ، بل أصل مادة نفس المؤمن من نور وأصل مادة نفس الكافر من ظلمة ، ولا ريب أنّ التوحيد نور ، فلا يقع في الظلمة والشرك ظلمة فلا يقع في النور. ولهذا علّل عدم اجتماع التوحيد والشرك في قلبٍ واحدٍ لتضادهما ، وإن كانا في

عالم التضاد ، ولا تعاقبهما لتضاد أصلا النفَسين والقلبين وليس كما توهّمه ، بل أصل نفسَي المؤمن والكافر شيء واحد كما أشرنا إليه .

وبقبول المؤمن خلق ذلك الأصل الذي خلق منه من نورٍ أي غُمس في نور الإجابة والرحمة وهوالإيمان المكتوب في القلب ، وبإنكار الكافر خلق ذلك الأصل الذي خلق منه من ظلمة أي غمس في ظلمة الإنكار والغضب ، وهو الطبع على قلوبهم بكفرهم .

فأصل المؤمن نور بإجابته لا من ذلك الأصل نفسه .

وأصل الكافر بإنكاره لا من أصله فبعد استقرار الإجابة ، أو الإنكار يكون صاحب ذلك الاستقرار من عالم البساطة لا من عالم التضاد فلا يجتمع فيه التوحيد والشرك ، ولا يتعاقبان وقبل الاستقرار قد يجتمعان مع اختلاف الحيثيات والاعتبارات مثل أن يشرك مع ظنه أنه موحِّد ، وقد يتعاقبان لصلوح المحل للمتنافيين على التعاقب وللاجتماع مع اختلاف الجهات .

**وقوله** : ( **فليس للكلمة ما يقابلها ، أو يعادلها في الكفة الأخرى من قولٍ ، أو عمل ، أو نيةٍ إلى قوله حديث صاحب السجلات** ) ، هذا إنما يتم بعد استقرار الإيمان ، أو الكفر كما بيّنا .

وما رواه صاحب السجلات غير منافٍ لما ذكرناه والحديث من طرقهم .

**وقوله** : ولهذا روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : ( **كما لا ينفع مع الكفر شيء لا يضر مع الإيمان شيء** ) انتهى .

والمراد أنّ الكفر إذا أتى به المرء يوم القيامة لا ينفعه شيء من الأعمال بأن يدخله الجنة ، أو ينجيه من النار ، وإن كان ينفعه بأن يدفع به عنه بعض أنواع العذاب في البرزخ ، أو يخفف به بعض عذاب النار يوم القيامة بحيث لا يحس بالتخفيف كما لو كان مستحقاً لمئة نوعٍ من العذاب بكفره ، وكان له عمل صالح لم يجاز به في الدنيا ، ولا في البرزخ جعل عليه عند أول دخوله النار خمسين نوعاً من العذاب مدة ما يقابل عمله الصالح ، ثم يجعل عليه مئة نوع من العذاب فلا يحسّ بالتخفيف الأول .

وربما يجازى به في الدنيا وإذا أتى المرء يوم القيامة بالإيمان الصحيح لا يضره شيء مما عمله من المعاصي بأنّ يمنعه من دخول الجنة ، وإن كان يعاقب عليه في الدنيا ، أو عند الموت ، أو في البرزخ ، أو يوم القيامة إلّا أنه لا بدّ وأن يدخل الجنة بعد ذلك .

وكذا قوله روى أبو الصامت عنه عليه السلام أيضاً : ( **إن الله يغفر للمؤمن ، وإن جاء بمثل ذا ، ومثل ذا ، وأوما إلى القباب . قلت ، وإن جاء بمثل ، وإن جاء بمثل تلك القباب يعني بمثل السماوات والأرض ، أو الجبال . فقال عليه السلام : أي والله ، وإن جاء بمثل تلك القباب أي والله مرتين** ) .

والمراد بالمؤمن هنا هو الموالي لمحمد وأهل بيته الطاهرين صلى الله عليه وآله والمتبرئ من أعدائهم .

والكافر هو من أنكر ذلك من بعد ما تبيّن له الهدى ، وأما من أنكر ذلك قبل أن يتبّين له الهدى ، وإنما أنكر ذلك متابعة لغيره من غير بصيرة ولا علم ، فإنّ مثل ذلك ممّن يجدد له يوم القيامة

التكليف وربما يدخل بإيمانه ومعرفته الجنة ، ولا فرق في السيئات بين الكبيرة والصغيرة في كونها غير مانعةٍ من دخول الجنة لمن لم يبلغ بمعاصيه الشرك ، ولا بين الحسنات في كونها غير موجبةٍ لدخول الجنة لمن أتى بالشرك .

ومثله قوله : وفي رواية ما روي عن النّبي صلى الله عليه وآله : ( **وإن زنى ، وإن سرق** ) ، يعني أنّ المؤمن يدخل الجنة بولايته لهم صلى الله عليه وعليهم ، وإن زنى ، وإن سرق .

ومثله قول الصادق عليه السلام حين سئل عن محب علي عليه السلام أنه يدخل الجنة ، وإن زنى ، وإن سرق وهذا إن شاء الله ظاهر .

**وقوله** : ( **واعلم أنّ أعمال الجوارح خيرها وشرّها كلها مما يدخل في الموازين ، إلى آخره** ) ، يريد أنّ أعمال الجوارح توزن بذي الكفتين لأنها محسوسة ، فتوزن في الميزان المحسوس ولأنها مقدارية تدرك بالحواس الظاهرة .

**وقوله** : ( **وأما أعمال البواطن** ) ، فإنها معنوية لا توزن بالموازين الصورية ، وإنما توزن بميزان العدل ، وهو الميزان الحكمي بأن يحكم على هذه بالراجحية ، وعلى هذه بالمرجوحية ولأجل هذا قال : ( **لا توزن بنفسها ، وإنما توزن بصحائفها وكتبها** ) .

**وأقول** : قد مضى الكلام على هذا المعنى ، وأنّ أعمال الجوارح وأعمال البواطن كلها توزن بميزانٍ ذي كفتين ، إلّا أنّ ذلك من نوع الموزون كل ميزان فكفتاه بحسبه ، وأنّ الموزون هو العمل ، وهو يوزن بنفسه لا في صحائفه وكتبه ولكنه بنى معرفة

الأعمال على ما تفهم منها العوام ، وأنّ الصلاة مكتوبة في صحيفتها هكذا صلوات صاد لام واو هي ألف هاء كما كتبنا نحن زيد يصلي نافلة فإنّا نكتبها في القرطاس كما ترى والملكان الكاتبان عنده يكتبان الأعمال كلّها بهذا النمط وليس كذلك وإنما يكتبان الأعمال بمُثُلها بضم الميم والثاء ألا ترى أنك إذا رأيت زيداً يصلي يوم الجمعة في المسجد ركعتين فما دمت حيّاً متى ذكرت ذلك رأيت مثال زيد يصلي تلك الركعتين في غيب يوم الجمعة ، وفي المسجد في غيبه ، فالذي يشاهده خيالك في غيب يوم الجمعة ، وفي غيب المسجد يصلي تلك الصلاة هو مثاله وهو الذي كتبه الملكان من عمله فهو باقٍ في مكانه ووقته إلى يوم القيامة حتى يبعث صاحبه زيد ويلبسه ويحضر يوم الجمع متصفاً به كما قال تعالى : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ ، وقال : ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ .

وقوله : ( **وآخر ما وضع في هذا الميزان قول الإنسان : الحمد لله وبه يملأ الميزان ، إلخ** ) ، هذا الكلام ، وهو آخر ما يوضع من الأعمال ( **الحمد لله** ) ، وأنها تملأ الميزان ليس الآن على خاطري من هذا الشيء بمعنى وروده في رواياتنا بهذا النمط وليس في العقل ما ينافيه ولستُ نافياً له ، وإنما الذي ببالي ما في الدعاء : ( **الحمد لله ملأ الميزان ، ومنتهى العلم** ) ، وهو معنى غير ما ذكره .

وقوله : ( **ومن اللطائف الكشفية أنّ كفة ميزان كل أحد بقدر عمله لا زيادة ، ولا نقصان** ) ، يريد به أنّ المراد من كفة الميزان أنهما آلة وزن العمل ووزن كل عمل هو قدر وزنه ، وهذا على المعنى الظاهر لأنه لا يتعلق به من الاختبار أزيد من اختباره وما زاد عن اختباره واستعلامه فهو استعلام لغيره ، كما أنّ استعلام

العشرة وعدّها لا يصلح لاستعلام الأحد عشر وعدّها ، نعم لو زيد الموزون أُمدت الكفة بنسبة الزيادة فكفة كل عمل بهذا العلم لا تزيد عليه ، ولا تنقص ، وهذا الاعتبار راجع إلى خصوص الاعتبار لا إلى نفس ما يعتبر به فافهم .

## في قول المصنف : قاعدة في الجنة والنار يجب أن تعلم أنّ الجنة . .

**قال : ( قاعدة في الجنة والنار يجب أن تعلم أنّ الجنة التي خرج عنها أبونا آدم عليه السلام وزوجته لأجل خطيئتهما غير الجنة التي وعد المتقون ، لأنّ هذه لا تكون إلّا بعد خراب الدنيا وبوار السماوات والأرض وانتهاء مدة عالم الحركات ، وإن كانتا متفقتين في الحقيقة والرتبة والشرف لكونهما جميعاً دار الحياة الذاتية ودار البقاء غير متجدّدةٍ ، ولا متبدّلةٍ ، ولا دائرةٍ ، ولا فانيةٍ ، ولا زائلةٍ . وبيان ذلك أنّ الغايات كالمبادئ متحاذية متقابلة ، وأنّ الموت الطبيعي ابتداء حركة الرجوع إلى الله كما أنّ الحياة الطبيعية ابتداء حركة النزول من عنده ، فكل درجة من درجات القوس الصعودية بإزاء مقابلتها من درجات القوس النزولية ، وقد شبّهت الحكماء والعرفاء هاتين السلسلتين بالقوسين من الدائرتين إشعاراً بأنّ الحركة الثانية الرجوعية انعطافية لا استقامية ) .**

**أقول** : إن الناس اختلفوا في الجنة والنار هل هما موجودتان في الدنيا يعني الآن أم ليستا موجودتين ، وإنما توجدان في الآخرة أم هما موجودان بمكانهما خاصة وحائطهما ، وأنّ الملائكة تصنع

فيهما المنازل والدرجات والدركات بمدد أعمال العاملين ، فيكون وجودهما في الدنيا أي قبل يوم القيامة بالتدريج ومنشأ الاختلاف من اختلاف ظواهر الآيات والروايات .

والحق أنهما موجودتان الآن ، بل منهما بُدئت الخلائق وإليهما تعود ، إذ كل شيء يعود إلى ما منه بُدئ والكتاب والسنّة متطابقان ناصّان على وجودهما الآن ، والمعروف الدائر بين الناس تعدّدها فجنة الدنيا غير جنة الآخرة ونار الدنيا غير نار الآخرة ، ولذا صرح المصنّف بأنّ الجنة التي خرج عنها أبونا آدم وزوجته لأجل خطيئتهما غير الجنة التي وعد المتقون ، ثم علّل هذا المعنى بقوله : ( **لأن هذه يعني جنة الآخرة لا تكون إلّا بعد خراب الدنيا وبوار السماوات والأرض وانتهاء مدة الحركات** ) ، مع أنه قال في كتاب المبدأ والمَعاد في فصل : إنّ الجنة والنار حق قال : ( **فإذا ثبت وتحقق ما ذكرناه اتضح واستبان فساد بعضٍ من المذاهب السخيفة والآراء الباطلة في هذا الباب ، وهو رأي من زعم أنّ الجنة والنار لم توجدا ، ولا توجدان إلّا بعد بوار العالم وهلاك السماوات والأرض ، ولم يعلموا أنّ هذا الاعتقاد يبعّد صاحبه عن طريق الآخرة ويقلّل من رغبته في ثواب أعماله وجزاء إحسانه ويقلل رهبته وخوفه عن عقوبة معاصيه وسيئاته** ) انتهى .

فإن قوله هنا في ( **الجنة التي وُعِدَ المتقون ، لأنّ هذه لا تكون إلّا بعد خراب الدنيا وبوار السماوات والأرض وانتهاء مدة عالم الحركات** ) انتهى .

هو بعينه قول من أفسد مذهبه ورأيه في كتاب المبدأ والمَعاد كما سمعتَ قوله هناك ، فإنّ قوله هناك صحيح ومراده كما تقدم أولاً أنّ

الجنة وما فيها جواهر عقلية لا تحتمل الدثور ، ولا البوار ، ولا التغير ، ولا التجدّد ، ولا التبدّل بخلاف الدنيا وما فيها وهذه السماوات والأرض فإنّ ذلك كله جارٍ عليها فلا تكون جنة المتقين إلّا بعد ذلك كله فلا يصلح أن تكون في شيء من ذلك .

وأمّا جنة الدنيا فظاهر كلامه أنها كجنة المتقين لاتفاقهما في الحقية والرتبة والشرف لكونهما دار الحياة الذاتية ودار البقاء .

وظاهر كلامه أنهما اثنتان في الآخرة جنة المقربين وهي لا تكون إلّا بعد فناء عالم التغيير والتبدّل والتجدد لما بينهما من كمال التباين .

وجنة أصحاب اليمين وهي المدهامتان وهي جنة الدنيا التي خرج منها آدم وزوجته عليهما السلام وهي تجامع عالم التغير والتبدّل في حال ، ولا يخفى ما في كلامه من الاضطراب والتنافي فإنّ كونهما متطابقتين في الحقيقة والرتبة والشرف يقتضي تساويهما .

وكونهما دار الحياة الذاتية كذلك ويلزم من ذلك أن يكونا معاً متأخرتين عن عالم التجدّد والتبدّل ويلزم من ذلك كله عدم وجودهما الآن ، فيكون كلامه منافياً لكلامه ومقتضى ظاهر الأدلة على رأي الأكثر أن : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ ، وهما ذواتا أفنان وهاتان للمقربين ، وأنّ دون تينك جنتان وهما المدهامتان لأصحاب اليمين ، وأنّ للمؤمنين الذين محضوا الإيمان محضاً إذا ماتوا جنة تأوي إليها أرواحهم ، وأنّ هذه جنة الدنيا وهي جنة آدم عليه السلام وفيها البكرة والعشي .

والكلام في النيران مثل الكلام في الجنان هذا ملخص ما فهموا والذي ثبت عندي مما فهمته من الكتاب والسنّة على سبيل القطع بحيث لا أرتاب فيه ، ولا مرية عندي تعتريه أنّ جنة الآخرة خُلقت قبل سائر الخلق ، وأنّ المؤمنين خلقوا منها وإليها يعودون .

وأن جنة الدنيا خُلقت بعد خلق الأجسام خُلقت من تنزّل جنة الآخرة كما خلقت الأجسام من تنزّل النفوس والأرواح والعقول .

وأن جنة الدنيا هي بعينها بعد التصفية جنة الآخرة كما أنّ أجسام الناس الآن هي بعينها أجسام الدنيا وهي بعينها بعد تصفيتها أجسام الآخرة والقرآن ناطق بذلك لمن كان له قلب قال في حق الجنة : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ .

**فقوله** : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ، يعني جنة الدنيا ، لأنّ الآخرة ليس فيها بكرة وعشي .

**وقوله** : ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ ، يعني جنة الآخرة ، وهذا صريح في أنّ جنة الدنيا هي بعينها جنة الآخرة .

**وقال في شأن النار** : ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ .

**فقوله** : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ ، يعني نار الدنيا ، لأنّ الآخرة ليس فيها غدوٌ وعشيٌ .

**وقوله** : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ ، يعني بالنار المعروض عليها يوم

تقوّم الساعة نار الآخرة ، وقد اتفق القراء على الوقف على تقوّم الساعة ويلزم منه اتحاد النار المعروض عليها وهذا ظاهر .

فإن جنة الدنيا تنزّل جنة الآخرة ونار الدنيا تنزّل نار الآخرة ، كما أنّ أجسام الدنيا تنزّل أجسام الآخرة فتُصفّى أجسام الدنيا وتكون بعينها أجسام الآخرة كذلك تصفّى جنة الدنيا وتكون بعينها جنة الآخرة وتصفّى نار الدنيا التي عند مطلع الشمس وتكون بعينها نار الآخرة ، لأنّ الله سبحانه قد بيّن لنا آية ذلك ، بل آية كل شيء في أنفسنا فقال : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ .

وأيضاً قال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ ، وقال : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ .

والمراد بالدون هنا القَبل والقلة والضعف أي ولمن خاف مقام ربه قبل يوم القيامة وأقل من جنة الآخرة جنتان فيصير المعنى ، ومن دون جنتي الآخرة أي من قبلهما ، ومن دونهما أي من أنزل منهما جنتان في الدنيا إذا ماتوا تأوي إليهما أرواحهم ، وهما الآن في المغرب في الإقليم الثامن والفرات والنيل وسيحان وجيحان تجري من الجنتين اللتين في المغرب وهما المدهامتان .

وفي حديث أمير المؤمنين عليه السلام ما يدل على أنهما في الدنيا ، وهو قوله عليه السلام في الرجعة : ( **وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما وراء ذلك بما شاء الله** ) انتهى .

والرجعة من الدنيا وظهورهما في الدنيا دليل على أنهما أي المدهامتان من جنان الدنيا .

وجنة آدم عليه السلام هي من جنان الدنيا فيها البكرة والعشي وهي المدهامتان فقد ظهر لمن نظر أنّ جنة آدم عليه السلام التي خرج منها هو وزوجته حواء هي من جنان الدنيا وهي الجنتان المدهامتان ، وأنها موجودة الآن وأنها هي بعينها جنة الآخرة إلّا أنها تصفّى بمعنى أنها تظهر من أعراض البرزخية سبعين مرة فتكون هي بعد التطهر جنة الخلد كما أنّ أجساد المؤمنين تطهّر في البرزخ للآخرة في الدنيا للبرزخ فتصفّى سبعين مرة في الدنيا ، فتكون أجساداً للبرزخ لأنها تطهّر من أعراض الدنيا سبعين مرة ، فتكون أخروية . فما بين الدنيا والآخرة في كل ما في الدنيا من الأحوال من النعيم والعذاب أربعة آلاف رتبة ، وتسعمئة رتبة وما بين البرزخ والآخرة سبعون رتبة فما بين جنة آدم عليه السلام التي هي جنة الدنيا وجنة الآخرة سبعون رتبة وبهذا يتبّين لك خطأ المصنّف حيث جعل جنة آدم عليه السلام وجنة الآخرة متفقين في الحقيقة والرتبة والشرف ، وعلل ذلك بكونهما جميعاً دار الحياة ودار البقاء ، ونحن قد نبهناك على أنّ جنة الدنيا أعني جنة آدم عليه السلام لا تبقى إلى يوم القيامة ، بل تفنى عند نفخة الصور ، وأن من جعل المدهامتين هي جنة الآخرة لأصحاب اليمين ، فقد أخطأ كما هو أكثر المفسرين لعدم ذكر ذلك في السنّة إلّا أنّ يراد منها جنان الحظائر التي يسكنها في الآخرة ثلاث طوائف لا غير : المؤمنون من الجن وأولاد الزنى من المؤمنين إلى سبعة أبطن ، ثم يلحق البطن الثامن منهم بجنة المؤمنين ، والمجانين الذين ليس لهم من آبائهم من هو من أهل الشفاعة ولم يبلغوا الحلم قبل أن يُجَنّوا وهي أي جنان الحظائر سبع جنان كل جنة تسمى باسم أصلها وموصوفها

وجنة عدنٍ وهي أعلى الجنان الثمان ليس لها حظيرة فليس في جنان الحظائر ما يسمى بجنة عدنٍ ، نعم جنان المقربين ومنازلهم أعلى من جنان أصحاب اليمين ومنازلهم ، وإن كان الفريقان في جنة واحدةٍ لأنهم يتفاضلون في الدرجات والمراتب كما قال تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ .

والحاصل أنّ قوله **(لكونهما جميعاً دار الحياة الذاتية ودار البقاء غير متجددة ، ولا متبدّلة ، إلى آخره)** ، غلط ، لأنّ جنة الدنيا متجددة ومتبدلة وداثرة وفانية وزائلة بزوال عالم البرزخ ، بمعنى أنّ المؤمنين ينتقلون عنها إلى جنان الآخرة ، وبمعنى عدم وجودها يوم القيامة ، وإنما توجد الجنان التي في باطنها لأنها تصفّى كما تصفّى الأجساد ، فإنّ جسدك الآن في الدنيا لا يوجد في البرزخ بأعراضه الدنيوية ، بل يصفّى منها فيكون في البرزخ برزخياً لا دنيوياً ، ولا يوجد جسدك البرزخي في الآخرة ، بل يصفّى من الأعراض البرزخية ، فيكون في الآخرة جسداً أخروياً لا برزخياً فكذلك جنان الدنيا تصفّى يوم القيامة فتكون في جنان الآخرة لا جنان البرزخ .

**وقوله : (وبيان ذلك أنّ الغايات كالمبادئ متحاذية متقابلة)** ، صحيح لمشابهة مراتب البدء للعود والنزول للصعود بعضها لبعض ولتشابه الذبول للنموّ والتحلل والتفكك للتأليف والتركيب .

وبالجملة كل شيء يشابه ضده وعكسه ويقابله فيما ضادّه وعاكسه فيه ، سواء كان جوهراً في جوهريته ، أو معروضيته أم عرضاً في عرضيته ، أو عارضيّته .

ولما كان مبدأ كل شيء من العلو نازلاً إلى غاية قوس نزوله كان

بدء سيره في صعوده ورجوعه إلى جهة مبدئه من غاية قوس نزوله وكان متشابه الحركة في القوسين متقابل الأحوال ، وقد أخبر سبحانه عن القوس النزولي بقوله : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ ، وهذا ، وإن كان مما لا إشكال فيه ولا منكر له إلّا أنّ الاشتباه وقع في ابتداء الحركة النزولية ، وفي ابتداء الحركة الصعودية .

والمصنّف طوّل القوس النزولي من طرفيه وقصّر القوس الصعودي من طرفه الأسفل وطوّله من طرفه الأعلى فلزمه عدم صدق قوله : ( **إن الغايات كالمبادئ متحاذية متقابلة** ) .

وبيان ما أشرنا إليه على جهة الاختصار والاقتصار والإجمال أنّ المصنّف يذهب إلى أنّ الأشياء منحطة عن حقائقها الأزلية التي هي في الذات بنحو أشرف كانحطاط الأظلة والأشعة عن حقائقها ، كما ذكره في الكتاب فيما تقدم ، وفي غيره من سائر كتبه ، وقد بيّنا أنّ الأشياء لا ذكر لها هناك ، ولا اسم ، ولا رسم ، فلما شاء إمكانها ذكرها بما هي به ممكنة وليست هي حينئذ أشياء بمعنى التكوين أي مكونات ، وإن كانت أشياء إمكانية فحقيقة بدء ذواتها من التكوين بالفعل ، فهذا أول ذكر وجودها بالقوة ومنه ابتدأ القوس النزولي ، وهو طرفه الأعلى وآخره انحلال الغذاء في الكيلوس وآخر القوس النزولي هو الكيلوس ، وهو طرفه الأسفل وأول القوس الصعودي هو كون صفوة الكيلوس كيموساً ثم نطفة وهي بمنزلة المعدن ثم علقة وهي أول مراتب النبات ثم مضغة ثم عظاماً ثم تكسى لحماً وهي آخر مراتب النبات ثم ينشأ خلقاً آخر ، وهو أول مراتب الحيوان وهي الولادة الجسمانية عند تمام الأربعة

الأشهر ، ثم الولادة الدنيوية وهي خروجه إلى الدنيا فمن الكيموس إلى خروجه من الدنيا من مراتب الرجوع إلى الله تعالى بدعوته حين قال للعقل : ( **أقبل فأقبل ، أو أدبر فأدبر** ) ، على اختلاف الاعتبارين .

والمصنّف نقّص القوس الصعودي من طرفه الابتدائي من الكيموس إلى الموت والخروج من الدنيا ، وزاده في الطرف الأسفل من القوس النزولي ، وزاد في الطرف الابتدائي من القوس النزولي حتى أنزله من الأزل ، وفي الانتهائي من القوس الصعودي حتى وصله بالأزل ، وقد أخطأ إذ يلزم منه في ابتداء النزولي الولادة والأزل تعالى لا يلد ، لا يخرج منه شيء ، ولا يعود إليه شيء ، وإنما ينتهي المخلوق إلى مثله كما أنه يبتدئ من مثله فافهم ، وذلك هو قوله ، وأنّ الموت الطبيعي ابتداء حركة الرجوع إلى الله كما أنّ الحياة الطبيعية انتهاء حركة النزول من عنده .

**وقوله : ( فكل درجة من درجات القوس الصعودية ـ إلى قوله ـ لا استقامية )** ، يشير به إلى تشابه القوسين وتحاذيهما ، وهو كذلك .

وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم بأنّ القوس الصعودي لو كانت حركة سيره استقامية لكان الإنسان يرجع من هذه الدنيا إلى اللحم ، ثم إلى العظام ثم يكون مضغة ثم علقة ثم نطفة ثم كيموساً ثم كيلوساً ثم طعاماً ثم نباتاً ثم ماءً وتراباً وترجع نفسه إلى الفلك وما فيها من النفس إلى اللوح ومنه إلى المدد العقلي ومنه إلى الإشراق النوراني والهيئات الإرادية ثم إلى الإمكان .

ويلزم من هذا الرجوع فناء الأشياء ، وهو خلاف ما خُلقت له

لأنها إنما خُلقت للبقاء ، نعم يكون القوسان متقابلين متحاذيين ، وتمام الصوغ الأول في القوس النزولي تحت النفس الكلية عند قوله : ( **ألست بربكم** ) ، ويحاذيه ويقابله يوم القيامة في القوس الصعودي وبعد مقام : ( **ألست بربكم** ) ، في القوس النزولي الكسر في عالم الطبيعة النورانية ويحاذيه ويقابله ما بين النفختين نفخة الصعق ونفخة الفزع وذلك في مدة أربعمئة سنّة وبعد ذلك في النزولي عالم الهباء وعالم المثال إلى وقت الولادة الجسمانية ويحاذيه ويقابله الموت الطبيعي ، فإنّ إسرافيل عليه السلام ينفخ فيه الحياة إذا تمت له الأربعة الأشهر وعزرائيل يقبضها في مقابلة ذلك .

ويشير المصنّف بهذه الكلمات من قوله ، لأنّ هذه لا تكون إلّا بعد خراب الدنيا وبوار السماوات والأرض وانتهاء مدة عالم الحركات ـ إلى قوله ـ لا استقامية إلى أنّ الجنتين جنة الآخرة وجنة الدنيا متساويتان وأنهما وراء عالم الملك وأنهما باقيتان .

ويلزم من كلامه أنّ الدنيا لا جنة فيها ، وأنّ عالم الملك يفنى في الآخرة فلم يبق في الآخرة شيء مع أنه يذهب إلى أنّ جميع الأشياء في الزمان ، وأنّ الزمان لا يسبقه شيء ، ولا يتقدم عليه شيء إلّا البارئ تعالى ، وقد صرح هنا بقوله : ( **وانتهاء مدة عالم الحركات** ) ، وقد ذكر بأنّ الزمان عبارة عن الحركة الحادثة عن الفلك ، وحينئذ لا يصدق قوله ( **محسوسة** ) ، كما يأتي في تقسيمه إذ الجنة المحسوسة لا توجد إلّا بالأجسام المادية .

وقوله ( **وقد شبّهت الحكماء والعرفاء هاتين السلسلتين بالقوسين من الدائرتين** ) ، يراد من السلسلتين مراتب النزول ومراتب الصعود

فإنّ كل مرتبة مرتبطة بما فوقها وبما تحتها كحلق السلسلة ، وكل مرتبة منها مستديرة على قطب علتها استدارة صحيحة كما نبهنا عليه في الفوائد ، فشبهوها بالسلسلة لهاتين العلّتين ولأجل كون العود ، على غير طريق البدء وكون السير إلى جهة المبدأ في النزول والصعود كانت الحركة انعطافية .

في قول المصنف : **وإذا تقرر هذا فاعلم أنّ الجنة جنتان محسوسة . .**

**قال : ( وإذا تقرر هذا فاعلم أنّ الجنة جنتان محسوسة ومعقولة كما قال تعالى :** ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ **. وقوله :** ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ **، المحسوسة لأصحاب اليمين ، والمعقولة للمقربين وهم العلّيون . وكذا النار ناران محسوسة ومعنوية كما مر ، وكل من الجنة والنار المحسوستين عالم مقداري؛ إحداهما صورة رحمة الله والأخرى صورة غضبه لقوله :** ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ **، ولذلك تصول على الجبارين وتقصم المتكبرين ، وكما أنّ الرحمة ذاتية والغضب عارض كما برهن عليه لقوله : ( سبقت رحمتي غضبي ) . وقوله :** ﴿ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ **، فلذلك خلق الجنة بالذات وخلق النار بالعرض وتحت هذا سرّ ) .**

**أقول :** ذكر هنا أنّ الجنة جنتان جنة محسوسة ولابدّ أن تكون جسمانية ، وقد قررنا في كتبنا أنّ الأجسام المحسوسة لا تكون إلّا زمانية والأجسام الزمانية من عالم الملك فالجنة المحسوسة من

عالم الملك إلّا أنها صفّيتْ من العوارض الدنيوية والعوارض البرزخية ، ولما صفّيت من أعراض الدارين دار البرزخ ودار الدنيا كانت من نوع الداخرة وهي على تماسكها ، بل هي أقوى من تماسكها في الدنيا ، وقد مثلنا لهذه التصفية وبقاء التماسك بالحجر فإنه إذا ألقى عليه القلى ووضع في كورة النار تخلّص زجاجاً ، وهو كتخلص الأجسام من النباتات والفواكه والمطاعم مع بقاء تماسكه ولكنه لم يتصف في ذاته بالنسبة إلى الأصلَين اللذين تكون منهما ، وهما الكبريت والزئبق اللذان هما أصل لكل المعادن فإذا أذبت الزجاج وألقيت عليه الإكسير الأبيض إكسير الفضة فإنه يكون بلوراً يجمع البصر ويحرق في الشمس لأنه يجمع الأجزاء النارية المنبثة في نور الشمس وتخلّصه بلوراً بالإكسير الأبيض ، مثل تصفية الأجسام من الأعراض الدنيوية وكونها من أجسام البرزخ والبلور متماسك كتماسك الزجاج وأبقى ، فإذا أذبت البلور وألقيت عليه الإكسير الأبيض مرة ثانية تخلص ألماساً يثقب الأحجار الصلبة وإذا كسر بالإسرب انكسر مثلثاً ، ولا ينكسر بغيره ، بل لو وضع على السندان وضرب بالمطرقة غاص فيهما ولم ينكسر ولو لم يكن ألماساً حقيقيّاً لما حصلت فيه صفات الألماس المعدني ، بل يكون أعلى من المعدني بكثير ، وهو من الحجر وصفّي مرات ثلاث فبلغ هذا الصفاء والصلابة والتماسك كذلك الأجسام صفّيت مراتٍ ثلاث :

**إحداهن** : من الأغذية للدنيا .

**وثانيتهن** : من هذه الدنيا للبرزخ .

**وثالثتهن** : من البرزخ للآخرة .

وهذه الأجسام الأخروية من عالم الملكوت وهي في الآخرة متقوّمة بما تقومت به في الدنيا من المكان والزمان .

أمّا المكان ففيه خلاف كثير هل هو الفراغ المتوهم الذي تشغله الأجسام بالحصول فيه ، أم هو الفراغ المخلوق إلخ ، أم هو البعد المجرد أم هو السطح الحاوي للجسم المحوي ، أم غير ذلك وحَيرتهم في مكان الفلك الأطلس .

والحق أنه الفراغ المخلوق الذي يشغله الجسم بالحصول فيه ، فإنه مساوق للجسم في الوجود والظهور وشرط في تحقق الجسم فلا يكون شيء من الجسم ليس في مكان ، ولا شيء من المكان لا جسم فيه وأما الزمان فليس هو عبارة عن حركة الفلك كما توهّمه المصنّف تبعاً لغيره ، وإنما هو المُدَد وامتداد مكث الجسم وانتقاله .

والحكماء الأولون إنما ذكروا حركة الفلك لبيان تصوره فإنّ السائر السريع الذي قطع فرسخين في ساعة ، والسائر البطيء الذي يقطع فرسخاً واحداً في ساعة إذا ابتدءآ دفعةً في مسافة هي فرسخ وصل السريع آخرها في نصف ساعة وبقي لابثاً نصف ساعة ينتظر البطيء فمدة بقائه زمان قطع البطيء نصف الفرسخ وزمان مكث السريع فيتصوّر الزمان بالحركات لا أن الحركات هي الزمان وإلا لكانت المتحركات قبل الزمان ، وهو عنده ليس قبله إلّا البارئ سبحانه وتعالى .

وأيضاً يلزم أن توجد المتحركات بدون الحركات كما سيكون بعد فناء الخلق بين النفختين ، فإنّ الحركات كلها تبطل مع وجود

السماوات والأرض أربعمئة سنة ولهذا يخاطب الله سبحانه الأرض بما معناه : (**يا أرض أين ساكنوك؟ أين المتكبرون؟ أين من أكل رزقي وعبد غيري ، ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ فلا يجيبه أحد فيردّ على نفسه ويقول : ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾**) .

والحاصل الجنة المحسوسة جسمانية من عالم الملك وفيها النمو الاستغنائي الإمدادي والذبول أي التحلل الافتقاري إلّا أنّ ذلك ترقٍّ في مراتب الكمال والقوة والجدة كما ذكرنا سابقاً .

**وقوله : (ومعقولة)** ، يعني نفسانية وروحانية وعقلية وتنعماتها ولذاتها المعارف والخطابات الربانية والمناجاة الأحدية والمشاهدات القدسية واستمتاعهم فيها بالانكشافات والتجليات والإمدادات الرحيمية والفيوضات الرضوانية وما يصل إليهم من آثار الحياة والعلم والقدرة والملك والتسلط والقدسية وما أشبه ذلك .

**وقوله : (والمحسوسة لأصحاب اليمين والمعقولة للمقربين)** ، واستدل على هذا التقسيم بقوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ ، وهو غلط ، لأنّ المفسرين وغيرهم من أكثر العلماء يذهبون إلى أنّ المراد بمن : ﴿ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾ ، هنا المقربون ، وأنّ الجنتين لهم بمعنى أنّ كل واحدٍ من المقربين له جنتان جنة عن يمين قصره نالها بفعل الطاعات وجنة عن يسار قصره نالها بترك المعاصي .

ولا يبعد أنّ تأويل اليمنى بالمعقولة واليسرى بالمحسوسة ، وإلى أنّ المراد بأهل قوله : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ ، هم أصحاب اليمين؛

بمعنى أنّ كل واحدٍ من أصحاب اليمين له جنتان؛ جنة عن يمين قصره ، نالها بفعل الطاعات ، وجنة عن يسار قصره ، نالها بترك المعاصي ، وكذلك أيضاً لا يبعد أنّ تأول اليمنى بالمعقوله ، لأهل اليمين ، واليسرى بالمحسوسة ، وهذا التأويل في الموضعين هو الحق الذي يشهد له الاعتبار الصحيح والنص الصريح .

وأمّا أن ما في قوله : ولمن خاف مقام ربه جنتان ، للمقربين يوم القيامة .

وما من قوله : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ ، لأصحاب اليمين فالذي يفيده أحاديث أهل العصمة عليهم السلام أنّ قوله : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ ، يراد منه أنّ من خاف مقام ربه من المقربين وأصحاب اليمين فله في الآخرة جنتان جنة معقولة وجنة محسوسة ، إلّا أنّ كلا الجنتين لكل واحدٍ من المقربين وأصحاب اليمين بنسبة رتبته في الشرف كما أشار سبحانه إليه بقوله : ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ - يعني في الدنيا - ﴿ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ ، ولم يرد تعالى أنّ المقربين لا محسوسة لهم ، وأصحاب اليمين لا معقولة لهم ، بل لكل من النوعين معقوله ومحسوسة .

**وأن قوله** : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ ، يراد منه أنّ لكل واحدٍ من النوعين جنتين مدهامتين إذا مات في البرزخ ، لأنّ الجنتين المدهامتين من جنان الدنيا ولهذا تخرج في الرجعة قبل القيامة الكبرى كما في حديث أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال : ( **وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما وراء ذلك بما شاء الله** ) انتهى ، وأنهما جنة آدم عليه السلام فيكون

قوله : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا ﴾ ، أي : من قبلهما يعني في الدنيا أي في البرزخ ، ومن دونهما أي أقل وأضعف من جنتي الآخرة .

والحاصل لأصحاب اليمين جنة معقولة وجنة محسوسة كما للمقربين ، وإن كان كل بنسبته والآية ليس فيها دلالة على مدّعاه ، إلّا إن أراد تأويلها فإنّ التأويل طريق واسع .

**وقوله : ( وهم العلّيون )** ، يريد بهم أنّ المقربين في تلك الحال أي حال كونهم أهل الجنة المعقولة فإنهم هم العلّيون أي ملائكة كروبيون ، وهو صحيح على ما نريد نحن من كونهم ذوي حالات هذه أحد حالاتهم لا على ما يريد هو من كونهم ذوي حالة واحدةٍ قد انخلعوا عن الحالة المحسوسة ، وكذا الكلام في قوله وكذا النار ناران محسوسة ومعنوية بمعنى أنّ المتبوعين أعني الأئمة الذين يدعون إلى النار لهم نار معقولة ونار محسوسة ، وللأتباع نار معقولة ونار محسوسة بنسبتهم وذلك كما قال سبحانه : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾ .

**وقوله : ( وكل من الجنة والنار المحسوستين عالم مقداري )** ، إن أراد به أنّ الجنة المحسوسة والنار المحسوسة من عالم الأجسام المعروضات ، وإنما الجواهر الجسمانية صور للنفوس ولم يرد أنهما أعراض مقدارية ، بل ذوات قائمة بنفسها كالطعام والشراب والحور والولدان والقصور فهو كذلك .

وأمّا إن أراد أنها صور وأعراض بمعنى أنها تصورات خيالية وتخيلات نفسانية كما ذهب إليه بعضهم فهو باطل ، وقد تقدم ما يشير إلى هذا في قوله ما معناه أنّ جميع ما في الجنة من النعيم من

القصور والولدان والحور والمأكل والمشارب والمناكح وغير ذلك كلها موجودة بوجود المؤمن لأنها كلها من نوع النيات والاعتقادات ، وقد ذكرنا هناك ما يلزمه فراجع .

**وقوله : ( إحداهما صورة رحمة الله )** ، وهي جميع الجنة المحسوسة وما فيها من النعيم بل المؤمن نفسه في الدنيا والآخرة صورة رحمة الله ، لأنّ مادته من نور الله ، وهو أثر فعله وصورته من رحمة الله ، لأنّ حدودها هيئات طاعته .

**وقوله : ( والأخرى صورة غضبه )** أي النار المحسوسة ، لأنّ مادتها من الماء الأجاج وصورتها من صورة غضب الله ، لأنّ حدودها هيئات معصيته .

**وقوله : ( لقوله : ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ )** ، يعني أنّ حلول غضب الله أعوذ بالله من غضب الله المحسوس لأنه يُفني من وقع عليه ويقصمه فاستدل عليه المحسوسية بالحلول المحسوس فافهم .

**وقوله : ( وكما أنّ الرحمة ذاتية والغضب عارض كما برهن عليه لقوله : ( سبقت رحمتي غضبي ) .**

**وقوله** : ﴿ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ ، يشير به إلى ما ذكروه من كون الرحمة ذاتية والغضب عارض ، حيث إنه سبحانه قال : ( **سبقت رحمتي غضبي** ) ، لأنّ الرحمة خلقت أولاً وبالذات لأنها مطلوبة له تعالى لذاتها ومحبوبة عنده لأنها عالم فأحببت أنّ أعرف بخلاف الغضب .

ولما كانت هذه الرحمة أعني التي وسعت كل شيء مخلوقة والمخلوق لا يكون بسيطاً إذ لا يتحقق إلّا باعتبارين اعتبار من ربه واعتبار من نفسه وجب أن يخلق له دعامة يتقوم بها ، ولا تكون من نوعه وإلا لما تحقق الاعتباران ، فوجب أن تكون من خلافه وخلاف الرحمة لا يكون رحمة فكان غضباً ، والغضب ليس مراداً لله سبحانه لذاته بل لتقوّم المحبوب عند الله ، وهو الرحمة فخلق الغضب ثانياً وبالعرض فلذا قال : ( **سبقت رحمتي غضبي** ) ، فكان كلامه سبحانه في كتابه جارياً على طبيعة الإيجاد فينسب الرحمة إليه ، وإن كانت من فعله لأجل محبتها بالذات .

وينسب العذاب إلى فعله لبيان العرضية قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، فلذلك خلقت الجنة بالذات لأنها خلقت من الرحمة ، ودار الرحمة وأهلها وخلقت النار بالعرض لأنها خلقت من الغضب ودار الغضب وأهله .

**وقوله** : ( **وتحت هذا سرّ** ) ، يريد به أنّ تحت كون الرحمة خلقت أولاً وبالذات والغضب خلق ثانياً وبالعرض ، وأنّ الجنة خلقت بالذات ، والنار خلقت بالعرض سرّاً مكتوماً عن عوام الناس ، وهو أنّ الأمر الذي يتعلق بالتكليف وبالعقاب على المخالفة أسهل مما يظهر فإنهم يقولون : إنا تتبعنا كتاب الله العزيز ووجدنا كل موضع ذكر فيه الرحمة والغضب ، أو العذاب يكون جانب الرحمة راجحاً على جانب العذاب وجهة العفو أرجح من جهة العقوبة مع ما ثبت من غناه سبحانه عن عذاب عباده العاصين وحاجتهم إلى عفوه ورحمته ، وأنّ ملكه لا يزيد بالعقوبة ، ولا ينقص بالعفو .

وإنما أظهر لهم هذه التشديدات تخويفاً للعاصين ليرتدعوا عن المعاصي كما قال تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ .

وأيضاً إذا كانت النار خلقت بالعرض ، لايدوم عذابها ، بل يؤول حال أهلها إلى التنعم ، بما فيه من أنواع العذاب .

**وأقول** : اعلم أنّ الصوفية ذهبوا إلى هذا ومثله ، ليهوّنوا على أنفسهم الخطب وليتوصلوا إلى الراحة من مشقة التكليف حتى أنّ كثيراً منهم أباح كلّ ما منع الله سبحانه منه فتركوا العبادات كلها وفعلوا المحرمات كلها وأقسموا بالله العظيم أنّ مثال أمرهم مع فعلهم هذا إلى النعيم المقيم ، ويكفيهم من جميع ما يريد الله منهم قولهم لا إله إلّا الله ويؤولون على مطلبهم هذا قول النّبي صلى الله عليه وآله : ( **من قال : لا إله إلّا الله مخلصاً دخل الجنة** ) انتهى .

**وأقول** : أما ما وصفوا من غنى الله سبحانه عن عبادة عباده وعن تعذيبهم ، وأنّ ذلك لا يزيد في ملكه بالعقاب ، ولا ينقص بالعفو والثواب فهو فوق ما ذكروا وأعلى وأجلّ بما لا يدخل تحت وهم من الأوهام .

وأمّا ما ذكروا من تهوين الخطب في نفس التكليف وما يترتب عليه فهو مبطل لأحكام الكتاب والسنّة وإخباراتهما وذلك تقوّل على الله سبحانه ، وعلى رسوله صلى الله عليه وآله والله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله منهم بريئان ، بل كذبوا ولعنوا بما قالوا ، بل قد يقع بأهل المعاصي ما لم يذكر ظاهراً لا في الكتاب ، ولا في السنّة كما أشار سبحانه إليه في قوله : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾ ، لأنه وإن كان الله عزّ وجلّ لا

يجازيهم إلّا بأعمالهم السيئة إلّا أنّ الخلق لا يكادون يحيطون بشيء ، لأنّ الله يعاقبهم إن لم يعف بما يترتب على معاصيهم في علمه ، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ ، أن يعلموه من ذلك وما شاء منه أظهره لهم في ظاهر كتاب وظاهر سنّة نبيه صلى الله عليه وآله وما أخفاه في الكتاب والسنّة أكثر مما أظهره فيهما وأعظم فلا يخرج أحد من خلق الله عزّ وجلّ عن قصور وتقصير في حق الله تعالى ، لأنّ كل ما في الإمكان قاصر عن كل ما ينسب إلى الأزل ، ومقصّر عن أداء ما هو أهله تعالى إذ كل ما في الإمكان من الأداء والوفاء نعمة من أثر ما لله على خلقه ، ومن ذلك الأثر ذوات العاملين المؤدين والموفين ، والأداء والوفاء صفاتهم فكيف يصح مقابلة المؤثر بصفة الأثر ؟ فافهم .

في قول المصنف : **وقد علمت أن ليس لهما مكان في ظاهر . .**

**قال : ( وقد علمت أن ليس لهما مكان في ظاهر هذا العالم لا في علوه ، ولا في سفله ، لأنّ جميع ما في أمكنة هذا العالم متجددة دائرة مستحيلة فانية ، وكل ما هو كذلك فهو من الدنيا والجنة والنار من عالم الآخرة وعقبى الدار ، نعم لكل منهما مكان في داخل حجب السماوات والأرض ولكن لهما مظاهر في هذا العالم بحسب نشأتهما الجزئية ، وعليه تحمل الأخبار الواردة في تعيين الأمكنة لأحدهما كما في قوله صلى الله عليه وآله : ( ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ) .**

وقوله : **( قبر المؤمن روضة من رياض الجنة ، وقبر المنافق حفرة من حفر النار )** .

وما روي : **( أن في جبل أروند عيناً من عيون الجنة )** .

وروي عن أبي جعفر عليه السلام : **( أن لله جنة خلقها في المغرب وماء فراتكم هذه يخرج منها )** .

وروي : **( أن برهوت وادٍ من أودية جهنم )** .

والروايات فيها كثيرة متخالفة الظواهر ذكرنا وجه التوفيق بينها في كتاب ) .

**أقول** : قد ذكر فيما تقدم أنّ الجنة والنار ليس لهما في هذا العالم مكان ، لأنّ السماوات متطابقة ليس فيها ، ولا بينها فضاء بناء منه على أنّ ظاهر هذا العالم العلوي منه والسفلي متماسك بعضه على بعض من محدب الفلك الاطلس إلى أسفل التخوم ، وعلى أنّ الجنان والنيران ليست من نوع هذه الأجسام ، وإنما هي معنوية إن كانت معقولة وصورية إن كانت محسوسة فهي من الجبروت والملكوت ، فيكون لكل منهما مكان في داخل حجب السماوات والأرض ، فإن كانت جنة معنوية فمكانها في باطن حجب السماوات ، وإن كانت جنة محسوسة فمكانها في ظاهر حجب السماوات ، وإن كانت ناراً معنوية فمكانها في باطن حجب الأرضين ، وإن كانت ناراً فمكانها في ظاهر حجب الأرضين .

**وأقول** : قد تقدم ذكر هذا وذكرنا عليه أنّ الجنة جنتان : أما المعنوية فمكانها الجبروت ووقتها أعلى الدهر ومنها ما هو في عالم اللاهوت أعني الوجود الراجح وقته السرمد .

وأمّا المحسوسة فمكانها الملك ووقتها الزمان ومنها ما هو في الملكوت الأعلى ووقتها أسفل الدهر وأوسطه .

وأمّا النار المعنوية فمكانها الملكوت الأسفل وما تحته كذلك .

وأمّا النار المحسوسة فمكانها الملك كذلك ، يعني أنّ وقتهما بنسبتهما في الرتبة .

واعلم أنّا ذكرنا مراراً أنّ عالم الملك باقٍ أبداً لا فناء له ، ولا نفاد ، ولا دثور ، وكذا عالم الملكوت وعالم الجبروت أما عندهم فلا إشكال في الجبروت والملكوت .

وإنما يمنعون بقاء الملك ووقته أعني الزمان ، وقد ذكرنا أنّ هذا القول إنكار للبعث ، وأنّ الحق أنّ العوالم الثلاثة باقية أبد الآبدين هي وأوقاتها ، وأنّ بقاءها على حدّ واحدٍ بمعنى أنها باقية بإبقاء الله سبحانه بدوام إمدادها متصلاً ، لا ببقائه كما توهّمه المصنّف وأتباعه وأن كيفية إمداده أنه تعالى يمدها مما خلقها منه .

**وبيانه** : أنّ ما تحلل منها وفني بالفقر والإمكان أعاده لها بحالٍ أكمل منه قبل الفناء والتحلل وكسره به وصاغه به صيغة أكمل من الصيغة الأولى وأقوى وأصح وأحدّ وأبقى وأصفى وأعلى وأنور وأغلى ، وهكذا بلا نهاية كل ثانية أعلى وأجلّ وأكمل من الأولى .

والتحلّل والتبدّل في الملك والملكوت والجبروت على حدّ سواء كل بنسبته في الدنيا والآخرة ، لأنّ هذا حال الممكن إذ كل ما سوى الأزل عزّ وجلّ متجدد متغير والباقي على حال واحدةٍ لا يتغير ، ولا يتبدّل ، ولا يتحوّل هو الواحد عزّ وجلّ .

فلكلٍّ من المقربين وأصحاب اليمين جنان معنوية ملكوتية وجبروتية ومحسوسة جسمية ذاتية وصورية وصفية ، ولكلٍّ من الجاحدين الكافرين والمنافقين وأتباعهم نيران معنوية تطّلع على الأفئدة ملكوتية ، وما تحت ذلك ونيران محسوسة ملكوتية ، كما أنّ المؤمنين لهم في هذه النشأة الدنيوية أعني النشأة الأولى أجسام ملكية وأوصاف جسمانية ولهم نفوس وأرواح وعقول ملكوتية وجبروتية : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ، ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ ، والأخرى كالأولى ، مَن عقل الأولى عرف الأخرى .

وهذه السماوات والأرض ، اللتان في الدنيا هما اللتان في الآخرة كما أنّ الأجساد التي في الدنيا هي التي في الآخرة ولكنها تُصفّى وتطهّر ويبرز باطنها القوي المتماسك .

كما تصفّى الأجساد وتطهّر ويبرز باطنها القوي المتماسك والجنان تبرز فوق هذه السماوات بعد تصفيتها وتطهيرها والسماوات ، وإن كنا الآن قائلين بأنها دخان كالبخار ويوم القيامة كذلك ، فإنّ الجنان وأجساد أهلها فوقها ، ولا يذهب عليك أنه كيف يحمل ما هو كالبخار الأجسام الثقيلة فإنّ الأرض لا تحمل الأجساد الثقيلة بتماسكها وإنما الحامل لها هو الحيّ القيوم تعالى فإن الله تعالى يحملها ، على ما هو كالبخار والطف ، ألا ترى أنّ المؤمن إذا طهر ظاهره وباطنه من الذنوب مشى على الماء ، وعلى الهواء والله سبحانه يقول : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ، وقال : ﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ .

ولو أراد المصنّف أنّ الجنان والنيران ليس لهما مكان في ظاهر

هذا العالم؛ بمعنى أنّ هذا الظاهر متغير بالتصفية ، وإنما مكانهما فيه بعد التصفية كما يقال : إنّ هذا هو مراده لكان صحيحاً ولكنه يلزمه مساواة الأشياء قبل التصفية وبعدها في الافتقار إلى المدد في بقائها ، وإن كان كل بنسبته في التحقق .

ولما جعل المجردات القادسة باقية ببقاء الله تعالى لا بإبقائه وجعل أهل الجنة علّيين ، وأنّ ما وصل هناك كله من الجبروت والملكوت وأخرج الملك من عالم الآخرة قلنا عليه ما سمعت وعباراته موهمة لخلاف ما قلنا ولكن إذا تتبعت كتبه رأيت أنه قائل بما نسبنا إليه .

واعلم أنّ الجنان المحسوسة كل جنة فوق سماءٍ ، وفي خلال ما فوقه ، فالجنة السفلى فوق السماء الدنيا السفلى ، وفي خلال الثانية .

والجنة الثانية فوق السماء الثانية وفي خلال الثالثة .

والجنة الثالثة فوق السماء الثالثة ، وفي خلال الرابعة وهكذا إلى الجنة السابعة فوق السماء السابعة ، وفي خلال الكرسي .

والثامنة فوق الكرسي ، وفي خلال العرش وذلك مثل ما كنا الآن فوق الأرض ، وفي خلال الهواء .

فكل جنة فوق سماء وإليه الإشارة بقوله : ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ ، وقد تقدم أنّ السماوات والأرض تبدّل وتكشط ، وأنّ معنى كشطها وتبديلها تصفيتها ، وأنّ أهل الجنة المحسوسة ، على أرضٍ تقلّهم كما قال تعالى حكاية عنهم :

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ ، وتحت سماء تظلّهم كما في الحديث : ( **إن الجنة أرضها الكرسي وسقفها عرش الرحمٰن** ) .

وقوله : ( **ولكن لهما مظاهر في هذا العالَم بحسب نشأتهما الجزئية** ) ، أي للجنان والنيران المحسوستان مظاهر في هذا العالم وهذا صحيح .

**وأمّا قوله** : ( **بحسب نشأتهما الجزئية** ) ، ليس على إطلاقه بصحيح ، لأنّ المحسوسة جزئية ( والعقلانية ليست بجزئية لا في الدنيا ، ولا في الآخرة ) في النشأة الأخرى كما في الدنيا وما سمعتَ من أنّ المؤمن إذا أخذ الحورية ، أو الرمانة من غصنها نبت مكانها غيرها بحيث لا يخلو مكانها من بدلها ، فإنه إحداث بدلها من إمكانه منها .

ومثاله في الدنيا إذا أشعلتَ سراجاً من سراج فإنه يكون عندك سراجٌ كالأول والأول على حاله .

وإن أراد بذوات المظاهر الجنان المعنوية أنّ هذا المظهر فيه شيء من الجنان المعنوية يظهر أثره في الدنيا بلذّة الإقبال على الله ولذة مناجاته وانشراح الصدر بالإسلام وبرد القلب بالإيمان وحب المعرفة في الفؤاد .

وقوله صلى الله عليه وآله : ( **ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة** ) ، له معنى ظاهر كما أشار إليه المصنّف ومعنى باطن بيّنه الصادق عليه السلام بما معناه : ( **المراد من القبر علي بن أبي**

**طالب عليه السلام ، ومن المنبر القائم ( عجل الله تعالى فرجه ) ، وما بينهما الأئمة عليهم السلام )** ، وهم الروضة التي أشار إليها صلى الله عليه وآله .

وأمّا جنة القبر وكونه روضة من رياض الجنة وكونه حفرةً من حفر النار ، فالمراد بهذه الجنة التي قبر المؤمن روضة منها جنة الدنيا التي هي المدهامتان .

والنار التي قبر المنافق حفرة من حفرها نار الدنيا التي هي في المشرق وهذه المواضع أعني مواضع الجنة ومواضع النار من جنة الدنيا ونار الدنيا ، بمنزلة الأعضاء من الإنسان أي من جسده ، أو روحه فافهم .

ومثل ما روي : **( أن في جبل أروند عيناً من عيون الجنة )** .

وما روي عن أبي جعفر عليه السلام : **( أن لله جنة خلقها في المغرب وماء فراتكم هذه يخرج منها )** .

وروي : **( أن الفرات والنيل وسيحان وجيحان تخرج منها )** ، والأحاديث في ذلك كثيرة .

وهذه الجنة أعني جنة الدنيا التي هي جنة آدم عليه السلام المدهامتان ، كما مرّ في الإقليم الثامن ، عند مغرب الشمس أسفلها على محدب الفلك الأطلس رتبة لا مكاناً إذ لا مكان ، ولا شيء خارج فلك المحدد ، لأنّ جميع الأكوان غيبها وشهادتها فيه وما ثبت أنّ هذه الأنهار الأربعة تجتمع من الأمطار والسيول من الجبال ، ومن ينابيع تجري من الأرض لا ينافي كونها خارجة من الجنة فإنّ الملائكة حملت تلك المياه الأربعة اغترفتها من البسملة .

فماء الفرات غرفته ملائكة الماء ماءً من ميم بسم الله الرحمن الرحيم .

وماء سيحان اغترفته ملائكة اللبن من هاء الله ماءً .

وماء جيحان اغترفته ملائكة العسل من ميم الرحمن .

وماء النيل اغترفته ملائكة الخمر ماءً من ميم الرحيم .

وهذه الأنواع الأربعة من الملائكة ألقت ما اغترفته على الرياح والرياح ألقته على السحاب والسحاب ألقاه على الأرض فمنه ما سلكه ينابيع في الأرض ومنه على الجبال فسالت السيول ونبعت العيون وجرت المياه الأربعة في الأنهار الأربعة المذكورة .

فجرى ماءُ الفرات من ماءِ الميم ، وهو الماء في أنهار الجنة يوم القيامة .

وجرى ماءُ سيحان من لبن الهاء ، وهو نهر اللبن في الجنة يوم القيامة .

وجرى ماءُ جيحان من عسل ميم الرحمن ، وهو نهر العسل في الجنة يوم القيامة .

وجرى ماءَ النيل من خمر ميم الرحيم ، وهو نهر الخمر في الجنة يوم القيامة .

وما سمعتَ من هذا التفصيل أخذناه كله من معاني الأخبار الواردة عنهم عليهم السلام على سبيل الاقتصار .

وأمّا برهوت ، فهو وادٍ من أودية جهنم في حضرموت من اليمن ، وفي برهوت عين تسمى بيلهوت وتلك البئر أحر ماء على وجه

الأرض تأوي إليه الهام وأرواح الكفار تعذّب فيه إلى قيام الساعة .

وتصدر تلك الأوراح الخبيثة إلى النار التي في المشرق عند مطلع الشمس وفيها يعذب قابيل ابن آدم عليه السلام وقد وُكّل به عشرة رجال إذا مات أحدهم قام غيره مقامه يصبّون على قابيل في الشتاء الماء البارد ، وفي الصيف الماء الحار ، وهكذا إلى يوم القيامة ، وقد تقدم فيما ذكرنا سابقاً مع هذا ما فيه توفيق بين ظواهر

في قول المصنف : **والعجب من عاقل يشك في النشأة الأخرى . .**

**قال : ( والعجب من عاقل يشك في النشأة الأخرى والجنة والنار المحسوستين ، ولا يشك فيما يراه في المنام . وأيضاً الدنيا والآخرة داخلتان تحت مقولة المضاف ، لأنّ أحدهما مأخوذة من الدنو والثانية من التأخر وهم حالتان للإنسان أدناها الدنيا والأخرى الآخرة . والمتضائفان يعرفان معاً فمن لم يعرف الآخرة ولم يصدّق بوجودها بالحقيقة ما عرف الدنيا أيضاً كما قال : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ . وكذلك إني لأعجب من أكثر الفلاسفة وأتباع ارسطوطاليس كأبي علي ، ومن يحذو حذوه حيث أنكروا غاية الإنكار أنّ للنفس كينونة أخرى قبل البدن مع اعترافهم أنّ لها كينونة وبقاء بعد البدن ، ومن هذا القبيل من يشك في حشر هذه الأجساد وعودها إلى الآخرة ، ويقول : أين تذهب هذه الأجسام بعد خراب الدنيا ، ولا يشك في حدوثها ، ولا يقول من أين جاءت هذه الأجسام ) .**

**أقول** : تعجّب المصنّف من عاقل له بصيرة في العلوم ، وفي الحكمة ، يتوقف في شيء من أحوال الآخرة ، مذكور عند أهل الملل ، وفي الجنة والنار المحسوستين ، ولا يتوقف ، ولا يشك فيما يراه في المنام في أنه رأى أشياء في نشأة غير نشأة يقظته حتى أنه رأى من مات من أسلافه وأحوالهم الماضية كما هي قبل ذهابها ، فإنّ العاقل يستدل بعودها في المنام بعد ذهابها على عودها بعد ذهابها يوماً ، لأنّ عودهم في المنام بعد عدمهم وفقدانهم دليل لمن له قلب ممّن يشاهد ما غاب عنه عياناً فيما حضر عنده ، أو ألقى السمع وهو شهيد ، أي استمع ممّن له قلب ، وهو حاضر القلب مصغٍ إصغاءَ تفهّم قد اجتمع قلبه لذلك هما اللذان وينظران بالفؤاد ويستدلان بدليل الحكمة ، ولقد روي ما معناه : **( أن نبيّاً من أنبياء الله دعا قومه إلى عبادة الله والإقرار بالتوحيد والعدل والنبوة والإيمان باليوم الآخر ، فأنكروا البعث وقالوا : إن كنت صادقاً فائت بآبائنا الذين ماتوا فألقى الله عليهم في المنام والرؤيا فرأوا آباءهم أحياء وتلاقوا معهم في المنام وتعارفوا فاستدلوا بذلك على البعث . فنبه صلى الله عليه وآله على عموم جهات الاستدلال بذلك فقال : كما تنامون تموتون ، وكما تستيقظون تبعثون )** .

**وقوله : ( الدنيا والآخرة داخلتان تحت مقولة المضاف )** ، يريد أنّ الدنيا إنما سمّيت دنيا من الدنو ، وهو القرب وذاك يستلزم ضده ، وهو التأخر فالدنيا يعني المدة الدنيا ، أو الحالة الدنيا ، أو النشأة الدنيا تستلزم المدة الأخيرة ، أو الحالة الأخيرة ، أو النشأة الأخيرة ، فإذا لوحظ في النشأة الأولية أنّ بعدها نشآتٍ تنسب إلى الأولية قبل النشأة الأولى بصيغة التفضيل ، لأنّ بعدها أحوالاً

كالشيب بعد الشباب تكشف له عن وجوه العِبر ، فكالبرزخ وكالرجعة وقيام الحجة عليه السلام عجل الله تعالى فرجه .

وإذا لوحظ أنه ليس بعد يوم القيامة حالة ترجى غير ما كان أتى بصيغة التفضيل فقيل النشأة الأخرى .

ولا ريب أنّ تسميتهما من مقولة المضاف كما أشار إليه المصنّف فمن عرف ذلك مؤمناً به اعترف بالآخرة على حدّ ما مُثّل له وعاينه من النشأة الأولى ، ومن ذلك : ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ، ضرب مثلاً لمن أنفق ماله في سبيل الله .

**وقوله : ( فمن لم يعرف الآخرة ولم يصدّق بوجودها بالحقيقة ما عرف الدنيا )** ، صحيح ويؤيده قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ، فإنه تعالى عتب على من علم النشأة الأولى ولم يتذكر فيعرف بها النشأة الأخرى قال تعالى : ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ، أي : اقرؤوا القرآن وتدبروا آياته ، أو انظروا في الآفاق وتدبروا : ﴿ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾ ، وما أعمى البصائر عن الآخرة إلّا حب الدنيا كما قال تعالى : ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ .

**وقوله : ( وكذلك وإني لأعجب من أكثر الفلاسفة وأتباع أرسطوطاليس ، إلخ )** ، يريد أني أعجب من إنكارهم وجود النفوس قبل الأجسام على نحو ما تقدمت الإشارة إليه مع اعترافهم بوجودها بعد الأجسام ، وما هذا إلّا مثل من أنكر النشأة الأخرى ، أو شك فيها ، وهو يرى النشأة الأولى فإنّ ثبوت كينونتها بعد البدن دليل على ثبوت كينونتها قبل البدن وعجبه في محله في حق من يدّعى العلم .

**وكذا قوله : ( ومن هذا القبيل من يشك في حشر هذه الأجساد وعودها إلى الآخرة ، إلخ )** ، فإنّ من عرف هذه الأجساد في الدنيا ، ومن أين أتت فإنها لم تكن شيئاً ثم جعلها بمشيئته شيئاً مذكوراً ، ولم تكن مذكورة قبل مشيّته بحالٍ فمن جعلها بمشيّته شيئاً لا من شيء قادر على أن يعيدها ، وهو أهون عليه أي هيّن عليه : ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

وللمصنّف في هذه الكلمات الأخيرة أغلاط عظيمة ذكرنا بعضها فيما تقدم منها أنّ قوله : من أين جاءت؟ لا يريد بها أنها جاءت اختراعاً لا من شيء ، بل يريد أنها انحطت من وجوهها التي في ذاته الأزلية انحطاط الظل من الشاخص لأنه يقول : معطي الشيء ليس فاقداً له في ذاته ، وعلى قوله يكون انحطاطها عنه ولادة فلا يصح أن يقال : لم يلد ، بل يلد ولو قال : إنه ليس فاقداً لها في ملكه لكان موحداً قائلاً بقول المسلمين ، ولكن ضاع الكلام فلا كلام ، ولا سكوت مُعجِب .

## في قول المصنف : **فاعلم يا حبيبي أنّا جئنا إلى هذا العالم . .**

**قال : ( فاعلم يا حبيبي أنّا جئنا إلى هذا العالم من جنة الله التي هي حظيرة القدس التي قدّس بها المقدّسون ، ومنها إلى دار الحيوان وجنة الأبدان ومنها إلى هذا العالم دار العمل بغير جزاءٍ ونذهب من هذا العالم إلى دار الجزاء من غير عمل ، فمن سلمت منا فطرته وحسنت أعماله ، فإلى جنة الله إن كان من المقربين**

**الكاملين في العلم ، أو إلى جنة الحيوان إن كان من أصحاب اليمين . ويبقى من ساء عمله واسود قلبه تحت نار غضب الله في جهنم خالداً فيها :** ﴿ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ ) .

**أقول** : اعلم يا حبيبي أنّ الله سبحانه ضرب الأمثال لعباده وقال : ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾ ، وقال الصادق عليه السلام : ( **العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فقد في العبودية وجد في الربوبية ، وما خفي في الربوبية أصيب في العبودية. . .** ) الحديث .

**وقال الرضا عليه السلام : ( قد علم أولو الألباب أنّ الاستدلال على ما هناك لا يعلم إلّا بما هاهنا )** ، ومن الآيات المداد فإنه مادة صالحة للاسم الطيب مثل الله وللاسم الخبيث مثل إبليس لم يتميز الطيب والخبث إلّا بالصورة ، وهذه آيات الله التي ضربها الله ونحن خلقنا هكذا من مادة واحدةٍ كما قال تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ ، ومن هذا إذا رأيت رجلين قاعدين فنسبتهما قبل الاختبار إليك واحدة ، فلمّا أمرتهما وأطاع واحد باختياره وعصى واحد باختياره كان المطيع بطاعته مطيعاً مقرباً عندك طيب الأصل طاهر القلب ولم يكن شيء من هذه الأحكام إلّا بطاعته مختاراً .

وكان العاصي بعصيانه عاصياً مبعّداً عندك خبيث الأصل نجس القلب ولم يكن شيء من هذه الأحكام إلّا بعصيانه .

فالمادة بالطاعة التي هي صورة من صور الرحمة ، ومن الجنة تكون طيبة منيرة وبذلك تكون من النور لا بمعنى أنّ الطاعة كاشفة

عن كون المادة طيبة ، بل بمعنى أنّ الطاعة تقلب المادة إلى حقيقتها بمعنى أنّ الله سبحانه يقلب المادة بالطاعة نوراً ويجعلها بها طيبة ويقلب المادة بالمعصية مظلمة ويجعلها بها خبيثة كما قال تعالى : ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ .

وليس كما توهّمه المصنّف والأكثر من أنّ المادة الطيبة خُلقت من النور ابتداءً واختراعاً لا من حيث قابليتها .

وأن المادة الخبيثة خُلقت من الظلمة ابتداءً واختراعاً لا من حيث قابليتها ، بل لا مدخل لشيء في طيب الطيبة وخُبث الخبيثة سوى نفس فعل الله تعالى ومشيّته ، خاصة وقد ملؤوا من هذا المعنى الكتب والدفاتر والسطور والقلوب والخواطر والصدور ، وهو غلط لا يؤول إلى شيء من الحق ، بل الحق ما أشرنا إليه .

والتحقيق ما نبهناك عليه من أنّ كل ما خلقه الله تعالى فمن مادة متماثلة في أجناس الجواهر ، وفي أنواع الأجناس ، وفي أفراد الأنواع فميّز بين أجناسها بالمميزات الجنسية وأبان بين أنواعها بالمميزات النوعية وعيّن بين أشخاصها بالمميزات الشخصية ، وكل شيء من المميزات في المراتب الثلاث أمر وجودي حقيقي لا اعتباري وهي حدود قابليات الأشياء للإيجاد ، وبها ميز بينها وبها أحدثها وبطيّبها جعل المميز بها طيباً ، وبخبيثها جعل المميز بها خبيثاً لأنه تعالى خلق المادة صالحة لكل من الأمرين بما جعل فيها من التمييز والاختيار ، فجعل عزّ وجلّ ما أجاب دعوته الإجابة الحسنى طيّباً بإجابته ونوراً بقبوله ، وجعل ما أجاب دعوته الإجابة السوأي خبيثاً بإنكاره وظلمة بعدم قبوله وما تسمع من أحاديثهم عليهم السلام من أنه تعالى خلق ذلك الشيء من النور

فمعناه أنه خلق مادته بقبولها الدعوة التي أمر بها من النور ، وخلق صورته من الجنة بما اختار من لباس التقوى وخلق ذلك الشيء من الظلمة بمعنى أنه خلق مادته بعدم قبولها للدعوة التي أمر بها من الظلمة وخلق صورته من النار بما اختار من لباس المعصية .

وحيث إنّ المصنّف لا يفهم إلّا أنّ الطيب خلق ابتداءً واختراعاً طيباً ، والخبيث خلق ابتداءً واختراعاً خبيثاً قال مشيراً إلى أصل الاختراع : ( **يا حبيبي إنّا جئنا إلى هذا العالم من جنة الله التي هي حظيرة القدس التي قدس بها المقدسون** ) .

والمراد بالحظيرة القدس الجنة والقدس الطهر بمعنى أنها مقدسة وما فيها من الموت والفناء والهرم والسقم والغم والهم والجهل والدثور والزوال والتغيير والانتقال والتعب والنصب واللغوب ، وعن كل ما لا تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين .

وعنده أنهم جاؤوا منها في أصل الاختراع وعندنا أنهم جاؤوا بحقيقة ما هم أهله ، وإن كان كل نعمه ابتداءً وبيان السر دقيق يحتاج إلى تطويل كلام ، وقد أشرت إليه سابقاً .

ومراده بقوله : ( **المقدسون أنّ أهل الجنة من المقربين مجردون عن المواد والصور لاحقون بالأرواح القادسة التي لم تدخل تحت** ( **كن** ) ، **بل وليسوا من سوى الله سبحانه وهذا كثير ما يلوّح به ويصرّح** ) .

ونحن قد بيّنا بطلان هذا كله فيما مضى من هذا الكتاب ، وفي شرح المشاعر وغيره ، بل هم كغيرهم من أصحاب اليمين في التركيب من المواد والصور والافتقار إلى المدد ، وإن كانوا بنسبة حالهم .

وقوله : **( ومنها إلى دار الحيوان وجنة الأبدان )** ، يعني بها رتبة النفس الحيوانية الحساسة الفلكية ، أو النفس الناطقة القدسية التي هي صدر العقل لا النفس العليا التي هي رتبة الفؤاد ، فإنها الرتبة الأولى السابقة وهم أصحاب اليمين في الجنة الذين نعيمهم في لذّات المطاعم من المآكل والمشارب والملابس والمناكح .

ومنها إلى هذا العالم ، وهو دار العمل بغير جزاء وهذا يريد منه بيان القوس النزولي إجمالاً والرجوع في القوس الصعودي على عكس الترتيب على نحو ما أشرنا إليه سابقاً ، وهو قوله : **( ونذهب من هذا العالم إلى دار الجزاء )** ، ويريد أنّ الدنيا دار تكليف وعمل بغير جزاء . . . إلخ .

وهو في الظاهر لابأس به على نحو الإجمال ، وإلا ففي الحقيقة أنّ هذه الدار دار التكليف بما تكره النفوس ، وقد يقع الجزاء فيها لبعض الأعمال ، لأنّ جزاء الأعمال يقع في دار نوع الأعمال فإن كانت دنيوية وقع جزاؤها في الدنيا كدفع البلايا وإدرار الرزق ودفع الآلام والفقر وبالعكس في عقوباتها .

وإن كانت برزخية وقع جزاؤها في البرزخ كنعيم الروح ونعيم الأجساد في القبور وبالعكس في عقوباتها .

وإن كانت أخروية وقع جزاؤها في الآخرة بأنواع النعيم في الجنة وأنواع العذاب في النار .

وأمّا الآخرة ففيها تكليف بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وذلك لما برهن عليه في محلّه أنّ المخلوق لا يتعلق به الإيجاد والتكوين

والتمكين من التكوين والتمكين من البقاء ، ولا البقاء إلّا بالتكليف وهذا مما لا يترتب فيه عند أولي الألباب .

وقوله : **( فمن سلمت منا فطرته وحسنت أعماله فإلى جنة الله إن كان من المقربين الكاملين )** ، يريد بجنة الله التي يكون نعيمهم فيها بمناجاته ولذيذ كلامه وسكر معرفته لأنهم حينئذٍ مقدسون مجردون عن جميع الأكوان وهذا بناء منه على مذهبه من وحدة الوجود ، لأنهم حينئذٍ ليسوا غير الله ، وقد بيّنه في باب اتحاد المعقول بالعاقل والمفعول بالفاعل والمحسوس بالحاس .

ونحن قد بيّنا مراراً بطلان هذا القول وبطلان أصل هذه المسألة رأساً ، وأيضاً لو كانت الأشياء قبل التكليف وقبل ما يترتّب عليه مخلوقة من الجنة ابتداءً لعادت إلى الجنة من دون أن تتصف نفسها وفطرتها بالسلامة من التقصيرات وحسن الأعمال إذ كل شيء يعود إلى ما خلق منه .

ولما ثبت أنها لا تعود إلى الجنة إلّا إذا سلمت فطرتها وحسنت أعمالها دلّ على أنها لم تخلق من الجنة إلّا بسلامة فطرتها وحسن أعمالهما فافهم .

وقوله : **( فإلى جنة الله )** ، يعني به أنّ المقربين يرجع أمرهم إلى جنة الله التي يكون نعيمهم فيها ولذاتهم وشهواتهم بلذيذ مناجاته والنظر إلى وجهه لا غير ذلك .

ونحن قد بيّنا أنّ المقربين أفضل نعيمهم ولذاتهم المناجاة والذكر والنظر ولهم تنعم بالمأكل والمشارب والمناكح ، وإن كانت قرة أعينهم وتنافسُهم في المناجاة بأن يسمعوا كلامه وخطابه ويسمع

دعاءهم ويذكرهم بما يذكرونه ويراهم بما يرونه ولأجل ذلك قال : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾ ، وهذه الآيات نزلت في سادات المقربين ، وأنّ أصحاب اليمين لهم حالات كحالات المقربين من المناجاة والاستماع والرؤية بنسبة حالهم لاشتراك الفريقين في أحكام العبودية ، وفي الظهور في مظاهر الربوبية كما أشار إليه سبحانه بقوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ ، إلّا أنّ كل طائفة تقبل بنسبة جوهرها وطينتها .

وقوله : ( **ويبقى من ساء عمله واسود قلبه تحت نار غضب الله في جهنم خالداً فيها** ) ، يعني أنّ من حسن عمله وابيضّ قلبه رفعته أعماله إلى علّيين .

ومن ساء عمله واسود قلبه بقي في سجن طبيعته لثقل أغلال أعماله ، فحطّته إلى أسفل سافلين الذي هو محل غضب الله .

وظاهر كلامه في قوله : ( **ويبقى من ساء عمله** ) ، أنّ الكل مخلوقون في البعد فرفعت المقربين أعمالهم إلى علّيين ، وبقي في مقام البعد من ساء عمله أي لم ترفعه أعماله وليس الأمر كذلك ويحتمل أنه أراد بقوله يبقى معنى يمكث كما تفيده القرائن .

والمراد بقوله : ( **تحت نار غضب الله** ) ، تحت قاهرية غضب الله التي يظهر عنها التعذيب بنار جهنم ، وقد أشرنا سابقاً ويأتي إن شاء الله إلى أنّ الثواب والعقاب متقومان بالأعمال ، لأنّ الأعمال صور الثواب والعقاب ومادة الثواب والعقاب إشراق من أمر الله الذي به قام كل شيء تحصص ذلك الإشراق بصور الأعمال ، وهذا

الإشراق يحمله أمر الله ونهيه القوليّان المتعلقان بأفعال المتكلفين ، فإذا وافق عمل المكلف أمر الله ونهيه خلق تعالى منهما الثواب ، وإن خالف خلق منهما العقاب .

فالعمل كالفصل لحصص الجنس وكالمشخصات ، بل هو المجنّس والمنّوع والمشخّص لأنه في الحقيقة هو الصورة ولأجل كون الأعمال صور الثواب والعقاب قال تعالى : ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

وأصل ذلك أنّ الإمداد والمدد اللذان لا يستغني المخلوق عنهما لا في التكوين ، ولا في البقاء منحصران في الرحمة والغضب وامتثال أمر الله واجتناب نهيه عن طريق رحمته ، ومخالفتهما طريق غضبه فمن أطاع دخل باختياره الرحمة ، لأنّ ذلك ثمرة عمله ، ومن عصى دخل في الغضب باختياره لأنه ثمرة عمله وليس في الدنيا والآخرة إلّا دار الرحمة ، أو دار الغضب ، فمن خرج عن أحداهما دخل في الأخرى وهذا حكم الدارين وأهلهما خالدين فيها مادامت السماوات والأرض .

أما أهل الجنة فمنعّمون فيها أبداً ويشتد نعيمهم فيها ، على مرّ الدهور المتطاولة بلا نهاية لزيادة النعيم واشتداده ودوامه .

وأمّا أهل النار فمعذّبون فيها أبداً وأهل التصوف كابن عربي وعبد الكريم الجيلاني وابن عطاء الله والبسطامي وأمثالهم من العامة وأتباعهم من العامة والخاصة كالمصنّف ، على ما نص عليه في شواهد الربوبية والملا محس على ما ذكره في النوادر وغيره وأمثالهم قائلون بانقطاع التألم عنهم ورجوع أمرهم إلى التنعم

بالعذاب ، وهو خلاف نص الكتاب والسنّة والإجماع كأنهم ما قرؤوا قول الله : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ ﴾ ، أو قرؤوه وما فهموه .

وأصل هذا توهم أنّ الله سبحانه عدل لا يجور ، ولا يظلم العباد ومقتضى العدل أنه لا يعذب العاصي أكثر من جزاء معصيته ، فإذا عصى عشر سنين لو عذب إحدى عشرة سنة مثلاً كان قبيحاً وكان الظالم بمعصيته مظلوماً بمعاقبته أكثر من معصيته ، ولأن العاصي إذا طال مكثه في الجحيم كانت طبيعته ملائمة لطبيعة النار وكان معتاداً بها فيتلذذ بالعذاب كالجمرة ، فإنها كانت خشبة فأثّرت فيها النار وأحرقتها حتى كانت من نوعها فأنست بها بحيث لو أتاها ما ينافي النار والإحراق كالماء أطفأها وأفسدها .

وكذلك أهل النار بعد تطاول الدهور وانقلاب طبائعهم طبيعة أهل النار لو أُدخلوا الجنة تألموا بها وأضرت بهم كما تضر النار أهل الجنة لو كانوا فيها ، ولأن الله سبحانه قال ، وهو أصدق القائلين : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ .

ولا شك أنهم حينئذٍ من الأشياء فتسعهم الرحمة الواسعة ولأنهم خلقوا من النار فإذا عادوا إليها عاد البعض على كله والشيء لا يحرق نفسه .

وأمّا تألمهم في أول دخولهم مع أنهم أشياء والرحمة تسع كل شيء وأنهم من النار خلقوا ، والشيء لا يحرق نفسه فقد خرج بدليل خاص وقضاء مبرم وأمثال هذه التوهمات .

وهذا أصل منتقض وأساس منهدم ، وقد أجبنا عن هذه وأمثالها في رسائلنا ومباحثاتنا بما لا مرّد له عند كل من له أدنى عقل

وأقرب فهم ومنه على جهة الاقتصار أنّ العدل الحق تعالى : ﴿ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ، فإنّ النيات والعزيمات أعمال حقيقية وأعمال الجوارح آثارها ، فإنّ من نظر أحاديث أهل العصمة عليهم السلام وعرفها ظهر له أنّ الأخبار الدالة على أنّ نية العصمة إنما لم تكتب معصية إذا نواها ولم يفعل وكانت النية نية أعمال الجوارح وتركها ولم يعملها فإنها لا تترتب عليها أحكام الشرع في الدنيا .

أما لو كان المانع له من الفعل عدم التمكن منه ، فإنه يكون يوم القيامة فاعلاً لها مؤاخذاً بها وهذا ما لا ريب فيه ما صرحت به الأخبار واتفقت عليه الفرقة المحقة من أنّ القائم عليه السلام عجل الله فرجه الشريف وسهل مخرجه يقتل قتلة الحسين عليه السلام ، ومن رضي بأفعالهم إلى يوم قيامه قصاصاً .

وقد ورد ما معناه : (**لو أنّ رجلاً قتل رجلاً بالمشرق ورضي بذلك رجل في المغرب كان شريكاً في دمه ويؤاخذ به ويجري عليه حكم القاتل**) ، ولأجل ذلك ورد : (**أنه إنما خُلّد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بنياتهم**) ، يعني أنّ أهل الجنة في نياتهم أنهم لو بقوا في الدنيا أبد الآبدين أنهم يطيعون الله ، ولا يعصونه .

وأهل النار في نياتهم أنهم لو بقوا في الدنيا أبد الآبدين أنهم يعصون الله ، ولا يطيعونه وبذلك العزم وتلك النية خُلدوا وذلك حيث ساوت البينة العمل وقامت مقامه وكذا ما مثلنا به من مثال الأعمال المنقوش في غيب مكان الفعل ووقته كما تقدم فراجع .

فعلى هذا لا فرق بين أول دخولهم الجنة وبين ما بعده .

وأما ملاءمتهم للنار وانقلاب طبعائهم بطبعها حتى كانوا بعضاً

منها فليس بصحيح لأنهم لو كانوا كذلك لم يكونوا إياهم لأنهم إنما تميزوا منها بالمميزات التي هي جزؤهم فإنهم مركّبون من مادة جنسية ، أو نوعية ، أو شخصية ، ومن صورة صبغهم فيها بصبغ الغضب ، ولو كانوا بعضاً منها لما تمايزوا منها ، ولا في أنفسهم ، بل مقتضى حكم بقائهم لا يموتوا ، ولا يخفف عنهم من عذابها تمايزهم دائماً وعدم اتحادهم بها أبداً ، بل كلّما تطاولت الدهور قويت إنياتهم التي هي المميزة لهم فلا اتحاد بينها وبينهم أصلاً .

وأمّا إن رحمته وسعت كل شيء فحق ، ولكنها تسع كل شيء بقسميها الفضل والعدل فتسع المؤمنين بقسم الفضل الذي هو الرحمة المكتوبة : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ ، وتسع المنافقين والمشركين بقسم العدل على أنها لو أريد منها معنى ما أرادوا لما تألم أحد لا في الدنيا ، ولا في الآخرة ولما أصاب أحدٌ من الخلق شيء من المكاره ، لأنّ المكاره بجميع أنواعها من فيح النار كما أشرنا إليه سابقاً .

**وقولهم** : إنّ تألم أهل النار عند دخولها إنما هو لدليل خاص غلط ، فإنّ الدليل الدال على التألم أولاً دالّ على التألم آخراً ، بل جميع الأدلة من الكتاب والسنّة والعقل دالة بصريحها على دوام التألم واستمرار اشتداده على مرّ الدهور .

وأمّا إن الشيء لا يحرق نفسه فأولاً أهل النار ليسوا بعضاً منها ، وإن كانت صورهم من صبغ جهنم كما أنّ الإنسان خلق من التراب [ الأرض ] وليس بعضاً من الأرض مع أنّ الأرض تبليه ، فكما أنّ الأرض تأكل من خُلق منها كذلك النار تأكل أهلها ، وإن كانوا مخلوقين منها ولو كان الأمر كما توهموه لما أحرقتهم أول دخولهم .

**وقوله : ( خالداً فيها ما دامت السماوات والأرض إلّا ما شاء ربك إن ربك فعّال لما يريد )** ، يشير إلى ما ذكر الله تعالى ، وفي الآية توهّمان :

**الأول** : قد توهّم قوم أنّ السماوات والأرض تبدّل وتغيّر وتكشّط فما معنى ذكرها لأهل الجنة والنار في تعليق على دوامهما على دوامها .

**والثاني** : فتوهّم أنّ الاستثناء ينافي الدوام .

والجواب أنّ السماوات والأرض إنما يبدلان تبدّل تصفية كما تبدّل أجساد المكلفين بالكسر والتصفية من غير أن ينقص منها شيء ، أو يبدّل شيء منها بشيء آخر ، بل هي بعينها تعود وكذلك السماوات والأرض لقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ ، وقد ثبت بالأدلة القطعية عقلاً ونقلاً أنّ أجساد أهل الدنيا هي بعينها أجساد أهل الآخرة لأنها بنفسها تعاد لا بصورها كما توهّمه المصنّف ، ولا ببدلها ، وإنما تعاد عين موادها بنفسه من غير تبديل في نفس المادة ، وإن تغيرت الصور عند كسرها وتصفيتها وصوغها ، فكذلك السماوات والأرض .

والجواب عن الثاني أنّ الاستثناء قيل فيه : إنه جارٍ على جهة التعليم للعباد بأن لايقولوا إلّا مع الاستثناء كما قال سبحانه لنبيه : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ .

**وقيل** : إنه تأديب للعباد .

والفرق بينه وبين الأول أنّ هذا محض تأديب ليتأدبوا ، والأول إرشاد لهم ليتم لهم مرادهم .

**وقيل** : بل هو تعليق الخلود والدوام على مشيّة الله عزّ وجلّ لأنه سبحانه لو شاء أفنى الجنة والنار ، ومن فيهما .

**وقيل** : إنّ الجنة منذ خُلقت لم تخلَ من أرواح المؤمنين ولم تخرج روح من الجنة إلّا عند معصيتها فإنها حال المعصية خارجة من الجنة داخلة في النار حتى تتوب فتخرج من النار وتدخل الجنة وكذا النار فاستثنى حال معصية أهل الجن وحال طاعة أهل النار .

**وقيل** : الاستثناء لحالهم في الدنيا فإنّ المؤمنين في الدنيا لم يكونوا في الجنة والمنافقين في الدنيا لم يكونوا في النار .

**وقيل** : إنّ الجنة في الحقيقة هي الطاعة في الدنيا والنعيم في الآخرة والنار هي المعصية في الدنيا والعذاب في الآخرة .

**وقيل** : المراد بالجنة في الآية جنة الدنيا والنار فيها نار الدنيا .

والذي أفهمه من آثار أهل العصمة عليهم السلام أنّ الثلاثة أولاً كلها مرادة في الآية ، والثلاثة التي تليها مرادة من الآية ومآل معناها واحد والسابع مراد ظاهره في البرزخ وباطنه في الآخرة فلاحظ .

### في قول المصنف : **قال بعض أهل الكشف اعلم عصمنا الله . .**

**قال : ( قال بعض أهل الكشف اعلم عصمنا الله وإياك أنّ النار من أعظم المخلوقات وهي سجن الله في الآخرة . وسُميت جهنم لبعد قعرها يقال : بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر وهي تحوي**

**الحرور والزمهرير ففيها الحر على أقصى درجاته والبرد على أقصى درجاته وبين أعلاها وسافلها مسافة خمسٍ إلى سبعين مئة من السنين وهي دار حرورها هواء محرق لا جمر لها سوى بني آدم والأحجار المتخذة آلهة والجن لهبها كما قال تعالى : ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ . وقوله : ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ . ومن أعجب ما روي عن النّبي صلى الله عليه وآله أنه كان قاعداً مع أصحابه في المسجد فسمعوا هدّة عظيمة فارتاعوا فقال صلى الله عليه وآله : (أتعرفون ما هذه الهدة؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال صلى الله عليه وآله : حجر ألقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة والآن وصل إلى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدة . فما فرغ من كلامه إلّا والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : الله أكبر فعلمت الصحابة أنّ هذا الحجر هو ذاك وأنه مذ خلقه الله يهوي في جهنم فلما مات خصل في قعرها قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾** ) ، فانظر ما أعجب كلام الله وما أحسن تعريف النّبي صلى الله عليه وآله لأصحابه .

**أقول** : هو كما قال : إنّ النار من أعظم المخلوقات ولكن ليست أعظم المخلوقات لأنها خُلقت من غضبه أستجير بالله من غضب الله وغضب الله أعظم من النار ، وإنّ جهنم لا تزال خائفة وجلة من غضب الله ورحمته تعالى ، أعظم من غضبه كما قال تعالى : ﴿ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ ، وقال تعالى : (**سبقت رحمتي غضبي**) ، نعم النار من المخلوقات العظيمة فأعظم في كلام المصنّف صفة مضافة إلى موصوفها والنار

أستجير بالله منها لها سبعة أبواب كل باب يسمّى باسم مخصوص كما تقدم من أنّ الله سبحانه جعلها سبع درجات :

**أعلاها** : الجحيم يقوم أهلها على الصفا منها تغلي أدمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها .

**والثانية** : لظى ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ .

**والثالثة** : سقر ، ﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ .

**والرابعة** : الحطمة ، ومنها يثور شرر كالقصر : ﴿ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾ ، تدق من صار إليها مثل الكحل فلا تموت الروح كلّما صاروا مثل الكحل عادوا .

**والخامسة** : الهاوية ، فيها ملوك يدعون يا مالك أغثنا ، فإذا أغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار فيه صديد ما يسيل من جلودهم كأنه مهل ، فإذا رفعوه ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم فيها من شدة حرها ، وهو قول الله تعالى : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ .

ومن هوى فيها هوى سبعين عاماً في النار كلما احترق جلده بُدّل جلداً غيره .

**والسادسة** : هي السعير ، فيها ثلاثمئة سرادق من نار في كل سرادق ثلاثمئة قصر من نار في كل قصر ثلاثمئة بيت من نار في كل بيت ثلاثمئة لون من عذاب النار فيها حيات من نار وعقارب من نار

وجوامع من نار وسلاسل من نار وأغلال من نار ، وهو قول الله سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴾ .

**والسابعة** : جهنم ، وفيها الفلق ، وهو جب في جهنم إذا فتح أسعر النار سعراً ، وهو أشد النار عذاباً .

وأمّا صعود فهو جب من صفر من نار وسط جهنم .

وأمّا آثام فهو وادٍ من صفر مذاب يجري حول الجبل فهو أشد النار عذاباً انتهى ، وقد تقدم من تفسير القمي وإنما أعدت ذكره لما فيه من الموعظة لمن كان حياً .

فجهنم أعظم الأبواب السبعة وأسفلها وأشدها وأولاها بأهلها وأبعدها قعراً .

وإنما سمّيت جهنم بهذا الاسم لشدة عمقها وبُعد قعرها .

**وفي اللغة يقال** : بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر .

**وقوله** : ( **وهي تحوي الحرور والزمهرير** ) ، يعني أنّ النار أجارنا الله منها جمع تجمع المكاره ، ومن جملتها المكاره المتقابلة المتضادة كالحرارة والبرودة في آخر مراتبها الممكنة فتحرق بحرارتها النارية والزمهريرية .

وضابط العبارة عن مراتب مكارهها أنّ كل شيء مكروه في الدنيا إذا اشتد وتناهى بحيث يكون قاتلاً في الدنيا كالحرارة والبرودة والمرارة والملوحة والضيق والخوف والهم والغمّ والوحشة والفراق والجوع والعطش والفقر والخزي والندامة وأمثال ذلك من المكروهات ، إذا تناهى وضوعف اشتداده القاتل أربعة آلاف مرة

وتسعمئة مرة كانت شدته مساوية لما يماثله في النار ، وقس على هذه النسبة جميع مكاره الآخرة إلى أمثالها من مكاره الدنيا .

وقول المصنّف : ( **ففيها الحر على أقصى درجاته والبرد على أقصى درجاته** ) ، يصدق على ما أشرنا إليه في الجملة .

وأمّا التقدير الذي ذكرناه فشيء لا يعرفونه ، وإن مرّوا عليه في أحاديث أهل البيت عليهم السلام .

**وقوله : ( وبين أعلاها وأسفلها مسافة خمسين إلى سبعين مئة من السنين )** ، يدل على أنّ عمقها الأعظم هذه المسافة وهذا ومثله لا يُعلم إلّا من الأحاديث ، وأنا إلى الآن ما وقفت على ما يدل على هذا الخصوص ، ولا أنكر ما لا أعلم ولكن المستفاد من الخبر المذكور بعد هذا الكلام مع ما ذكره أنّ عمقها يتقدر بقدر مبلغ الهاوي فيها بحركة أعماله ، لا بقدر عمره كما هو ظاهر الخبر المذكور ، إذ لو عملنا بظاهره لزم أن تكون رتبة ذلك اليهودي ودَرَكه من النار لا يبلغها من نقص عمره عن السبعين سنة ، وإن كان أعظم جرماً وأشد معصية منه وهذا مخالف للواقع ، فإنّ بعض المنافقين من دلت الأخبار المتفق على صحتها وصحة معناها على أنّ له دركاً في جهنم لم يكن فيها دَرك أبعد منه مع أنّ عمره لم يبلغ السبعين ، ولكنه تكلف المعاصي بما لا تقتضيه طبيعته كما أشار تعالى إليه في قوله في حقه : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

واليهودي المذكور في الحديث الآتي جرى في معاصيه على مقتضى طبيعته فساوى سيرُه عمرَه كما يساوي هوّي الصخرة ثقلها ، فإنك إذا ألقيت صخرتين كبيرة وصغيرة من أعلى المنارة وصلت

الكبيرة إلى الأرض قبل الصغيرة ، لأنّ سيرهما في النزول بمقتضى طبيعتهما ولو أنك ألقيتهما معاً دفعة إلّا أنك دفعت الصغيرة بيدك بقوتك والكبيرة وقعت بغير دفع وصلت الصغيرة الأرض قبل الكبيرة ، لأنّ الكبيرة نزلت بطبعها والصغيرة نزلت بتكليف من دفع يدك مع ثقلها .

فمن نظر بفؤاده بدليل الحكمة فهم من حديث الهدّة حديث اليهودي وحديث المنافق الظلوم الجهول أنّ عمق النار قدر سير الواقع بمعاصيه وأعماله السيئة فيها ، فكل واحدٍ من أهلها بلغ قعرها في حقه ، ولا تقدّر في نفس الأمر بسبعين عاماً ، ولا بخمس وسبعين مئة سنةٍ على أنّ أهلها يتضاعف عذابهم ، على مرّ الدهور فيتغير قعرها لكل واحدٍ منهم في كل وقت وليس لهذا الامتداد انقطاع أبداً .

وكذلك حكم الجنة مع أهلها في نعيمهم فهنيئاً لأصحاب النعيم وسحقاً لأصحاب السعير .

**وقوله : ( وهي دار حرورها هواء محرق لا جمر لها )** ، يريد به بيان حقيقة ذاتها أنها هواء محرق كالسموم ، والسموم إنما صار حاراً لأنه هواء مرَّ على أودية النار فكان حاراً وإلا فهو الهواء إذا مر على الزمهرير كان بارداً وإنما هي عنصر برأسه خلقه الله من غضبه كما أنّ النار العنصرية خلقها من حركة فعله وإيجاده .

والنار المذكورة تستجير بالله منها على انواع مختلفة من النار لا تنطفئ أبداً لأنها تأكل من نفسها ، فبعضها يأكل بعضاً فيظهر جزء فيشتعل في الجزء الذي قبله وهذا الآكل يأكله غيره وهكذا ، فإذا التقى الجزآن طلب واحد منهم أكل الآخر فيأكل القوي الضعيف

والثاني الأول ، وهذه شدة لا توصف وحدة لا تكيّف ، وجمرها الذي يشتعل منه فيه الناس العاصون لله والحجارة .

والمراد بالحجارة التي توقد بها حجارة الكبريت لأنها نار جامدة إذا مستها النار ذابت ناراً .

وأيضاً المراد بها قلوب المنافقين والكفار والمشركين ، فإنّ حقيقتها حجارة من نار تصلبت بطبخ حرارة النار ورطوبة الحميم .

وقد أشار إلى معنى ما قلنا قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ، بلحاظ ما ذكرنا سابقاً إشارة إلى ما ذكره بعض العلماء من أنّ المشبّه عين المشبّه به في القرآن .

وفي الأحاديث المنقولة عن النّبي وآله صلى الله عليه وآله باللفظ ، وقد أقمنا عليه البرهان في محله في بعض كتبنا فعلى هذا يصير المعنى في الآية ، فهي الحجارة أو أشد قسوة أي بل أشد قسوة وذلك لأنّ تلك القلوب الخبيثة هي منشأ النار وهي المؤججة لها وله طعامها ، وقد أشار سبحانه في قوله : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ ، إلى نكتة عجيبة حيث قال : ﴿ حَصَبُ ﴾ ، ولم يقل حطب مع أنّ المراد به الحطب كما في لغة الحبشة .

وعن الفراء أنّ الحصب في لغة أهل اليمن الحطب ، لأنّ الحاء والصاد من اسم الحصى أعني الحجارة والحاء والباء من اسم الحطب والحاء مشتركة بين الاسمين ، لأنّ المشركين وما يعبدون من الأصنام الظاهرة والمنافقين وما يعبدون من الأصنام الباطنة صفتهم وحالهم في النار كصفة الحطب ، وحاله في النار في

الاشتعال بمعنى أنها تشتعل فيهم كاشتعالها في الحطب وكصفة الحصى وحاله في النار من البقاء وعدم الفناء فلا يكونون رماداً فيفنون وينقطع عذابهم ، بل يبقون كالحجارة وتشتعل بهم النار كالحطب بناء على أنّ الألفاظ بينها وبين المعاني مناسبة ذاتية كما هو الصحيح .

ويتناول اسم الأحجار أيضاً الأصنام المتخذة من الحجارة كما ذكره المصنّف .

وأمّا الأصنام المتخذة من المعادن فيمكن إدخالها في الأحجار من حيث إنها لا تجيب داعيها ، ولا تسمع ، ولا تبصر ، ولا تنفع ، ولا تضر فهي كالأحجار ، وإن كان بعيداً من مفاد كلامه .

وأمّا إذا أريد بالأحجار المعنى الأول ، أو الثاني صدق على الكل بلا منافاة ، وفي الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام : (**لقد مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بجبل وإذا الدموع تخرج من بعضه فقال له : ما يبكيك يا جبل ؟ فقال : يا رسول الله صلى الله عليه وآله كان المسيح مرّ بي ، وهو يخوف النار بنارٍ وقودها الناس والحجارة فأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة . قال : لا تخف تلك حجارة الكبريت فقرّ الجبل وسكن وهدأ**) .

وفي تفسير القمي عن الصادق عليه السلام قال : (**إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، وقد أطفئت سبعين مرة بالماء ثم التهبت ، ولولا ذلك ما استطاع آدمي أن يطفئها وإنها ليؤتى بها يوم القيامة حتى توضع على النار فتصرخ صرخةً لا يبقى ملك مقرب ، ولا نبي مرسل إلّا جثا على ركبتيه فزعاً من صرختها**) انتهى .

**أقول** : وهذا الحديث الأخير يشير إلى العدد الذي أشرنا إليه في نسبة مكاره الدنيا إلى مكاره الآخرة ، وأنّ رتبة ما يبلغ حدّ القتل منها في شدته إذا ضوعف اشتداده أربعة آلاف مرة وتسعمئة مرة ساوى نظيره من مكاره الآخرة ، لأنّ قوله عليه السلام : ( **جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم** ) ، يراد منه الشعاع المعبَّر عنه بالفاضل في بعض الأخبار .

وقوله عليه السلام : ( **وقد أطفئت سبعين مرة بالماء** ) ، إشارة إلى شعاع الشعاع وفاضل الفاضل فالأصل في الآخرة وشعاعه في البرزخ وشعاع الشعاع في الدنيا فافهم .

ولما كان الجمر المعروف هو الباقي من الحطب بعد ما تحرقه النار ، فهو ميراث الحطب بعد ذهاب صورته النوعية وكان حطب جهنم الناس والحجارة ، وقد تمت عليهم كلمة الله بأن يعيد منهم ما أكلته النار ليذوقوا العذاب ، كانت أجسامهم وأجسادهم وأفئدتهم وقلوبهم التي هي حطب جهنم في الحقيقة هي جمرها ، لأنّ أجسامهم بعد حرقها تؤرّث أجساماً لهم بإعادتها لأنها عين الأولى ، وكذلك الأجساد تؤرّث أجساداً والأفئدة تؤرّث أفئدة والقلوب تؤرّث قلوباً كذلك أي هي عين الأولى فهم الحطب وهم الجمر .

والذي تفيده الأدلة النقلية عنهم عليهم السلام أن لهم حالتين حالة الحطب وحالة الجمر على التعاقب من غير فصل ولا استقرار ، ففي حالة الإعادة هم حطبها ، وفي حالة الإحالة والاحتراق هم جمرها .

وقولي من غير فصل ولا استقرار تنبيه على نكتة ، وهي أنهم لو

حصل لهم استقرار في الاحتراق آناً ما لأدركوا التخفيف ولو حصل لهم استقرار في حال الإعادة لانقطع عنهم التألم آناً ما ، لأنّ تألمهم إنما هو بتقطيع أعضائهم وإذابة أوصالهم ، فلو فقدوا التقطيع والإذابة انقطع عنهم التألم ، ولو فقدوا الإعادة لاستراحوا في العدم ولكن الإعادة والإحراق والتقطيع تجري عليهم على نحو السيلان والاتصال من غير فصل ، ولا استقرار ، وإن كانا على التعاقب .

على الشهد **ومثاله** : تعاقب الليل والنهار فافهم .

**وقوله** : ( **والجن لهبها** ) ، يشير به إلى أصل ذلك عنده من جهة أنّ الجن خلقوا من مارج من نار ، وهو النار الخالصة من الدخان فكما أنّ عصاة بني آدم هم جمر النار كذلك عصاة الجن هم لهبها ، فأما كون عصاة بني آدم جمر النار فيتجه في الاعتبار على نحو ما ذكرنا من أنّ الجمر ما بقي من الحطب المحترق بالنار ، وهو هم حال التقطيع والإحالة وهم الحطب حال الإعادة والتبديل وهنا شيء يشكل ، وهو أنّ اللهب أقوى أجزاء النار وأشد أحوالها ، وهو المحرق لا المحترق فاللهب أقوى من الجمر ، لأنّ الجمر بقية المحترق والناس في الأحوال النارية أقوى من الجن ، لأنّ الناس جامعون لمراتب الملائكة والشياطين والجن ، ولهذا كان الإنسان أكمل المخلوقات وأشرفها إذا أطاع وأخبثها إذا عصى وأشرها وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ ، فالمناسب في التأويل العكس .

والجواب أنّ المراد باللهب هنا الناشئ المتفرع من الجمر لا اللهب الذي هو أصل النار ، فإنّ ذلك هو الكامن في الجمر وذلك

هو الجنبة اليسرى من الإنسان واللهب المؤوّل من الجن متفرع من الجمر فلا يكون هذا اللهب الثاني أشد من الجمر ، بل هو لهب الجمر كما ورد في رد مغالطة إبليس حين قال : ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾ ، أي : من آدم : ﴿ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ ، بأنه كذب ، ففي تفسير علي بن إبراهيم عن الصادق عليه السلام : ( **كذب إبليس ما خلقه الله إلّا من طين قال الله عزّ وجلّ** : ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا ﴾ **قد خلقه الله من تلك النار ، ومن تلك الشجرة والشجرة أصلها من طين** ) انتهى .

فالمارج الذي هو اللهب من النار الخالص من الدخان الذي خلق الله منه الجن خلقه الله من الشجر الأخضر وتلك الشجرة التي خلق منها النار التي خلق منها الجان خُلقت من الطين ، فالجمر هو الخازن للنار وللّهب فهو الإنسان المؤجّج لها لأنها خُلقت من غضب الله يعني مادتها وصورتها من عمل الناس العاصين واللهب المذكور خُلقت منها مادته وخُلقت صورته من عمل الجن ، فارتفع الإشكال وضعف الاحتمال هذا على فرض صحة الوصفين من أنّ بني آدم جمرها والجن لهبها كما يدل عليه الاعتبار والتأويل .

وقول المصنّف وقوله : ( ﴿ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴾ ) ، استشهاد بالآيتين ، على كون الناس والجن وقود النار لا على خصوص كون بني آدم جمراً له والجن لهبها .

**وقوله : ( ومن أعجب ما روي عن النّبي صلى الله عليه وآله أنه كان قاعداً مع أصحابه في المسجد فسمعوا هدة عظيمة فارتاعوا فقال صلى الله عليه وآله : ( أتعرفون ما هذه الهدة؟ قالوا : الله**

**ورسوله أعلم . قال : حجر ألقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة والآن وصل على قعرها وسقوطه فيها هذه الهدة ، . . . إلخ ))** .

اعلم أنّ المصنّف عجب من ظهور وصول اليهودي إلى نهايته في المحسوس مع كون الوصول معنى مصدرياً معنوياً ، وإنما كانت له هدة لسرعة ذلك الهوي بسبب قوة ميل إنيّته وطبيعته إلى معاصي الله الكبائر التي هي ثمرات النار وسخط الجبار بما هي عليه من العذاب .

وإنما كان سريع الهوي لثقل إنيته ، وإنما ثقلت إنيته لخلوصها في إرادة المعاصي وتبذّخه بها وعدم التفات نفسه إلى الله ، وإلى جهة طاعته ، فلهذا كان بغفلته وانهماكه في معاصيه حجراً ثقيلاً لاجتماع مشاعره في جهات المعاصي .

واعلم أنه روي ما معناه : (**أن النّبي صلى الله عليه وآله كان يرعى الغنم قبل النبوة فسمع هدّة عظيمة وجفلت الغنم ، ولما نزل عليه جبرائيل عليه السلام بعد النبوة سأله عن تلك الهدة؟ فقال : هذا صوت وقع صخرة ألقيتها في جهنم منذ سبعين سنة والآن وصلت إلى قعر جهنم وأُخبر عليه السلام أنه يهودي مات وعمره سبعون سنة** ) .

والرواية التي ذكرها المصنّف أنه منافق ويحتمل الاتحاد بالتجوّز في أحد الوصفين .

وفي العيون في حديث المعراج أنه صلى الله عليه وآله قال : (**ثم سمعت صوتاً أفزعني فقال لي جبرائيل عليه السلام : تسمع يا محمد؟ قلت : نعم . قال : هذه صخرة قذفتها على شفير جهنم منذ**

**سبعين عاماً ، فهذا حين استقرت قالوا : فما ضحك رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قبض )** انتهى .

فهذه ثلاثة أحاديث وردت في ثلاثة أوقات متباينة ظاهراً ، وفي نفس الأمر كلها حكاية عن واقعة واحدةٍ سمعها صلى الله عليه وآله في وقت واحدٍ قبل البعثة وبعد البعثة ، وفي ليلة المعراج قبل أن يصل السماء الدنيا فإذا أراد أحد أن يعجب فليعجب من هذا لا مما ذكره المصنّف .

وإنما العجب من هذا الفعل الربوبي حيث شهد كل شيء مما كان ومما يكون منذ خلق الله القلم الذي هو عقل الكل إلى ما لا نهاية له فيما يكون كل شيء في وقته ، بل وما قبل العقل فإنّ الله سبحانه شرفه صلى الله عليه وآله وعرّج به إلى ملكوته فأشهده خلق السماوات والأرض وخلق نفسه التي هي قبل العقل بما لا يكاد يتناهى لأنه حين كان في مقام قاب قوسين في عروجه أشهده العقل حين خلقه الله وأنهى إليه علمه ، ثم حين كان في مقام ، أو أدنى أي بل أدنى أشهده خلق نفسه وعرّفه إياها فهناك عرف ربه .

وبالجملة أشهده تعالى ليلة المعراج كل شيء في أول وقت كونه إلى آخر انتهائه ، وأنهى إليه علمه من جميع ما كان وما يكون مما هو محتوم الكون من الدنيا والآخرة إلّا أنه في جريتين كما أشار صلى الله عليه وآله في حديث العيون المذكورة في المعراج قال : في شأن البراق حين سار عليها ليلة المعراج : ( **فلو أنّ الله تعالى أذن لها لجالت الدنيا والآخرة في جرية واحدة** ) انتهى . فلما لم يأذن لها إلّا في جريتين جالت الدنيا في جرية والآخرة في جرية فافهم الإشارة .

وأعجب إن كنت تعجب من شيء مما أشرنا إليه في وقوفه صلى

الله عليه وآله على كون كل شيء وبدئه حين أنشأه سبحانه من عالم الغيب والشهادة من جميع ذرات وجودات الممكنات الكائنة والمحتومة مما لم يكن .

**وقوله : ( قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ )** ، يشير به إلى الاستشهاد على أنّ ذلك المنافق بلغ أسفل قعر النار .

والحق أنّ المنافقين الذين بلغوا الدرك الأسفل من النار على جهة الحقيقة ليس كل منافق ، بل هم منافقون مخصوصون ، والآية نزلت فيهم وسائر المنافقين دخلوا فيها بالتبع ودركهم أسفل من النار إضافي وليس السبعون السنّة غاية أسفل النار إذ أسفلها غير متناهٍ .

وقوله : **( فانظر ما أعجب كلام الله )** ، بيانه ما في دعاء النّبي إدريس على محمد وآله و عليه السلام : **( يا عجيب فلا تنطق الألسن بكل آلائه وثنائه )** .

وأمّا التعجب من حسن تعريف النّبي صلى الله عليه وآله فكيف لا يكون كذلك وأعظم من أثنى الله عليه في كتابه في قوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وقال : ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ .

## في قول المصنف : قاعدة في أنّ أي حقيقة إلهية أظهرت الجنة والنار . .

**قال : ( قاعدة في أنّ أي حقيقة إلهية أظهرت الجنة والنار والإشارة إلى أبوابهما اعلم أنّ لكل معنى من المعاني الذاتية حقيقة**

**أصلية ومثالاً ومظهراً ، فالإنسان مثلاً حقيقة كلية ، وهو الإنسان العقلي مظهر اسم الله وكلمته والروح المنسوبة إليه في : ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ ، ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ ، ولها أمثلة جزئية وأفراد شخصية كزيد وعمرو . وله أيضاً مظاهر كالمشاعر والألواح الذهنية ، فكذلك للجنّة حقيقة كلية هي روح العالم مظهر للاسم الرحمن لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾** ) .

**أقول** : يريد أنّ لكل شيء حقيقة ومظهراً ومثالاً فالحقيقة يطلق على ما به الشيء هو وعلى معناه العقلي أعني حقيقته في مرتبة العقول لا المعنى التعقلي الانتزاعي ، وعلى حقيقة الشيء من ربه ، وهو المسمّى بالوجود عند الحكماء والعارفين وبالنور وبالفؤاد في أخبار الأئمة عليهم السلام .

والظاهر أنه يريد بهذه الحقيقة حقيقته العقلية لا التعقلية ولهذا قال : ( **وهو الإنسان العقلية** ) .

والمظهر معناه عند كثير أنّ الظاهر أشرق عليه والحق أنّ المظهر هو ما يظهر به الظاهر فمعنى حقيقة الإنسان هي مظهر اسم الله أنّ اسم الله الذي هو أثر فعل الله وتأكيده ظهر بتلك الحقيقة أي أشرق نوراً هو تلك الحقيقة .

وإن أراد بتلك الحقيقة ، الحقيقة الأولى أعني النور المحمدي صلى الله عليه وآله فمعنى كونه مظهراً لاسم الله أنه أثر فعل الله وتأكيده ويراد بالاسم الفعل .

**فإن قلت** : كيف يكون نوره صلى الله عليه وآله خير خلق الله ، وهو أثر فعله والفعل من الخلق والمؤثر أفضل من الأثر؟

**قلت** : إنّ مادة النور الذي نوّر الأنوار صلى الله عليه وآله اخترعها الله بفعله لا من فعله وصوّره بصورة فعله كما أنك إذا كتبت كلمة فمادتها من المداد الذي عملته بفعلك لا من فعلِك ، وفعلُك إنما أحدثته بنفسه لأجل إيجاد الكلمة وإيجاد مادته فهي علة غائية لفعلك ، وإن صدرت بفعلك وكونها متوقفة على فعلك لا يستلزم أفضليته عليها وكذلك تصويرها بصورة فعلك لأنك صورت الفعل لغاية ما ينبغي لتصوير مفعولك ، لأنّ الفعل إنما هو لأجل المفعول ففي الحقيقة ، وإن كانت علة إيجاده نفسه فهو في نفس الأمر مقصود لغيره ، ولذا ورد في الحديث كما في تفسير العياشي عن محمد بن عذاقر الصيرفي عمن أخبره عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ( **إن الله تبارك وتعالى خلق روح القدس ولم يخلق خلقاً أقرب إليه منها ، وليست بأكرم خلقه عليه فإذا أراد أمراً ألقاه إليها فألقاه إلى النجم فجرت به** ) انتهى ، يعني أنّ روح القدس أقرب خلق الله إليه من جهة الوحي لأنها كالآلة ، وفي خلق الله من هو أكرم على الله منها كمحمد صلى الله عليه وآله .

فعلى رأي المصنّف كما ذكره في المشاعر أنّ المراد بروح القدس فعل الله فيتجه على تفسيره ما وجهناه .

وعلى رأينا أنّ المراد بروح القدس الملك الذي هو من أمر الله أعني عقل الكل أو جبرائيل فيكون هذا الحديث شاهداً لما وجّهناه من أفضلية المفعول على الفعل ، وإن كان الفعل أقرب لكونه مقصوداً بالعرض والمفعول بالذات .

والظاهر أنّ المراد بالنجوم في هذا الحديث الأئمة عليهم السلام وسيدهم جدّهم صلى الله عليه وآله يعني أنّ الله يأمر الملك أن يلقي

إليه صلى الله عليه وآله ما شاء من أمره ، ويأمره عن الله تعالى أنّ يلقب ذلك إلى أهل بيته عليهم السلام لأنهم الحفظة .

والمراد من اسم الله اسم فعله ، لأنّ ذاته مقدسة لا تسمّى ، ولا فائدة في التسمية لأنه تعالى لا يشتبه ، على نفسه فلا يحتاج إلى أن يميز نفسه بعلامة ، ولا يدركه ما سواه ليُسمّي له نفسه ، وإنما سائر أسمائه لتمييز جهات أفعاله وهيئات مفعولاته كالحي لتمييز الأحياء من سائر أفعاله ، والحياة من سائر مفعولاته ، والقيوم لتمييز الإقامة من سائر أفعاله ، والمتقوم من سائر مفعولاته وكذلك كلمته التي هي مشيّته وإبداعه .

ومعنى كون الإنسان مظهراً لها مثل ما تقدم .

ومعنى كونها كلمته أنها مفهمة لمطلوبه عزّ وجلّ إذ معنى الكلام ذلك .

والمراد من الروح المنسوبة إليه في الآية الروح التي خلقها وقدسها من الرذائل وطهّرها من الأرجاس ونسبها إليه تعالى تشريفاً لها ، فقال : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ﴾ ، أي : في آدم وعيسى وغيرهما ، ﴿مِن رُّوحِي﴾ ، وهي المسماة بروح القدس وبروحٍ من أمره وهي عندنا روحان روح من أمر الله ونعني به عقل الكل .

ونعني بأمر الله النور الذي نوّر الأنوار صلى الله عليه وآله إن أريد أن تقوّم الروح بالأمر تقوّماً ركنياً ، وإن أريد ما تقوّم به تقوّم صدور فالأمر فعل الله وروح القدس ، وهو النور الاصفر الثاني من أركان العرش أعني روح الكل فمعنى كون الإنسان مظهراً كونه إشراقاً وكونه مشتقاً .

ومعنى كونه في رتبة التشخص مثالاً أنه كان صورة ومركّباً للإنسان العقلي كما قال علي عليه السلام في بيان معرفته بالنورانية لسلمان وأبي ذر إلى أن قال عليه السلام: (**وأنا تكلمت على لسان عيسى ابن مريم في المهد وأنا آدم وأنا نوح وأنا إبراهيم وأنا موسى وأنا عيسى وأنا محمد أنتقل في الصور كيف أشاء من رآني فقد رآهم، ومن رآهم فقد رآني ولو ظهرت للناس في صورة واحدةٍ لهلك فيَّ الناس وقالوا: هو لا يزول، ولا يتغير، وأنا عبد من عباد الله...**) الحديث، يعني أنهم أمثاله ظهر فيهم كل واحدٍ من الأنبياء ظهر فيه بوجهٍ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾، أي: مثلاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي الكافي عن أبي بصير قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالس إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: (**إن فيك شبهاً من عيسى ابن مريم ولولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم لقلتُ فيه قولاً لا تمر بملأ من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة. قال: فغضب الأعرابيان والمغيرة بن شعبة وعدة من قريش معهم فقالوا: ما رضي أن يضرب لابن عمه مثلاً إلّا عيسى ابن مريم؟ فأنزل الله تعالى على نبيّه صلى الله عليه وآله**: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ - إلى قوله - ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾، **يعني من بني هاشم ملائكة في الأرض يخلفون...**)، الحديث.

فعيسى هو مثل علي عليه السلام كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ﴾، أي: عيسى: ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾،

لا كما توهّمه مَن فهم العكس من قوله صلى الله عليه وآله : (**إن فيك شبهاً من عيسى ابن مريم**) .

والحاصل المثال للإنسان الحقيقي هو الإنسان الظاهري المحسوس ، وهو قول المصنّف ولها أمثلة جزئية أي لتلك الحقيقة وأفراد شخصية كزيد وعمرو لكن هنا شيء يجب التنبيه عليه ، وهو أنّ الشيء الجزئي كزيد وعمرو ، وهو الإنسان المحسوس له حقيقة جزئية عقلية ذاتية غير التعقلية ، وتلك الحقيقة الجزئية لزيد غير الحقيقة الجزئية التي لعمرو متميزة منها بمشخصات عقلية وجودية كالحصة المأخوذة من الخشب للسرير والحصة الأخرى للباب .

وأمّا قبل الأخذ فليس ثَمّ حصة من الخشب للسرير والباب ، وإنما الموجود الخشب الصالح لكل شيء .

والحقيقة الكلية لا يكون مثالها جزئياً ، لأنّ الجزئي مثال للحقيقة الجزئية ، أو لوجهٍ من وجوه الكلية فإنّ زيداً الجزئي حقيقته جزئية لا كلية ، لأنّ حقيقته حصة من الكلية متميزة عن غيرها من الحصص .

وأمّا قوله تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ ، فإنهم متمايزون فيما بينهم ، وإنما الاتحاد قبل بعث النبيين في جهات التكليف وقبول موجبات السعادة والشقاوة في الخلق الثاني .

**وقوله : ( وله أيضاً مظاهر كالمشاعر والألواح الذهنية )** ، يعني للإنسان الجامع للإنسان العقلي والحسي مظاهر كالمشاعر التي يشعر بها .

**أقول** : والحق أنّ المشاعر منها ذاتية وهي حقائق مراتبها ، ومنها مظاهر لتلك الحقائق فأعلى المشاعر الفؤاد ، وهو الوجود والنور الذي خلق منه الإنسان أعني مادته الأولى ، وذلك حقيقة الإنسان في البدء والذكر الأول ، وهو مدرك المعرفة ومظهره إدراك الشيء بلا كيف ، ولا إشارة .

وأوسط المشاعر القلب ، وهو العقل الجوهري ، وهو حقيقة معنى الإنسان ، وهو مدرك المعاني ، ومظهره تعقّل المعاني المجردة عن المدة الزمانية والمادة العنصرية والصورة الجوهرية والمثالية .

وآخر المشاعر النفس والخيال ، وهو مدرك الصور ومظهره تخيل الصور الجزئية المجردة عن المدة الزمانية والمادة العنصرية فالمظاهر إدراكات المشاعر لا نفس المشاعر كما توهّمه .

**وقوله** : **( فكذلك للجنة حقيقة كلية هي روح العالم )** .

**أقول** : أما استدلاله بالإنسان فحق لأنه الآية التي جعلها عزّ وجلّ دليلاً على ما يريد معرفته كما قال : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ .

وأمّا تحصيل الدليل منه فموقوف على التوفيق الإلهي .

**وأقول** : إنّ حقيقة الجنة هي الولاية والحقيقة المحمدية وهي متعلق المشيّة والاسم الرحمن من المقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان ظهر بها فهي روح العالم وحقيقته فهي أحد معاني العرش واستدلاله بقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ ، لم يقع على نفس الحقيقة ، وإنما وقع على مستوى الرحمن الذي أحد

أفراده الحقيقة ، وأحد أفراده جنان الصاقورة ، وأحد أفراده التي أرضها الكرسي وسقفها عرش الرحمن ، وأحد أفراده السماوات السبع ، وأحد أفراده ما فوق الأرض وتحت السماء ، لأنّ الحظائر من الجنان بين الأرض والسماء ، يُحشر إليها المؤمنون من الجن وأولاد الزنى من المؤمنين المطيعين والمجانين الذين لم يعقلوا في دار التكليف وليس لهم أقارب من أهل الشفاعة وهم محشورون إلى الرحمن .

وأهل الجنان السبع في السماوات السبع يحشرون على الرحمن .

وأهل جنة عدن التي أرضها الكرسي وسقفها عرش الرحمن يحشرون إلى الرحمٰن .

وأصحاب اليقين أصحاب جنان الصاقورة يحشرون إلى الرحمن .

وأولو الحب والمعرفة يحشرون إلى الرحمن وهم الذين قال تعالى في شأنهم في حديث الأسرار : ( **يا أحمد إنّ في الجنة قصراً من لؤلؤة فوق لؤلؤة ودرة فوق درة ليس فيها قصم ، ولا وصل فيها الخواص انظر إليهم في كل يوم سبعين مرة وأكلمهم كلما نظرت إليهم ازداد ملكهم سبعين ضعفاً وإذا تلذذ أهل الجنة بالطعام والشراب تلذذوا أولئك بذكري وبكلامي وحديثي** ) انتهى .

فإذا أراد المصنّف بقوله : ( **روح العالم** ) ، ذات العالم وكنهه فصحيح .

فإن أصل الجنة كنه العالم ، لأنّ أصل العالم وكنهه الرحمة ،

والرحمة كنه الجنة والرحمن هو الظاهر بالرحمة فتصدق الآية على كل مرتبة من مراتب الجنة كما مثلنا .

وإن أراد بقوله : ( **روح العالم** ) الروح المتعارف أعني المتوسط بين العقل والنفس فلا يصدق إلا على الجن التي أرضها الكرسي وسقفها عرش الرحمن ، لا على ما فوقها فلاحظ ما ذكرنا .

**وقوله** : ( **ولها مثال كلّي** ) ، إذا أريد بالمثال الجنة التي سقفها عرش الرحمن وأرضها محدّب الكرسي وأراد بها جنة عدنٍ فحسن ، وإلا فالمثال في غير جنة عدن الجنان السبع التي في السماوات السبع .

في قول المصنف : **ولها مثال كلي هو العرش الأعظم مستوى . .**

**قال : ( ولها مثال كلي هو العرش الأعظم مستوى الرحمن وصورته كما ورد : ( أرض الجنة الكرسي وسقفها عرش الرحمن ) ، وأمثلة جزئية كقلوب أهل الإيمان كما ورد : ( قلب المؤمن عرش الله قلب المؤمن بيت الله ) ، ولها مشاهد ومظاهر كلية وجزئية هي طبقات الجنة وأبوابها ) .**

**أقول** : الصواب أن يقال : إنّ المثال الكلي هو الجنان المحسوسة ، لأنّ المحسوسات أمثال المجردات وصورها نعم إن كان يريد بالمثال الدليل أي بأنّ المثال الكلي هو العرش الأعظم فقوله صحيح هنا وغير صحيح في قوله قبل :

**( ولها أمثلة جزئية وأفراد شخصية كزيد وعمرو )** ، فإنه جعل زيداً وعمراً والذي هو الإنسان المحسوس مثالاً للإنسان العقلي يعني أنه ظاهر له لا أنه دليل عليه .

وإذا أراد هنا بالمثال الظاهر لم يصح ، لأنّ العرش ليس هو ظاهر الجنة الكلي ، ولا قلب المؤمن ظاهر الجنة كما أنّ زيداً ظاهر الإنسان العقلي نعم العرش الأعظم الذي هو ذو الأركان الأربعة النور الأحمر الذي احمرت منه الحمرة والنور الأصفر الذي اصفرت منه الصفرة والنور الأخضر الذي اخضرت منه الخضرة والنور الأبيض الذي منه البياض ، أو ابيضّ البياض على الروايتين ومنه ضوء النهار وهي الملائكة الأربعة العالين الذين لم يسجدوا لآدم عليه السلام .

والعرش الباطن الكلي الذي أشار إليه تعالى في الحديث القدسي في قوله : **( ما وسعني أرضي ، ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن فإنّه يتقلب معي وفيّ وبي )** انتهى . وهو قلب محمد وقلوب أهل بيته الطاهرين صلى الله عليه وآله أجمعين .

والعرش الباطن الجزئي ، وهو قلوب من سواهم من المؤمنين هي كلها أمثال للجنان بمعنى الأدلة كليُّها لكليها وجزئيُّها لجزئيِّها .

**وقوله** : كما ورد : **( قلب المؤمن عرش الله قلب المؤمن بيت الله )** ، ليس ذلك من طرقنا فيما وقفت عليه ، وإنما هو من طرق العامة .

**وقوله** : **( ولها مشاهد ومظاهر ، إلخ )** ، يريد به أنّ ما فيك مثلاً من الحواس الظاهرة الخمس والخيال والنفس ، أو الحواس

الخمس والنفس والجسد على الاحتمالين هي أبواب الجنة السبعة إذا استعملتها فيما خُلقَت لأجله والعقل هو الباب الثامن المسمّى بجنة عدن .

والظاهر من هذا أنها طرق لتلك الأبواب ، وأنّ الأعمال الطيبة الصادرة عن هذه المشاهد الثمانية صور لما في أبواب الجنان الثمانية من النعيم والثواب الدائم المقيم .

ولعل المصنّف إنما رأى أنّ هذه المشاعر هي أبواب جهنم وطبقاتها لأنه يرى أنّ الجنة وما فيها من النعيم والقصور والحور والولدان من نوع النيات والاعتقادات كما تقدّم من كلامه ، وقد بيّنا هناك بطلانه .

في قول المصنف : **وكذلك النار لها حقيقة كلية هي البعد . .**

**قال : ( وكذلك النار لها حقيقة كلية هي البعد من رحمة الله صورة غضبه ومظهر اسم الجبار والمنتقم ، ولها مثال كلي هي نار جهنم ولها مظاهر كلية وجزئية هي طبقات جهنم وأبوابها ، وطبقاتها سبعة تحت الكرسي وفيه أصول السدرة ومنها منبت الزقوم : ﴿ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾ ، ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ ، وهناك تنتهي أعمال الفجار والمنافقين وهي محيطة بالكافرين وكذا سرادقها ولها أمثلة جزئية هي أهوية النفوس ، بل النفوس الهاوية المظلمة والصدور الضيقة الحرجة ) .**

**أقول** : للنار حقيقة كلية ولاشك أنّ كل شيء فله حقيقة كلية ، أو

هو حقيقة كلية ، وليس المراد في المذهب الحق بالكلية المعنى المصطلح عليه ، فإنّ المعنى المصطلح معنى ذهني ظلّي صوريّ منتزع من الخارجي الموجود في أفراده لأنه في الحقيقة منتزع من القدر المشترك بين الأفراد مع قطع النظر عن مشخّصاتها كالخشب المشترك في السرير والباب .

والكلي المراد هنا على المذهب الحق هو الذات الجامعة الظاهرة بإشراقاتها المتمايزة بالمشخصات ، بل هو ظهور تلك الذات الجامعة بتلك الإشراقات المتمايزة ، إذ المراد بذلك الظهور تلك الإشراقات نفسها ، فإنّا إذا قلنا : العقل الكلي فأفراده العقول الجزئية وليست أجزاء من ذاته ، ولا أنّ كل واحدٍ من تلك الجزئية نفس عقل الكل تنقّل فيها ، على جهة البدلية ، أو تجزّأ فيها ، بل هو واحد بسيط ليس فيه كثرة ، وإنما الجزئية إشراقاته وتأييداته تكثرت بمشخصاتها .

**وقوله : ( هي البعد من رحمة الله صورة غضبه )** ، ظاهره أنّ حقيقة النار أي النار المعنوية العقلية هي البعد من رحمة الله والحق أنّ حقيقة الجنة الرحمة وحقيقة النار الغضب .

**وقوله : ( صورة غضبه )** ، صحيح .

وأمّا البعد فهو من لوازم الغضب ، وكما أنّ الجنة باعتبار كون ما فيها من الأمور المحبوبة المطلوبة صورة الرحمة وظاهرها ولازمها ، كذلك النار باعتبار كون ما فيها من الأمور المكروهة المنافية هي صورة الغضب وظاهره ولازمه ومظهر اسم الجبار والجبار يطلق على الله تعالى باعتبار معنى القهر والسطوة .

ويطلق على الله تعالى باعتبار كونه جابراً للكسر ، والمراد هنا

المعنى الأول وإضافة اسم إليه بيانية ، لأنّ الغضب أثر الاسم ذي السطوة والقهر والانتقام وهذه من فعله بداعي العدل الذي هو جزء الرحمة الواسعة وقسيم الرحمة المكتوبة .

وقوله : **( ولها مثال كلّي )** ، يعني لها ظاهراً كليّاً بمعنى ما تقدم من الكلّي أي شاملاً واسعاً ، وهو نار جهنم .

والمراد بجهنم هنا مطلق النار الجامعة للأبواب السبعة لا خصوص الباب السابع الأسفل كما مرّ تفصيلها .

وقوله : **( ولها مظاهر كلية )** ، أي آيات كليّه هي طبيعة الجهل الكلّي المسماة بالطمطام ونفسه المسماة بالثرى وروحه المسماة بما تحت الثرى وهي مشاعر أئمة المنافقين وصاحب راياتهم الذي فيه شركاء متشاكسون تدّعيه أهل النحل والملل المنحرفة عن الحق ، فالنصارى تدّعي إمامته ، واليهود تدّعي إمامته ، والصابئة والمجوس والدهرية والثنوية والمانوية والمزدكية ، وكل طائفة من المؤمنين الاثني عشريين يدّعون أنه إمامهم فظاهر مشاعرهم آيات النار وأفئدتهم مظاهر غضب الجبار المؤججة للنار في جميع الأطوار في الأدوار والأكوار ولها مظاهر جزئية وكلية إضافية ، هي طبقات جهنم وأبوابها .

ولهذه الطبقات أمثلة جزئية ومظاهر هي آيات وظواهر ، فالآيات أهوية النفوس المعبودة من دون الله والظواهر هي النفوس الهاوية المظلمة العابدة والصدور المضيّقة الحرجة التي كأنها تصعّد في السماء لشدة غليانها بلهب أعمالها الباطلة واعتقاداتها الفاسدة .

وقوله : **( وطبقاتها سبعة تحت الكرسي )** ، غلط على ظاهر مراده

لأنه يريد بالكرسي الذي هو أرض جنة عدن والذي تحت هذا الجنات السبع جنة دار المقامة وجنة الخلد وجنة المأوى وجنة دار السلام وجنة النعيم وجنة العالية وجنة الفردوس .

ولو أراد كرسي الباطل الذي هو الثور الحامل للعرش صح كلامه ، بل لو أريد مطلق التحتية صح في الجملة لأن النيران السبع تحت الأرضين السبع ، كما أنّ الجنان السبع فوق السماوات السبع وحقائق النيران السبع تحت الثور ، وهو تحت الحوت وتحت البحر وتحت الريح العقيم ، ومنشؤها من الطمطام والثرى وما تحت الثرى والجهل الكلي ، ومأخذ هذا الترتيب أنّ كتاب الأبرار ، وهو في علّيين ، وهو نفس الكرسي والكرسي أرضه مقابل لكتاب الفجار ، وهو في سجّين ، وهو الصخرة التي ذكرها الله حكاية عن لقمان ، وهي التي تحمل الملك الحامل للأرض وهي طينة خبال .

وفي نهاية ابن الأثير وفيه : ( **من شرب الخمر سقاه الله من طينة الخبال يوم القيامة** ) .

وجاء تفسيره في الحديث : ( **أن الخبال عصارة أهل النار والخبال في الأصل الفساد** ) انتهى .

وفي مجمع البحرين يعني طينة خبال قال : ( **وفسرت بصديد أهل النار وما يخرج من فروج الزناة فيجتمع ذلك في قدر جهنم فيشربه أهل النار** ) انتهى .

**وقوله** : ( **وفيه أصول السدرة** ) ، أي في الكرسي ، أما كون الكرسي قد يستعمل للكرسي الأسفل المعبّر عنه بالثور فلا محذور في الاستعمال .

وأمّا أنّ فيه أصول السدر فإن كان على معنى أنه أرض الجنة وفيها سدر مخضود أي لا شوك فيها فظاهر .

وأمّا أنّ أصول السدر هو شجرة الزقوم فشيء لم أعرفه ولم أقف فيه على خبر ، ولا سمعته من أحدٍ ، ولا وقفت عليه في كتاب إلّا هنا .

وفي كتابه الأسفار أيضاً قال فيه : ( **والكرسي موضع القدمين يفترقان بعده قدم الجبار وهي لأهل النار وقدم صدق عند ربك وهي لأهل الجنة . وفيه أصول السدرة التي هي شجرة الزقوم طعام الأثيم وهناك تنتهي أعمال الفجار والمنافقين** ) انتهى .

ولا أدري هل كان هذا شيئاً عند أهل التصوف أم لا ، لأني قليل التفتيش في كتبه مع أنه ليس عندي منها شيء فربما هو مذكور في رواياتهم ، أو في اختراعاتهم .

ويحتمل أنهم أرادوا به الرمز بمعنى أنّ سدرة المنتهى شجرة في الجنة كل أحدٍ له فيها روقة هي وجهه الذي يبقى وأصله الذي منه يستمد النور وتكون أصولها التي هي عبارة في الشاهد عن العروق كناية عن أسفلها المعبر به عن عكسها الذي هو الشجرة المجتثة وعلى ما هو من هذا النوع يمتنع التصريح به ، لأنّ ظاهره يعارض مثل هذا التأويل وبالجملة هذا شيء لا أعرفه .

**وقوله** : ( **ومنها منبت شجرة الزقوم طعام الأثيم** ) ، وهي شجرة مرة كريهة الطعم والرائحة .

وعن ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل : ( **إن محمداً يخوّفنا شجرة الزقوم هاتوا الزبد والتمر وتزقموا أي كلوا** ) .

وفي النهاية وقيل : ( **أكل الزبد والتمر بلغة إفريقية الزقوم** ) انتهى .

**وقال ابن الزبعرى** : الزقوم بكلام البربر التمر والزبد .

وفي رواية بلغة اليمن طعام الأثيم الثابت الإثم ومنبت شجرة الزقوم في الجحيم كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ ، والجحيم أعلى النيران .

والظاهر عندي ، وهو ما استفدته من آثارهم عليهم السلام أنّ شجرة الزقوم في طرف أسفل سافلين في مقابلة شجرة المزن التي هي في علّيين .

وفي الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ( **إن في الجنة لشجرة تسمى المزن ، فإذا أراد الله أن يخلق مؤمناً أقطر منها قطرة فلا تصيب بقلة ، ولا تمرة أكلها مؤمن ، أو كافر إلّا أخرج الله تعالى من صلبه مؤمناً** ) انتهى. لأنّ قوله عليه السلام : ( **إن في الجنة لشجرة** ) ، إن أريد بالجنة علّيين كان مقابلها سجّين وهي الصخرة التي على قرن الثور ، أو على سنامه على اختلاف الروايتين .

وإن أريد غير علّيين كان ما يقابلها فوق الصخرة ، لأنّ مقابل الأعلى أسفل ومقابل الأسفل أعلى .

وشجرة الزقوم لا تكون أسفل من سجين وهي على العكس من شجرة المزن ، إذ منها تصعد أبخرة وتصيب البقول والتمر فمن أكل ما أصابه منها قطرة خرج من صلبه كافر .

وسدرة المنتهى مقابلة لها في طرف علّيين ، فإن أريد من شجرة

المزن سدرة المنتهى كما يفهم من بعض الأخبار لم يكن أصلها سجّين ، لأنّ سجين تخرج في أصل الجحيم .

والسدرة في أعلى علّيين ، أي : أعلى الجنان ، أو في سائرها فلا تكون منها لما بينهما من التباين .

وإن أريد غيرها فالسدرة فوق شجرة المزن إذ ليس وراءها نهاية .

وفي العلل عن الباقر عليه السلام إلى أن قال : ( **إنما سمّيت سدرة المنتهى ، لأنّ أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة إلى محل السدرة ، والحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون ما ترفع إليهم الملائكة من أعمال العباد في الأرض . قال : فينتهون بها إلى محل السدرة. . .** ) ، الحديث .

وهذا الحديث مما يدل على اتحاد محل السدرة مع علّيين كتاب الأبرار .

وبالجملة لم أجد لكلامه من كون أصل السدرة شجرة الزقوم محملاً يليق إلّا ذلك الاحتمال المرجوح .

**وقوله** : ( ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ ) ، يعني حمل تلك الشجرة : ﴿ كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ ، كناية عن تناهيه في الكراهية وقبح المنظر لما في النفوس من استكراه الشيطان واستقباحه ، لما في الطباع من أنّ الشيطان شر محض فيشبّهون كل مكروه في طباعهم ولك قبيح برأس الشيطان كما كانوا يشبّهون كل حسن جميل بالملك كما قال تعالى : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ ، لما في طباعهم ونفوسهم من أنّ الملك خير محض لا كراهة في شيء منه أصلاً وهذا تشبيه تخييلي .

**وقيل** : إنّ التشبيه على حقيقته فإنّ الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة شديدة الكراهة والوحشة .

**وقيل** : إنّ شجراً اسمه الأستَن حشِفاً منتِناً مرّاً منكر الصورة يسمى ثمرة رؤوس الشياطين .

والعرب سمّوا هذا الثمر برؤوس الشياطين لما فيه من الصفات المكروهة من جهة تخيلهم لشدة القبح والكراهة في الشياطين ، ثم بعد استقرار التسمية كان عندهم أصلاً يشبّهون به كل مستقبح .

وأنت لاحظت ما ذكرناه مراراً من أنّ جماعة من العلماء العارفين صرحوا بأنّ المشبّه عين المشبّه به في القرآن ، وفي الأحاديث المروية عنهم عليهم السلام باللفظ ظهر لك من ذلك تفسير باطن التأويل بأن طلع شجرة الزقوم وثمرها رؤوس الشياطين الذين هم شياطين الإنس وأئمة الضلال الداعون إلى النار ، وفي جميع الأحوال فافهم .

**وقوله** : ( **وهناك تنتهي أعمال الفجار** ) ، يعني به أنّ أعمال الفجار تنتهي إلى منبت شجرة الزقوم الذي هو سجّين كتاب الفجار كما تنتهي أعمال الأبرار إلى منبت شجرة المزن أعني سدرة المنتهى على الظاهر من كثير من أخبارهم عليهم السلام الذي هو علّيون كتاب الأبرار إذ ليس وراء ذلك في المقامين إلّا مبادئ الأعمال ودواعيها فإنها في الأعمال الصالحة في الأفئدة ، ثم في القلوب ، ثم في النفوس ، وفي الأعمال الطالحة القبيحة فإنها في الإنيّة الأولى الكلية ثم في الجهل الكلّي ثم في النفوس الأمّارة بالسوء فإنها في الأولى مقوّمة منعّمة ، وفي الأخرى مفرّقة مؤلّمة .

**وقوله : ( وهي محيطة بالكافرين )** ، أي النار بجميع أبوابها ، أو جهنم على جهة العموم اقتباس من الآية فإنها كما أشار إليه الكتاب وصرّحوا عليهم السلام به من أنّ النار موجودة في الدنيا في أهلها ويوم القيامة أهلها فيها .

ولما طلب السائل من الإمام زين العابدين عليه السلام بيان ذلك من القرآن أجاب عليه السلام بما معناه : **(أنه موجود في نحو ثلاثين آية منها قوله تعالى : ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ، يعني في الدنيا . وقوله تعالى : ﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾ ، يعني الآن . وقوله تعالى : ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ ، وأمثال ذلك كثير حتى أنّ السائل قال له عليه السلام : لِمَ لا يتألمون إذاً ؟ قال عليه السلام : إنهم أموات ولو كانوا أحياء لتألموا )** .

ومعنى كونها فيهم أنّ مظاهرها أي محال ظهورها صور أعمالهم ومنشؤها مضمرات اعتقاداتهم وكذا سرادقها .

والسرادق كل ما أحاط بشيء من حائط ، أو مضرب ، أو خباء يعني أنّ سرادقها محيط بالكافرين .

**وقيل** : السرادق ما يحيط بالخيمة وله باب يدخل منه إلى الخيمة .

**وقيل** : هو ما يمد فوق البيت وسرادق النار بالمعاني الثلاثة نعوذ بالله من النار .

## في قول المصنف: وأبوابها سبعة لقوله تعالى . .

**قال : ( وأبوابها سبعة لقوله تعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ ، وهي عين أبواب الجنة لأهلها؛ فإنها على شكل الباب الذي إذا فتح على موضع انسد به موضع آخر ، فعين غلقِ هذه الأبواب على الجنة فتحها إلى النار إلّا باب القلب ، فإنه أبداً مطبوع على النار لا يفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة : ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ، لأنّ صراط الله كما مرّ أدق من الشعر فيحتاج من يسلكه إلى كمال الدقة واللطافة ، فأنى يتيسر سلوكه للحمقاء الجاهلين سيما مع العناد والاستكبار فأبواب النار سبعة وأبواب الجنة ثمانية ) .**

**أقول** : للنار سبعة أبواب فيحتمل أنّ المراد بالأبواب طبقاتها وأصنافها ويحتمل أنّ يكون المراد بالأبواب سبعة لكل طبقة منها .

والاحتمالان جاريان حتى في الآية في قوله تعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ ، وإن كان الظاهر من الآية وكلام المفسرين الاحتمال الاول .

**وقوله** : ﴿ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ ، يعني أنّ المعذبين تختلف مراتبهم في أعمالهم بحسب اختلاف ذواتهم ، فإنّ كل جزء خلق من طبقة يعود إليها لا إلى غيرها فمن خلقت طبيعته وصورته من الجحيم لا يعود إلى لظى التي هي تحتها ، ومن خلقت طبيعته وصورته من لظى لا يعود إلى سقر التي هي تحتها ، ولا إلى الجحيم التي هي

فوقها ، ومن خلقت طبيعته وصورته من سقر لا يعود إلى الحطمة ، ولا إلى لظى ، ومن كانت من الحطمة لا يعود إلى الهاوية ، ولا إلى سقر ، ومن كان من الهاوية لا يعود إلى السعير ، ولا إلى الحطمة ، ومن كان من السعير لا يعود إلى جهنم ، ولا إلى الهاوية ، ومن كان من جهنم لا يعود إلى غيرها ، فلكل نار منهم قوم هم أولى بها وهي أولى بهم .

**وقوله : ( وهي عين أبواب الجنة لأهلها )** ، يريد أنّ أبواب النار السبعة مظاهرها في الإنسان حواسه الخمس اللمس والشم والذوق السمع والبصر والخيال والوهم .

وقيل : الحواس الخمس والجسد والنفس إذا استعملها في غير ما خُلقت لأجله ، بل استعملها فيما نهى عن استعمالها فيه كانت أبواب النار السبعة لكل باب منها جزء من أعماله القبيحة خرجت منه وتدخل فيه ، أو منه كما أنها أبواب مشاعر تلك المكلف .

وإذا استعملها فيما خلقت لأجله ومنعها من غير ما لم تخلق لأجله كانت أبواب الجنة السبع لكل واحدٍ منها جزء من أعماله الصالحة ، خرجت منه وتدخل منه بمعنى أنّ هذه السبعة طرق لتلك الدركات وهذا الدرجات .

وأمّا الجنة الثامنة جنة عدن فبابها وطريقها العقل ، وهو لا يصلح لاستعمال الأعمال السيئة فلهذا كانت الجنان ثمان والنيران سبع .

وأصل ذلك أنّ الإنسان خلق أنموذجاً من العالم كله كما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله :

**أتحسب أنك جرم صغير**
**وفيك انطوى العالم الأكبر**

فكل ما يوجد في العالم الكبير يوجد نظيره في العالم الصغير الذي هو الإنسان والذي في الإنسان الصغير آياته وأمثاله ونظائره التي يستدل عليها بها ، لا أنّ تلك السبعة الأعضاء هي حقائق أبواب الجنان وأبواب النيران ، كما اعترف به في الأسفار في الجواب فقال : ( **قلنا : السمع والبصر وغيرهما التي لأهل السعادة والهدى مباينة بالحقيقة والنوع عندنا للّتي لأهل الشقاوة والهوى ، وإن وقع الاشتراك بينهما في أصل الإحساس والشعور** ) انتهى، نعم هي أدلة وطريق تلك المسالك .

**وقوله** : ( **فإنها على شكل الباب** ) ، ليس على إطلاقه ، لأنّ كونها على شكل باب واحدٍ بين مدخلين إنما يجري في الأفئدة وضدها إذ لا سهو ، ولا فتور بينهما ، بل كما ذكر إذا فتح على موضع انسد على موضع آخر ، وذلك إذا كان باب الخشب بين مدخلين ، فإنه إذا فتح باب مدخل ، سدّ بابه المفتوح المدخل الآخر وبالعكس بخلاف مداخل القلوب والنفوس والخيال والحواس فإنه قد يغلق على مدخل لا ينفتح به المدخل الآخر لوقوع الغفلات والفترات والسهوات ، إلّا أنّ الفؤاد بل القلب ليس له وجه إلى الباطل فلا يؤدي إلى النار ، فلذا لم تكن النيران أكثر من سبعٍ وكانت الجنان ثمانٍ .

وحيث جاز وقوع الغفلات والفترات دلّ على أنهما بابان متشابهان باب للجنة وباب للنار ، فلا يصح جعل أبواب النيران بعينها أبواب الجنان ، بل هما متغايران ، وإن اتحدت في الظاهر

آلات الاستعمال ، لأنّ الآلة لم تخلق للنار ، وإنما خلقت للجنة إلّا أنها صالحة للاستعمال في التوصل إلى النار ، فهي في الحقيقة للجنان أولاً وبالذات وللنيران ثانياً وبالعرض .

ولأجل هذه النكتة كان المكلف إذا نوى خيراً كتب له حسنة ، وإن فعله كتبت عشراً وإذا نوى شراً لم يكتب عليه شيء وإذا فعله انتظر سبع ساعات بعدد الآلات الصالحة فإنّ تاب لم يكتب عليه شيء وإلا كتبت عليه سيئة واحدة .

والسر فيه أنّ الحسنّة إذا برزت من العقل بالنية الصالحة كتبت واحدةٍ لأنها برزت مما خلق لها ، فهي متأصلة فيه فإذا عملها مرت على النفس والتعقل والعلم والوهم والوجود والخيال والفكر والحياة والجسد فكُتبت عشراً لأنها مرت على عشر مراتب متأصلة فيها بخلاف السيئة ، فإنها إذا برزت نيتها برزت من النفس التي لم تخلق لها فليست متأصلة بل هي عارضة فإذا عملها مرت على العلم والوهم والخيال والفكر والحياة والجسد ، فلها سبع مراتب هي عارضة عليها النفس وهذه الستة فإذا عملها انتظرت سبع ساعات بعدد هذه المراتب ، فإن تاب محيت لعدم استقرارها وإلا كتبت هذه السبعة الأعراض واحدة وليس إلّا لما قلنا والله سبحانه أعلم بأسرار خليقته .

فأبواب طرق الجنة ذاتية وأبواب طرق النار عرضية فليس هي إياها فافهم .

**وقوله : ( إلا باب القلب فإنه مطبوع على أهل النار )** ، يعني أنّ تلك الأعضاء السبعة لأهل الجنة ، وقد تفتح لأهل النار إلّا باب

القلب فإنه مطبوع بأعمالهم على قلوبهم فلا يفتح لهم أبداً لأنه لا يصلح لأعمال الشر ، وإنما هو مفتوح لأعمال الخير ولذا قال تعالى في حق أهل النار : ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ .

والسماء يطلق في التفسير الباطن كما روي عنهم عليهم السلام ويراد به رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو يكنى به عن العقل كما قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ، أي : عقلاً ولأجل هذا الطبع كانت الجنان ثماني والنيران سبعاً لعدم فتح باب العقل عليهم .

**وقوله : ( لأن صراط الله أدق من الشعر ، إلخ )** ، يشير به إلى أنّ ما أشرنا إليه من كون الأبواب في الجنة والنار واحدة وكون الجنة ثماني ، لأنّ باب القلب مفتوح عليهم .

وكون أبواب النار سبعة ، لأنّ باب القلب مطبوع عليهم مغلَق عليهم فلم يكن باباً للنار هو صراط الله .

والصراط ورد في المتواتر المجمع عليه : **(أنه أدق من الشعر فيمور بأقدام السائرين عليه وأحدّ من السيف فيشق أقدام السائرين عليه )** .

فكنّي بكونه أدق من الشعر أنه يضطرب عليه إلّا قدم من ثبته الله بالقول الثابت وكشف غطاء بصيرته .

وبكونه أحدّ من السيف أنه يشق قدم مَن سار عليه عن كونه يفرّق قلبه ويقسّمه حتى يسقط منه ، وذلك لأنّ دقائق المعارف وأسرار العلوم هي صراط الله في الدنيا ، فإذا كان يوم القيامة عرف أنّ هذا

الجسر الممدود على جهنم طريقاً إلى الجنة هو ذلك الذي كان في دار الدنيا من أسرار علوم الاعتقادات والمعارف فمن ثبت عليه في الدنيا ومر عليه ثبت عليه في الآخرة ومر عليه .

قال : فإذا كان ذلك كذلك (**في كمال الدقة واللطافة**) ، حتى ورد في بعض الأخبار ما معناه : (**أن في الصراط لعقبات كؤوداً لا يقطعها بسهولة إلّا محمد وأهل بيته صلى الله عليه وآله**) ، فأنى يتيسر سلوكه للحمقى الجاهلين سيما أهل العناد والاستكبار ، وهو يعرّض بعلماء الظاهر .

ومعلوم أنّ كلامه هذا صادق على كثير منهم ، وأما إرادة كلهم فغلط ظاهر لا يخفى ، إذ ليس كل من لم يعرف الأسرار ويتعمق في المطالب الدقيقة الخفية هالكاً ، كما أنّ ليس كل من دقق وتعمق ناجياً ، فإنّ المصنّف ممّن تضرب به الأمثال في التعمق ودقة النظر والاستفراغ للوسع وانظر كيف حال معرفته ، فإذا أردت أن تعرف معرفته واعتقاده فانظر إلى شرحنا على كتابه المشاعر ، وإلى شرحنا هذا على العرشية وما نبهنا عليه فيهما من فساد أكثر معتقداته وبطلان أكثر قواعده واستدلالاته .

والعلة في ذلك أنه سلك في جميع مطالبه مسلك الحكماء وشطحات الصوفية ولم يقتصر على ما دلوا عليه أئمة الهدى عليهم السلام ، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا**) ، وقال عليه السلام : (**ذهب من ذهب إلى غيرنا إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا نفاد لها**) انتهى ، فلأجل ذلك أخطأ مع بالغ تحقيقه وشدة تدقيقه .

## في قول المصنف: قاعدة في الإشارة إلى عدد من الزبانية . .

**قال : ( قاعدة في الإشارة إلى عدد من الزبانية قال تعالى : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الآيات . اعلم أنه قد انكشف لأرباب البصائر النورانية أنّ هذا القالب البشري بحسب مشاعره وأبوابه وروازنه يشبه الجحيم وأبوابها وانكشف بالبصيرة أنه جلس على أبواب هذا البيت الذي هو مثال الجحيم تسعة عشر نوعاً من الزبانية وهي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة وقوة الشهوة والغضب والقوى السبع النباتية ، وكل منها يجرّ القلب عن أوج القدس إلى حضيض السفل ) .**

**أقول** : الزبانية هم ملائكة النار واحدهم زبني مأخوذ من الزبن ، وهو الدفع لأنهم يدفعون أهل النار فيها .

**والزبانية في اللغة** : الشرطة وهم تسعة عشر .

والدليل على سرّ خصوص هذا العدد مستنبط من قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ ، وقول الصادق عليه السلام : ( **العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فقد في العبودية وجد في الربوبية ، وما خفي على الربوبية أصيب في العبودية. . .** ) ، الحديث .

وقال الرضا عليه السلام : ( **قد علم أولو الألباب أنّ الاستدلال ، على ما هناك لا يكون إلّا بما هاهنا** ) انتهى .

وحيث ثبت أنّ الإنسان هو العالم الصغير ، وكل ما في العالم الكبير فهو موجود في العالم الصغير لأنه أنموذج له ، ودليل بما حضر ووُجد فيه على ما غاب من العالم الكبير كما قال :

**أتحسب أنك جرم صغير**
**وفيك انطوى العالم الأكبر**

فإذا أردنا أن نعرف شيئاً مما غاب عن حواسنا من العالم الكبير نظرنا نظيره فينا الذي هو دليله .

فإذا أردنا أن نعرف الزبانية وعددهم طلبنا نظيره فينا وطلبنا ظاهره في العالم الكبير وجدنا أنّ مدار التدبير في نظام العالم على اثني عشر برجاً ، وعلى سبعة نجوم سيارة أودع سبحانه فيها أسرار التدبير وأحكام التقدير في العالم ، كما دلّ عليها الحديث المتقدم من تفسير العياشي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ( **إن الله تبارك وتعالى خلق روح القدس ولم يخلق خلقاً أقرب إليه منها ، وليست بأكرم خلقه عليه فإذا أراد أمراً ألقاه إليها فألقاه إلى النجوم فجرت به** ) انتهى . فإنّ ظاهره أنّ الملائكة الموكلين بالنجوم إذا أراد تعالى إجراء شيء أجراه بواسطة روح القدس وروح القدس يلقيه بواسطتهم لقوله تعالى : ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ ، وهم الملائكة فإلقاء الأمر إلى النجوم لولم يكن بواسطة الملائكة لم يكونوا مدبري أمر .

وروى علي بن عيسى في كشف الغمة عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام : ( **قال وما عسيت أن أصف من محن الدنيا وأبلغ من كشف الغطاء عما وكّل به دور الفلك من علوم الغيب ولست**

**أذكر منها إلّا قتيلاً افتنه أو مغيب ضريح تجافت عنه . . . إلخ ) .**

فإذا عرفت مأخذ الدليل ، وعرفت أنّ دليل الربوبية في العبودية ودليل العبودية في الربوبية ، وعرفت أنّ الاثني عشر البرج والسبعة السيارة موكّل بها الملائكة الذين يفعلون بواسطة هذه البروج والنجوم ، فإذا عرفت مقام تلك الملائكة من الأمر المراد في العباد عرفت أنهم تلك الزبانية في الإنسان الكبير بناء على ما ذهب إليه المصنّف من أنّ الجحيم تحت الكرسي ، وعلى غير هذا الرأي المخدوش تكون هذه الملائكة موكلين بعالم الدنيا الجامع لعالم الآخرة الجامع لعالم الجنة والنار ، فتكون هذه النشأة وما فيها دليل نشأة الآخرة وما فيها في الدارين الجنة والنار .

أما الملائكة الذين في النار المشابهين لما في الدنيا فهم الزبانية في النار يوم القيامة ، وفي البزرخ ، بل وفي الدنيا كما في العالم الصغير ، فإنّ فيه الفصول الأربعة في طبائعه ، وفي كل فصل ثلاثة بروج باعتبار أوله وأوسطه وآخره في مدة بقائه الفصول الأربعة فصل الربيع من الطفولية إلى العشرين السنة ، أو إلى ما زاد عليها إلى الثلاثين .

وفصل الصيف من العشرين إلى الأربعين ، أو مما زاد على الثلاثين إلى الستين .

وفصل الخريف ، أو فصل الشتاء على الخلاف من أنّ الشتاء في العالم الصغير مقدم على الخريف بعكس العالم الكبير ، لأنّ الخريف فصل الموت في الصغير وآخر العالم الكبير أقوى من أوله ، أو أنّ الصغير كالكبير في تقدم فصل الخريف وفصل الخريف في الصغير من الأربعين إلى الستين ، أو من الستين إلى التسعين .

وفصل الشتاء من الستين إلى الثمانين ، أو من التسعين إلى مئة وعشرين ، أو ما دون ذلك على الاحتمالات .

وكل فصل طرفان ووسط على كل واحدٍ ملك موكّل به فهذه اثنا عشر ، وعلى عقله وعلمه ووهمه ووجوده الحسي وخياله وفكره وحياته كل واحدٍ موكّل مولك به فهذه تسعة عشر ، لأنّ المشابهين لما في الدنيا مَن جرى تدبير أمورهم منهم على مقتضى الفطرة التي فطر الله الناس عليها لم يغيرها أهلها ، كانوا لهم موكلين بتدبير أمورهم يوم القيامة في الجنة من جرى تدبير أمورهم على مقتضى الطبيعة المبدّلة التي نهى تعالى عنه في قوله : ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ ، فإنّ النفي بمعنى النهي والطبيعة المغيّرة التي نهى تعالى عنه في قوله حكاية عن قول عدوّه إبليس : ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ ، كانوا لأهل التبديل والتغيير موكلين بتدبير أمورهم يوم القيامة في النار وهؤلاء هم الزبانية .

فالزبانية الكلية زبانية العالم الكبير تسعة عشر .

والزبانية الجزئية زبانية الإنسان الواحد وهو العالم الصغير لكل واحدٍ من أهل النار زبانية تَخصّه غير زبانية الآخر هم سدنة الزبانية الكلية ولكن تطبيق المصنّف ، ومن يقول كقوله ممّن قبله ، أو بعده مختلف لأنهم جعلوا الزبانية في العالم الصغير الحواس الخمس الظاهرة والحواس الخمس الباطنة .

**فالأولى** : اللمس والشم والذوق والسمع والبصر .

**والثانية** : الحس المشترك والخيال والوهم والحافظة والمتخيلة وقوة الشهوة التي فعلها جذب الملاءمات والميل إليها وقوة الغضب

التي فعلها دفع المنافرات والمكروهات ، وقوة الجاذبة الحارة اليابسة ، والقوة الهاضمة الحارة الرطبة ، والقوة الدافعة الباردة الرطبة والقوة الماسكة الباردة اليابسة ، والقوة المغذية والمولدة والمنمية وهذه التسعة عشر التي من الطبيعة الجسمانية والنفوس الحيوانية الحسية الفلكية آلات الملائكة الموكلة بها لإثارة مقتضيات طبائعها الذين هم زبانية نار ذلك الشخص الطبيعية وهي جزئيات لما في العالم الكبير ، فلاتنطبق على ما ذكروه في العالم الكبير ، لأنّ كثيراً من العلماء ذكروا أنّ النجوم السبعة منها زحل ، وهو نجم العقل يعني التعقل والعقل باب مغلق لا يفتح لأهل النار ، فبقيت ستة أنجم إذا اعتبرت الملائكة الموكلون بها لأنهم قالوا : إنّ تلك الملائكة كالنفوس ، أو نفوس وتلك النجوم أجسام لها ، أو كالأجسام على الاحتمالين .

وملائكة ستة أخرى موكلون بنفوس أفلاكها ، أو نفوسها وهي نفوس تلك النفوس وكالنفوس لتلك النفوس .

والمراد أنّ الملائكة على المذهب الحق غير ما وكّلوا به فهذه اثنا عشر ملكاً وأربعة ملائكة موكّلون بالعناصر الأربعة ، وثلاثة ملائكة موكلون بمعادن العالم الكبيرة ونباتاته وحيواناته ، فهذه تسعة عشر ملكاً هم المدبرون أمراً في الدنيا لما في الآخرة ، فمن كان منهم جارياً في تدبيره على الطبائع والفطرة المغيرة والمبدّلة بحسب مقتضياتهم فهم زبانية النار الكلية للكلية والجزئية للجزئية ، ومن كان جارياً في تدبيره على مقتضى فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فهم سدنة الجنان وجنود رضوان .

**وقوله : ( وكل منها يجر القلب عن أوج عالم القدس )** ، صادر

على متعارف العوام من كون المراد من القلب هذا الذي هو عبارة عن الفهم والتميز الذي هو مناط التكليف وهذا المذكور ليس من عالم القدس بالفعل ، وإنما هو بالقوة لأنه إذا عمل بطاعة خالقه سبحانه واجتنب معاصيه كان ذلك القلب من عالم القدس .

وأمّا قبل ذلك فليس من عالم القدس ، إذ لو كان من عالم القدس لما انجرّ من أوج عالمه المطهر إلى حضيض عالم السفل والرجس ، إذ لو كان من عالم القدس لطهر كل تلك القوى إلى عالمه ، ولا يقابله منها شيء لأنه حينئذٍ جند الله ، وجند الله هم الغالبون ولكن هذه دقيقة تخفى على المصنّف وأمثاله فإنهم يطلقونه على غير ما عبد به الرحمن واكتُسب به الجنان لأنهم يرون أنّ العقول ليس فيها قوة استعداد ، بل كل ما فيها بالفعل وهذا شأن من لم يجر عليه الإيجاد .

ربما اشتبه على عارفيهم لقول علي عليه السلام حين سئل عن العالم العلوي فقال عليه السلام : (**صور عارية عن المواد عالية عن القوة والاستعدد تجلّى لها فأشرقت وطالعها فتلألأت. . .**) ، الحديث . وليس مراده عليه السلام ما ذهبوا إليه ، وإنما مراده بعد قبولها ما أعطاها وقبولها عبارة عن القيام بأوامر الله واجتناب نواهيه لأن المراد بكونها عالية عن المواد العنصرية لا عن مطلق المادة إذ لا يوجد مخلوق ، بل لا يمكن إيجاد مخلوق لا مادة له سواء كان جوهراً أم عرضاً ، وإلا لما كان شيئاً سبحان من ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

## في قول المصنف : وأما الكلام في أصولها وسوابقها فاعلم . .

**قال : ( وأما الكلام في أصولها وسوابقها فاعلم أنّ مدبرات الأمور في برازخ عالم الظلمات وهي المشار إليها بقوله : ﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقًا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرًا ﴾ ، فهي في باطن العالم الكبير الجسماني الأرواح الملكوتية للكواكب السبعة والبروج الاثني عشرية فالمجموع تسعة عشر سراً ، أو جهاراً غيباً أو شهادة ، وكذا في العالم الصغير الإنسان هي رؤساء القوى المباشرة لتدبير البرازخ السفلية وهي التسعة عشر المذكورة سبعة منها مبادئ الأفعال النباتية واثنا عشر منها مبادئ الأفعال الحيوانية ) .**

**أقول** : أصول الزبانية الجزئية أي التي في الإنسان الجزئي وهي الملائكة الموكلة بحواسه الظاهرة والباطنة ، وعناصره الأربعة : الجاذبة والهاضمة والدافعة والماسكة والمغذية والمربية والمولدة وقوة الشهوة .

وقوة الغضب متفرعة من الزبانية الكلية أي في العالم الكبير بمعنى أنها خُلقت من أشعة الملائكة الكلية ، والملائكة الجزئية التي في النشأة الأولى أعني الدنيا هي الموكلة بالكواكب الستة التي هي المشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ، والموكلة بأفلاكها الستة والموكلة بالعناصر الأربعة والموكلة بالمواليد الثلاثة المعادن والنباتات والحيوانات مَن كان مربيّاً للطبائع المغيّرة والمبدّلة منهم ، وهم جنود مالك خازن النيران وهم زبانية جهنم

وهم الأصول للزبانية الجزئية ، لأنّ الجزئية أمثال الكلية وصورها ، ومن كان من الملائكة الكلية مربيّاً في النشأة الأولى للفطرة التي فطر الله الناس عليها فهم جند رضوان وسدنة الجنان .

وبالجملة المدبرات أمراً أصولهم ثلاثمئة وستون ملكاً ، تسعون جنود جبرائيل عليه السلام ، ثلاثون يعملون له في خلق العقول ، وثلاثون يعملون له في خلق النفوس ، وثلاثون يعملون له في خلق الأجسام .

وتسعون جنود ميكائيل ، ثلاثون يعملون في رزق العقول ، وثلاثون يعملون في رزق النفوس ، وثلاثون يعملون في رزق الأجسام .

وتسعون جنود عزرائيل ، ثلاثون يعملون له في موت العقول ، وثلاثون يعملون له في موت النفوس ، وثلاثون يعملون له في موت الأجسام .

وتسعون جنود إسرافيل ، ثلاثون يعملون له في حياة العقول وثلاثون يعملون له في حياة النفوس ، وثلاثون يعملون له في حياة الأجسام .

وكل واحدٍ من هذه الثلاثمئة والستين تحته من الملائكة لا يحصي عددهم إلّا الله يخدمونه ويعينونه في الجهة الموكل بها .

وأئمة الكل هذه الأربعة لأنهم موكلون بالعالم كله غيبه وشهادته فجبرائيل عليه السلام موكّل بالخلق ، وهو ربع العالم ، وهو يستمد من النور الأحمر من أركان العرش .

وميكائيل عليه السلام موكل بالرزق ، وهو ربع العالم ، وهو يستمد من النور الأبيض من أركان العرش .

وعزرائيل عليه السلام موكل بالموت ، وهو ربع العالم ، وهو يستمد من النور الأخضر من أركان العرش .

وإسرافيل عليه السلام موكل بالحياة ، وهو ربع العالم ، وهو يستمد من النور الأصفر من أركان العرش .

وكل المذكورين من المتبوعين والتابعين مدبرون أمراً بقولٍ مطلقٍ .

والتسعة عشر الملك الزبانية نوع خاص بملائكة يدُعُّون المنافقين والكافرين إلى مراتبهم من جهنم دعّاً ، ويدفعونهم إلى النار دفعاً ، وفعلهم ذلك هو صررة تدبيرهم لدواعي طبائعهم المغيّرة المبدّلة المؤججة لنيران تعذيبهم .

وهذه الملائكة في النشأة الأولى تجري فيما وُكّلوا به كجريان الروح في الجسد ومستجنون في غيبه كاستجنان المعنى في اللفظ ، وفي النشأة الأخرى يظهرون في عالم الشهادة ، لأنّ وجود عالم الغيب في النشأة الأولى لعدم ظهوره في عالم الشهادة ، وفي النشأة الأخرى يحضر عالم الغيب فيكون الكل شهادةً لا غيب فيه .

**وقوله : ( سبعة منها مبادئ الأفعال النباتية )** ، يعني أنّ سبعة من التسعة عشر تظهر تأثيرها بواسطة الأفعال النباتية وهي أفعال العناصر وما تألف منها من المعادن والنباتات والحيوانات ، إذ المراد بالحيوانات الأجسام الحيوانية لا نفوسها ، لأنّ نفوسها من نفوس الأفلاك وهي من مبادئ الأفعال الحيوانية ، فإنّ النجوم الستة التي ذكرناها من مبادئ الأفعال الحيوانية ، لأنّ أشعتها هي

الملطفة للأبخرة القلبية وهي المنضجة لها نضجاً معتدلاً وهي الحاملة للنفوس المتعلقة بتلك الأبخرة بعد نضجها واعتدالها في النضج ، فإنّ إشراقات نفوس أفلاكها على تلك الأبخرة القلبية إنما تقع عليها بواسطة أشعة تلك الأجرام النيرة ، وإن كانت أيضاً مبادئ للأفعال النباتية لتوقف تنزّل النفوس الحيوانية على النفوس النباتية ، فتكون هذه الكواكب الستة مبادئ للأفعال النباتية في التغذية والتربية والتوليد ولكون النفوس النباتية مراكب للنفوس الحيوانية إلّا أنّ هذه الكواكب الستة أبواب لنفوس أفلاكها فهي مظاهر الحياة كالقمر والفكر كعطارد والخيال كالزهرة .

والوجود الثاني كالشمس والوهم كالمريخ والعلم كالمشتري ، فإذا كانت هذه الكواكب مظاهر النفوس الفلكية الحيوانية الحسية كانت أحرى بأن يكون مبادئ لأفعالها نعم الأولى أن يقال : سبعة منها مبادئ لأفعال النباتات وسابعها مشترك بين الحيوانات والنباتات وستة مبادئ للأفعال الحيوانية وهي نفوس الأفلاك ، وستة منها مشتركة فهي مبادئ للأفعال النباتية ومبادئ للأفعال الحيوانية وهي النجوم الستة فافهم والله سبحانه أعلم .

في قول المصنف : **فالإنسان ما دام محبوساً بهذه المحابس الداخلة . .**

**قال : ( فالإنسان ما دام محبوساً بهذه المحابس الداخلة والخارجة مسجونا بسجن الطبيعة ، مأسوراً في أيدي هذه العمال الكلية والجزئية لا يمكنه الصعود إلى عالم الجنان ومنبع الرضوان**

**ودار الحيوان ، فإذا لم يتخلص عن تأثيرها وتقييدها كانت حاله كما أفصح عنه قوله تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ ، الآيتان . فإذا انتقل من هذا البدن بالموت فينتقل من السجن إلى السجين ، فيؤديه المالك إلى هذه الزبانية التي هي من آثار تلك المدبرات ، فيعذب بها في الآخرة كما يعذب بها في الدنيا من حيث لا يشعر لكثافة الحجب وغلطتها ، فإذا انكشف الغطاء ، أو رق الحجاب يرى شخصه معذباً بأيدي سدنة الجحيم وزبانية نار الحميم يجرّونه إلى جهنم بسلاسلهم وأغلالهم )** .

**أقول** : يريد أنّ الإنسان ما دام محبوساً بهذه المحابس وهي جمع مَحبس بفتح الميم والباء محل الحبس ، ويجوز بكسر الميم وفتح الباء ما يحبس به من سلسلة وحبل وغيرهما .

والمراد بالمَحبس بفتح الميم الطبيعة المادية العنصرية وما يتركب منها وبكسر الميم ميولها ومقتضياتها ودواعيها وخصوصاً متعلقات هذه التسعة عشر ومحالها التي هي مدبرة لها ، فإنها هي المؤججة للنيران من دواعي الطبيعة المادية وميولاتها وشهواتها وهواها وما اشتملت عليه واقتضته ، أو ترتب عليها من الغلط والتثاقل والكسل والتمطّي .

وكثافة حجب إنّيتها مأسوراً في أيدي هذه العمال المدبرة المربية لهذه الصفات الذميمة المنمّية لها القائمة بمقتضاها المتمّمة لما نقص من رذائلها ونقائصها ولوازمها الكلية والجزئية لا يمكنه الصعود إلى عالم الجنان لأنها في أعالي مراتب الإمكان وذلك لثقل تلك القيود الأليمة وغلظ حجب تلك الصفات الذميمة وظلمة تلك الطرق المعوجة غير المستقيمة ، لأنّ فروع مظاهر الغضب

وآثار السخط مقابلة لمنبع الرضوان ومعاكسة لدار الأمان ودواعي الهلاك ، والبوار معاكسة لدار الحيوان التي لا موت في شيء منها ، ولا مما فيها .

وأهل النار حقائقهم ثقيلة ولهذا يعبّر عنهم بالحجارة كما مرّ في حديث المنافق ، أو اليهودي ولوح أمير المؤمنين عليه السلام بذلك في إشارات كلامه فقال : (**تخففوا تلحقوا فإنما يُنتظر بأولكم آخركم**) ، فإذا تخلّص من هذه الدواعي وأطلق نفسه من هذه القيود والصفات الذميمة رقى إلى أعالي الجنان ومنبع الرضوان ودار الحيوان .

وإذا لم يتخلص من تأثيرها وتقييدها كانت حاله كما أفصح عنه قوله تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا - بذراع إبليس - فَاسْلُكُوهُ ﴾ .

وهذه الآيات نزلت في ملكٍ جبار ، لأنّ السلسلة المشار إليها سبعون ملكاً جباراً ، ثلاثون من ذرية رجل واحدٍ وهذا الجبار الذي نزلت فيه هذه الآيات منهم وأربعون من ذرية رجل واحد .

والسلسلة سبعون ذراعاً بذراع إبليس كل ذراع طوله سبعة أشبار والملائكة المأمورون بأخذه هم الزبانية .

فإذا انتقل الرجل المسجون بهذه السجون المقيد بهذه القيود الغليظة قبل أن يتخلص منها ينتقل بالموت من سجن المعاصي والأعمال القبيحة إلى سجّين كتاب الفجار وهي سجن الجزاء ، فيتسلمه مالك فيؤديه إلى أيدي الزبانية التسعة عشر الكلية التي هي من أتباع تلك المدبرات الكلية ، بل من أبدالهم لا من آثارهم .

نعم الزبانية الجزئية من آثارهم كما أنّ العالم الصغير من آثار العالم الكبير فتعذبه الزبانية بتلك الصفات الذميمة في الآخرة ، لأنّ هذه الصفات الذميمة كانت ثمرات تغيير الفطرة وتبديلها المخالف لما ينبغي من الأمور الملائمة الموافقة للنفس ، فإنّ ثمرات المنافر للنفس منافرة للنفس غير ملائمة لها ، وإنما هي ملائمة للتغيير والتبديل مثلاً الملايم للنفس الصحة والغنى والأمن لأنه هو مقتضى الفطرة المستقيمة التي فطر الله الناس عليها وهي الموافقة لمحبته ورضاه سبحانه .

والمرض والفقر والخوف ملائم للفطرة المغيرة المبدلة ففي الدنيا لما غيّر الفطرة وبدّلها وقع به المرض والفقر والخوف ، لأنه مقتضاها أي مقتضى الفطرة المغيرة المبدلة فتلايمها الصفات الذميمة ، ولأجل تلبيس النفس ودعواها عدم التغيير والخفاء والتبديل وخفاء الفطرة السليمة حتى كأنها عند النفس هي المغيرة ، فربما غفلت عن التألم بالمنافر لحصول ملاءمته للمغيرة ومخاتلة النفس بأنها هي المستقيمة في بعض غفلاتها ، فلا تكاد تحسّ بالتألم وربما ذكرت فوجدت عملها غير ملائم للمستقيمة فتتألم عند وجدانها للمنافر .

وأمّا يوم القيامة فتظهر الفطرة المستقيمة ويتبين منافرة الأعمال لها ومخالفتها لرضى الله تعالى ، فيتألم بذلك وينظر لزوم تلك الصفات المذمومة وعدم الانفكاك منها فتشتد حسرته ، وهو معنى قوله فيعذب بها في الآخرة كما يعذب بها في الدنيا من حيث لا يشعر لكثافة الحجب وغلظتها ، وقد يشعر عند تذكّره فشعر بها .

**وقوله : ( فإذا انكشف الغطاء ، أو رق الحجاب ، إلخ )** ، يعني

إذا مات المعبّر عنه بكشف الغطاء ، أو رق الحجاب ، أي أو ضعفت الموانع الطبيعية ، أو فإذا كشف الغطاء بأن فتحت عين بصيرته أو رق الحجاب بأن أمات نفسه واجتمع قلبه ظهرت له حقيقة الحال فرأى شخصه معذباً بأيدي سدنة الجحيم وزبانية الجحيم .

والسدنة جمع سادن ، وهو الخادم مثل كفرة جمع كافر في الدارين على الاحتمالين يعني إن مات ، أو أمات نفسه ، أو فتحت عين بصيرته رأى نفسه معذباً بأيدي خدمة الجحيم .

وزبانية الحميم عطف تفسيري يجرونه إلى جهنم بسلاسلهم وهي ميولات طبيعته وشهواته وهوى نفسه وأغلالهم بصحف أعماله وملكات إنيّته وعود صور أعماله إلى مراكزها من النيران .

## في قول المصنف : **قاعدة في الأعراف وأهله قال تعالى . .**

**قال : ( قاعدة في الأعراف وأهله قال تعالى :** ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾ **، قيل هو سور بين الجنة والنار باطنه فيه الرحمة ، وهو ما يلي منه الجنة وظاهره من قبله العذاب ، وهو ما يلى منه النار يكون عليه من تساوت كفتا ميزان حسناته وسيئاته ، فهم ينظرون بعين إلى النار وبعين أخرى إلى الجنة وما لهم رجحان بما يدخلهم الله في إحدى الدارين هذا ما قيل . وعندي أن الأعراف غير السور الواقع بين الجنة والنار والذي ذكروه إنما يصح ويليق في تفسير قوله تعالى :** ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ

**ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ . وأمّا الأعراف فأصله مأخوذ من العرفان كما قال : ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ﴾ ، وإمّا من عرف الفرس فهو شعر عنقه ، وهو الموضع المرتفع منه والعرفة أيضاً الرمل المرتفع كناية عن ارتفاع مكانهم وعلوّ ذاتهم ) .**

**أقول** : الأعراف قيل هو سور بين الجنة والنار مستعار من عرف الفرس ، وقيل العرف ما ارتفع من الشيء ، فإنه يكون بظهوره أعرف من غيره .

وفي تفسير علي بن إبراهيم عن الصادق عليه السلام : **( الأعراف كثبان بين الجنة والنار ) .**

وفي الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية : **( نحن الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم ونحن الأعراف الذين لا يُعرف الله عزّ وجلّ إلّا بسبيل معرفتنا ، ونحن الأعراف يوقفنا الله عزّ وجلّ يوم القيامة على الصراط فلا يدخل الجنة إلّا من عرفنا وعرفناه ، ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه ) .**

**وفي البصائر : ( والأعراف صراط بين الجنة والنار ) .**

**وقيل** : الأعراف سور بين الجنة والنار باطنه فيه الرحمة، وهو ما يلى منه الجنة وظاهره من قبله العذاب ، وهو ما يلى منه النار يكون عليه من تساوت كفتا ميزان حسناته وسيئاته وهم المرجون لأمر الله إمّا يعذبهم وإمّا يتوب عليهم .

ويريد هذا القائل بقوله : فهم ينظرون بعين إلى النار وهي عين اليأس لكثرة السيئات وبعين أخرى إلى الجنة وهي عين الرجاء لكرم الكريم .

وهؤلاء إنّ وقع منهم هذا النظر الثاني نظراً إلى أعمالهم الحسنّة هلكوا ، وإن كان نظراً إلى كرم الكريم سبحانه ، بل ولو إلى غناه وصدق وعده أنه لا يضيع عمل عامل ولم يتوعد هكذا في طرف السيئات نجوا .

**وقول القائل** : وما لهم رجحان بما يدخلهم الله في إحدى الدارين لتقاوم النظرين في أنفسهم نظر الخوف ونظر الرجاء .

فالمستفاد من الأدلة أنّ هؤلاء يؤول أمرهم إلى النجاة لما قلنا من رجحان جانب الفضل إلى جانب العدل .

ولقد روي ما بعض معناه : (**أن الله سبحانه يوقف رجلاً يوم القيامة فيقول له : ألم آمرك ألم أنهك ؟ فيقول : بلى يا رب . فيقول تعالى : فلِمَ عصيتني ؟ فيقول : يا رب غلبت علي شقوتي . فيقول تعالى : يا ملائكتي مروا به إلى النار فتأخذه ملائكة النار . فيقول : وعزتك وجلالك ما كان هذا ظني بك . فيقول للملائكة : قفوا به فيقول له : ما كان ظنك بي ؟**

**فيقول : ظني بك أن تعفو عني ، فيقول تعالى : يا ملائكتي وعزتي وجلالي ما كان ذلك ظنه بي ولو كان ذلك ظنه بي في دار الدنيا لما روّعته بالنار ولكن أجيزوا له كذبه وأدخلوه الجنة** ) انتهى .

وذلك ، لأنّ الخوف من السيئات مقوٍّ لمقتضى الرجاء ما لم يكن قنوطاً من رحمة الله .

واعلم أنّ بعضهم ذكر معنى آخر للأعراف ، وهو أنّ الأعراف مقام لبعض أهل الجنة ، وهو أنّ من عرف الله (**عز وجل**) في دار الدنيا بالعلم والعمل إذا ورد مقام التعارف بين الله وبينه .

**ومثاله** : رجل قدم بلداً ، وفي تلك البلد شخص بينهما ( **تعارف قبل وروده البلد فإنه يقدم على صاحبه في بيته** ) ( **فمن** ) عرف الله عزّ وجلّ بالمعرفة الظاهرة التي هي العلم بما وصف به نفسه لعباده وبالمعرفة الباطنة التي هي الإخلاص في العمل والطاعة إذا قدم الجنة كان له قدم صدق عند ربه ، وهو الأعراف .

ومقام الكثيب في الجنة أنزل من مقام الأعراف فإنه لمن قدم الجنة قاصراً عن رتبة الأول فإنه كالقادم على بلد ما كان عارفاً بأحد من أهلها فإنه أول قدومه غريب حتى يعرف [ يتعرف ] بأحد منها وهذا مقام أهل الكثيب .

فتحصل من جميع ما أشرنا إليه أنّ الأعراف له إطلاقات .

**أحدها** : يراد منه موقف على الصراط لمن لم يتميز لهم حاله [ حالهم ] حتى يعرف حالهم فيلحقون بأهل الجنة ، أو بأهل النار .

**وثانيها** : يراد منه موقف يعرف فيه أهل الجنة وأهل النار وبسيماهم [ النار بسيماهم ] بأعمالهم ، أو بمرورهم على الصراط وعبورهم إلى الجنة وعدمه .

**وثالثها** : يراد منه موقف المميزين للفريقين على الصراط بين أهل الجنة والنار للتميز [ للتمييز ] بينهم .

**ورابعها** : يراد منه موقف ضعفاء الناجين الذين لم يسبقوا وكان يظن بهم أنهم من الهالكين ثم يؤمر لهم بدخول الجنة .

**وخامسها** : يراد منه مقام في الجنة دون مقام الرضوان كما سمعت مما نقلناه عن بعضهم .

**وسادسها** : يراد منه المميزون لأهل الجنة وأهل النار .

وفي الظاهر هم الأنبياء والمرسلون والملائكة والشهداء والصالحون ، وفي الحقيقة هذا المسمّى هنا بالأعراف هم الرجال وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة الأطهار من ذرية الحسين صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين ، (صلى الله على محمد وأهل بيته الطيبين) .

وقوله : **(وعندي أنّ الأعراف غير السور الواقع بين الجنة والنار ، إلخ)** ، يريد أنّ ما ذكره هذا القائل من أنّ الأعراف هو السور الواقع بين الجنة والنار غير لائق ، لأنه تعالى ذكر الأعراف وذكر بعده ما يشير إلى المراد منه وذكر السور ووصفه بما لا يلائم وصف الأعراف وهذا يدل على مغايرته له .

والقائل : فسّر الأعراف بما وصف الله به السور فإنّ الله سبحانه قال في السور له باب : ﴿ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴾ ورسول الله صلى الله عليه وآله أشار إلى بيانه في جوامع كلمه فقال : **(أنا مدينة العلم وعلي بابها)** .

وفي رواية أخرى : **(أنا مدينة الحكمة وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها)** .

وورد تفسير السور بعلي بن أبي طالب عليه السلام ، وباطنه حبه وولايته وظاهره بغضه وعداوته .

فأشار صلى الله عليه وآله إلى ذلك بقوله : **(حب علي حسنة لا تضر معها سيئة وبغض علي سيئة لا تنفع معها حسنة)** انتهى .

وأن علياً عليه السلام أيضاً هو الرائد لمحبيه [لمحبته] أي رائدهم إلى الجنة ، وهو الذائد لأعدائه يذودهم عن الجنة إلى النار

وهذه وأمثالها تصح وتليق ببيان السور ، لأنه عليه السلام هو الحائط بين الجنة والنار وأين هذه المعاني من معنى الأعراف فإنّ الأعراف من جهة مفهومه يليق به أنه مأخوذ من المعرفة ، أو أنّ من عرف الدابة ، وهو الشعر الذي ينبت على أعلى عنق الدابة ، أو من العرفة بضم العين ، وهو الرمل المرتفع ، أو من أعراف الرياح ، وهو أعاليها .

وكني به في أهل الأعراف عن ارتفاع مكانهم وعلو ذاتهم إذا أريد بهم العارفون ، أو الذي يعرفون كلاً بسيماهم .

وإذا أريد بهم مَن تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، أو المقصرون من الناجين فلأن حالهم المشتبه يتبّين فيه ويظهر كما يظهر الشيء العالي .

**قال** : وأهل الأعراف هم الكاملون في العلم (**أو**) المعرفة الذين يعرفون كل طائفة من الناس بسيماهم ويرون بنور بصيرتهم الباطنة أهل الجنة وأهل النار وأحوالهما كما قال النّبي صلى الله عليه وآله : (**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**) ، لكنهم يعد في هذا العالم من حيث أبدانهم كما قيل : أبدانهم في العالم الأسفل وقلوبهم معلقة كالقناديل بالملأ الأعلى ، فهم بالأجساد أرضيون وبالقلوب سماويون أشباحهم فرشية ، وأرواحهم عرشية ولم يموتوا بالموت الطبيعي حتى يدخلوا الجنة بدناً كما دخلوها روحاً كما قال : (**لم يدخلوها وهم يطمعون**) رجاء رحمة [لرحمة] الله .

وإذا خرجوا عن الدنيا كان طمعهم عين الوصول وقوتهم عين الفعلية والحصول .

وأمّا قبل فحالهم كحال برزخي بين أحوال أهل الجنة وأهل النار ، لأنّ قلوبهم منعمة في نعيم الجنان من الإيمان والعرفان وأبدانهم معذبة بعذاب الدنيا ومؤذياتها [ معذباتها ] فهم كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ) .

**أقول** : أخذ يصف أهل الأعراف ، وقد سمعت أنّ الأعراف له إطلاقات والذي ذكرهم صنف من أهل الأعراف عنى بهم أهل الأعراف في التأويل .

والمراد من أهل الأعراف من يذكرون في التأويل ، وفي الباطن ، وفي الظاهر على ما يقتضيه [ تقتضيه ] مقامات الإطلاقات .

والمناسب لمثل كتابه ذكر الكل لا خصوص البعض فقال ( **وأهل الأعراف هم الكاملون في العلم** ) ، الذي هو البصيرة في الدين ، وفي المعرفة بالله وصفاته وأسمائه وأفعاله وبأنبيائه ورسله وأوصيائهم وبأحوال الدنيا والآخرة ، وهو العلم المسمى بعلم اليقين والتقوى الذي هو الحكمة العلمية أعني علم الأخلاق ، لأنّ من عرف ذلك عرف كل أحد بسيماه ، أو هم الكاملون في ذلك ، وفي العمل بالنوافل والمواظبة عليها والتقرب إلى الله تعالى بها .

والمراد بالنوافل هي كل ما يحبه الله من صلاة ، أو دعاء ، أو عمل ، أو قول فإنّ الله سبحانه يقول في ذلك : ( **ما زال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي**

**يبطش بها إن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته ، وإن سكت عني ابتدأته . . .** ) إلخ ، فإنّ مثل هذا هو الكامل في الإيمان الذي عناه ( الذين هم عناهم ) الله تعالى ( سبحانه ) بقوله : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، وعناهم إمامهم وسيدهم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : ( **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله** ) انتهى ، وهم الذين عناهم الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ ، أي : المتفرسين أصحاب الفراسة يعرفون كل طائفة بسيماهم فإن يقين المؤمن يرى في عمله ، ويقين الكافر والمنافق يرى في فعله .

وهؤلاء الكاملون يرون بنور بصيرتهم الباطنة أهل الجنة وأهل النار وأحوالهما في الآخرة ، بل وفي الدنيا ، لأنّ اختصاص رؤية الأحوال في الآخرة يوجب عدم توقف الرؤية على الكمال فإنّ الأحوال تبرز يوم القيامة لسائر أهل الجمع .

وأمّا المتوقف على الكمال في العلم والعمل فهي رؤية الأحوال في الدنيا ، وفي الآخرة .

وقوله في وصف الكاملين : ( **لكنهم بعد في هذا العالم من حيث أبدانهم كما قيل أبدانهم في العالم الأسفل** ) ، لما بقي فيها من الأعراف البشرية ( **وقلوبهم معلقة كالقناديل** ) ، لتجردها من رذائل الطبيعة الجسمانية وشدة نوريتها تضيء لأهل السماء وأهل الأرض وهي بالملأ الأعلى أي مع الملأ الأعلى ، فالباء بمعنى مع لا أنها صلة [ صفة ] لمتعلقه [ لمعلقه . لمعلقة ] كما فهمه المصنّف ، لأنّ الحديث المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام الذي اقتبسه منه فيه : ( **وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى** ) ،

وفي بعض النقل بالملأ الأعلى ، فتكون الباء في هذا النقل بمعنى مع كما قلنا .

وكذا قوله : ( **فهم بالأجساد أرضيون** ) ، لما لحق أجسادهم من الأعراض العنصرية ( **وبالقلوب سماويون** ) ، لعدم ارتباطها بشيء من أحوال الدنيا وزينتها وزبرجها وزخرفها .

( **أشباحها فرشية** ) ، المراد من الأشباح هنا الأجساد من باب تسمية المحل باسم الحال وفرشية ، يعني أرضية من قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴾ ، ذكرها لأجل السجع ( **وأرواحهم عرشية** ) ، كالمعنى الأول .

( **ولم يموتوا بالموت الطبيعي** ) ، يعني قتل النفس بالرياضات والآداب الشرعية ( **حتى يدخلوا الجنة بدناً** ) ، أي بأبدانهم الجسمية المحسوسة في الآخرة ( **كما دخلوها روحاً** ) .

أي : كما دخلوا الجنة في الدنيا بأرواحهم لأنهم دائماً في الدنيا متنعمون بقلوبهم وأرواحهم بنعيم الإيمان والمعرفة راتعون في رياض الحكمة .

فقال المصنّف استدلالاً بالآية : ( ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ ، **رجاء لرحمة الله** ) ، يعني أنهم الآن لم يدخلوها ولكنهم يطمعون أن يدخلوها برحمة الله ( **وإذا خرجوا من الدنيا كان طمعهم عين الوصول** ) ، لأنّ طمعهم كان ناشئاً عن قيامهم بأوامر الله واجتنابهم عن نواهيه التي وعد عباده الصالحين مع القيام بها بالجنة ، ولن يخلف الله وعده ولكنهم علموا بأنّ القيام بأوامره واجتناب نواهيه نِعَم من الله سبحانه يجب شكرها على من وفّقه لذلك ، فلا يستحق

على شيء من أعماله دخول الجنة ولكن للثقة بوعده تعالى يطمعون أن يدخلوا الجنة بفضله وبرحمته ، فلما قال صلى الله عليه وآله : ( **ومن مات فقد قامت قيامته** ) ، كان بناء على هذا طمعهم عين الوصول ( **وقوتهم عين الفعلية والحصول** ) ، لأنّ ما بقوتهم من دخول الجنة عين ما هو بالفعل لأنهم منذ فارقت أرواحهم أجسادهم دخلت أرواحهم جنة الدنيا التي هي جنة الآخرة إذا صفيت كما تقدم من ذكر الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ ، فإنّ التي فيها بكرة وعشي جنة الدنيا وأشار إليها بأنها هي جنة الآخرة بقوله : ﴿ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ .

( **وأما قبل ذلك** ) ، يعني في الدنيا ( **فحالهم كحال برزخي** ) ، ليسوا في ذلك كحال أهل الجنة في كل حال متنعمين ، ولا كحال أهل النار في كل حال معذبين ، بل حال ( **بين أحوال أهل الجنة وأحوال أهل النار** ) ، وذلك ، لأنّ قلوبهم في الدنيا متنعمة بنعم ( منعمة بنعيم ) الجنان من طعم الإيمان وذوق العرفان وأبدانهم متألمة معذبة بعذاب محن الدنيا والامتحان ومكاره الدهر ، أو الزمان .

فإذا جرت عليهم بلايا الدهر الخوان ذكروا محن الآخرة الجارية على أهل [ علم أصحاب . على أصحاب ] النيران فاستعاذوا بالله الكريم المنان من عذاب دار الهوان [ الهيوان ] كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

فإذا اعتبرنا في أصحاب الأعراف الكمال لأنا نريد بهم من يعرفون كلًّا بسيماهم تعين علينا أن نريد بهم محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ، لأنّ الأمر إليهم في تمييز الخلائق ورجوعهم إليهم في الحساب وإليهم من جميع الخلق المآب .

ومما يدل على بعض ما أشرنا إليه وزيادة مما لم نذكره اعتماداً ، على ما هو وارد فيما نذكره عنهم فمنه ما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾ ، رواه الشيخ أبو جعفر الطوسي عن رجاله عن أبي عبد الله عليه السلام ، وقد سئل عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ ، فقال : ( **سور بين الجنة والنار قائم عليه محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة وخديجة عليهم السلام فينادون محبونا وشيعتنا فيُقبِلون إليهم فيعرفونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وذلك قوله :** ﴿ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾ ، **فيأخذونهم بأيديهم ويجوزون بهم على الصراط ويدخلونهم الجنة إلخ** ) .

وحديث الجوامع : ( ﴿ وَنَادَوْا ﴾ **يعني ونادى أصحاب الأعراف أريد بهم من كان مع الأئمة عليهم السلام ، على الأعراف من مذنبي شيعتهم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم** ﴿ أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ **أي إذا نظروا إليهم سلموا عليهم إلخ** ) .

وفي تفسير العياشي عن كرام قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ( **إذا كان يوم القيامة أقبل سبع قباب من نور يواقيت خضر وبيض في كل قبة إمام دهره ( إمام ، وهو) قد أحف به أهل دهره برّها وفاجرها حتى تغيب عن باب الجنة فيطلع أولها قبة اطلاعه**

**( اطلاعة ) فيميز أهل ولايته ( ولاية ) من عدوّه ثم يقبل على عدوه فيقول : أنتم الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم اليوم لأصحابه فتسود وجوه الظالمين فتصير أصحابه إلى الجنة وهم يقولون** ﴿ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ) .

فإذا نظر أهل القبة الثانية إلى قلة من يدخل الجنة وكثرة من يدخل النار خافوا أن لا يدخلوها وذلك قوله : ﴿ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ ، قالوا : نعوذ بالله : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، أي في النار .

وفي مجمع البيان أنّ في قراءة الصادق عليه السلام **قالوا : ( ربنا عائذا بك أنّ لا تجعلنا مع القوم الظالمين )** ، ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ ﴾ ، ـ أي الأئمة عليهم السلام : ﴿ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ ﴾ ، من رؤساء الكفار والمنافقين : ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ ﴾ ، أي كثرتكم وجموعكم ، أو جمع المال : ﴿ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ ، عن الإمام الحق : ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ ، يعني ضعفاء الشيعة : ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍ ﴾ ، ( **برحمة** ) أي أهؤلاء الذين تستحقرونهم في الدنيا وتحلفون أنّ الله لا يدخلهم الجنة : ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ .

وبالجملة أمثال هذا مما يدل على أنّ المراد من أصحاب الأعراف الذي يعرفون كلًّا بسيماهم محمد وأهل بيته الطاهرين صلى الله عليه وعليهم أجمعين كثير وأنهم الأعراف كما تقدم .

في قول المصنف : **والذي يدل على صحة ما ذكرناه أمور . .**

**قال : ( والذي يدل على صحة ما ذكرناه أمور : الأول : ما ورد عن أئمتنا المعصومين عليهم السلام أنهم قالوا : ( نحن الأعراف ) . والثاني : أنّ الآية تدل على غاية مدحهم والمتوسطون في الرتبة التي لأجلهم لا رجحان لهم لواحدة ( التي لا رجحان لواحدة ) من كفتي موازينهم الواقفون في السدّ الحاجز بين الدارين الجنة والنار ليسوا من المدح في هذا المحل ، ومن المعرفة على هذه الدرجة بأن يعرفوا كلًّا من الطائفتين بسيماهم ومعرفة النفوس أمر عظيم . والثالث : أنّ وضع الدعاء والمناجاة لطلب الحاجات إنما هي في الدنيا قبل الموت . وأمّا الآخرة وما بعد الموت ففيه ميعاد الوصول والوجدان ، أو حصول اليأس والحرمان ) .**

**أقول** : يريد يبين وجه اختياره بأنّ أصحاب الأعراف ليس المراد بهم في الآية من تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، أو الذين لم يمحضوا الإيمان محضاً ، أو الكفر محضاً وأمثال ذلك .

وإنما هم الرجال الكاملون في العلم والمعرفة الذين يميزون بين المسلم والكافر والمؤمن والمنافق .

والحق ما ذكرنا من أنّ الأعراف إطلاقات له ، ومعلوم أنه إذا أريد به المكان تكون أصحابه مختلفين ، فمرة يراد منهم من تساوت حسناتهم وسيئاتهم كما في الكافي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال : **( قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فإن**

**أدخلهم النار فبذنوبهم ، وإن أدخلهم الجنة فبرحمته )** ، وغيره من الأخبار .

ومرة يراد منهم محمد وأهل بيته الطاهرين الطيبين ( صلى الله عليه وعليهم أجمعين ) .

ومرة يراد بهم المستضعفون من الشيعة الذين يقفون مع أئمتهم حتى يؤنبوا بهم أعدائهم الذين أقسموا أنّ الله لا يدخلهم الجنة ثم يدخلونهم الجنة كما تقدم قبل .

ومرة يراد بهم مطلق من لم يمحض الإيمان محضاً ولم يمحض الكفر محضاً من المستضعف والطفل والشيخ الكبير الهم والمجنون ، ومن مات في الفترة ما بين النبوتين [ النبيين ] وهم الذين يجدد لهم التكليف ، لأنّ المراد من الأعراف محل المعرفة والتميز [ التمييز ] بأي طَور كان .

والمصنّف حيث كان مطمح نظره سلوك طريق القوم من الحكماء والصوفية الذين إذا تكلموا في أحوال المَعاد تكلموا بطريقة التأويل والأعراف .

وأهل الأعراف عندهم هم العارفون كما ذكره المصنّف ، ولا يراد بهم محمد وآله صلى الله عليه وآله إلّا أنهم من جملة العارفين ، ولا يلتفتون إلى بيان حال هذا الموقف كما سيكون مما سمعوا ، لأنّ ليس ذلك [ لأن ذلك ليس ] مطلوباً لهم ، وإنما حقيقة وصفهم عائد إلى أنفسهم فهم بأنفسهم مشتغلون عما سواها وإذا ذكر المصنّف شيئاً مما لوحنا به فإنما ذكر استطراداً .

والحاصل ذكر ثلاثة أدلة على تخصيصه :

**الأول** : الأحاديث ، والأحاديث منها ما يدل على مطلوبه ومنها ما يدل على غيره .

**والثاني** : أنّ الآية تدل على غاية مدحهم لأنه تعالى قال : ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ ﴾ ، وغير الكاملين لا يعرفون أنفسهم فضلاً عن غيرهم ولذا [ لهذا ] قال : في ذكر غير الكاملين والمتوسطون يعني الواقفين [ الواقعين ] بين النجاة والهلاك الذين لم يترجح [ لم ترجح ] حسناتهم على سيئاتهم ، وإن كانت رحمة الله شملتهم وأدخلتهم الجنة فيما بعد ، فإنهم في ذلك الموقف الذي هو أعرافهم واقفون في السد أي الحائط بين الدارين الجنة والنار ، ليسوا من أهل مرتبة المدح الذي هو النظر في الأشياء بنور الله بحيث يميزون بين الحقائق فيعرفون أهل الجنة وأهل النار بسيماهم وسرائرهم ، لأنّ الاطلاع على حقائق الأشياء أمر عظيم لا يتأهل له إلّا الكاملون في العلم والعمل .

**والثالث** : أنّ غير الكاملين يقولون : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، يوم القيامة وهم على الأعراف والدعاء والمناجاة يومئذ لا تنفع ، ولا تفيد فائدة يحصل بها لهم كمال وعلم نافع ومعرفة تستنير بها قلوبهم بحيث يقدرون ، على التميز [ التمييز ] ، لأنّ ذلك مظنة وقوعه في الدنيا .

وقولهم ذلك في الآخرة منافٍ ، لأن يعرفوا كلًّا بسيماهم إذ لا ترقى لذي عمل بعمله [ يعمله ] في الآخرة ، لأنّ الآخرة ليس فيها إلّا حصول مطلوب و ( أو ) فقد محبوب .

واعلم أنّ كلامه هذا فيه أبحاث ترد عليها أبحاث لا فائدة في

ذكرها في مثل قوله : ( **إنما هي الدنيا وما قبل الموت وأما الآخرة وما بعد الموت إلخ** ) ، فإنه كلام قشري جارٍ على طريقة العوام ولكن لا فائدة في بيان ذكر شيء لم يذكر المصنّف فيه منافياً عند الناظر في كلامه .

في قول المصنف : **قاعدة في معنى طوبى وهي مثال شجرة العلم . .**

**قال : ( قاعدة في معنى طوبى وهي مثال شجرة العلم كثيرة الفروع والشعَب شريفة النتائج والأثمار من المعارف الإلهية التي أكثرها مما لا تستقل باكتسابه العقول البشرية بل يحتاج في تحصيلها وتناولها أن تقتبس بأنوارها ( أنوارها ) من مشكاة النبوة بواسطة أول أوصيائه وأفضل أوليائه وأشرف أبوابه مدينة علمه ، فإنّ العلوم الإلهية والمعارف الربانية إنما انتشرت في قلوب المستعدين القابلين للهداية من بدر الولاية وشجرة الهداية . ومما ورد في هذا المعنى ما رواه أعظم المحدثين رواية وضبطاً وأوثقهم دراية وحفظاً الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي رحمه الله بسنده المتصل عن أبي نصير قال : قال أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام : ( طوبى شجرة في الجنة أصلها في دار علي بن أبي طالب عليه السلام وليس من مؤمن إلا وفي داره غصن من أغصانها ) ، وذلك لأنّ نفسه الشريفة معدن الفضائل والعلوم وكان قلبه المنور مفتاح أبواب خزانة المعرفة الموروثة من الأنبياء عليهم السلام سيما خاتمهم وأعلمهم عليه وآله**

**أفضل التسليمات وأزكاها ، كما أفصح عنه قوله صلى الله عليه وآله : ( أنا مدينة العلم وعلي بابها ) ).**

**أقول إنما قال : ( معنى طوبى )** ، ولم يقل معنى شجرة طوبى مع أنه إنما تكلم على معنى الشجرة لأنه يريد أنّ طوبى إذا أفردت في مثل مقام الدعاء كما يقال ( **طوبى لك** ) ، أنّ المراد بها شجرة العلم وربما يفهم من كلامه أنه لا يريد غير هذا المعنى ، وإن كان لها معانٍ أُخر .

إما لأنه جرى على طريقة أبناء نوعه من الصوفية وبعض الحكماء من حصرهم الألفاظ على معانيها الباطنة ، كما هو شأن أهل التأويل حتى أنّ بعضهم انجر به التطبع إلى إنكار كثير من الضروريات مثل القائم عليه السلام وخروجه عجل الله تعالى فرجه وقال ما مراد الشارع به إلّا العقل .

وخروجه عبارة عن استيلائه على جميع المشاعر والنفس والبدن واعتدال الطبيعة ، وأن يأجوج ومأجوج وخروجهم أمام الساعة عبارة عن ظهور الوساوس والأوهام الباطلة أمام قيام العقل واستيلائه على جميع المشاعر ، ومعنى أنهم يشربون ماء البحر يعني النفس ويأكلون الشجر أنهم أي الأوهام يمنعون شؤون النفس أن تتعلق بمصالح البدن بأفعالها [ بأفعالهم ] .

وإمّا لأن غير هذا المعنى لا يعتدّ به .

والمصنّف ، وإن كان كثيراً ما لا يذكر [ يذكر ] الأمور الظاهرة على نحو [ غير ] ما جرت به الشريعة الطاهرة [ الظاهرة ] إلّا أنه يلوّح في تعريفه إلى مشرب القوم ، وإنما لم يقل معنى شجرة طوبى

ليعلم أنّ معنى طوبى مطلقاً هو الشجرة المعينة ، إذ لو ذكر شجرة طوبى لفهم منه إرادة أحد معاني طوبى ولم يرد ذلك ، وإنما يريد أنّ معنى طوبى ، وإن أريد بها الجنة فإنّ المراد بها العلم لأنه قد أشار إلى الجنة وما فيها من القصور والولدان والحور والرمان والطيور وغير ذلك كلها من باب النيات والاعتقادات كما تقدم ، فكيف حال كلامه في معنى كلمة طوبى ؟

وحاصل الأمر كما قال الصادق عليه السلام كما رواه الحسن بن سليمان الحلّي في مختصر بصائر سعد بن عبد الله الأشعري قال عليه السلام : ( **إن قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم يك ينفعهم إيمانهم شيئاً ، ولا إيمان ظاهراً** [ ظاهر ] **إلّا بباطن ، ولا باطن إلّا بظاهر** ) انتهى .

أو كما قال : وطوبى أحد معانيها شجرة العلم ، وقال المفسرون في قوله تعالى : ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ ، أي طيب العيش .

**وقيل** : طوبى الخير وأقصى الأمنية .

**وقيل** : طوبى اسم الجنة بلغة أهل الهند .

وطوبى مصدر كبشرى بضم الطاء من الطيب فواوه مقلوبة عن ياء .

وأحد معانيها شجرة العلم والحكمة وهي كثيرة الفروع والشُّعَب ، لأنّ فروعها وشعبها لا نهاية لها في الإمكان شريفة النتائج والأثمار ، شعبها عين ثمرها والثمرة الواحدة منها إذا أكلها الإنسان أشبعت في محلها من باطنه وأروته أبداً ، ولا تفنى لذتها ، ولا يخلو محلها عنها بكثرة إنفاقها ، بل كلّما أنفق منها وثبت ودر

[ رد ] ثمرها [ ثمرتها ] وأينع [ انبع ] ونبت .

واختلف العلماء في اكتساب تلك العلوم هل تستقل بتحصيلها العقول مطلقاً أم تستقل بمعارفها دون حدودها ، أم لا تستقل مطلقاً بل تحتاج إلى الشرع فقيل بالأول ، لأنّ العقول جعلها الله تعالى حججاً وما لا يستقل لا يكون حجة ، وقد قال تعالى : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ ، وفسروا الظاهرة بالأنبياء والحجج عليهم السلام والباطنة بالعقول وطريقها إلى العلوم والاكتساب [ اكتساب ] وبعض هؤلاء قال : طريقها التخلق بالأخلاق الإلهية كما قال : علي عليه السلام ما معناه : ( **ليس العلم في السماء فينزل عليكم ، ولا في الأرض فيصعد إليكم ولكن العلم مجبول في قلوبكم تخلّقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم** ) .

ونقل ابن أبي جمهور الأحسائي في المجلى وروى عن عيسى ابن مريم على محمد وآله وعليه السلام قال لبني إسرائيل : ( **يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من يصعد يأتي به ، ولا في تخوم الأرض من ينزل يأتي به ، ولا من وراء البحر من يعبر يأتي به ، العلم مجبول في قلوبكم تأدبوا بين يدي الله بآداب الروحانيين ، وتخلّقوا بأخلاق الصديقين يظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم** ) .

وورد عن النّبي صلى الله عليه وآله أنه قال : ( **العلم نور يقذفه الله في قلوب أوليائه وأنطق به على لسانه ( لسانهم ) العلم علم الله لا يعطى إلّا الأولياء ، الجوع سحاب الحكمة فإذا جاع العبد مطر بالحكمة** ) انتهى .

**وقيل بالثاني** ، لأنّ المعارف لا تثبت بالنقل لأنه لا يحصل منه إلّا الظن والظن لا يغني من الحق شيئاً .

وأمّا الأحكام فلأن العقول لا تدرك مأخذها فاكتفى بالظن فيها فيرجع إلى النقل .

**وقيل بالثالث** ، لأنّ العقول قبل الشرع عقول التميّز [ التمييّز ] ومدار التميّز [ التمييّز ] إلى الاسترشاد ، والاسترشاد على الله تبينه [ تبيينه ] ولم يتنبّه [ لم يبينه ] إلّا في كتاب ، وعلى ألسنة أوليائه وحججه صلى الله عليه وآله .

وإنما تسمى القوة المميزة عقلاً إذا تعلمت من تعليم الله تعالى ، ولهذا قال الصادق عليه السلام : ( **العقل ما عُبد به الرحمن واكتُسب به الجنان** . . . ) ، الحديث ، وما سوى هذا ليس عقلاً حقيقيّاً لما تقرر في الأصول من أنّ صحة السلب علامة المجاز .

وقد قال عليه السلام في آخر الحديث حيث قال له السائل : فما الذي كان في معاوية؟

فقال : ( **تلك النكراء ، تلك الشيطنة ، وهي شبيهة بالعقل ، وليست بالعقل** ) .

وقد روي عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وآله ما معناه : ( **ما من شيء من الحق عند أحد من الخلق إلّا بتعليمي وتعليم علي بن أبي طالب عليه السلام** ) .

وروي معنى هذا عن غير ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله .

والحق عند من أراد الله به خيراً هو القول الثالث [ الثابت ] ،

ومن كان استمداد عقله من الكتاب والسنّة علماً وعملاً وجد هذا ما [ مما ] لا يرتاب فيه .

**وقوله : ( بواسطة أول أوصيائه وأفضل أوليائه )** ، يريد أنّ العقول البشرية لا تستقل بأنفسها في اكتساب المعارف الإلهية ، بل تحتاج إلى الاستمداد من مشكاة النبوة التي تستمد من الوحي الذي هو الواسطة بين المفيض الذي علم عباده تعالى ( سبحانه ) ما لم يعلموا ، ولا يمكن العقول الاستمداد من مشكاة النبوة التي تستمد من الوحي إلّا بواسطة علي عليه السلام .

وكلامه هذا صحيح في عدم الاستمداد بدون واسطته [ واسطة علي ] عليه السلام ولكن هل لسائر الناس غير الأحد عشر وفاطمة عليها السلام أن يستمد من المشكاة بواسطة علي عليه السلام بدون واسطة الأحد عشر عليه السلام أم لا؟ أما في الظاهر فنعم ، بل وبدون واسطة علي عليه السلام ، بل يأتي الرجل ويسأل النّبي صلى الله عليه وآله ويجيبه ، وإن لم يكن علي عليه السلام حاضراً .

وأمّا في الباطن فاعتقادنا أنه لا بدّ من توسط [ توسطة ] الأئمة الأحد عشر وفاطمة عليها السلام ، لأنّ سبيل الإدراك في سلسلة الصعود ، وهو سبيل البدء في سلسلة النزول ، فكما أنّ البدء لزيد لا يصل إليه المدد إلّا بواسطة جميع الأسباب كذلك الاستمداد من المبدأ في العلوم والمعارف .

فإن اشترط [ اشتراط ] المصنّف توسط علي عليه السلام ، فالذي ينبغي له أن يشترط توسط باقي أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله ،

بل وتوسط سائر الأنبياء عليهم السلام لسائر الخلق من سواهم ، لما ثبت في صريح الأخبار وصحيح الاعتبار أنهم عليهم السلام خلقوا من شعاع أنوار محمد وأهل بيته صلى الله عليه وآله وسائر المؤمنين خلقوا من شعاع أنوار الأنبياء عليهم السلام .

وقوله : ( **وأشرف أبواب علمه** ) ، يدل على ما قلنا ، فإنه إذا كان صلى الله عليه وآله مدينة العلم ، وهم أبواب مدينة العلم ، دل على مشاركتهم في الوساطة لكل من سواهم هذا في الحقيقة ، وفي نفس الأمر .

وأمّا في الظاهر فلا تحتاج العقول في الأخذ من مشكاة النبوة ، إلى واسطة [ وساطة ] أحد منهم عليهم السلام ، ولا في الأخذ من مصابيح الولاية ، إلّا وساطة النبي صلى الله عليه وآله ، كما هو المعروف بين العوام .

**وقوله** : ( **فإن أنوار العلوم الإلهية والمعارف الربانية ، والعلوم الإلهية** ) ، هي علم الشريعة وعلم الطريقة ، أعني علم اليقين والتقوى الذي هو علم الأخلاق .

والمعارف الإلهية هي علم الحقيقة ، أعني معرفة الله ومعرفة صفاته وأسمائه وأفعاله وما يصح عليه ويمتنع .

وهذه العلوم الثلاثة هي التي عناها صلى الله عليه وآله بقوله : ( **إنما العلم آية محكمة وفريضة عادلة وسنّة قائمة . . .** ) ، الحديث .

ويلحق بهذه الثلاثة كل ما طلب من العلوم لهذه الثلاثة ، أو لأحدها ، وإنما انتشرت في قلوب المستعدين بقابلياتهم من التعلم

والعمل بما أمر الله واجتناب ما نهى عنه والتفكر والتدبّر ، والنظر فيما خلق الله من الآفاق والأنفس ، فإنّ مثل هؤلاء هم القابلون للهداية من بذر الولاية ، وهو الإمام عليه السلام وشجرة الهداية عطف صفة على صفة .

وقوله : ( **ومما ورد في هذا المعنى ، ما رواه أعظم المحدثين في العلم والمعرفة بدراية الأحاديث** ) ، ولهذا فسره بقوله : ( **رواية وضبطاً وأوثقهم دراية وحفظاً الشيخ الصدوق** ) ، إلخ .

لعل المصنّف إنما بالغ في وصفه لما وجد في كلامه في أول كتابه الفقيه ، ومن مثل ما ذكره العلامة في ترجمة [ ترجمته ] في الخلاصة : والرجل إذا تغمده الله برحمته لا عيب فيه ، وإن كانوا لم يصرحوا بتوثيقه في كتب الرجال .

وكونه من مشايخ الإجازة ، لا يدل على الاستغناء عن توثيقه ، فإنّ كثيراً من مشايخ الإجازة وثّقوهم كالمفيد والكليني وشيخه محمد بن الحسن بن الوليد وغيرهم .

وإن كان ترك توثيقه لشهرة ثقته فليس بأشهر ممّن ذكر ، ولا من أبيه علي بن الحسين على أنه ذكر في كتابه من لا يحضره الفقيه في آخر باب الصوم والتطوع منه قال : ( **وأما خبر صوم الغدير والثواب المذكور فيه لمن صلى فإنّ شيخنا محمد بن الحسن بن الوليد كان لا يصححه ويقول : إنه من طريق محمد بن موسى الهمداني وكان غير ثقة ، وكل ما لم يصححه ذلك الشيخ قدس الله روحه ولم يحكم بصحة من الأخبار فهو عندنا متروك غير صحيح** ) انتهى .

وهذا يدل على خلاف ما ذكره المصنّف من أنه أعظم المحدثين

رواية وضبطاً وأوثقهم دراية وحفظاً لأنه يدل على تصحيحه للأخبار بالاعتماد على مشايخه ، ومثل هذا ينافي الضبط والدراية ، ومثل هذا يصلح لمثل محمد [ لمحمد ] بن يعقوب الكليني رحمه الله ، وأما الصدوق رحمه الله فهو لا شك أنه مما [ ممن ] روى وحفظ به إن شاء الله نجاته ونجاة من تمسك برواياته جزاه الله عن حفظه للشريعة عن هذا الأمة خير الجزاء .

والحديث الذي روى [ يروى ] المصنّف عنه مذكور في المتن وغيره كثير فمنه ما روي عن النّبي صلى الله عليه وآله : ( **شجرة طوبى ، شجرة في الجنة أصلها في داري وفرعها في دار علي . فقيل له : في أين ذلك؟ فقال : داري ودار علي في الجنة بمكان واحد** ) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم عن النّبي صلى الله عليه وآله حديث طويل وفيه يقول صلى الله عليه وآله : ( **دخلت الجنة . . . وإذا أنا** [ وأنا إذا ] **بشجرة لو أرسل طائر في أصلها ما دارها سبعمئة عام وليس في الجنة منزلة إلّا وفيه غصن** [ شجرة ] منها . **فقلت : ما هذه يا جبرائيل؟ فقال : هذه شجرة طوبى ، قال الله تعالى :** ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ ) .

وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ( **طوبى شجرة في الجنة في دار أمير المؤمنين عليه السلام وليس أحد من شيعته إلا وفي داره غصن من أغصانها وورقة من أوراقها تستظل تحتها أمة من الأمم** ) .

وعنه عليه السلام : ( **كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر تقبيل فاطمة عليها السلام فأنكرت ذلك عائشة فقال رسول الله**

**صلى الله عليه وآله : يا عايشة إني** [ لما ] **أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فأدناني جبرائيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها فحول الله ماء ذلك** [ ذلك ماءً ] **في ظهري فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة** [ الخديجة ] **فحملت بفاطمة وكلّما اشتقت إلى الجنة قبّلتها ، وما قبّلتها قط إلّا وجدت رائحة شجرة طوبى منها فهي حوراء إنسية ) .**

وروى الشيخ بسنده وكتبه في كتاب مسائل البلدان يرفعه إلى سلمان الفارسي رحمه الله قال : دخلت على فاطمة عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام يلعبان بين يديها ففرحت لهما فرحاً شديداً ، فلم ألبث حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت : يا رسول الله أخبرني بفضيلة هؤلاء لأزداد لهم حباً .

**فقال : (يا سلمان ليلة أُسري بي إلى السماء ، أدارني جبرائيل عليه السلام في سماواته وجنانه** [ جناته ] **فبينما أنا أدور في قصورها وبساتينها ومقاصيرها إذ شممت رائحة طيبة فأعجتني تلك الرائحة فقلت : يا حبيبي ما هذه الرائحة التي غلبت روائح الجنة كلها؟ فقال : يا محمد تفاحة خلقها الله تبارك وتعالى** [ سبحانه ] **بيده منذ ثلاثمئة ألف عام ما أدري** [ ندري ] **ما يريد بها ، فبينما أنا كذلك إذا** [ إذ ] **رأيت ملائكة ومعهم تلك التفاحة . قال رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذت** [ وأخذت ] **من تلك التفاحة فوضعتها تحت جناح جبرائيل عليه السلام ، فلما هبط بي إلى الأرض أكلت تلك التفاحة فجمع الله ماءها** [ فجمعت ماؤها ] **في ظهري فغشيت خديجة بنت خويلد فحملت بفاطمة عليها السلام من ماءِ التفاحة . فأوحى الله عزّ وجلّ إلي أن قد ولدك** [ ولد منك ، ولد لك ] **حوراء**

**إنسية فزّوج النور من النور فاطمة من علي ، فإني قد زوجتها في السماء وجعلت خمس الأرض مهرها وسيخرج فيما [ مما ] بينهما صلى الله عليه وآله ذرية طيبة وهما سراجا الجنة وهما الحسن والحسين ويخرج من صلب الحسين أئمة يقتلون ويخذلون ، فالويل لقاتلهم وخاذلهم. . . إلخ ) .**

**أقول** : وهذا الحديث يشعر بأنّ شجرة طوبى تحمل بكل فاكهة جمعاً بين الأخبار .

**ولو قيل** : إنها في الأصل شجرة تفاح لم يكن بعيداً .

**ولو قيل** : مع هذا أنها [ إنما ] تحمل بكل نوع من أنواع الفواكه والثمار لكان صحيحاً .

ثم ما ورد : ( **أن المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام خصوصاً آخر الليل فإنه يشم منه رائحة التفاح** ) .

**وأقول** : وحقه وحق جدّه وأبيه وأمه وأخيه وحق التسعة الأطهار من بنيه عليهم السلام ، وقد [ لقد ] شممت من شباكه الطيب رائحة التفاح مراراً لا أحصيها ( **صلى الله عليك يا أبا عبد الله بعدد ما في علم الله** ) .

وفي أصول الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : ( **إن لأهل الدين علامات يعرفون بها ، صدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وصلة الأرحام ورحمة الضعفاء وقلة المراقبة للنساء** ).

**أو قال** : وقلة الموافاة للنساء وبذل المعروف وحسن الخُلُق

وسعة الخلُق واتبّاع العلم وما يقرب إلى الله عزّ وجلّ زلفى : ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ .

وطوبى شجرة في الجنة أصلها في دار النّبي محمد صلى الله عليه وآله وليس من مؤمن إلّا في داره غصن منها لا تخطر على قلبه شهوة إلّا أتاه بها ، ذلك ولو أنّ راكباً مجداً سار في ظلها مئة عام ما خرج منها ولو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتى سقط [ يسقط ] هرماً ألا ففي هذا فارغبوا .

إن المؤمن من نفسه في شغل والناس منه [ عن ] في راحة إذا جنّ عليه الليل افترش وجهه وسجد لله عزّ وجلّ بمكارم بدنه يناجي الذي خلقه في فكاك رقبته ألّا فهكذا فكونوا ، إلخ .

وفي عيون الأخبار قال : يعني الحسين عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ( **يا علي أنت المظلوم بعدي وأنت صاحب شجرة طوبى في الجنة أصلها في دارك وأغصانها في دار شيعتك ومحبيك. . .** ) ، الحديث .

وفي كتاب الخصال في تفسير حروف أبجد إلى أن قال : ( **وأما الطاء فـ ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ ، وهي شجرة غرسها الله عزّ وجلّ بيده ونفخ فيها من روحه ، وأنّ أغصانها ترى** [ لترى ] **من وراء سور الجنة تنبت بالحلي والحلل والثمار مستدلة** [ متدلية ] ، **على أفواههم** ) .

وعن أبي سعيد الخدري ، وفي احتجاج علي عليه السلام يوم الشورى وعن أبي أمامة ، وفي كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة وعن أبي حمزة الثمالي .

وفي مجمع البيان ، وفي ثواب الأعمال وعن أبي حمزة الثمالي أيضاً روايات بمعنى ما تقدم .

وفي تفسير العياشي بسنده قال : ( **بينما رسول الله صلى الله عليه وآله جالس ذات يوم إذ دخلت أم أيمن ، وفي ملحفتها شيء فقال رسول الله : يا أم أيمن أي شيء في ملحفتك؟ فقالت : يا رسول الله فلانة بنت فلان أملكتموها ، فلم تنشروا** [ فلم تنثروا ] **عليها فأخذت زوجها فلم تنشر** [ فلم تنثر ] **عليها من نثارها شيئاً . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : ولا تبكين فوالذي بعثني بالحق نبيّاً بشيراً ونذيراً لقد شهد املاك فاطمة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل في ألوف من الملائكة ولقد أمر الله طوبى فنثرت** [ فنشرت] **عليهم من حللها وسندسها واستبرقها ودرها وزمردها وياقوتها وعطرها فأخذوا منه حتى ما دروا ما يصنعون به ولقد نحل الله طوبى لمهر فاطمة وهي في دار علي بن أبي طالب عليه السلام** ) .

فظهر لمن نظر أنّ إطلاق طوبى على الشجرة مشهور في أخبارهم فعلى هذا تكون الإضافة بيانية ، وما ذكره المفسرون من معاني طوبى كلها صحيح ومراد وإن كان على خلاف الأغلب ، وإنما ذكرتُ كثيراً من الروايات ليظهر لك وجه الأغلب .

**وقوله : ( وذلك لأنّ نفسه الشريفة معدن الفضائل والعلوم وكان قلبه المنور )** ، إلخ ، فيه ما قلنا ، لأنّ هذه الفضائل ليست مختصة به دون أولاده الطاهرين ( صلى الله عليه وعليهم أجمعين ) .

في قول المصنف : **وإنما نسب معنى طوبى إلى داره الأخروية . .**

**قال : ( وإنما نسب معنى طوبى إلى داره الأخروية من بيت قلبه المعنوي دون دار محمد صلى الله عليه وآله ، لأنّ تفاصيل العلوم الحقيقية التي جاء بمجامعها الرسول صلى الله عليه وآله والكتاب مستفادة من بيانه وتعليمه ، وهو كما أشار تعالى بقوله : ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ، وبقوله : ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ ، وبقوله : ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، وبقوله : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ، ولذلك ورد أنه قال صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية : (يا علي أنا المنذر وأنت الهادي) انتهى ، فقد تبين بنور العقل والنقل ، أنّ مثال شجرة طوبى أعني أصل العلوم والمعارف ، في دار علي عليه السلام وأولاده المطهرين الذين هم ذرية بعضها من بعض ، لأنّ كلًّا منهم يحذو حذو أبيهم المقدس وجدّهم المنور المطهر صلوات الله عليهم أجمعين ) .**

**أقول** : إذا فسرت طوبى بشجرة العلم والمعرفة فسرت [ فسر ] البيت بالقلب فيكون جانبه [ جانب ] الأيمن محل المعرفة وجانبه [ جانب ] الأيسر محل العلم ، لأنّ الأيسر جانب النفس التي هي محل الصور التي هي العلم والأيمن محل العقل الذي هو مدرك المعاني التي هي المعرفة

**وقوله : ( دون دار محمد صلى الله عليه وآله )** ، غلط ، لأنّ علم علي عليه السلام من علم محمد صلى الله عليه وآله مجملة ومفصلة

[ مجمله ومفصله ] نعم لو قال : إنّ صاحب الخلافة هو صاحب التأويل وصاحب النبوة هو حامل التنزيل ، وطوبى من نوع التأويل ناسب كلامه ، على أنّ الحديث الأول المذكور عن النّبي صلى الله عليه وآله فيه : ( **أصلها في داري وفرعها في دار علي عليه السلام . فقيل له في ذلك فقال : داري ودار علي في الجنة بمكان واحد** ) .

فقوله صلى الله عليه وآله : ( **في الجنة** ) ، يشعر بأنّ حصول ذلك العلم في الجنة يوم القيامة ، وأما حصوله له ولأهل بيته صلى الله عليه وآله فهو [ فهي ] في الدنيا كما هو [ هي ] في الآخرة ، لأنّ هذا العلم من جملة ثمار الجنة فكما أنهم عليهم السلام يأكلون في الدنيا من ثمار الجنة كذلك يأكلون ما كان من نوع ذلك ، وكما أنه قد يأكل غيرهم من ثمار الجنة ، وإن كان نادراً كما أكل الحواريون من المائدة وشرب عبد الله بن سنان من ماءِ الكوثر في الدنيا بواسطة جعفر بن محمد عليهما السلام كذلك قد يحصل بعض ذلك من العلوم والمعارف لغيرهم من شيعتهم ، وكذلك ما في أصول الكافي من قوله : ( **أصلها في دار النّبي محمد صلى الله عليه وآله** ) ، فإنه وغيره من الأخبار يدل على اتحاد الدار ، فقول المصنّف : ( **دون دار النّبي محمد صلى الله عليه وآله** ) ، ليس بشيء ، على إطلاقه ، وكذا الكلام في قوله : ( **مستفادة من بيانه وتعليمه** ) .

**وقوله** : وهو كما أشار تعالى بقوله : ﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ ) ، في الخرائج ، وفي الكافي والعياشي عن الباقر عليه السلام : ( **إيانا عنى ، وعلى أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النّبي صلى الله عليه وآله** ) .

وروي مثله في مجمع البيان عن الصادق عليه السلام .

وفي الاحتجاج سأل رجل علي بن أبي طالب عليه السلام أخبرني بأفضل منقبة لك؟

فقرأ الآية وقال : (**إيانا عنى بـ ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾** ) .

وفي المجالس عن النّبي صلى الله عليه وآله أنه سُئل عن هذه الآية؟

فقال : ( **ذاك ( ذلك ) أخي علي بن أبي طالب عليه السلام** ) .

وروى العياشي عن الباقر عليه السلام أنه قيل له : هذا ابن عبد الله بن سلام يزعم أنّ أباه [ إياه ] الذي يقول الله : ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ .

قال : ( **كذب هو علي بن أبي طالب عليه السلام** ) .

وفي الكافي بسنده عن سدير ، قال : كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزاز وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله إذ خرج علينا ، وهو مغضب فلمّا أخذ مجلسه قال : ( **يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب ، ما يعلم الغيب إلّا الله تعالى لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي؟ قال سدير : فلمّا أنّ قام من مجلسه وصار إلى منزله دخلت أنا وأبو بصير وميسر فقلنا له يا بن رسول الله جعلنا فداك سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريتك ونحن نعلم أنك تعلم علماً كثيراً ، ولا ننسبك إلى علم الغيب؟ قال : فقال : يا سدير ألم تقرأ القرآن؟ قلت : ( فقلت ) بلى . قال : فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ قال : ﴿ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ . قال : قلت جعلت فداك قد قرأته . قال : فهل عرفت**

**الرجل؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال : قلت : أخبرني به؟ قال : قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر ، فما يكون ذلك من علم الكتاب ؟ قال : قلت : جعلت فداك ما أقل هذا؟ قال :** [ فقال ] **يا سدير ما أكثر هذا أن ينسبه الله عزّ وجلّ إلى العلم الذي أخبرك به ، يا سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ أيضاً** ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ . **قال : قلت قد قرأته جعلت فداك . قال : فمن عنده علم الكتاب كله؟** [أفهم أم من عنده علم الكتاب بعضه؟ قلت : لا ، بل من عنده علم الكتاب كله] . **قال : فأومأ بيده إلى صدره وقال : علم الكتاب والله كله عندنا )** .

وفي تفسير علي بن إبراهيم بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : **( الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام )** .

وسُئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب؟

فقال : **( ما كان علم الذي كان عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلّا بقدر ما تأخذ** [ تأخذه ] **البعوضة بجناحها من ماءِ البحر )** .

وفي تفسير العياشي عن عبد الله بن عجلان عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن قوله : ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا ﴾ .

فقال : **(نزلت في علي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفي الأئمة بعده وعلي عنده علم الكتاب )** .

وعن عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ فلمّا رآني أتتبع هذا وأشباهه من الكتاب ، قال : ( **حسبك كل شيء في الكتاب ، من فاتحته إلى خاتمته ، مثل هذا فهو في الأئمة عليهم السلام عنى به** ) .

وروى المفيد مسنداً إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال لي أمير المؤمنين : ( **الويل كل الويل لمن لا يعرف لنا حق معرفتنا فأنكر فضلنا** [ فضائلنا ] **، يا سلمان أيما أفضل محمداً ، أو** [ محمد صلى الله عليه وآله أم ] **سليمان بن داود عليهم السلام؟ وقال سلمان : فقلت : بل محمد صلى الله عليه وآله . فقال : يا سلمان هذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من سبأ إلى فارس في طرفة عين وعنده علم من الكتاب ، ولا أقدر أنا وعندي علم ألف كتاب أنزل الله منها على شيث بن آدم خمسين صحيفة ، وعلى إدريس النّبي عليه السلام ثلاثين صحيفة ، وعلى إبراهيم الخليل عشرين صحيفة وعلم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان . قلت : صدقت يا سيدي . فقال : اعلم يا سلمان أنّ الشاك في أمورنا وعلومنا كالممتري في معرفتنا وحقوقنا ، وقد فرض الله طاعتنا وولايتنا في كتابه في غير موضع ، وبيّن فيه ما وجب العمل به ، وهو مكشوف** ) انتهى . إلى غير ذلك من النصوص الدالة على عدم الخصوص بل كلهم مشتركون في هذه الفضيلة .

وذكر علي عليه السلام في بعضها وحدة [ وحده ] للتمثيل في تشريكهم مع ما علم من أخبارهم عليهم السلام ، وأنّ ما جرى لأولهم يجري لآخرهم .

وبقوله : ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ ، وبقوله : ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ ، مما يدل على إحاطة علومهم وحاجة جميع الخلق في العلم إليهم ، لأنّ الله تعالى [ لأنه سبحانه ] قد أقام نبيه صلى الله عليه وآله مقامه في سائر عالمه في الأداء ، أي فيما يريد أن يؤديه إلى خلقه من خلق ، أو رزق ، أو حياة ، أو ممات إذ كان تعالى [ سبحانه ] لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار كما تقدم ذكره في خطبة علي عليه السلام يوم الغدير ويوم الجمعة .

ثم أوحى [ أوحى إلى نبيه ] صلى الله عليه وآله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ ﴾ ، وأنزله الله إليه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ ، فعلّم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام جميع ما أوحي إليه وأمره أن يعلّم أهل بيته الطاهرين عليهم السلام جميع ما علمه من العلوم .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ ، فإنّ محمد صلى الله عليه وآله هو المنذر والهادي علي عليه السلام ولذلك [ ولذا ] ورد أنه صلى الله عليه وآله قال : لما نزلت هذه الآية : ( **يا علي أنا المنذر وأنت الهادي** ) .

**وقوله** : ( **فقد تبين بنور العقل والنقل أنّ مثال شجرة طوبى يعني** [ أعني ] **أصل العلوم والمعارف في دار علي عليه السلام وأولاده المطهرين عليه السلام ، إلخ** ) ، ربما يشعر بأنّ كلامه الأول لم يرد به التخصيص به عليه السلام ، وإنما ذكره لكونه سيدهم ومقدمهم وليس ببعيد ، وإن كان خلاف ظاهر عبارته لأنه كثيراً ما لا يعني

[ لا يعتني ] بإصلاح [ باصطلاح ] العبارة فإنّ عنى بقوله الأول ما أراد هنا في قوله ( **وأولاده المطهرين** ) ، فقد أجاد وإن أراد خصوص التوسط فقد أخطأ السداد .

وقوله : ( **لأن كلًّا منهم** ) ، أي من الأئمة الاثني عشر أعني الأحد عشر وفاطمة ( **يحذو حذو أبيهم المقدس** ) ، أمير المؤمنين عليه السلام ( **وجدهم المطهر** ) ، خاتم النبيين ( صلوات الله عليه وعليهم ) ، وإن أراد أنهم مثلهما عليهم السلام في العلوم العامة ، وفي التوسط لكل الخلق فهو حق وإن أراد به خصوص العلوم [ العلم ] دون التوسط فهو غلط .

في قول المصنف : **وفروعها في دور صدور شيعتهم وبيوت قلوب . .**

**قال : ( وفروعها في دور صدور شيعتهم وبيوت قلوب مواليهم إذ [ إن ] يتفرع ويتشعب من علم النبي والوصي وآلهما ( صلى الله على محمد وعلي وآلهما ) ، علوم عقلية وفروع فقهية في قلوب العلماء والمجتهدين من أتباعهم ومقلديهم إلى يوم القيامة ونسبة سيد الأولياء علي عليه السلام إلى علماء هذه الأمة : ( يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة ) .**

وهكذا نسبة شجرة طوبى لجميع [ بجميع ] أشجار الجنة قال : العارف المحقق في الفتوحات المكية : اعلم أنّ شجرة طوبى لجميع شجر الجنان [ الجنات ] كآدم عليه السلام لما ظهر عنه من

النبيين فإنّ الله لما غرسها بيده وسواها ونفخ فيها من روحه كما شرّف آدم باليدين ونفخ فيه فأورثه نفخ الروح فيه علم الأسماء لكونه مخلوقاً باليدين .

ولما تولى الحق غرس شجرة طوبى ونفخ فيها زينها بثمرة الحلي والحلل اللذين فيهما زينة للابسهما ونحن أرضها كما جعل : ﴿ مَآ عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾ ، انتهى .

فقد ظهر من كلامه أنّ شجرة طوبى يراد بها أصول المعارف والأخلاق الحسنة لتكون زينة للنفوس القابلة بمنزلة : ﴿ مَآ عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾ .

**أقول** : المراد بالفروع الأغصان كما هو منطوق الأخبار والغصن يراد منه نوع منها إذا فسرت بالعلوم ، وجزء منها إذا فسرت بالشجرة المعلومة ، فإذا [ فإن ] فسرت بالعلوم فالغصن منه كلي ومنه جزئي .

فمرادنا بالكلي أنّ المؤمن له حصة من شجرة العلوم وتلك الحصة من كل علم يناسب رتبة ذلك المؤمن ، من المعارف وغيرها .

ومرادنا بالجزئي؛ أنّ ذلك الغصن ، يعطي صاحبه المؤمن ، من كل فاكهة وطعام يناسب رتبة ذلك المؤمن بما تقتضيه الحكمة ، وكل ملبوس ومشروب ومنكوح ومشموم وملموس ومذوق ومسموع ومبصر ومتخيل مما تقتضي الحكمة حسن تنعمه به وتمتعه فيه .

وإن فسرت بالشجرة النباتية حملت بكل فاكهة توجد في الدنيا على أطوار وألوان لا تتناهى مثلاً تحمل برمان رطب ويابس فيه

طعم كل فاكهة تميل إليها نفس صاحب ذلك الغصن ، وفي ذلك الرمان جميع الألوان والطبائع المستقيمة كما كان فيه جميع الطعوم وكذا يحمل ذلك الغصن بتفاح بين رمان وعنب ورطب في كل شيء كل لون محسن [ مستحسن ] ، وكل طعم مستعذب ، وكل رائحة طيبة وهكذا .

وكل واحدةٍ من تلك الثمرات المتشاكلة ظاهرها طعام وطيب وفاكهة وشراب وقوة باه وإصلاح مزاج وتفريح وكمال عقل وذكاء ما أشبه ذلك .

وباطنها علم كما قال علي عليه السلام : (**أسفله طعام وأعلاه علم**) انتهى . ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ .

**وقوله** : (**في دور صدور شيعتهم**) ، يعني ما كان من علوم الأحكام مما يتعلق بالخلق وأحوالهم ومعرفة صفاتهم وذواتهم ، لأنّ الصدور هي مقر العلوم التي صور الأشياء وأحوالهم وأفعالهم وأعمالهم وأقوالهم .

والمراد بالدور جمع دار وهي المشتملة على بيوت كثيرة .

**وقوله** : (**في بيوت قلوب مواليهم**) ، يعني ما كان من المعارف الإلهية من معرفة صفاته وصفاتها وأسمائه وأسمائها وأفعاله ومتعلقاتها وأوقاتها .

والقلوب في الصدور كالبيوت في الدور ، وذكر القلوب للمعارف غير مناسب لمذاق العارفين ، لأنّ القلوب مقر اليقين الذي هو ضد الشك والريب وهذا نوع علم اليقين والتقوى الذي هو ثمرة علم الأخلاق لذلك ، كما أنّ الصدور مقر العلوم التي هي

ضد الجهل ، ولا شيء من الاثنين بمحل المعارف [ للمعارف ] التي يتناولها العارف بلا صورة ، ولا معنى ، ولا كيف ، ولا كم ، ولا إشارة ، وذلك لأنّ العلم باعث للخوف بما يتحقق في الصدور واليقين باعث للرجاء بما يشرق في القلوب [ القلب ] .

وأمّا المعارف المحضة المجردة عن الصور وعن المعاني فلا تنجلي [ فلا تتجلى ] إلّا في الأفئدة فتنبعث عنها المحبة بلا إشارة ، ولا كيف .

والقلب يطلق على الفؤاد وبالعكس إلّا أنه بحسب ظاهر اللغة .

وأمّا في اللغة الخاصة فالفؤاد روح القلب والقلب وجهه وظاهره .

ولعل المصنّف لا يعرف الفرق بينهما ولهذا لم نجد لهذا ذكراً في شيء من كتبه والموافق لمن يسلك الغور في المعارف ، ذكر الفرق بينهما ليعرف ما يحل في مكانه اللائق به فنسب [ فينسبه ] إليه .

وإذا فسرت هذه الشجرة الطيبة بالمعارف والعلوم فهل توجد تلك العلوم والمعارف في الدنيا لأصحاب الغصون في الآخرة أم لا؟ الظاهر أنّ ذلك يوجد ، فكل علم أجابه العمل إذا هتف به فإنه تنزّل [ متنزل ] من تلك الشجرة وذلك الغصن كامن في بيت صاحبه يظهر له يوم القيامة ، ومَن مات فقد قامت قيامته ، ومن قتل نفسه كما يحب الله ، أو رق غصنه وكثر ثمره وتناول منه في الدنيا وأكل من ثمره ، ولا يجد أحد لذة للعلم دائمة ثابتة إلّا ما كان من تلك الشجرة ، وإذا كان من غيرها فإن وجد لذة لشيء من العلم فإنما

ذلك للبس خادعته فيه نفسه وغفلته [ غفلة ، غفله ] عما يراد منه ، أو به .

ولما كانت تلك الشجرة في الجنة كان كل علم يوصل إليها فهو منها ، وكل علم يصد عنها فليس منها ، لأنّ الأشياء بمقتضى طبيعتها تنعطف فروعها على أصولها .

وقوله : **( إذ يتفرع ويتشعب من علم النّبي والوصي وآلهما صلى الله عليه وآله علوم عقلية )** ، أي كالمعارف الحقة **( وفروع فقهية )** ، كالعلوم المستنبطة من الكتاب والسنّة بالاستنباط الذي أشاروا إليه عليهم السلام بقولهم : **( علينا أن نلقي إليكم أصولاً وعليكم أن تفرعوا )** ، وتلك الفروع من تلك الغصون إذا كانت جارية في استخراجها على نمط ما سلكوا عليهم السلام ، وعلى هذا [ وإلى هذه ] الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ ، أي : النفوس المتنحلة [ المنتحلة ] يعني المختارة المستنبطة من أدلتها : ﴿ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ ، أي : انظري وتدبري في متعلقات الأحكام التي هي محال النظر والتدبّر من الجبال أي مقتضيات الأجسام والطبائع جمع جبلة من تفسير ظاهر الظاهر بيوتاً ، وهي محال النظر لاستنباط مقتضى أوصافها ودواعيها من الحسن والقبح : ﴿ وَمِنَ ٱلشَّجَرِ ﴾ ، وهي النفوس في تطوراتها وشؤونها : ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ ، من تعلقات أفعالها بالأجسام ووقوع أطيار شؤونها ، على أوكارها من الاجسام والجسمانيات : ﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ، أي من موجبات الأفعال المقتضية لتلك الثمرات بأوصافها من الحسن والقبح : ﴿ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ ، أي : في الاستنباط بما عرّفك من سبله ونمط استخراج المسببات من

أسبابها [ الأسباب ] واستنباط الفروع من أصولها : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا ﴾ ، أي من بطون خيالها وأنظارها [ أفكارها ] : ﴿ شَرَابٌ ﴾ ، أي علوم يحيي بها أموات النفوس والقلوب كما يحيي [ تحيي ] بالماء أموات الأشجار والأرضين كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ ، الظاهري والماء الباطني الذي هو العلم : ﴿ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ .

**فإن قلت** : يلزم من بيانك خصوصاً بتأويلك أن يكون النّبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته صلى الله عليه وآله يجتهدون في استخراج الأحكام من الأدلة ، وهو خلاف الاتفاق؟

**قلت** : نعم فإنهم عليهم السلام يستنبطون الأحكام من أدلتها ، إلّا أنّ الفقهاء غيرهم أغلب ما يتوصلون به الظنون وهم عليهم السلام جميع ما تؤديهم إليه أدلتهم إلى اليقين القطعي العياني في جميع ما يحكمون به وإلا فأخذهم بالاستنباط كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ ، ففي تفسير العياشي عن عبد الله جندب [ سنان الجندب ] عن الرضا عليه السلام : ( **يعني آل محمد عليهم السلام وهم الذين يستنبطون من القرآن ويعرفون الحلال والحرام وهم حجة الله على خلقه** ) .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : هم الأئمة عليهم السلام وعن أبي عبد الله عليه السلام قال عزّ وجلّ : ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ ، فردّ الأمر للناس إلى أولي الأمر منهم الذين أمر بطاعتهم وبالرد إليهم .

وفي الإكمال بسنده إلى أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر بن

محمد بن علي الباقر عليه السلام في حديث طويل يقول فيه عليه السلام : **(ومن وضع ولاية الله وأهل استنباط علم الله في غير أهل الصفوة من بيوتات الأنبياء ، فقد خالف أمر الله عزّ وجلّ وجعل الجهال ولاة أمر الله والمتكلفين بغير هدًى ، وزعموا أنهم أهل استنباط علم الله فكذبوا على الله ، وزاغوا عن وصية الله وطاعته فلا تكون لهم يوم القيامة حجة . وقال أيضاً بعد أن قرأ : ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ...﴾ فإن يكفر بها أمتك فقد وكّلنا أهل بيتك بالإيمان الذي أرسلناك له فلا يكفرون بها أبداً ، ولا أضيع** [ولا أضع] **الإيمان الذي أرسلناك به وجعلت أهل بيتك بعدك على أمتك ولاة من بعدك ، وعلى الاستنباط الذي ليس فيه كذب ، ولا إثم ، ولا زور ، ولا بطر ، ولا رياء)** انتهى . فتدبّر هذه الأخبار ليظهر لك أنّ الاستنباط [استنباط] الحق ما استنبطه محمد وأهل بيته والأنبياء عليهم السلام .

**وقوله : (ونسبة سيد الأولياء علي عليه السلام إلى علماء هذه الأمة)** ، إذا أريد بعلماء هذه الأمة الأئمة الطاهرون (عليهم السلام) صح التشبيه في الجملة لأن أمير المؤمنين عليه السلام سمّي [يسمى] أمير المؤمنين لأنه يمير الأئمة عليهم السلام العلم المأخوذ [مأخوذ] من قوله تعالى : ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ ، والمؤمنون هنا هم الأئمة عليهم السلام إلّا أنه عليه السلام يسقيهم مما استسقى [أسقى ، استقى] منه بنفسه لا بصفته فلهذا قلنا صح التشبيه في الجملة .

ولو أريد الأنبياء صح التشبيه على الحقيقة ، وإن أريد مطلق

علماء هذه الأمة صح على الحقيقة بنسبته في كل شيء بمعنى أنّ كنه الشجرة وأصلها الذي ليس وراءه لها [ له ] ذكر بحال ما هو في بيت محمد وذلك في بيت علي وبيوت أهل بيته الطاهرين عليهم السلام بحكم الثانوية [ ثانوية ] فإنّ ما هو بحكم الأولوية [ الأولية ] في بيت محمد صلى الله عليه وآله وبعده في بيوتهم وظاهر ذلك منتشر في بيوت الأنبياء عليهم السلام يقع في بيت كل نبي ما يسعه استعداده وأشعة ذلك الظاهر مشرقة في بيوت المؤمنين يقع في كل بيت من بيوت المؤمنين ما يستدل عليه [ يستدعيه ] استعداده ويمثل ذلك استمداد مقلديهم إلى انقضاء التكليف [ انقضائه ] هذا نسبة باطنها وتأويلها ونسبة ظاهرها [ مظاهرها ] إلى جميع شجرات الجنان [ الجنات ] كشجرات الخير ، وهو النهر الجاري في المدهامتين التي تحمل بالنساء الخيرات الحسان المعلقات في تلك الأشجار بشعورهن وكشجرات الفواكه بجميع أنواعها وشجرات الدنيا وما أودع فيه من الخواص والأسرار كنسبة ظاهر علوم محمد صلى الله عليه وآله وأوصيائه إلى علوم سائر علماء شيعتهم ، من الأولين والآخرين ، لا خصوص علماء هذه الأمة ، كما توهّم [ توهمه ] المصنّف بل إلى علوم سائر الأنبياء والمرسلين وسائر المؤمنين من الأولين والآخرين كسائر [ وسائر ] الملائكة أجمعين وسائر ما أودع علماً [ علناً ] ، أو [ أو ] سرّاً من جميع الحيوانات والنباتات والجمادات في ذواتهم وصفاتهم وأحواله وأفعالهم ، فتأمل في هذا الإجمال والتعميم وأرسله في كل شيء ليصح لك التمثيل .

**وقوله : ( قال العارف المحقق في الفتوحات المكية )** ، يعني به محمد بن علي الطائي الأندلسي ابن عربي المعروف .

وقول ابن عربي (**اعلم أنّ شجرة طوبى لجميع** [ بجميع ] **شجرات الجنات** [ الجنان ] **كآدم عليه السلام لما ظهر عنده عليه السلام من النبيين** [ البنين ] **يعني أنّ آدم عليه السلام لم يتولد من أب وأم غير مادته وصورته ، فظهرت عنه ذرية** [ ذريته ] **بالتناكح والتناسل كذلك شجرة طوبى لو لم يكن** [ لم تكن ] **متولدة من بذر ، أو نواة ، ولا من صلب شجرة كانت قبلها ، فتولدت من أصلها كتولد النخلة من النخلة ، قال : ( فإن الله لما غرسها بيده وسواها ) ، يعني سوى صورتها ( نفخ فيها من روحه ) ، أي المراد بالروح عندنا ، وهو روح وليه عليه السلام فحييت ظاهراً بالحياة النباتية وهي النفس النباتية وحييت بالحياة التأويلية وهي حياة العلم الوجداني** [ الوجدانية ] **كما قال تعالى : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ ، أي جعلنا له عقلاً وعلماً يهتدي به في ظلمات الجهالة )** .

وحييت باطناً بالحياة الحقيقية الناطقة ( **كما شرف آدم باليدين** ) ، أي يدا [ يدي ] قدرته .

واليدان من جهة الفعل المشيّة هي يده اليمنى خلق بها [ منها ] مادته .

والإرادة هي يده الشمال خلق بها [ منها ] صورته ( **ونفخ فيه** ) ، يعني نفخ فيه الحياة من روحه وهي روح وليه عليه السلام ( **فأورثه نفخ الروح فيه علم الأسماء** ) .

قال ( **لكونه مخلوقاً باليدين** ) ، يعني لأجل كونه مخلوقاً باليدين اللتين هما العقل والنفس أي القلم واللوح .

قال (**ولما تولى الحق غرس شجرة طوبى ونفخ فيها ، زيّنها بثمرة الحلي والحلل اللذين هما زينة للابسهما ونحن أرضها**) ، يعني أنا محل إشراقها ، فيجب أنّ يجري علينا شبهها ، فزين [ فتزين ] بالعلم (**كما جعل ما على وجه الأرض من زينة لها**) .

ويريد أنّ النفخ من روحه في آدم عليه السلام أورثه علم الأسماء والنفخ في الشجرة من روحه أورثها زينة الحلي والحلل ، ونحن بنو آدم وأرض الشجرة فورثنا الصفوتين .

**فقول المصنّف** : (**فقد ظهر من كلامه أنّ شجرة طوبى يراد بها أصول المعارف والأخلاق الحسنة ليكون زينة للنفوس القابلة بمنزلة ما على الأرض زينة لها**) ، هو الظاهر من لفظه ، وأمّا ما يظهر من مراده ، فهو ما أشرنا إليه فافهم .

## في قول المصنف : قاعدة ـ في دخول أهل النار فيها . .

**قال** : (**قاعدة ـ في دخول أهل النار فيها ، هذه مسألة عويصة وهي موضع خلاف بين علماء الرسوم وعلماء الكشف وكذا بين أهل الكشف هل يسرمد العذاب عليهم إلى ما لا نهاية له ، أو يكون لهم راحة ونعيم بدار الشفاعة بدار الشقاء جهنم عند منتهى مدة العذاب إلى أجل مسمًّى مع اتفاق الكل على عدم خروج الكفار من النار وأنهم ماكثون فيها إلى ما لا نهاية له ، فإنّ لكلٍّ من الدارين عماراً ولكلٍّ منهما ملؤها . والأصول الحكمية دالة على أنّ**

**القوى الجسمانية متناهية وعلى أنّ القسر لا يدوم على طبيعة واحدة ، وعلى أنّ لكل موجود غاية ينتهي إليها ، وعلى أنّ مآل الكل إلى الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء ) .**

**أقول قوله : ( هذه مسألة عويصة ) ، غلط لأنها في نفسها سهلة .**

وإنما جعلها عويصة تكلف المتكلفين وذلك أنهم بنوا أمورهم ، على إظهار النكت الغريبة ليماروا به العلماء ، لأنّ أصل هذه وأمثالها لما أخبروا أئمة الهدى عليهم السلام بتألم أهل النار ، وأظهروا ذلك بين شيعتهم حتى كان مذهبهم معروفاً بالقول بدوام التألم ، أخذ المقابلون لهم بالرد والإنكار في إظهار خلافهم .

ولما كانت ظاهرة التحقق كانت مخالفتها عويصة فاستدلوا على ما يدعون من المخالفة بأمور مفرقة ودلائل ملفقة ، فلهذا كان تصحيحها عويصاً صعباً .

والمصنّف هو وأتباعه لما كان ديدنهم النظر في كتب أولئك والخطاب معهم غلبت عليهم المخالطة وعظمت عليهم الشبهة وعميت عليهم الأدلة فتكلفوا لما أنست به نفوسهم عن [ من ] الشبهة أوهاماً اعتمدوها وشبهات زخرفوها يحسبه [ يحسبها ] الظمآن ماءً وهي سراب : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ ، وستسمع ما ذكروه ، فاختلفوا [ اختلفوا ] هل يسرمد عليهم العذاب بمعنى هل يدوم تألمهم مع اتفاقهم على دوام العقاب والخلود فيه أم تكون لهم بذلك العذاب راحة ونعيم في دار الشقاء جهنم ، بحيث يتنعمون بالتعذيب وأكل الزقوم وشرب الحميم كما يتنعم الجعل برايحة الغذيرات [ العذرات ] حتى لو وُضعوا في الجنة

لتألموا بنعيمها كما يتألم الجعل برائحة المسك والريحان ، ولكنهم ماكثون يها لا يخرجون منها إلى ما لا نهاية له وذلك لِما دلت عليه الأدلة النقلية والعقلية على أنّ للجنّة عماراً وللنار عماراً ، وأنّ لكل منها [ منهما ] ملؤها .

والمصنّف لما كان مؤتمّاً بالقوم تابعاً لهم في مذاهبهم اختار مذهبهم في أنّ أهل النار بعد انتهاء مدة عقابهم على أعمالهم بقدرها يؤول أمرهم إلى التنعم بالعذاب بحيث لو دخلوا [ أدخلوا ] الجنة تألموا بنعيمها فقال ( **الأصول الحكمية دالة على** ) ، انقطاع التألم منها ( **أن القوى الجسمانية متناهية** ) ، كاللامسة والذائقة والشامة والباصرة والسامعة وغير ذلك وهي المسماة بالإنسان الطبيعي ، وهو ظل الإنسان النفسي ، وهذا الإنسان الطبيعي عندهم متناهٍ ، فإنّ بفناء هذه الدار ومعنى فنائه تبدله وتجدده حتى إذا عاد يوم القيامة يعود بصورته الوجودية لا بمادته كما تقدم من كلامه .

وهذه التبدلات والتناهي والتغيرات وما وقع بسببها من المعاصي ، أو نشأ منها وهي خيرات في حقها وكمالات لها بها تسبح الله تعالى وتقدسه ، ولم تقصد في شيء من أفعالها القبيحة مخالفة أمر الله ، ولا رضاه ، ولا في انبعاثها في المعصية انتهاكاً لشريعة [ للشريعة ] بل هي عاشقة لله تعالى طالبة له من الطريق الذي وضعها فيه لأنها فاعلة [ فاعله ] بحسب طبعها ، وكل ما يفعل بحسب طبعه فهو تسبيح [ يسبح ] الله تعالى وتقدّسه [ يقدسه ] .

وهذه القوى والأعضاء لما كانت عاملة بعقوبات [ حاملة لعقوبات ] النفس الحساسة المتخيلة كانت بمنزلة زبانية جهنم وسدنة

الجحيم وبمنزلة مالك ، فكما أنّ سدنة النيران لا يتألمون منها لأنهم هم المعذبون لأهل النار ، كذلك هذه القوى والأعضاء فانظر أيها العاقل إلى هذه التوجيهات الفاسدة والتمويهات الكاسدة كيف يعتقدها المصنّف ويدين الله بها ؟

ومثله [ مثلاً ] ما يريد من القسر فإنه [ لأنه ] لا يدوم على طبيعة واحدةٍ وهي ما اقتضته المعاصي من العقوبات والآلام فإنه اقتضاء على غير مقتضى الطبيعة فإذا انقضى القسر عاد إلى النعيم الذي هو مقتضى الطبيعة من تقطيع الأعضاء وتفريقها وقبولها الاحتراق لأنها قابلة إمّا [ لما ] يجري عليه فتنعم [ فتتنعم ] به لأنه هو الملائم لها ولأن لكل موجود غاية يؤول أمره إليها والموجودات صدرت بمقتضى الرحمة الواسعة فيعود كل شيء إليها انتهى .

وأمثال هذه الاستدلالات الباطلة العاطلة وستسمع بطلان هذه الأوهام بعد إيراد كلامه .

في قول المصنف : **وعندنا أيضاً أصول دالة على أنّ الجحيم وآلامها . .**

**قال : ( وعندنا أيضاً أصول دالة على أنّ الجحيم وآلامها وشرورها دائمة بأهلها كما أنّ الجنة ونعيمها وخيراتها دائمة بأهلها ، وإن كان الدوام في كل منهما على معنى آخر وأنت تعلم أنّ نظام الدنيا لا يصلح إلّا بنفوس جافية غليظة وقلوب قاسية شديدة القسوة ، فلو كان الناس على طبقة واحدةٍ وطبيعة سليمة**

**وقلوب خاشية مطيعة لاختل النظام بعدم القائمين بعمارة هذه الدار من النفوس الشديدة الغلاظ كالفراعنة والدجاجلة والنفوس المكارة الشيطانية )** .

وفي الحديث : ( **إني جعلت معصية آدم عليه السلام سبباً لعمارة هذه ( هذا ) العالم** ) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ ، الآية ، وقال : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ .

وكونها على طبقة واحدةٍ تنافي [ ينافي ] الحكمة والمصلحة لإهمال سائر الطبقات الممكنة في ممكن الإمكان من غير أنّ يخرج من القوة إلى الفعل والعناية تأباه ، فإذا كان وجود كل طائفة من مقتضى قضاء الله وقدره وعنايته ورحمته وتكون لها غايات طبيعية ومواطن ذاتية .

والغايات الذاتية للأشياء مناسبة لها ملائمة لذواتها يقع الوصول إليها آخر الأمر ، وإن عائق عنها عايق زماناً مديداً ، أو قصيراً كما قال : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ ، والله يتجلى بجميع الأسماء في جميع المنازل والمقامات ، فهو الرحمن الرحيم الرؤوف ، وهو العزيز الجبار القهار المنتقم .

وفي الحديث أيضاً : ( **لولا أنتم تذنبون ، لذهب الله بكم ، وجاء بقوم يذنبون** ) .

قال بعض المكاشفين : يُدخل الله أهل الدارين فيهما السعداء بفضل الله وأهل النار بعدله ، وينزلون فيهما بالنيات فيأخذ الألم

جزاء العقوبة موازياً لمدة العمل [ العمر ] في الشرك في الدنيا فإذا فرغ الأمد جعل لهم نعيم في الدار التي يخلدون فيها بحيث لو دخلوا الجنة تألموا لعدم موافقة الطبع الذي جبلوا عليه ، فهم يتلذذون بما هم فيه من نار وزمهرير وما فيها من لدغ حيات وعقارب ، كما يتلذذ أهل الجنة فيه من الظلال والنور ولثم الحسان من النور [ الحور ] ، لأنّ طباعهم تقتضي ذلك ، ألا ترى الجعل على طبيعة يتضرر بريح [ بطيب ] الورد ويتلذذ بالنتن والمحرور من الإنسان يتأذى بريح المسك ، فاللذات تابعة للملائمة والآلام لعدمه .

وصاحب الفتوحات المكية أمعن في هذا الباب وبالغ فيه في ذلك الكتاب .

**وقال في الفصوص** : ( **وأما أهل النار فمآلهم إلى النعيم إذ لا بدّ لصورة النار بعد انتهاء مدة العقاب أن تكون برداً وسلاماً ، على من فيها** ) ، وأما أنا والذي لاح لي بما أنا مشتغل به من الرياضات العلمية والعملية أنّ دار الجحيم ليست بدار نعيم ، وإنما هي موضع الألم والمحن وفيها العذاب الدائم لكن آلامها متنفنة [ متفننة ، متفتتة ] متجددة ، على الاستمرار بلا انقطاع والجلود فيها متبدّلة وليس هناك موضع راحة واطمئنان ، لأنّ منزلتها من ذلك العالم منزلة عالم الكون والفساد من هذا العالم .

**أقول** : إنّ المصنّف قد برهن على هذه المسألة بما هو صريح بأنه قائل بمآل أمرهم إلى النعيم كما ذكره في سائر كتبه مثل شواهد الربوبية التي قيل : إنها آخر تأليفاته وهنا كذلك .

وذكر هذا الكلام الأخير الذي يدل على عدم ذلك حين غفل عن قواعدهم وأدلتهم التي ملأ الكتب منها وأيدها وعدوله منها [ هنا ] يشبه المسائل الاجتهادية الظنية لا الاعتقادات [ اعتقادات ] اليقينية وما [ مما ] أطنب فيه في ذلك المذهب الفاسد ما ذكره في الكتاب الكبير الأسفار ، وإن كان طويلاً فإنّي أحببت أن أورده بتمامه لتعرف ما فيه وربما أذكر فيه كلاماً مني وأصدر كلامه بقولي يقول وأصدر كلامي بقولي قلت ليميز [ لتميز ] بين الكلامين والفرق بين هذا في هذا البحث وبين غيره في سائر [ هذه ] الشرح .

يقول : **( هذه مسألة عويصة وهي موضع خلاف بين علماء الرسوم وعلماء الكشوف وكذا موضع خلاف بين أهل الكشف هل يسرمد العذاب على أهل النار الذين هم من أهلها ) ؟**

**قلت قوله : ( الذين هم من أهلها )** ، احتراز عن الذين يخرجون منها .

يقول : إلى ما لا نهاية له ، أو يكون لهم نعيم بدار الشقاء فينتهي العذاب عنهم [ فيهم ] إلى أجل مسمّى مع اتفاقهم على عدم خروج الكفار منها [ منهم ] وأنهم ماكثون فيها إلى ما لا نهاية له فإنّ لكل من الدارين عماراً ولكل منهما ملؤها .

اعلم أنّ الأصول الحكمية دالة على أنّ القسر لا يدوم على طبيعة واحدة ، وأنّ لكل موجود من الموجودات الطبيعية غاية ينتهي إليها وقتاً وهي خيره وكماله .

**قلت** : يريد أنّ القسر الذي اقتضى تألمهم جارٍ على خلاف طبائعهم ، لأنّ قبولهم للحرق والتقطيع والفراق والهم والغم إن كان

جارياً على ما يقتضيه [ مقتضى ] طبائعهم كان ملائماً والشيء لا يتألم بما يلائمه ، وإن كان جارياً ، على خلاف ما يقتضيه [ تقتضيه ] طبائعهم فهو قسر والقسر على خلاف المقتضى ، فلا دوام له من طبيعة [ طبيعته ] ، وأيضاً كل موجود فله غاية ينتهي إليها ووصول الشيء إلى غاية خيره وكماله وذلك كمال الملاءمة فينقطع التألم .

**والجواب** : أنّ القسر كما يجري في وقت [ لوقت ] ما لموجب قاسر كذلك يدوم مادام الموجب القاسر ، وقد ثبت دوامه بثبوت المعاصي الجارية من المعاصي [ العاصي ] على الدوام والاستمرار ما قطعه عنها إلّا الموت ، لأنّ المفروض من عدم توبته ودوام عزمه ونيته أنه لو بقي أبد الآبدين ودهر الداهرين أنه لا يطيع الله تعالى أبداً .

وأمّا رجوع كل موجود إلى غاية ينتهي إليها فحق ، ولكن الغاية هي التي جرى عليها باختياره ، إذ لو كانت دواعي معاصيه عارضة لما استمر عليها مختاراً ، فلا حقيقة له غير ما هو عليه في أول دخوله النار ولو كانت عارضة لما خلد فيها ، بل إذا كانت غاية [ غايته ] غير ما تقتضي هذه وجب خروجها عنها [ خروجه منها ] ودخول الجنة وكمال كل شيء بنسبته .

**ولهذا قلنا** : إنهم كلما تطاولت الدهور اشتد تألمهم لأنه كمال طبيعتهم وحقيقتهم كما أنّ أهل الجنة كلما تطاولت الدهور اشتد نعيمهم ، والجنة والنار وأهلهما وما فيه أهلهما بينهما كمال التضاد في الصفات وكمال الاتحاد في الامتداد وذلك مثل ما بين

الشاخص وظله ، فإنه على عكس الشاخص ومثله في التناهي وعدمه ، لأنّ الجنة من الرحمة والنار من الغضب فافهم .

يقول : ( **وإن الواجب جلّ ذكره أوجد الأشياء على وجه تكون مجبولة على قوة تحفظ** [ تتحفظ ] **بها خيرها الموجود وتطلب بها** [ منها ] **كمالها المفقود كما قال هو** : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ ) .

**قلت** : هو ما قلنا فإنّ هذه القوة هي القوة المتقضية للأعمال الخبيثة سواءً كانت طبيعية [ طبيعة ] ذاتية ، أو تطبعية قد فسرت [ مرت ، قرت ] ، لأنّ حقيقة الأشياء ما تصل إليها بالقوابل الاختيارية التي أقواها وأمرها [ أقرها ] قوابل الأعمال فيها تصل إلى كمالها التي هي عليه من خير ، أو شر .

يقول : ( **ولأجل ذلك يكون لكلٍّ منها عشق للوجود وشوق إلى كمال الموجود ، وهو غايته الذاتية التي طلبها وتحرك** [ تتحرك ] **إليها بالذات وهكذا الكلام في غايته وغاية غايته حتى ينتهي إلى غاية الغايات وخير الخيرات** ) .

**قلت** : يريد حتى ينتهي إلى خالقه وهذا باطل ، فإنّ الحوادث لا تنتهي إلى القديم ، ولا تقصر المسافة بينه وبينه بكثرة السير كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : ( **انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله** ) .

ومعنى رجوعها إلى الله تعالى انتهاؤها إلى ما خلقها منه ، أو لأجله فإنه هو الرجوع إلى أمره وسلطانه .

يقول : ( **إلا أن يعوق له عن ذلك عائق ويقسر قاسر لكن العوائق**

**ليست أكثرية ، ولا دائمية [ دائمة ] كما سبق ذكره وإلا لبطل النظام وتعطلت الأشياء وبطلت الخيرات ولم تقم الأرض والسماء ولم ينشأ الآخرة والأولى :** ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ ) .

**قلت** : إنما يبطل النظام لو اقتضى الأمر سوقها كلها إلى الخيرات لتعطل قابليات الظلمات والمكروهات ، لأنّ الأنوار والمحبوبات [ المحوبات ] لا تقوّم بدون أضدادها كما أشار إليه الرضا عليه السلام بقوله : ( **إن الله تعالى لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بذاته للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده** ) .

يقول : ( **فعلم أنّ الأشياء كلها طالبة لذاتها للحق مشتاقة إلى لقائه بالذات ، وأنّ العداوة والكراهة طارئة بالعرض فمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه بالذات ، ومن كره لقاء الله بالعرض لأجل مرض طار ، على نفسه كره الله لقاءه بالعرض** ) .

**قلت** : إن العداوة والكراهة ليست طارئة لأنها هي المشخصة للشيء فإنّ صورة السرير لست طارئة عارضة للسرير ، إذ ليس الخشب سريراً لتكون الصورة التي هي المشخصة للسرير عارضة ، وإنما هي جزء ماهيّته لأنها عين قابليته .

وأيضاً إذا جعل الله عزّ وجلّ غاية كل طالب لم يتصوّر كونه تعالى كارهاً للقاء أحد لأنه إنما يصل إليه ويلقاه بالذات ، فلا يتحقق اللقاء بالعرض فإنّ [ وإن ] وجد العرض لم يحصل اللقاء ، وإن حصل اللقاء مع العرض لم يكن تعالى غاية للطالب ، لأنّ الغاية الحقيقية لا يصل إليها الطالب لا [ إلا ] بالذات لا بالعرض وإلا لكانت الغاية وراءها .

يقول : ( **فيعذبه مدة حتى يبرأ من مرضه ويعود إلى فطرته** [ الفطرة ] **الأولى ، أو يعتاد بهذه الكيفية المرضية وزال ألمه وعذابه بحصول** [ لحصول ] **اليأس وتحصل له فطرة أخروي** [ أخرى ] **وهي فطرة الكفار الآيسين من رحمة الله الخاصة بعباده** ) .

وأمّا الرحمة العامة فهي التي وسعت كل شيء كما قال تعالى : ﴿ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ .

**قلت** : إذا عاد إلى فطرة [ فطرته ] الأولى وجب إخراجه من النار فلا يخلد فيها ، وإذا اعتاد بهذه الكيفية بقيت الطبيعة الموجبة للتألم وإذا حصلت له فطرة اليأس اشتد ألمه ، لأنّ اليأس أشد عذاباً في جهنم .

وأمّا الرحمة الواسعة فتشمله آخر أمره كما شملته أول دخوله النار لأنه حين دخولها [ دخلها ] شيء والرحمة وسعت كل شيء .

ولكنا لا نقول : إذا عُذب وتألم أنه مظلوم ، بل هذا حكم العدل .

والرحمة الواسعة قسمان : قسم فضل ، وهو الرحمة المكتوبة الخاصة بالمؤمنين .

وقسم عدل ، وهو الجاري على المنافقين والمشركين والكافرين .

يقول : ( **وعندنا أصول دالة على أنّ الجحيم وآلامها وشرورها دائمة بأهلها ، كما أنّ الجنة ونعيمها وخيراتها دائمة بأهلها ، إلّا أنّ الدوام لكل منهما على معنى آخر ، ثم إنك تعلم أنّ نظام الدنيا لا يصلح إلّا بنفوس جافية وقلوب غلاظ شداد قاسية ، فلو كان الناس**

**كلهم سعداء بنفوس خائفة من [ عن ] عذاب الله وقلوب خاضعة خاشية لاختل النظام بعدم القائمين بالعمارة من هذه الدار من النفوس الغلاظ العتاة كالفراعنة والدجاجلة وكالنفوس المكارة وكشياطين الإنس بجريرتهم وحيلتهم وكالنفوس البهيمية والجهلة كالكفار . وفي الحديث : (( إني جعلت معصية آدم عليه السلام سبباً لعمارة هذا العالم )) .**

**قلت** : هذه أشياء معلومة لا ننكر [ لا تنكر ] ، وإن كان مقتضى كثير منها ينافي ما تقدم من رجوع أمر أهل النار إلى النعيم ، لأنّ ذلك ينافي النظام لتعطل بعض المقتضيات كالتألم الذي هو من أسباب عمارة العالم ، لأنّ النظام إنما قام بإعطاء كل ذي حق حقه بإجراء الخير على مقتضى خيريته ، والشرّ على مقتضى شريته .

وهذا الحديث من طرق الجماعة وهذه عادة المصنّف في كل الروايات التي يستدل بها من طرق العامة ، لأنّ علمه [ عمله ] مأخوذ منهم ونظره في كتبهم ولكن معنى هذا الحديث لا ينافي الحق .

وبيان السرّ فيه أنه لو بقي هو وذريته في الجنة بطل نظام هذا العالم ، ولا يُعرف المطيع من العاصي ، ولا الصادق في طاعته من الكاذب .

ولا يجوز في الحكمة أن يخرجه من الجنة بلا تقصير لأنه تعالى : ﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ ، فنهاه عن الأكل من الشجرة لمصلحته [ لمصلحة ] وليكون على بصيرة من أمره ووكلّه إلى نفسه طرفة عين ، لأنّ العصمة ليست واجبة في الحكمة لأنها من التفضل لا من اللطف .

وكون عدم العصمة يجر إلى المعصية لا يستلزم قبحاً ، لأنّ هذه المعصية سبب لدفع مفسدة أقبح من المعصية ، فكان أحسنه العرض أنصح [ حسنه العرضي أرجح ] من حسن تلك الطاعة الذاتي ، وهو ظاهر لمن يفهم أسرار التكليف .

يقول : وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ ، فكونها على طبقة واحدةٍ ينافي الحكمة كما مرّ ولإهمال سائر الطبقات الممكنة في ممكن [ مكمن ] الإمكان من غير أن يخرج من القوة إلى الفعل وخلو أكثر مراتب هذا العالم من [ العلم من ] أربابها [ عن ما بها ] فلا يتمشى النظام إلّا بوجود أمور [ الأمور ] الخسيسة والدنية المحتاج إليها في هذه الدار التي يقوم بها أهل الظلمة والحجاب ويتنعم بها أهل الذلة والقسوة المبعدين عن دار الكرامة والنور والمحبة ، فوجب في الحكمة الحقة التفاوت ، وفي الاستعدادات لمراتب الدرجات في القوة والضعف والصفاء والكدورة وثبت بموجب قضائه اللازم النافذ في قدره اللاحق [ اللائق ] الحكم بوجود السعداء والأشقياء جميعاً .

فإذا كان وجود كل طائفة بحسب قضاء إلهي ومقتضى ظهور اسم رباني يكون لها غايات حقيقية ومنازل ذاتية .

والأمور الذاتية ، وإن وقعت المفارقة عنها أمداً بعيداً وحصلت الحيلولة عن الاستقرار عليها [ إليها ] زماناً مديداً كما قال تعالى : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ .

**قلت** : قد قلنا : إنّ وجود الأشقياء من صور الغضب وإشراقاتها

[ إشراقاته ] كما أنّ وجود السعداء من صور الرحمة وإشراقاتها فغاية كل من الطائفتين ما خلقت منه فإن بقي الشقي بهيئة ما شقي [ يشقى ] به فهو من الغضب ويترتب على تلك الهيئة مددها من الغضب الذي به تألم أولاً وبه يتألم آخراً ، بل يشتد عليه ذلك لما تقرر وثبت في الوجدان أنّ الإشراق كل ما قرب من المشرق اشتد وقوي ، وإن لم يبق بتلك الهيئة وجب خروجه من دار الغضب ودخوله في دار الرحمة لأنه حينئذٍ مخلوق منها وهذا مما لا شبهة فيه .

**يقول : ( ثم إنّ الله يتجلى بجميع الأسماء والصفات في جميع المراتب والمقامات كما حققناه في مباحث علم الله وغيره فهو الرحمن الرحيم ، وهو العزيز القهار . وفي الحديث القدسي : ( لولا أنكم تذنبون لذهب بكم وجاء بقوم يذنبون ) ) .**

**قلت** : هذا دليلنا على دوام التألم أنّ الأشياء آثار لتجلّي الأسماء فيترتب على كل شيء مقتضى علّته ، فلو زال هذا المقتضى الذي هو فيض ذلك الاسم فني ذلك الشيء إذ ليس هو إلّا ذلك الفيض ، والتجلّي ، ولو فرض أنّ ذلك الشيء بقي بعد زوال ذلك المدد والفيض دل على أنّ ذلك الفيض والمدد عارض ، وأنّ ذات الشيء من فيض تجلي اسم معاكس لفيض ذلك المدد المعارض [ العارض ] كما في لطخ الكفر في المؤمن فيجب نقله إلى مقام الفيض الذاتي الذي هو حقيقة [ حقيقته ] التي إذا زالت فني .

واعلم أنّ الحديث المروي من طرقنا هكذا : **( لولا أنكم تذنبون لذهب بكم وجيء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم )** انتهى ، ولا شك أنه إذا غفر لهم نقلوا من دار الذنب إلى دار المغفرة .

يقول : ( قال الشيخ الأعرابي في الفتوحات : ( **يدخل أهل الدارين فيهما السعداء بفضل الله وأهل النار بعدل الله ، وينزلون فيهما بالأعمال ويخلدون فيهما بالنيات فيأخذ الألم جزاء العقوبة موازياً لمدة العمر في الشرك في الدنيا ، فإذا فرغ الأمد جعل لهم نعيم في الدار التي يخلدون فيها ، بحيث إنهم لو دخلوا الجنة تألموا لعدم موافقة الطبع الذي جبل عليه ، فهم يتلذذون بما هم فيه من نار وبالظلال والنور ولثم الحسان من الحور ، لأنّ طبائعهم تقتضي ذلك ألا ترى أنّ الجعل على طبيعة يتضرر بريح الورد ويتلذذ (يلتذ ) بالنتن والمحرور من الإنسان يتألم بريح المسك واللذات تابعة للملائم والآلام تابعة لعدمه ) ، ( لعدم الملاءمة )** .

ونقل في الفتوحات أيضاً عن بعض أهل الكشف أنه قال : ( **إنهم يخرجون إلى الجنة حتى لا يبقى أحد من الناس البتة ، وتبقى أبوابها تصطفق وينبت في قعره الجرجير ويخلق لها أهلاً يملؤوها )** .

قال القيصري في شرح الفصوص : ( **واعلم أنّ من اكتحلت عينه بنور الحق يعلم أنّ العالم بأسره عباده ليس لهم وجود وصفة وقوة إلّا بالله وحوله وقوته وكلهم محتاجون إلى رحمته ، وهو الرحمن الرحيم ، ومن شأن من هو موصوف بهذه الصفات أن لا يعذب أحداً عذاباً أبداً ، وليس ذلك المقدار أيضاً إلّا لأجل إيصالهم إلى كمالهم المقدّر لهم كما يذاب الذهب والفضة بالنار لأجل الخلاص مما يكدره وينقص عياره فهو متضمن لعين اللطف كما قيل وتعذيبكم عذب ، وسخطكم رضى ، وقطعكم وصل ، وجودكم عدل )** انتهى .

**قلت** : ما ذكر عن الفتوحات فقد تقدم الجواب عنه وما نقل عن بعض أهل الكشف فهو غلط مخالف لإجماع المسلمين وأهل الملل فلا يلتفت إليه .

وأمّا [ ما ، أما ما ] في شرح الفصوص فجوابه يعلم لما [ مما ] تقدم ، وتمثيله بالذهب والفضة لانقطاع التألم إنما يصلح للمذنبين من أهل الجنة ، فكما أنّ الفضة والذهب المغشوشين بمثل النحاس إذا صفيا يوضعان مع الذهب والفضة الصافيين في الصندوق ، لا مع الأواني والقدور من النحاس في المطبخ ، لأنّ هذا مثال الطيب الذي أصابه لطخ الخبيث بخلاف الخبيث الذي هو من أهل الخلود في النار ، فإنه لا يصفى إذ لو صُفي لم يبق منه شيء فافهم لضرب الأمثال .

يقول : ( **فإن قلت هذه الأقوال الدالة على انقطاع العذاب عن ( من ) أهل النار ينافي ما ذكرته سابقاً من دوام الآلام عليهم . قلنا : لا نسلم المنافاة بين عدم انقطاع العذاب من أهل النار أبداً وبين انقطاعه عن كل واحدٍ منهم في وقت** ) .

**قلت** : جوابه فيه اضطراب إذ يلزم منه اختلاف الانقطاع بالأولية والآخرية بالنسبة إلى أفراد من في النار ، ولم يقل أحد بانقطاع العذاب عن شخص في أول دخوله ، ثم يعذب بعد ذلك .

ولكن المناسب لجوابه أن يقول : إنّ انقطاع العذاب عبارة عن عدم التألم لا عن رفع العذاب ، بل يعذبون ولكنهم يتنعمون بذلك التعذب [ التعذيب ] كما تصلح الجمرة باشتعال [ بإشعال ] النار وينطفي [ تنطفي ] بعدم الاشتعال .

يقول : ( **وقال في الفتوحات المكية : إنّ من الأحوال التي هي أمهات أحوال الفطرة التي فطر الله الخلق عليها هو ألا يعبدوا إلّا الله ، فبقوا على تلك الفطرة في توحيد الله فما جعلوا مع الله مسمّى آخر هو الله ، بل جعلوا آلهة على طريق القربة إلى الله ولذا قال : ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ ، فإنهم إذا سموهم بأنّ بأنهم ما عبدوا إلّا الله فما عبد عابد إلّا الله في المحل الذي نسبوا إليه ألوهية [ الألوهية ] فصح بقاء التوحيد لله الذي أقروا به في الميثاق ، وأنّ الفطرة مستصحبة .**

**أقول** : وهذه عبارة ذاتية ، وقد سبق القول بأنّ جميع الحركات الطبيعية والانتقالات في ذوات الطبائع والنفوس إلى الله وبالله ، وفي سبيل الله .

والإنسان بحسب فطرته داخل في السالكين إليه بحسب اختياره وهواه ، فإن كان من أهل السعادة فيزيد إلى قربه قرباً ، وعلى سلوك [ سلوكه ] الجبلي سعياً وإمعاناً وهرولة .

وإن كان من الكفار المنافقين [ الناقصين ] المختوم على قلوبهم الصم البكم الذي [ الذين ] لا يعقلون فهو كالدواب والبهائم لا يفقه شيئاً إلّا الأغراض [ الأعراض ] النفسانية الحيوانية .

وإنما الغرض في وجوده حراثة الدنيا والآخرة وعمارة الأبدان وما له في الآخرة من خلاق ، فله المشي في مراتع الدواب والسباع فيحشر كحشرها ويعذب كعذابها ويحاسب كحسابها وينعم [ يتنعم ] كنعيمها .

وإن كان من أهل النفاق المردودين على [ عن ] الفطرة الخاصة

المطرودين عن سماء الرحمة فيكون عذابه أليماً لانحرافه عما فُطر عليه وهوية [ هويه ] إلى الهاوية بما كسبت يداه فيقدّر خروجه عن الفطرة ونزوله في مهاوي الجحيم يكون عذابه الأليم ، إلّا أنّ الرحمة واسعة والآلام دالة على وجود جوهر أصلي يضاد الهيئات الحيوانية الردية والتقاوم بين المتضادين ليس بدائم ، ولا بأكثري كما حقق في مقامه فلا محالة يؤول إمّا إلى بطلان أحدهما ، أو إلى الخلاص ولكن الجوهر النفساني من الإنسان لا يقبل الفساد .

فإما أن نزول [ أن نزول ] هيئات الردية بزوال أسبابها فيعود إلى الفطرة ويدخل الجنة إن لم تكن الهيئات من باب الاعتقادات كالشرك وإلا فيقلب [ فينقلب ] إلى فطرة أخرى ويخلص من الألم والعذاب ، وهذه [ هذا ] هو المراد من مذهب الحكماء أنّ عذاب الجهل المركب أبدي يعني صاحب الاعتقاد الفاسد الراسخ في جهله وعتوه لا يمكن عوده إلى الفطرة الأصلية فيصير من الهالكين البائنين عن هذه النشأة وعن الحياة العقلية .

ولا ينافي ذلك كونه حيّاً بحياة أخرى ، نازلة دنية ، وقوله تعالى في حقه : ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ ، أي : لا يموت موت البهائم ونحوها ، ولا يحيى حياة العقلاء السعداء .

**قلت** : قوله في الفتوحات : ( **فبقوا على تلك الفطرة في توحيد الله** ) ، غلط فإنهم حين عبدوا غير الله تغير [ تغيرت ] الفطرة الأولى الإنسانية إلى الحيوانية البهيمية ، ولذا حكى الله تعالى عنهم فقال : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ ، والمعنى أنهم الآن ليسوا في نفس الأمر من نوع الإنسان ، بل من نوع البهائم ، يدل على هذا قول سيد الساجدين عليه السلام في دعاء الصحيفة فيمن أكل رزق

الله ولم يحمده ولو كانوا [ كان ] كذلك لخرجوا من حدود الإنسانية إلى حدّ البهيمية ، قد كانوا [ فكانوا ] كما وصف في محكم كتابه : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ .

وقول محمد بن علي الباقر : ( **الناس كلهم بهائم إلّا قليل من المؤمنين والمؤمن قليل. . .** ) ، إلخ ، ولهذا صح أنهم عبدوا غير الله .

**وقوله** : ( **ما عبدوا إلّا الله** ) ، غلط وجهل فكيف ما عبدوا إلّا الله والله يقول ويعبدون من دون الله ، نعم لو أمرهم الله بذلك فامتثلوا أمر الله كانت عبادة الله [ عبادة لله ] ، وإن سميت عبادة لهم كما قال صلى الله عليه وآله : ( **من استمع إلى ناطق فقد عبده ، فإن كان الناطق ينطق عن الله فقد عبد الله ، وإن كان الناطق ينطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان** ) .

ومعنى ينطق عن الله أنّ الناطق ينطق بما أذن له الله تعالى .

ومعنى ينطق عن الشيطان أنه ينطق بغير إذن من الله ، وإن كان بحق [ يحق ] .

**وقوله** : ( **ولذا قال** : ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ ، **فإنهم إذا سموهم بان بأنهم ما عبدوا إلّا الله** ) ، أنهم إذا سموهم قالوا : هبل حجر نحتناه لنعبده فيان بأنهم عبدوا غير الله بغير إذنه [ إذن ] ليس كسجود الملائكة لآدم عليه السلام ويعقوب عليه السلام ليوسف فإنه بإذن الله فلم يبق توحيد الله [ لتوحيد لله ] .

بل لو قلنا : يصح منهم أن يعبدوا آلهة يتقربون بعبادتها إلى الله ولم يصح توحيده إليه [ توحيد الله ] في عبادته بل أشركوا بعبادة الله .

والذي أقروا به في الميثاق أنهم يوحدونه تعالى في ذاته بأنه واحد في ذاته بلا تعدد بكل اعتبار وواحد في صفاته : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ، وواحد في أفعاله : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ ، وواحد في عبادته [ عبادة ] : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ .

ومن عبد هبل : ﴿ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ، واستصحاب الفطرة الأولى أبطله : ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ .

**وقول المصنّف : ( تأييداً لترهات الفتوحات ( وهذه عبادة ذاتية ) )** ، صحيح في أنها عبادة ذاتية لكنها للشيطان .

**وقوله المصنّف أيضاً : ( وقد سبق القول بأنّ جميع الحركات الطبيعية ، إلخ )** ، صحِيح إذا كانت موافقة لأمر الله في تكليفها الوجودي و[ أو ] الشرعي بقبولها منه كما أَحب ورضي .

وأن [ وأما ] الحركات الطبيعية من دواعي شهوات النفس الأمّارة ، فليس بعبادة لله بل كفر بالله وبُعد منه تعالى .

ولو كانت كل حركة وانتقال إلى الله وبالله ، وفي سبيل الله ، فإن أريد بأنها إليه تعالى أي إلى حكمه عليها بما عملت فصحيح ، ولكن لا يدل على مطلوبهما [ مطلوبها ] .

وإن أريد بأنها إليه تعالى حيث يحب لأنها إذا كانت عابدة [ عائدة ] له ، فهو يحبه لأنه تعالى قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ، فهو يحب ما خلق لأجله وما لا يحبه فليس عبادة له ، وحكمه على المعاصي [ العاصي ] بمعصيته إنما يحب الحكم لأنه العدل ، ولا يستلزم محبة المعصية .

فإن أريد بأنها إليه حيث يحب فلم يبق [ فلم يق ] فإن كان من أهل السعادة فيزيد إلى قربه قرباً ، وإن كان من الكفار فكذا وكذا إذ لا فائدة في التقسيم لأنه إذا كانت كل حركة طبيعية ، أو انتقالية عبادة فهي محبوبة لأنه تعالى إنما خلق المتحرك والمتنقل ليعبده .

وقوله في حق أهل النفاق : (**وطردهم عن سماء الرحمة ( فيكون عذابه أليماً لانحرافه عما فطر عليه وهوية ( هويه ) إلى الهاوية ، إلخ**) ، ينافي كون فطرة الميثاق مستصحبة [ المستصحبة ] .

**وقوله : ( والآلام دالة على وجود جوهر أصلي )** ، يريد أنه لو كان بسيطاً لم يتألم كالبدن ، فإنّ النار إذا قطعته وحرقته فإنه قابل للتقطيع والحرق فيكونان ملائمَين له والشيء لا يتألم بالملائم ، وإنما يتألم بعدم الملاءمة ، فوجود الآلام دليل على وجود جوهر أصلي ، وهو الجوهر [ الجوهري ] النفساني الذي يتألم بما يحل بالبدن من التقطيع والحرق لأنه مركبة ، وإن كان البدن نفسه يتلذذ بذلك وهذا الجوهر النفساني إنما يتألم قبل كونه عقلاً ، وهو يضاد الهيئات الحيوانية الفاسدة المؤذية [ الردية ] فالتألم في حال التصادم والتضاد والتقابل إلّا أنّ مقاومة الجوهري لتلك الهيئات [ الهيئة ] الردية غير دائمة ، ولا في أكثر الأحوال فلا محالة لا بدّ من التغير [ التغيير ] عن تلك المقاومة ، فإمّا بأن يبطل أحدهما ، أو يبطل اعتباره ، أو تكون فطرة غير الأولى فإن فرض بطلان أحدهما لا يفرض بطلان الجوهري النفساني لأنها [ لأنه ] من الجواهر الثابتة التي لا يجري عليها [ عليه ] التغيير والتبديل [ التبدل ] فلا بدّ إذا فرض البطلان لأحد المتضادين أن يفرض بطلان الهيئات [ الهيئة ]

الردية فيتخلص [ فيخلص ] الجوهر النفساني فإذا خلص وجب انتقاله إلى الجنة .

والمفروض أنه من عمار النار [ الدنيا ] فلا محالة لا يفرض زوال الهيئات الردية لئلا تخلو النار من العمار لما يأتي من أنّ حقيقة الجواهر حينئذٍ [ الجوهر هي ] الهيئات الردية وهي التي بها هو هو ، فحيث امتنع الفرضان تعين الثالث ، وهو [ هي ] الانقلاب إلى فطرة أخرى لا يخلص فيها الجوهر النفساني من الهيئات الردية ، ولا تحصل [ لا يحصل ] بينهما تضاد ومقاومة ، بل الجوهر النفساني يعتاد صحبة الهيئات الردية فيأنس بها فيكون [ فتكون ] طبيعة له [ طبيعية لها ] فلا تكون بينهما منافرة فيتنعم بالعذاب لحصول الملاءمة لتلك الهيئات الردية لأنها تكون هي حقيقته [ حقيقة ] ، ولا يحسن دخوله الجنة لأنه من عمار النار [ الدنيا ] .

**وقوله** : ( **إن لم تكن الهيئات من باب الاعتقادات كالشرك** ) ، فإنه لرسوخه في جهله وعتوه لا يمكن فرض زواله ، فعلى هذا لا يخلد في النار إلّا المشرك ، ومن جرى مجراه ، لأنّ ما سوى ذلك قد يفرض زواله إن لم يزل لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ .

وليس مرادهم أنّ الشرك [ المشرك ] لا يؤول أمره إلى التنعم في النار بالعذاب بل يتنعم بعذاب جهنم ولكنه وما هم منها بمخرجين بل هم فيها خالدون .

**وقوله** : ( **وهذا هو المراد من مذهب الحكماء ، إلخ** ) ، يعني أنّ

الحكماء يذهبون إلى أنّ صاحب الاعتقاد الراسخ كالمشرك لا يخرج من النار أبداً ، وإن كان يؤول أمره إلى التنعم في النار .

**وأقول** : أكثر هذه التدقيقات التي ذكروها مبنية على قواعد غير وثيقة وأكثرها قشرية عامية .

وبيان ذلك على حقيقة نفس الأمر يطول به الكلام ولكن أنبه إلى [ على ] بعضها إشارة وتلويحاً : أمّا أنّ البسيط كالبدن لم يتألم فهو غلط إذ ليس كل ما يمكن في الشيء ملائماً وإلا لم يوجد منافراً قط فإنّ الجوهر النفساني في مضادته للهيئات الردية مما يمكن فيه التضاد والتقاوم فما [ فيما ] جرى عليه مما حصل به التألم بل وتألم [ التألم ] نفسه ممكن ومقتضى طبيعة [ طبيعته ] التألم بالتقاوم فيكون ملائماً فلا يتحقق تألم أصلاً ، فالشيء بملاءمة اختياره وجبره وقسره عند حصول القاسر والمجبر ومقتضى طبيعة التألم بالمؤلم فهو ملائم ومقتضى طبيعة [ طبيعته ] عدم الملاءمة عند وجود غير الملائم فعدم الملاءمة ملائم [ فعدم الملاءمة ] وهكذا .

فهذا [ وهذا ، فهو ] أصل باطل لا يصار إليه أصلاً ، على أنه قد ثبت بالعقل والنقل ، على أنّ كل شيء فهو مكلف ومثاب ، أو معاقب بنسبة رتبته من الوجود ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ .

وقد أشرنا فيما مضى على ثبوت العقل والاختيار في التكليف والثواب [ أو ] العقاب لكل شيء من الحيوانات والنباتات والمعادن والجمادات والأعراض وأعراض الأعراض وغير ذلك من المعاني والأعيان من الأمور الخارجية والذهنية والفرضية والاعتبارية التي

يتوهمون أنها ليست شيئاً وهي أشياء ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ إلّا أنّ كل شيء في كل شيء بحسبه .

والجوهر النفساني إنما يكون من عمار النار ، لأنّ حقيقته التي بها هو هو لذاته من النار ، لأنّ الحقيقة التي بها تكون [ يكون ] الشيء إياه هي صورته المشخّصة له وهي جزئها [ جزءُ ] ماهيّته وهي نفس حقيقته وهي هذه الهيئات الردية ، ألا ترى أنّ [ إلى ] الصنم ليس هو الخشب الذي هو مادته ولم يتولد الصنم ولم يتكوّن صنماً إلّا في بطن أمه وهي الصورة لا المادة كما توهّمه العيون الكدرة التي يفرغ بعضها في بعض يأخذ اللاحق كلام السابق ، ولا يدري ما يقول وكأنهم لم يسمعوا الحديث المقبول عندهم وعند غيرهم قال صلى الله عليه وآله : ( **السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه إلخ** ، . . . ) ، فإن كنت تفهم فأنا أسألك الصنم شقي في بطن أمه وهذا معلوم ولكن أمه الذي شقي في بطنها المادة ، أو الصورة؟ فإذا عرفت أنّ حقيقة الصنمية التي بها شقي في بطنها هي الصورة لا المادة التي هي الخشب فإنها هي الأب ، وعلى هذا أدلة قطعية عقلية ونقلية بأنّ شقاوة الصنم من صورته والخشب ليس صنماً ، ولا جاءت الصنمية من الخشب .

فالهيئات الردية التي من النار وهي العقاب كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴾ ، وهي صورة ذلك النفساني وهي حقيقة ذلك المعذب كما أنّ حقيقة الصنم هي صورته المتقوّمة بالمادة التي هي الخشب و[ أو ] الحديد ، أو غيرهما كذلك الخالد في النار المعذب بها هو تلك الهيئات الردية من الأعمال السيئة والأقوال الخبيثة والأفعال

القبيحة وهي صورته [ صورة ] المتقوّمة بتلك المواد الملعونة المسخوطة منها هذا الجوهر النفساني المبعد من رحمة الله .

وجسمية الخشب الممسوح ( **جسمه الخبيث الممسوخ** ) وجسده المر ومائه الأجاج ولأجل ما أشرنا إليه لا يمكن في الحكمة فرض دخول هذه [ هذا ] الجوهر النفساني الجنة ، ولا فرض تنعُّمه فيها ما دام هكذا إلّا أن تقلب حقيقته فيكون ناراً لا معذباً في النار ، أو يكون ملكاً من زبانية جهنم المعذبين لأهلها ، أو يجعله الله طيباً من سكان الجنة فإنه على كل شيء قدير .

وأمّا ما دام هكذا ، فلا نعيم له ، ولا راحة ، ولا يخرج منها وذلك تأويل قوله تعالى : ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ .

**يقول : ( وما [ مما ] استدل به صاحب الفتوحات المكية على انقطاع العذاب للمخلدين في النار قوله تعالى :** ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ **، وما ورد في الحديث النبوي صلى الله عليه وآله : ( ولم يبق في النار إلّا الذين هم أهلها ) ، وذلك أنّ أشد العقاب على أحد مفارقة الموطن الذي ألفه فلو فارق النار أهلها لعُذِّبوا باغترابهم عما أُهلوا له ، وأنّ الله قد خلقهم ، على نشأة تألف ذلك الموطن . أقول : هذا استدلال ضعيف بني [ مبني ] ، على لفظ الأهل والأصحاب ويجوز استعمالها في معنى آخر من المعاني النسبية كالمقارنة والمجاورة والاستحقاق وغير ذلك . ولا نسلم أيضاً أنّ مفارقة الموطن أشد العذاب إلّا أن يراد به الموطن الأصلي الطبيعي وإثبات ذلك مشكل ، والأولى في الاستدلال على هذا المطلب أن يستدل بقوله تعالى :** ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا

**﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ ، الآية ، فإنّ المخلوق الذي غاية وجوده أنّ يدخل في جهنم بحسب الوضع الإلهي والقضاء الرباني لا بد أنّ يكون ذلك الدخول موافقاً لطبعه وكمالاً لوجوده ، إذ الغايات كما مرّ كمالات الموجودات وكمال الشيء الموافق له لا يكون عذاباً في حقه ، وإنما يكون عذاباً في حق غيره ممّن خلق للدرجات العالية ) .**

**قلت** : واستدلال صاحب الفتوحات ضعيف كاستضعاف المصنّف له فإنّ مفارقة موطن [ مواطن ] النور خاصة عذاب شديد لا الموطن الطبيعي مطلقاً ، لأنّ الطبيعي منه نور ومنه ظلمة فكل منهما ذاتي له ، وهو ما به هو هو لذاته وعارض ، وهو بخلافه [ لخلافه ] .

ونريد بالذاتي ما خلق منه ، أو به ومعنى ما خلق منه النور ومعنى ما خلق به الظلمة .

أما الموطن العارضي فلا يتعذب بمفارقته غالباً .

وأمّا الذاتي فالذي خلق منه يتعذب بمفارقته أشد العذاب .

وأمّا الذي خلق به فلا يتعذب بمفارقته بل يتنعم بمفارقته أشد التنعم .

ومرادنا بما خلق به أنّ لطف اللطيف وكرم الكريم ورحمة الرحيم جرت في إيجاده عباده على ما يصلون به إلى كمال التنعم والراحة كما قال تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ .

ولما خلقهم ، على حسب قوابلهم لئلا تكون لهم الحجة عليه فمن قبل فضل سيده تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه خلقه مما أراده واختاره له ، ومن ترك أوامره وارتكب نواهيه خلقه بعمله كما قال تعالى : ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ .

وليس الطبع منه تعالى بسبب كفرهم ، بل الطبع منهم أي خلق الطبع على قلوبهم من كفرهم فالمادة أو الصورة منهم ، والخالق هو الله تعالى لأنه يخلق مقتضى كل مائل [ مائل ] إلى شيء باختياره فتمّت كلمته وبلغت حجّته : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ .

ولم يرض لعباده أن يخلقهم محبة الله ورضاه فهو جهنمي [ جهنم ] مبدؤه من غضب الله وإليه يعود فلو فرض مفارقة هذا الموطن لم يكن له موطن يأوي إليه ويُصاغ منه إلى [ إلا ] محبة الله ورحمته ورضاه فكيف تجد من فارق سخط الله ولعنة الله إلى رضى الله وقربه ؟

وأصل إرادة الله لإيجاده أن يصيغه [ يصبغه ] في رحمته فلم يقبل هذا الصبغ فصبغه في عدم [ وعده ] قبوله بصبغ [ لصبغ ] الرحمة في غضبه ثم فرض تحول هذا الصبغ صبغ رحمة ورضاه [ رضى ] هل يتعذب بمفارقة ذلك الموطن الملعون المسخوط بموطن الرحمة والرضوان ، فإذا ظهر لك أنه يتنعم بهذه المفارقة بما لا نعيم وراءه كيف يظهر لك أنه إذا بقي في ذلك الموطن الملعون يتنعم : ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ ، فأين تذهبون عن الطريق الواضح والحق اللائح : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ .

**يقول : ( وقال في الفتوحات المكية : فعمرت داران** [ الدار ، الداران ] **أي دار النعيم ودار الجحيم وسبقت الرحمة الغضب**

**وسعت كل شيء جهنم ومن فيها والله أرحم الراحمين )** .

**قلت** : الرحمة وسعت نصف جهنم الأخير ونصف أحوال من فيها الأخير ، وأما أوائلها فلم تسعها الرحمة ولهذا عذبوا في الأول ، أو أنهم حين دخلوا جهنم ليسوا أشياء فلمّا كانوا أشياء وسعتهم [ وسعهم ] ، أو لأنها في الأول ولم تسبق الغضب لكن الأمر ليس كما فهموا ، لأنّ الرحمة الواسعة قسمان قسم فضل ، وهو النعيم المقيم للمؤمنين في الجنة ، وهو المسمى بالرحمة المكتوبة في قوله تعالى : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ ، وهي صفة الرحيم .

وقسم عدل وبه كان العذاب الأليم على أصحاب الجحيم .

يقول : ( **وقد وجدنا في نفوسنا فمن** [ ممن ] **جبل على الرحمة بحيث لو مكّنه الله في خلقه لأزال صفة العذاب عن العالم والله قد أعطاه هذه الصفة ومعطي الكمال أحق به وصاحب هذه الصفة أنا وأمثالي ونحن عباد مخلوقون أصحاب أهواء وأصحاب أغراض** [ أعراض ] . **ولا شك أنه راحم** [ رحيم ، أرحم ] . **بخلقه منا ، وقد قال عن نفسه إنه أرحم الراحمين ولا شك أنه أرحم بخلقه منا ، ونحن عرفنا من نفوسنا هذه المتابعة** ، [ المبالغة ] ) انتهى كلامه .

**قلت** : لا تدّعي هذا الوجدان فقد وجدنا أمثالك لو تمكن أخرب العالم كله فكيف تدعي هذا ؟ وهو خلاف ما فعل الله عزّ وجلّ حيث يقول : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، وهو تعالى يقول : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ، فلا أدري هل أنه تعالى ما تمكن وإلا لأزال صفة العذاب عن العالم .

**وقوله : ( وصاحب هذه الصفة أنا وأمثالي ) .**

**أقول :** ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ ، لو مكّنه الله أفسد العالم وذلك كما قال أمير المؤمنين : ( **إن المؤمن يرى يقينه في عمله والكافر يرى إنكاره في عمله . . .** ) إلخ ، فهذا هو ابتلاه ببعض العلوم والمعرفة الصوفية فأفسد الاعتقادات وأمات الدين حتى قلّب الشريعة ظهراً لبطن وقال بالمناكير [ بالمنكر ] حتى قال بإيمان فرعون وأنه مات طاهراً ليس عليه ذنب ، وأنّ الإجماع من المسلمين كلهم قد قام وتحقق ، على كفر فرعون ، وأنّ الله رضى بفعل سامري [ السامري ] للعجل لأنه تعالى أحب أن يعيد في كل صورة وما أشبه ذلك من المناكير المخالفة للمسلمين .

**يقول : ( ولك [ ذلك ] أن تقول ، وقد قام الدليل ، على أنّ الباري تعالى لا تنفعه الطاعات ، ولا تضرُّه المخالفات ، وأنّ كل شيء جارٍ بقضائه وقدره ، وأنّ الخلق مجبورون في اختيارهم فكيف يسرمد العذاب عليهم ؟ وجاءت [ جاء ] في الحديث : ( وآخر من يشفع هو أرحم الراحمين ) . والآيات الواردة في حقّهم بالتعذيب كلها حق وصدق وكلام أهل المكاشفة لا ينافيها ، لأنّ كون الشيء عذاباً من وجه لا ينافي كونها رحمة من وجه آخر فسبحان من اتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته واشتدت نقمته لأعدائه في سعة رحمته لهم في الآخرة ) .**

**قلت :** هو سبحانه الغني الحميد لا تنفعه الطاعات ، ولا تضرّه المعاصي ، ولا نقول إنه تعالى يتشفى بالانتقام من [ ممن ] عصاه تعالى من [ عن ] ذلك علوّاً كبيراً .

لكنه تعالى لما كان أجرى أفعاله على أنّه يعطي كل ذي حقٍّ حقّه لزم من ذلك في الحكمة أنه يثيب بفضله ويعاقب بعدله .

وأمّا أنّ كل شيء جارٍ لقضائه [ بقضائه ] وقدره مما لا شك فيه [ فمما لا نشك فيه ] ، ولا ينفعهم فيما تذهبون [ يذهبون ] إليه شيئاً .

وأمّا أنّ الخلق مجبورون في اختيارهم فلا معنى له ولكن الخواجة نصير الدين توهّم هذا الخيال حيث لم يجد إلّا الفعل والترك وتبعه كثير ، وهو خطأ بل الخلق مختارون إن شاؤوا فعلوا ، وإن شاؤوا تركوا .

ولو كان الأمر كما توهموا لكان الخلق مجبورين في الفعل والترك ، وإن اختاروا الفعل التجؤوا إليه ، وإن اختاروا الترك التجؤوا إليه لم يكونوا في كل من الحالين مختارين وكيف ينقطع التألم عنهم مع استمرار موجبه ، وهو العزم على المعصية و( **نية الكافر شرّ من عمله** ) ، ولذلك كذّبهم الله حين قالوا : يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا [ بآياته ] ونكون من المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ .

ومما رووا في حديثهم أنه تعالى : ( **آخر من يشفع** ) ، لا يفيدهم شيئاً وكلامهم ينافي آيات التعذيب وكيف لا ينافي ، وهو تعالى يقول : ﴿ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ ، لأنهم عند أول دخولهم النار تألموا لأنهم [ لكونهم ] طريين لم يألفوا النار ولم يأنسوا بها ، فإذا احترقت جلودهم عادت طرية لم يألف بالنار ولم يأنس بها وهكذا في كل وقت .

**وأقول** : إن ذقت معنى كلامي هذا وفهمت مرادي أغناك عن كل دليل في هذه المسألة .

**فقوله** [ وقوله ] ( **فسبحان من اتسعت رحمته إلخ** ) .

**جوابه** : سبحان من غطى بصائرهم بأعمالهم ووكلّهم إلى أنفسهم حتى كانوا لا يختارون إلّا روايات القوم ويزيدون فيها فإنّ قوله لهم في الآخرة ، ليس من الحديث بل من جواب [ جراب ] النورة .

وبالجملة كلامهم طويل عريض إلّا أنه يرجع على نوع ما سمعت ، ولا فائدة في ذكر غير ما ذكرنا من كلامهم لأنه مثل ما ذكرنا وجوابنا عن المذكور جواب لغيره يقيناً فيما ذكره في هذه الرسالة هنا ، وهو الذي لاح له ، وهو حق لا شبهة فيه ولم يذكره في غير هذا .

وأمّا تعليله ذلك بأنه إنما كان في التألم وعدم الراحة بل فيه العذاب الدائم والمحن المستمرة غير المتناهية ، لأنّ منزلتها [ منزلته ] من ذلك العالم منزلة عالم الكون والفساد ، ومن [ الفساد من ] هذا العالم فهو مبني على ما نذهب [ يذهب ] إليه من أنّ الجنة ثابتة لا يجوز عليها التغير ، ولا التغيير ، وقد ذكره سابقاً وذكرنا عليه هناك أنّ الآخرة بكل ما فيها من جنة ونار حادثة والحوادث مجردها وماديها متغيرة ، وإن كان تغير كل ما [ بتغير كل ] بحسبه كما ترى في الدنيا فإنّ المدر يتغير والحديد يتغير إلّا أنّ تغير المدر أسرع من تغير الحديد خصوصاً الجنة وما فيها فتغيرها [ فإن تغيرها ] من الضعف والخلق محركاً إلى الشدة والجدة .

والنار كلما طال المدى على أهلها ضعف قولهم [ قواهم ] وقويت بلاياهم بلا نهاية في الدارين .

في قول المصنف : **قاعدة - في كيفية تجسم الأعمال وتصوّر النيات . .**

**قال : ( قاعدة - في كيفية تجسم الأعمال وتصوّر النيات يوم القيامة والإشارة إلى مادة صورها . اعلم أنّ لكل صورة خارجية ظهوراً خاصاً في موطن النفس ولكل صورة النفسانية** [ نفسانية ] **وملكة راسخة وجوداً في الخارج ، ألا ترى أنّ صورة الجسم الرطب إذا أثرت في مادة جسمانية قابلة للرطوبة قبلتها فصارت رطباً مثله سهل القبول للإشكال ، فإذا أثرت في مادة أخرى كمادة القوى الحسية أو الخيالية وانفعلت عن الرطوبة لم تقبل هذا الأثر ولم يصر** [ لم يصل ] **رطباً مثله مع أنها قبلت ماهيّة** [ ماهيّته ] **الرطوبة لكن بصورة أخرى ومثال آخر ، وكذا قبلت القوة** [ للقوة ] **العاقلة الإنسانية منها صورة أخرى ونحو آخر من الوجود والظهور مع أنّ الماهيّة واحدة هي مادة الرطوبة والرطب فللماهيّة الواحدة صور ثلاث في مواطن ثلاثة لكلٍّ منها وجود خاص وظهور معين فانظر في تفاوت حكم هذه النشأة الثلاث** [ النشآت الثلاث ] **في ماهيّة واحدةٍ وقس عليه تفاوت النشأة** [ النشآت ] **في أنحاء الظهورات والوجودات في كل معنى وماهيّة عينية فلا تتعجب من كون الغضب ، وهو كيفية نفسانية إذا وجدت في الخارج صارت ناراً محرقة ، وأنّ العلم ، وهو كيفية نفسانية إذا وجدت في الخارج**

**صارت عيناً تسمى سلسبيلاً . وأن المأكول من مال اليتيم من ينقلب في موطن الآخرة [ في ] بطون آكليه ناراً يصلونها يوم الدين ، ولا أيضاً من صيرورة حب الدنيا وهي شهواتها وهي أعراض النفسانية هاهنا حيات وعقارب تلسع وتلدغ بصاحبها [ لصاحبها ] يوم [ في يوم ] القيامة وهذا القدر كافٍ للمستبصر ، لأن يؤمن بجميع ما وعده الشارع وأوعد عليه ، وكل من له قوة تحدس في العلم يجب عليه أن يتأمل في الصفات النفسانية وكيفية مشئيتها للآثار والأفعال الخارجة ويجعل ذلك ذريعة لمعرفة استيجاب بعض الأخلاق والملكات لآثار مخصوصة في القيامة ) .**

**أقول** : إنّ المعاني التي تبرز والهيئات التي تظهر لها صورتان : إحداهما ما كانت من المعاني .

**والثانية** : ما كانت من الأعراض .

**فالأولى** : ما أشار إليه بالبيان في **قوله ( إن لكل صورة خارجية ظهوراً خاصاً في موطن النفس )** ، كما لو مدحت شخصاً ، أو شتمته فإنّ هذا المدح أو الشتم له تأثير في النفس وأنت وجهته إليه في لباسه اللفظي ، وكذلك ما تعلمه له مما يحب أو يكره فإنه يظهر بوجوده الملكوتي أو البرزخي فيؤثر [ ويؤثر ] في النفس ، أو المتخيّلة ما تقتضيه من التأثيرات كالتهُّيج والتسكين والقوة والضعف والانبساط والانقباض والشجاعة والجبن والكرم والبخل والحياء والخلع وما أشبه ذلك .

وكذلك لكل صورة نفسانية يعني معنى نفسانياً ولكل ملكة راسخة ، وإنما ذكر راسخة قيد للملكة [ قيد الملكة ] مع أنّ الملكة

لا تكون إلّا راسخة ، لأنّ الطاوي [ الطاري ] إذا لم يرسخ ولم يثبت يسمىِ حالاً وإذا رسخ وثبت يُسمّى [ سمي ] ملكة لبيان ما هو الواقع .

والحاصل لكل ملكة وجود في الخارج تظهر به ، أما الصورة الخارجية التي قلنا لها تأثير ملكوتي وبرزخي فمنها ما يكون ذلك التأثير رجوعاً لها إلى مبادئها ومشابهة لمبادئها إذا تمت في استعدادها ، وهذا إذا كانت الصورة راجعة إلى موطن النفس [ نفس ] صاحبها ، ومنها ما تكون طامحة إلى غير موطن نفس صاحبها كان ظهورها بتأثير يشابه صفتها من صاحبها ، وهذه الصفة قد تكون ذاتية ، وقد تكون استعمالية صناعية فإذا [ فإن ] كان ظهورها رجوعها إلى موطنها من النفس كان استكمالاً لوجودها [ لها بوجودها ] ، وإن كان رجوعها إلى غير موطنها كان وجوداً بآثارها .

وأمّا الصورة النفسانية والملكة الراسخة وجودها [ فوجودها ] في الخارج بحيث يكون [ تكون ] مدركة بالحواس الظاهرة بل كل ما هو من عالم الغيب فوجوده في [ من ] عالم الشهادة وقد تكون تنزله [ بتنزله ] إلى عالم الشهادة وجوده كما يظهر جبرائيل في صورة دحية بن خليفة الكلبي ، وكما ظهر الملك المستحفظ لإقرارات المؤمنين بالولاية في التكليف الأول في الذر في صورة الحجر ، وهو الآن الحجر الأسود في الكعبة المشرفة في الركن العراقي .

وقد يكون بصعود المدركين له إلى رتبه [ رتبته ] من الملكوت فيشاهدونه بحواسهم لاجتماعهم معه في مشهد واحدٍ على الاعتبارين .

وعلى الظاهر في الدنيا ، الأغلب يكون الظهور بنزول الغيب إلى

الشهادة فيشاهدونه في رتبتهم ، وقد يكون بصعود الشاهد إلى الغائب والأغلب في الصاعدين الصعود النفسي ، وقد يقع في الدنيا الجسمي كما في الآخرة مثل معراج النّبي صلى الله عليه وآله .

وأمّا في الآخرة فبالترقي يقيناً في كلام المصنّف في تنظيره وبيانه يقول [ بقوله ] ألا ترى إلى الرطوبة في تصوّر تأثيرها فإنّ صورة الجسم الرطب كالماء وكالطين اللبن الرائب إذا أثرت رطوبته في مادة جسمانية قابلة للرطوبة مثل اللبنة المعمولة من الطين ولم تحرق كالآجر بل هي مدرة قبلت الرطوبة فصارت رطبة مثل الماء ومثل الطين في الرطوبة لأنها في رتبتها وانفعلت بها كما انفعل التراب بها حتى صار طيناً فاللبنة صارت طيناً ، أو كالطين سهل القبول للأشكال فهذه نشأة [ لنشأة ] من النشآت .

وإذا أثرت الرطوبة في مادة أخرى كمادة القوة الحسية التي هي عنده من عالم الملكوت و[ أو ] الخيالية التي هي من عالم البرزخ لم تكن مع الرطوبة من صقع واحدٍ وانفعلت عن تلك الرطوبة ولكن ليس كانفعال التراب فلم تقبل ذلك الأثر الجسماني ولم يصره [ لم تصر ] رطباً مثل رطوبة الطين لكن بصورة أخرى بأن تكون ضعيفة الشعور والإحساس فلها صورة غير صورة رطوبة الطين ومثال آخر .

وإذا أثرت الرطوبة المائية في القوة العاقلة الإنسانية وقبلت منها قبولاً ليس على نحو قبول الأولين بل تكون قوية الشعور [ قريبة الغور ] والإدراك ، وهو نحو آخر من الوجود والظهور مع الماهيّة المؤثرة مع أنّ الماهيّة الواحدة [ واحدة ] وهي رطوبة الماء فقد ظهر للماهيّة الوحدة [ الواحدة ] صور ثلاث في مواطن ثلاثة لكل واحدٍ من هذه المواطن صورة من الرطوبة غير صورة الآخر بل للرطوبة

الواحدة في كل موطن وجود خاص وظهور معين ، فانظر في حكم تفاوت هذه النشآت [ النشأة ] في أنحاء الظهورات في قوابلها والوجودات في مواطنها وهذا حكم مراتب الوجودات [ الموجودات ] وقس عليه هذه الأعمال الصادرة من المكلفين بالنسبة إلى أوقات وجودات الأعمال التي تعمله [ تحضر ] فيه .

ثم فرع على بيانه ( **فلا تتعجب من كون الغضب ، وهو كيفية نفسانية إذا وجدت في الخارج** ) ، أي في كونها محسوسة ( **صارت ناراً** ) ، كما صارت الرطوبة المائية في القوة العاقلة الإنسانية غباوة وبلادة ( **وأن العلم ، وهو كيفية نفسانية** ) ، لأنه عرض من جملة الأعراض ( **إذا وجد في الخارج** ) ، المدرَك بالحواس ( **صار عيناً تسمى سلسبيلاً** ) .

**أقول** : ويؤيد هذا ما رواه أبو الطفيل عامر بن واثلة قال : قلت يا أمير المؤمنين أخبرنا [ أخبرني ] عن حوض النّبي صلى الله عليه وآله في الدنيا أم في الآخرة؟

**فقال** : بل في الدنيا .

**قلت** : فمن الذائد عليه؟

**قال** : أنا بيدي فليردنه أوليائي وليصرفن عنه أعدائي .

وفي رواية : ( **ولأوردنه أوليائي ولأصرفن عنه أعدائي . . . إلخ** ) ، وكذلك حال [ المال ] المأكول من مال اليتيم ظلماً ينقلب في مواطن الآخرة أي يوم القيامة الكبرى في رتبة الآخرة في بطون الذين يأكلونه على غير وجه شرعي ناراً محرقة ، وهو بنفسه يكون في بطن من أكله ظلماً ناراً يصلاها يوم الدين .

ولا أيضاً أي ، ولا تعجب أيضاً من صيرورة حب الدنيا وهي شهواتها ولذّاتها الفانية مع أنّ حب الدنيا عرض نفسانية [ نفساني ] في الدنيا ولكنك إذا وجدتها يوم القيامة وجدتها بعينها حيّات وعقارب ، لأنّ هذه الأعراض المذكورة لها هيئات نفسانية على صور الحيات والعقارب ، فإنّ الشهوة التي لا يكون مال أمرها إلى الله هي على هيئة العقرب وذاتها هيئة نفسانية تدب إلى صاحب تلك [ هذه ] النفوس [ النفس ] وتلدغه وتخدّر عضوه الملدوغ ، وهو باعث العقل إلى الطاعة فتضعف تلك العزيمة عن الطاعة فإذا كشف له المستور عنه وجدها عقرباً من عمله تلدغ [ تلدغه ] وكذلك الحيات ، **يقول** : ( **وهذا القدر من التمثيل والبيان كافٍ للتفهيم للمستبصر** ) ، إذا تفكر فيما خلق الله تعالى وفيما ضرب في خلقه من الأمثال ليتوصل بها ويهتدي به إلى الإيمان بجميع ما وعد به الشارع من أنواع الثواب وأوعد عليه من أليم العقاب فإنّ كل من له قوة حدس وفكر استنباط للآيات [ الآيات ] في الآفاق والأنفس ينبغي له أن تدبّر [ يتدبّر ] في الصفات النفسانية والأوضاع الآفاقية .

وكيفية منشأية النفس للآثار والأفعال الخارجية : أي كيف تنشأ منها الآثار ، وعلى أي نحو تكون ، وكيفية انتزاع الاستدلال من الأوضاع الآفاقية ، كيف ينتزع وكيف يستدل بها ؟ فإذا عرف المنشأ النفساني والانتزاعي الآفاقي [ الانتزاع الآفاق ] والتطبيق الاستدلالي وجعل [ الاستدلالي جعل ] ذلك ذريعة ووصلة إلى معرفة ما توجبه بعض الأخلاق والآيات عن [ من ] الآثار المخصوصة من حقائق الثواب والعقاب البارزة من أستارها يوم الحساب ، وهذ هو نمط تجسم الأعمال عند المصنّف وعند من

قال بمقالته وستسمع ما نذكره في بيان تجسم الأعمال ، والمصنّف ضرب لما يدعيه مثالاً .

في قول المصنف : **مثال ذلك أنّ شدة الغضب في رجل تَوَرث ثوران . .**

**قال : ( مثال ذلك أنّ شدة الغضب في رجل تَوَرث ثوران دمه واحمرار وجهه وانتفاخ بشرته . والغضب حالة نفسانية موجودة في عالم باطنه وهذه الآثار من صفات الأجسام المادية ، وقد صارت نتائج في هذه النشأة فلا عجب من أن يلزمه في نشأة أخرى أن تنقلب [ تتقلب ] ناراً محضة محرقة للقلب [ للقلوب ] مقطعة للأمعاء موقدة تطلع على الأفئدة كما يلزمه هاهنا إذا اشتد تسخن البدن وضربان العروق والأوداج واضطراب الأعضاء واحتراق المواد والأخلاط وربما يؤدي إلى المرض الشديد بل إلى الهلاك من الغيظ فهكذا جميع الصور المجسمة الموجودة في عالم الآخرة حاصلة من ملكات النفوس وأخلاقها الحسنة والقبيحة واعتقاداتها ونيّاتها الصحيحة والفاسدة الراسخة فيها من تكرار [ تكرر ] الأعمال والأفعال في الدنيا فصارت الأعمال مبادئ للأخلاق في الدنيا فتصير النفوس بهيئاتها مبادئ الأجسام [ للأجسام ] في الآخرة ) .**

**أقول** : يريد أنّ كون الصفات النفسانية منشأ للآثار الخارجية دليل على أنّ بعض الأخلاق التي تطبع عليها والملكات التي استقرت في جبلية [ جبلة ، جبلته ] من الأعمال حتى كانت طبيعة له موجبة [ موجب ] لإيجاد آثار مخصصة [ مخصوصة ] ناشية عنها .

ومثال تلك الصفات النفسانية التي تنشأ عنها الآثار الخارجية المحسوسة التي يستدل [ تستدل ] بها على صحة أن تكون النفس [ النفوس ] منشأ ومبدأ لأجسام [ الأجسام ] تحدثها في الآخرة أنّ الغضب حالة نفسانية ملكوتية إذا اشتدت في نفس شخص أثارت وهيّجت ثَوَران دمه واحمرار وجهه وانتفاخ بشرته وعروق جبهته وهي حالة معنوية لم تكن من عالم شهادته ، وإنما هي موجودة في عالم باطنه وتأثيرها أيضاً باطني وأثرها حسي [ حسية ] من صفات الأجسام المادية ، وقد صارت الحالات النفسانية التي هي من نشأة عالم الغيب نتائج الحسنّة [ الحسية ، حسية ] فيه هذه النشاء الحسية التي هي من نشأة من عالم الشهادة ، فلا عجب من أنّ يلزم [ يلزمه ] أي يلزم الغضب في نشأةٍ أخرى فوق نشأة أخرى [ نشأته ] أن تنقلب ناراً محضة كما لزم تحته [ لزمه تحت ] نشأته [ نشأة ] أن تنقلب صفات جسمانية مادية لزم فوق نشأة [ لزمه فوق نشأته ] أن تنقلب ناراً محضة محرقة للقلوب مقطعة للأمعاء حاطمة للعظام موقدة تطلع على الأفئدة ، ألا ترى أنه إذا اشتدّ واستحكم لزمت منه آثار هاهنا يظهر عنها تسخين البدن وضربان العروق والأوداج واضطراب الأعضاء واختلاجاتها واحتراق المواد والأخلاط وربما تؤدي إلى المرض الشديد [ بل ] ربما يوصل [ توصل ] إلى الهلاك من شدة الغيظ .

والدليل على أنّ هذه الآثار من نفخات النار قول النّبي صلى الله عليه وآله : ( **الحمى رائد الموت وحرّها من فيح جهنم وهي حظ كل مؤمن ومؤمنة من النار . . .** ) ، إلخ انتهى .

وقوله : ( **فهكذا جميع الصور الجسمية** [ المجسمة ] **الموجودة**

**في عالم الآخرة )** ، يعني أنّ جميع ما في الآخرة من النعيم والحور والقصور والمآكل والمشارب والأشجار والثمار والأطيار هي تلك الأحوال الطيبة والملكات الزاكية تظهر بصور هناك ظاهرة مشاهدة كما ظهرت آثار الرضا والغضب والفرح والحزن في البدن محسوسة وأصله [ أصلها ] معقول ومتخيل وكذلك أحوال العقاب والعذاب الأليم فإنما [ فإنها ] هي أحوال [ الأحوال ] الخبيثة والملكات السيئة فإنما [ فإنها ] تظهر بصور هناك ظاهرة مشاهدة ومبادئها الغضب والشهوة والأعمال السيئة والأخلاق القبيحة من ترك الصلاة والزنى [ الزكاة ] والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف كما ظهرت الجنة وما فيها من النعيم من الأعمال الصالحة كالصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما أشبه ذلك .

فالأعمال الصالحة والطالحة يتجسم [ تتجسم ] إذا برزت من مبادئها غير المجسمة الموجودة على نحو ما مثلنا وذلك في الآخرة .

وقوله : **( فهكذا جميع الصور المجسمة الموجودة في عالم الآخرة حاصلة من ملكات النفوس وأخلاقها الحسنة والقبيحة )** ، وهو معنى قولنا فإنها تظهر بصور هناك ظاهراً [ ظاهرة ] إلخ ، ولذا قال : **( فصارت الأعمال )** ، إلى آخر كلامه ، وقد تقدم ما يرد على بعض كلامه مثل قوله **( إن الجنة وجميع ما فيها من القصور والولدان والحور من نوع النيات والأعمال ، وإنّ وجوداتها من وجود النفس الآدمية لأنها في نفس الأمر صفات النفس وملكاتها )** .

ومما يرد عليه أنّ الجنة خلقت من الإنسان وإليه يعود [ تعود ] والأمر على العكس .

في قول المصنف : **وأما مادة تكوّن الأجساد ( الأجسام ) . .**

**قال : ( وأما مادة تكوّن الأجساد [ الأجسام ] وتجسّم الأعمال وتصوّر النيات في الآخرة فليست إلّا النفس الإنسانية ، وكما أنّ الهيولى هنا [ هاهنا ] مادة تكوّن الأجسام والصور المقدارية وهي لا مقدار لها في ذاتها فكذلك النفس الآدمية مادة تكون الموجودات المقدرة المصورة الأخروية وهي في ذاتها أمر روحاني لا مقدّر لها ) .**

**أقول :** ذكر أولاً كيفية تجسُّم الأعمال وتمثيله وهنا ذكر المادة التي تتكوّن منها الأعمال عند تجسمها .

واعلم أنّ الناس الذين قالوا بالمَعاد والثواب والعقاب اختلفوا في الثواب والعقاب هل هما جزاء على الأعمال مغايران لهما أم هما الأعمال الحسنة والسيئة ؟ فالذين جعلوهما جزاء على الأعمال اختلفوا فذهب الشيخ المفيد وجماعة [ جماعته ] إلى أنّ الأعمال أعراض ومعاني فلا يعقل تجسمها ولا وزنها .

والمراد من الموازين التعديل بين الأعمال والجزاء عليها ووضع كل جزاء في موضعه وإيصال كل حقٍّ إلى مستحقه فلا ميزان ولا وزن على الحقيقة بل هو محمول ، على المجاز .

**وقال آخرون :** إنّ الأعمال لا تجسم لأنها أعراض معاني ، نعم يخلق الله تعالى بإزاء الأعمال وتناسبها [ مناسبها ] صوراً حسنة وقبيحة وتكون هي [ هو ] الموزونة في الميزان الحقيقي وهي الصور التي تكون مع الإنسان في عالم البرزخ .

وقالت طائفة إلى أنّ الأعمال [ أن الموزون ] هي صحائف الأعمال لا نفسها بناء منهم على أنّ كتابة الأعمال في صحائفها مثل كتابتنا لما [ فيها ] تكتبه في دفاترنا .

وبعض الروايات تشير إلى أنّ الموزون هي الصحائف مثل ما روي عنه صلى الله عليه وآله : **( أنه يؤتى برجل يوم القيامة إلى الميزان ويؤتى له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مدّ البصر فيها خطاياه وذنوبه فيوضع** [ فتوضع ] **في كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالأنملة فيها شهادة أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمداً رسول الله** [ عبده ورسوله ] **فيوضع في الأخير فيرجح )** .

والمصنّف يرى الوزن للصحائف .

**وقيل** : ويمكن أن يجمع بين الأخبار الدالة على هذه الأقوال المختلفة بحمل ما ورد من أنّ الميزان ليس هو ذا كفتين ، وإنما هو مجاز عن العدل في الجزاء على ميزان أعمال الأنبياء عليهم السلام وميزان أعمال من بينهم [ يليهم ] من أهل الطاعات والمعرفة لأنهم لا يتهمون ربّهم فيما قضى عليهم بأعمالهم .

وحمل ما ورد من أنّ الله تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكفتان ، لسانه بيد جبرائيل عليه السلام يزن فيه الأعمال على ميزان أعمال سائر الخلق لينظروا إلى أعمالهم كيف توزن بالموازين فلا يتهمونه تعالى .

ومَنْ قال : إنّ الثواب والعقاب هما عين أعمال المكلفين ، منهم من قال : إنّ جعل الأعراض ذوات شيء ممكن مقدور لله عزّ وجلّ فيجعلها أجساماً مناسبة لنوع ما انقلبت عنه من الأعراض في الكم

والكيف والوقت والمكان والرتبة والجهة والوضع ويرون أنّ هذه الأمور هي التي عليه في نفس الأمر ولم تجدد [ لم تتجدد ] لها نشآت [ نشأة ] بحسب تجدد الأوقات والأمكنة والرتب ، وإنما هي هكذا في كل نشأة فوجوداتها قائمة في كل نشأة بما هي عليه في تلك النشأة .

**مثاله** : أنت في بغداد تتصوّر مصر بصورة ملكوتية ، أو برزخية وهي وجود مصر في رتبة النفوس و [ أو ] الخيالات وإذا مضيت عليه [ إليه ] وجدته ذاتاً محسوسة وهذا وجوده في عالم الحس فمصر موجود في كل رتبة من مراتب الوجود من نوع وجودها ووجود ما هو من مقامها .

وممن تنبه إلى هذا المعنى المحقق الدواني في رسالة الذوراء [ الزوراء ] ، وقد ذكر في مفتحها [ مفتتحها ] أنها من فيوض عتبة باب مدينة العلم وابنه سيد الشهداء ( **عليهما من الصلاة أكملها ، ومن التسليمات أجزلها** ) .

وحاصله مختصراً مع بعض التغير [ التغيير ] أنّ الحقيقة الواحدة تظهر في البصر بالصورة المعينة المنكشفة [ مكشفة ] بالعوارض المادية ملازمة لوضع معين من قرب وبعد وغير ذلك وهي بعينها تظهر في الحس المشترك بصورتها [ بصورة ] نشأ بهما من غير تلك الشرائط وهي في الحالين تقبل التكثر بحسب الأشخاص كصورة زيد وبكر ثم تظهر تلك الحقيقة في العقل بحيث لا تقبل الكثرة وتصير الأفراد المتكثرة في الصور [ الصورة ] المبصرة والمتخيلة متّحدة [ المتحدة ] في الصورة العقلية فتظهر [ فظهر ] أنّ الصورة ولو كانت عقلية غير الحقيقة بل الصور المختلفة لباس لتلك الحقيقة

واختلاف تلك الصور [ الصورة ] يكون لاختلاف المشاعر والمدارك وتلك الحقيقة مع وحدتها الذاتية قد تظهر في صور [ صورة ] متكثرة متخالفة الحكم كصور الأشخاص ، وقد تظهر في صورة واحدةٍ كالصورة العقلية .

ومحصّل هذا أنّ الحقيقة مغايرة لجميع الصور التي تخيل [ تتخيل ] فيها على المشاعر الظاهرة والباطنة الجسمانية والروحانية ، وأنّ تلك الحقيقة من حيث ذاتها قابلة للظهور بصور مختلفة ، وأنّ جميع الصور هي بها متساوية وليس بعضها أولى من البعض بل إنما تخصص تلك الصور بأحكام المَواطن والمشاعر .

فالعلم مثلاً حقيقة واحدة يظهر [ تظهر ] في مَواطن اليقظة بصورة عرضية محتجبة عن الحس مدركة بالعقل كلية ، وبالوهم جزئية ، وهي بعينها تظهر في مواطن [ موطن ] الرؤيا بصورة جوهرية ، أعني صورة اللبن ، وكما أنّ الظاهر على المدارك الباطنة في اليقظة الحقيقة [ حقيقة ] العلم كذلك الظاهر على المشاعر في الرؤيا حقيقة العلم إلّا أنه يتجلى في كل موطن بصورة تعينها لها ذلك الموطن .

ثم إن المحجوب المنغمس في أحكام الطبيعة الذي [ التي ] لا يعرف الحقائق إلّا بصورها ينكر الحقيقة عند تبدّل الصورة ، ولا يعرفها لتحولها في ملابسها ولكن العارف لا يصير مغلوباً بأحكام خصوصيات المواطن ، ولا يحجبها حكم موطن عن أحكام المواطن الآخر بل يعرفها في سائر ملابسها تظهر [ فظهر ] عليك من هذا أسرار غامضة من أحوال المَعاد وظهوره في الكثرات فإنّ ذلك يتحصل ويتقوّم بالنفس ومراتبها .

وأسرار المَعاد من ظهور الأعمال والأخلاق الظاهرة في النشأة الدنيوية ، بالصور الخاصة ، وفي النشأة الأخروية ، بالصور [ بالصورة ] التي تقتضيها أحكام تلك النشأة كما فصل في الشريعة وتيسر عليك أيضاً مشاهدة الواحدة الحقيقي في التكثرات من غير شوب ممازجة وتسلقت [ تسلفت ] به إلى حقائق ما أنبأ عنه لسان النبوات من ظهور الأخلاق والأعمال في المَواطن المعادية لصور [ بصور ] الأجساد .

وكيفية وزن الأعمال وسرّ حشر الأعراض بصور الأخلاق العالية ، واطلعت على سرّ قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ، فإنّ الآية بظاهرها تدل على إحاطة جهنم بالكافرين في زمان الحال ، ولا حاجة إلى الصرف عن الظاهر ، وأنّ الأخلاق الرذيلة والعقائد الباطلة هي محيطة بهم في هذه هي بعينها جهنم التي ستظهر في الصورة الموعودة عليهم كما أنذرهم الشارع إلّا أنهم لا يعرفون ذلك لعدم ظهورها في هذه النشأة عليهم في تلك الصورة وهم لفرط جهلهم بالحقائق لا يعرفون الحقائق إلّا بصورها .

وأمّا النفس المحيطة بالحقائق وتنقلها بالصور [ في الصور ] بجسب المواطن فتعرف حقيقة الأمر ، وأيضاً تعرف من ذلك التحقيق قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ ، وقوله صلى الله عليه وآله : ( **الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم** ) ، فإنّ [ وإن ] ظاهرها [ ظاهره ] يدل على وقوع هذه الحال في الحال .

والجرجر [ الجرجرة ] بمعنى الصب .

وقوله صلى الله عليه وآله : ( **إن في الجنة قيعاناً ، وإن غراسها سبحان الله والحمد لله** ) ، فإنّ هذا الحديث يدل على أنّ هذا القول بعينه غراسها فيكون محمولاً على الحقيقة لا على المجاز كما توهّمه المتوهمون .

**ثم قال : ( لعلك تقول : كيف يكون العرض بعينه هو الجوهر وكيف يكون المعنى واحداً والحال أنّ الحقائق متخالفة بذواتها )** .

فنقول : قد لوحنا عليك [ إليك ] أنّ الحقيقة غير الصورة فإنها في حدِّ ذاتها وصرافة سذاجتها [ من الساذج ] عارية عن جميع الصور التي تتجلى بها لكنها تظهر في صورة تارة وفي غيرها أخرى والصورتان متغايرتان قطعاً لكن الحقيقة المتجلية في الصورتين بحسب اختلاف الموطنين شيء واحد وما أشبه ذلك بما يقول [ يقوله ] أهل الحكمة النظرية إنّ الجواهر باعتبار وجودها في الذهن أعراض قائمة به محتاجة إليه ثم هي في الخارج قائمة بأنفسها مستغنية عن غيرها فإذا اعتقدت أنّ حقيقةً تظهر في موطن بصورة عرضية محتاجة ، وفي آخر بصورة مستقلة يكون [ تكون ] فاكسر به سورة نبو طبعك عنه في بدء النظر حتى يأتيك اليقين وتشرف على حقيقة قوله صلى الله عليه وآله : ( **النوم أخ الموت** ) .

وقول صاحب سرّه وباب مدينة علمه : ( **الناس نيام ، فإذا ماتوا انتبهوا** ) .

**ثم قال** : أرأيت الحقيقة الواحدة كيف ظهرت على القوة العاقلة بصورة وحدانية لطيفة مجردة ، ثم ظهرت على الحواس بصور مخالفة [ متخالفة ] كثيرة مادية فكأنها تنزلت مع النفس عن صرافة

تجردها ووحدتها إلى التكثر والتعدد ، فإذا وصلت النفس إلى مرتبة الحواس وصلت هي إلى غاية التكثر والتعدد وإذا ترقت إلى مرتبة التجرد الصرف توحدت والحقائق مع النفس صعود وهبوط فهي إذن موجودة في النفس لا في الخارج عنها وهي تصاحبها في مواطنها المختلفة وتنصبغ في كل موطن من مواطنها بأحكامها من الوحدة والكثرة واللطافة والكثافة ، ومن ثم أقول شأن العلم تكثر الواحد وذلك في العلم التفصيلي المتحصل بما يلي الجهة السافلة من النفس وكماله في المشاعر الظاهرة وتوحيد الكثير وذلك في العلم الحقيقة [ الحقيقي ] الإجمالي المتقوّم بما يلي الجهة العالية من النفس وكماله في المدرَك الشهودي المعبّر عنه بنور الولاية ، وهو غاية المراتب ويليه في الشرف مرتبة الذوق الفطري . انتهى ما نقلته من نقل السيد نعمة الله الجزائري في كتاب المسمى بمقامات النجاة .

والمصنف ذهب إلى ما ذهب إليه الدواني في معنى تجسّم الأعمال إلّا أنه بنى تعريفه وبيانه ومادته وغير ذلك على ما يراه وهذا عنده هو حقيقة تجسّم الأعمال الصالحة والسيئة ومعرفته .

**وأقول** : هذا طريق مشاهدة تجسمها ، وأما أنها من أي شيء تتركب فلا تعم [ فلا ، نعم ] المصنّف نص على أنّ مادة تكوّن الأعمال وتجسّمها نفس العامل وتصوّره في الآخرة فليس إلّا النفس الإنسانية .

ثم مثل [ ذكر ] لمدعاه تقوية لدليله فقال : ( **وكما أنّ الهيولى هاهنا** ) ، يعني في الدنيا مادة تكوّن الأجسام والصورة المقدارية ، وهو [ هي ] يعني الهيولى لا مقدار لها في ذاتها فكذلك النفس

الآدمية تكون الموجودات المقدرة المصوّرة الأخروية وهي في ذاتها أمور روحاني لا مقدّر لها .

**أقول** : وفي هذه الكلمات كلام يرد عليها من ذلك قوله : ( **فليس إلّا النفس الإنسانية** ) ، فإنه يرد عليه أنه إن أراد أنّ مادة الثواب والعقاب نفس جوهر النفس الآدمية كانت مادة ثوابه من ذاته وصورة ثوابه من عمله ، وكذا في العقاب كان الثواب والعقاب متولداً منه وحينئذٍ فالمنعم والمؤلم شيء أجزاؤه [ للشيء جزؤه ] ثم لا يخلو ، إما أن يكون عمل الجزء وتأثيره بمقتضى خارجي أولا والثاني باطن ، لأنّ الجزء ملائم لكله لذاته ، ففي الثواب تسقط فائدة مشقة الطاعة وهو باطن ، وفي العقاب يكون ما به الملاءمة به المنافرة بجهة واحدة ، وهو باطل .

والأول أنّ فرض استقلال الخارجي بالأثر دل على مغايرة الجزء ، وإن لم يستقل لزم ما يلزم في الثاني ، ومن ذلك قوله في تمثيل النفس للأعمال المجسّمة ومقايستها بالهيولى ( **وكما أنّ الهيولى هاهنا مادة تكوّن الأجسام إلخ** ) ، فإنه يرد عليه أنّ الهيولى جسم والجسم يكون مادة للأجسام ولكن لا يكون مادة للصور [ للصورة ] المقدارية ، وإن كانت تتقوّم به والنفس ليست من الأجسام ، وإنما هي جوهر مجرد ، والجوهر المجرّد لا يكون مادة للأجسام المادية .

وعندنا أيضاً لا تكون المادية [ المادة ] مادة للجواهر المجردة ، وإن كان المصنّف يرى ذلك ، وإن زعم أنّ الأجسام الأخروية مجردات كالنفوس ، لأنّ الماديات كلها متغيرة متبدلة كما ذكره فيما تقدم .

فعلى فرض تسليمه له نقول : هذا الذي وجد في الآخرة تنقلب [ منقلب ] عن الأعمال ، أو عن نفوس العاملين ، فإن كان عن الأعمال لم تكن نفوسهم مادة له ، وقد ثبت أنّ الأعمال أعراض والأعراض لا تكون موادها من ذوات معروضاتها ، وأنّ الانقلاب عن نفوس العاملين لم تكن الأعمال مجسّمة لأنها ليست من نفوس العاملين بل المجسّم غيرها .

ولزم أيضاً ما ذكرنا من كون الملائم منافراً ، نعم إن أراد بها [ أنها ] غير منقلبة عن شيء ، وإنما تلك الصور التي تظهر غداً فيها هي بعينها هذا [ هذه ] الصور التي ظهرت بها في دار التكليف من صلاة وزكاة وصوم وحج وتسبيح وتهليل وغيرها ، لأنّ الحقيقة واحدة والتغيير ظاهر إنما هو الإحكام المواطن كما ذكره المحقق الدواني .

فإن المصنّف إنما ذهب إليه في سائر كتبه ، وهو ما نقله عنه ولكنه مزجه بشيء من آرائه بمعنى أنه ليس المراد بالتجسّم إلّا ظهورها غداً بحكم ذلك الموطن ولم تتغير في كل موطن فهو صحيح ، إلّا أنّ ذكره للمادة يدل ، على أنها تجسم غداً من النفس ونحن حين ذكرنا مادتها إنما هو لبيان أصلها ولم ترد [ نرد ] أنها تصاغ غداً أو لم تُصغ .

ونريد بمادتها ما تكوّنت منه في التكليف الأول ، وفي الدنيا ، وفي الآخرة ، ويأتي مرادنا بالمادة والهيولى أيضاً ، وإن لم يكن لها مقدار شخصي إلّا أنّ لها مقداراً نوعياً والأعمال المجسّمة لها مقدار شخصي ولكنه ليس من ذات الهيولى ، وإن كان صورة انفعالها إلّا أنّ المقدار الشخصي مركّب من حدود كما ذكرنا مراراً

مؤلفة من الكم والكيف والوقت والمكان والرتبة والجهة والوضع .

ولو قيل بقولنا من أنّ الهيولى الكلية مجردة وأنها آخر المجردات لا يلزم علينا صحة المقايسة التي ذكرها المصنّف فإنها مادة جسمانية ولكنها قبل تعلق الصورة [ الصور ] المثالية بها وقبل التركيب لم تلحقها أعراض المراتب والأوقات ، لأنّ هذا التغيير [ التغير ) السريع والتبدّل والتحوّر من آثار الحدود السبعة المذكورة ، أعني الكم والكيف والوقت والمكان والرتبة والجهة والوضع ، فلذا سميّناها مجردة يعني عن المادة العنصرية والمدة الزمانية اللتين لا تتقوّمان إلّا بتلك السبعة وإلا فهي جسم لأنها في الحقيقة هي المادة التي تعلقت بها الصورة قبل تعلّقها بها ، ولا كذلك النفس مع ما سمعت من أصالة الجسم بالنسبة إلى الهيولى لأنه هو هي قبل تعلق الصورة [ الصور ] المثالية به ، ومن عرضية الأعمال بالنسبة [ بالنفس لنسبة ] إلى النفس قبل التعلق وبعده .

وأمّا النفس الآدمية فإنها صورة جوهرية ، وإنما سمّينا الصورة بالمثال ، لأنّ تلك الصور المثالية صور مماثلة لصور النفوس ، لأنّ النفوس صور جوهرية ذات حدود وتخطيط مثل الصور المحسوسة لكنها صور جوهرية أصلية وعالم المثال صور ذات حدود وتخطيط مثل صور النفوس إلّا أنّ النفوس صور قائمة بنفسها لأنها ذوات ، والمثال صور غير قائمة بنفسها لأنها أظلة للنفوس فقوله : ( **وهي في ذاتها أمور** [ ذواتها أمر ] **روحاني لا مقدار لها** ) ، غلط .

والحاصل إذا أردت التمثيل للأعمال المجسّمة فما ذكره المصنّف لابأس به ، وأما إذا أردت أن تعرف مادة الثواب والعقاب وصورهما [ صورتهما ] فاسمع : اعلم أنه قد ثبت باتفاق العقلاء

من الحكماء والعلماء أنّ كل ممكن زوج تركيبي إذ المخلوق لا بد له من اعتبار من جهة ربّه ، وهو مادته ، وإن شئت قلت وجوده ، ومن اعتبار من جهة نفسه ، وهو صورته ، وإن شئت قلت ماهيّة وهكذا [ هذا ] حكم كل ما سوى الله تعالى من ذات أو صفة ، جوهر أو عرض ، عين أو معنى ، والثواب والعقاب من الممكنات .

ولا بد أن يكون كل واحدٍ منها مركباً من مادة وصورة ولابدّ أن تكون المادة موجودة قبل الصورة والمادة من أمر الله ونهيه والصورة عمل المكلف في الثواب بالموافقة ، وفي العقاب بالمخالفة .

والمراد بأمر الله ونهيه اللفظيين الجاريين على المكلفين ، الأمر الحامل لنور الله المسمى بالأمر الفعلي ، أعني مشيَّة الله وفعله الذي قام به كل شيء قيام صدور .

والحامل لنور الله المسمى [ الله المسمى ] بالأمر المفعولي ، أعني الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله الذي قامت به الأشياء كلها قياماً ركنياً وهذان الأمران منهما مدد كل شيء ، فالأمر القولي إفاضة للأمر المددي وامتثال المكلف للأمر هو قبوله للأمر الإمدادي والأمر المددي والاجتناب للنهي القولي نفي للمدد الخذلاني ونفي للمانع ، فالامتثال للأمر هو الموجب للمقتضي والاجتناب للنهي هو الرافع للمانع ، فإذا فعل العبد المكلف ما أمر به خلق الله مادة الحورية مثلاً أو القصر أو الجنة من فيض الأمر الذي هو لازم للأمر الذي امتثله المكلف وعمل به [ أمر به ] كما أمره الله .

وخلق صورة تلك الحورية و [ أو ] القصر أو الجنة من عمل

المكلّف ونفخ في ذلك الذي خلقه من روحه فهذا حقيقة الثواب .

وأمّا العقاب فمادته من الأمر الفعلي العرضي ، ومن الأمر المفعولي العرضي أعني الغضب المسبوق بالرحمة التي هي الأمر المفعولي الذاتي وصورته من عمل المكلف بارتكاب المناهي واجتناب الأوامر ، فالأعمال الحسنة صور الثواب ومواد الثواب من تأييدات أمر الله وأرواح أنواع الثواب من روح الله ، كما أنّ مواد المطيعين من إشراقات النور الذي تنوّرت الأنوار منه وصورهم من هيئات طاعاته ، والأعمال السيئة صور العقاب ومواد العقاب من ظلمة البحر الأجاج ، كما أنّ مواد العاصين من أظلّة البحر الأجاج الذاتية وصورهم من هيئات معاصيه فافهم .

## في قول المصنف : والفرق بين النفس والهيولى بأمور . .

**قال : ( والفرق بين النفس والهيولى بأمور : منها أنّ الهيولي وجودها بالقوة من كل وجه لاتحصل لها في ذاتها لصور** [ أمور ] **الجسمانية بخلاف النفس فإنها كانت في ذاتها موجودة بالفعل وجوداً جوهرياً حساساً وكانت أولاً صورة هذا البدن العنصري فصارت مادة أخروية يتّحد ضرباً من الاتحاد ، فهي صورة الماديات الدنيوية ومادة الصوريات الأخروية المنفوخة فيها بإذن الله :** ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ **، لاختلاف أنواعها في الآخرة ) .**

**أقول :** قوله **( إن الهيولى وجودها بالقوة من كل وجه لا تحصل لها في ذاتها لصور** [ الصور ] **الجسمانية )** ، تبعاً لأقوام من العيون

الكدرة التي يفرغ بعضها في بعض ، وهو خطأ ، فإنّ الهيولى في الحقيقة هي الجنس لأنواعه والنوع لأشخاصه .

**وقولهم** : إنّ الأجناس إنما تتقوّم بالفصول ، يريدون تقوّم حصص أنواعه كالخشب ، إمّا تتقوّم حصة السرير بالصورة يعنون تميّزها من حصة الباب وتميّزها من الخشب إنما هو بالصورة ، ولا يريدون أنّ حصة السرير معدومة أصلاً ، وقد صرّح بهذا المعنى في كتابه الكبير كتاب الأسفار ( **وفي القاموس الهيّولى مشددة الياء مضمومها عن ابن** [ أبي ] **القطاع القطن وهيلا جبل أسود بمكة والهيولى القطن وشبه الأوايل طينة العالم به ، أو هو في اصطلاحهم موصوف بما يصف به أهل توحيد الله تعالى أنه موجود بلا كيفية وكمية ولم يقترن به شيء من مسمات** [ سمات ] **الحدث ثم حلّت به الصنعة واعترضت به الأعراض فحدث به العالم** ) انتهى .

وهذا يشعر بأنّ الهيولى عندهم موجودة بالفعل بنفسها والحكماء قسموا الشيء في اصطلاحهم فقالوا : ( **إن الشيء باعتبار كونه جزءاً للمركب بالفعل يسمى ركناً ، وباعتبار ابتداء التركيب منه يسمى عنصراً وباعتبار انتهاء التخلل إليه يسمى اسطقساً وباعتبار كونه قابلاً للصور غير المعينة يسمى هيولى وباعتبار كونه قبوله للصور المعينة يسمى مادة ، وباعتبار كون المركب مأخوذاً يسمى أصلاً وباعتبار كونه محلاً للصور المعينة بالفعل يسمى موضوعاً هو** [ هي ] **في الحقيقة شيء واحد تعرض** [ له ] **هذه الأسماء عند هذه الصفات** ) .

وعلى أي نحو فالهيولى موجودة ووجودها بالفعل لا بالقوة فيكون لها تحصل في نفسها لصور الجسمانية ، وإن لم تكن صوراً

شخصية بل كانت صوراً جنسية ونوعية فإنهما من الصور الجسمانية ووجود الأجناس والأنواع في الخارج مما لا يكاد يخفى على أحد ، وهو جارٍ على ألسنة العوام معروف عندهم من غير نكير فإنهم يقولون : إنّ فلاناً التاجر أتى بأجناس وبأنواع كثيرة ، ولا يُقال إنّ كلام العوام لا يعتبر ، لأنّ هذا استعمال أهل اللغة العالمين بمدلولاتها التي وضع الواضع سبحانه أسماءها بإزائها ولا شك أنّ الخشب قابل للصور غير المعينة كصورة السرير والباب وغيرهما فهو لا شك هيولى لما يعمل منه والنفس [ النفوس ] موجودة كالهيولى .

**وقوله** : ( **وكانت أولاً صورة هذا البدن العنصري** ) ، ليست النفس مادة لهذا البدن العنصري لذاتها ، وإن قلنا إنه في الأصل من تنزلاتها لأن تنزلاتها من آثارها ، ومن أحوالها لا من ذاتها ، لأنّ مبدأ النفس ليس من التراب ، ومن الطبائع الجسمانية بل الطبائع من آثارها ، وقد نصّ أمير المؤمنين عليه السلام عليها بأنّ أصلها من التأييدات العقلية وأين التأييدات العقلية والتراب لمن تعقّل الجواب .

**والمصنّف قال** في النفس هنا : ( **بأنها كانت في ذاتها موجودة بالفعل وجوداً جوهرياً حساساً** ) ، فكيف كانت أولاً صورة هذا البدن العنصري ، إذ يلزم من هذا أنها لم تكن في ذاتها موجودة بالفعل وجوداً جوهرياً حساساً بل القوة [ بالقوة ] في ذاتها ثم كانت بالفعل ، وكما لم تكن صورة هذا البدن العنصري بذاته بل بآثار تنزلات آثارها كذلك لم تكن بذاتها مادة الصوريات الأخروية بل بوجودات آثار أفعالها .

وأمّا النفخ في وجودات آثار أفعالها بإذن الله تعالى من روحه فظاهر ، لأنّ موادها من آثار أمر الله القولي الذي حمله إلى المكلف أمر الله القولي وكذا في النهي كما مرّ .

وصورها المنفوخ فيها أعمال العاملين وكونهم يأتون أفواجاً فلاختلاف أعمالهم .

في قول المصنف : **ومنها أنّ النفس مادة روحانية لطيفة لا تقبل . .**

**قال : ( ومنها أنّ النفس مادة روحانية لطيفة لا تقبل إلّا صوراً لطيفة غيبية** [ الصور اللطيفة عينية ] **لا تدرك بهذه الحواس بل بحواس الآخرة ، والهيولى مادة كثيفة إنما تقبل الصور الكثيفة المقيّدة بالجهات والأوضاع المشُوبة بالقوى والأعدام ) .**

**أقول** : أما كون النفس لطيفة لا تقبل إلّا صوراً لطيفة غيبية فصحيح وكذا لا تدرك بهذا الحواس حال كونها متلوّثة برذائل الطبائع الجسمانية .

وأمّا أنّ الجنة وما فيها من القصور والحور وجميع أنواع النعيم كلها من قبيل النيّات [ قبيل النعيم ] يعني صوراً ملكوتية نفسانية وخيالية فممنوع لأنه يلزم منه عدم المَعاد الجسماني كما يلزم المصنّف فيما سبق إذ هذا هو الظاهر من عباراته ، وقد قلنا هناك إنه على مذهب أئمة الهدى عليهم السلام غير قائل بالمَعاد الجسماني .

وأمّا كون الهيولى مادة كثيفة فليس بصحيح إذ ليس كل هيولى مادة كثيفة ، فإنّ الأجرام الفلكية لا تُدرك بهذه الحواس وكذلك الأرض ، فإنّ الأرض التي لم يطأ عليها بنو آدم لطيفة لا تُدرك بهذه البصائر الدنيوية وأهل الجنة كلهم أجسام مقيدة بالجهات والأوضاع ، لأنّ ذلك لا ينافي البقاء والدوام ، نعم ليس فيها أعدام ، ولا كثافات ، لأنّ ذلك من لوازم التغيير والتبديل بالأضعف ، وهو غير جائز في الآخرة لأنهم صاعدون .

واللازم من ذلك التغيير والتبديل بالأقوى والأجد .

وأمّا الأوضاع والجهات فمن لوازم الأمكنة والأجسام وأهل الآخرة كأهل الدنيا إلّا في الكثافة والضعف والانتقال إلى الأضعف وما يؤول إلى الفناء .

وأمّا التبديل بالأقوى والتغيير إلى الشدّة والجدّة والأحسن فهذا حالهم وكيف لا تكون الماديات هناك وما هم إلّا الذين كانوا في الدنيا بأجسادهم وأجسامهم وأرواحهم لم يتغير شيء منهم إلّا الأعراض الغريبة الفانية والكثافات المتهافتة المضمحلّة ، نعم ، هذه الأجسام الدنيوية التي تراها [ نراها ] في الدنيا إذا ظهرت من الأعراض والغرائب الأجنبية لحق حكم سافلها بأعاليها فتدرك بذاتها الأجسام المعاني الجبروتية والصور الملكوتية والأرواح الموجودة المتعلقة بهذه الأجسام إذا طهرت ما [ مما ] تلوثت به من المعاصي وسهو الغفلات ، أدركت بذاتها الأجسام والجسمانيات ، لأنّ أجسامهم إذا شاؤوا تروّحوا وأرواحهم إذا شاؤوا تجسّدوا [ تجددوا ] .

ولذلك مثال في العالم مَن وقف عليه عرف ما أشرنا إليه ، وهو

أنّ الحكماء الطبيعيين أهل العلم المكتوم قالوا : إن الحجر يحلونه ويعقدونه بجزء من روحه ويحلونه ويعقدونه بجزء من روحه ويحلونه ويعقدونه كذلك ، فإذا دبر على النحو المقرر عندهم ثلاثاً في إكسير البياض وتسعاً في إكسير الحمرة كان معدناً حيوانياً روحانياً يعني أنه هو في نفسه جسم ، وفي عمله روح تحيي الأموات [ الموات ] من المعادن وينفخ فيه [ فيها ] روح البقاء فإنه إذا تم في أول مرة كان مثقاله يحيي ألف مثقال ويلحقه بجوهره فإذا سقي مرة أخرى كان مثقاله على ألفي مثقال وهكذا ولو سقي ألف مرة كان مثقاله يحيي ألف ألف مثقال وهكذا بلا نهاية .

ونُقل عن بعض الحكماء أنه سقاه ثلاثمائة مرة فأقام مثقاله ثلاثمائة ألف مثقال ، ومع هذه الزيادة في الكيف يزيد في الكم ، مثلاً إذا سقى المثقال [ مثقال ] الأحمر [ الأجر ] منه سقية ثانية في ست حلات وست عقدات كان وزن ذلك المثقال تسعة وأربعين مثقالاً ، كل مثقال ، يحيي ألفي مثقال وكان قبل السقي مثقالاً يحيي ألف مثقال وبعد السقي كان تسعة وأربعين مثقالاً كل مثقال يحيي ألفي مثقال أجود ذهباً من الأول قبل السقي فيكون بعد السقي يقيم مئة [ بمئة ] ألف مثقال إلّا ألفي مثقال ، وليس مثل هذا العمل يتصوّر في الأجساد ، وإنما يعقل في الأروح ولهذا قالوا : هو جسد وعمله روحاني فافهم الآية ، فإنّ هذا الجسد آية أجسام أهل الجنة فإنهم أجسام فيها جميع صفات الأجسام وأحكامها وأفعالها وتفعل أفعال الأرواح والعقول وتدرك جميع ما تدركه النفوس والعقول ، وكذلك العقول تدرك بذاتها مدارك النفوس والأجسام وكذلك النفوس وذلك معنى قولنا الحق حكم سافلها بأعاليها .

في قول المصنف : **ومنها أنّ قبول الهيولى للصور والأكوان . .**

**قال : ( ومنها أنّ قبول الهيولى للصور والأكوان على سبيل الانفعال والاستحالة والتغير والحركة وقبول النفس لصورها الراسخة فيها على سبيل الحفظ والاستيجاب ، ولا منافاة بين قبولها وفعلها ، فهي بجهة واحدةٍ فاعلة وقابلة للصور والأمثال معاً وكذلك علوم المبادئ وصفاتها حيث إنها بجهة واحدةٍ حصلت فيها ومنها ، لأنّ القبول هنا ليس معنى الاستعدادية والإمكان ) .**

**أقول** : نعم قبول الهيولى للصور والأكوان ، على سبيل الانفعال والاستحالة والتغير والحركة ولكن باعتبار ، وباعتبار آخر قبولها للصور والأكوان ، على سبيل الفعل والإحالة والتغير [ التغيير ] والتحريك ، ولكن الاعتبار الثاني لا يقولون به بناءً منهم على أنّ المادة هي الأم والصورة هي الأب وذلك هو المعلوم بينهم فلما بنوا أمرهم على الأصل الباطل وقع الخلل في الفرع ، وحيث ثبت أنّ المادة هي الأب كما نطقت به الروايات ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ، وأنّ الأم هي الصورة كذلك قلنا : إنّ قبول الهيولى وهي المادة قبل تعلّق الصور بها للصور والأكوان على سبيل الانفعال والاستحالة والتغير والحركة على اعتبار ، وعلى اعتبار آخر يكون قبولها للصور والأكوان على سبيل الفعل والإحالة والتغيير والتحريك .

ويزيد بالاعتبار الأول أنّ انفعال المادة والهيولى مع أنها هي

الأب من باب ﴿ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ فيكون الذكر منفعلاً كما قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ .

وبالاعتبار الثاني على الأصل من باب ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ ﴾ فتكون الهيولى فاعلة للصور محيلة مغيرة محركة وذلك ، لأنّ الهيولى هي الشيء في نفس الأمر ، وأما الصورة فهي صفتها في كل حالة أي صفة كمها وكيفها وكونها في مكانها ووقتها ورتبتها وجهتها وما يلحق أجزاؤها من الأوضاع الجوّانية والبرّانية .

ففي الحقيقة إنما أحدثت الصورة من نفس المصور لأنها قابلية [ لأنه قابليته ] للإيجاد وحدود صنعه التي [ الذي ] بها يتقوّم ، وقد قدّمنا أنّ التي تدخل عليها لفظة [ من ] ، هي المادة ، تقول : صغت الخاتم من فضة وعملت السرير من الخشب وهذا ظاهر .

فقال الله تعالى : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، وهي آدم عليه السلام : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، وهي حواء خلقها تعالى من آدم فمنها مادة أولاده ، ومن حواء صورتهم فجريان الهيولى على الفعل والإحالة والتغيير والتحريك لأنها هي الأب كما سمعت أظهر من جريانها على الانفعال والاستحالة والتغير والتحرك ، فافهم .

وأمّا النفس فقال المصنّف : ( **إن قبولها لصورها الراسخة فيها ، على سبيل الحفظ والاستيجاب ، ولا منافاة بين قبولها وفعلها** ) .

**وأقول** : إنّ مقابلته بين الهيولى والنفس ليست بصحيحة ، لأنّ صور هيولى الشيء جزء ماهيّته ، وصور النفس التي عناها ليست في الشيء جزء ماهيته ، لأنّ هذه الصور النفسانية آثار لقواها ومشاعرها كما إذا تخيّل خيالها صورة وتوهّم وهمها صورة وأدرك

فكرها صورة وأدرك علمها صورة ، فإنّ هذه صفات [ الصفات ] قواها الفعلية وليست صفات ذاتية لقواها ، لأنّ قواها التي هي العلم والوهم والخيال والفكر هي المحدثة لهذا [ لهذه ] الصور عنده فلا تكون آثار القوى جزء ماهيّة ذي [ ذوي ] القوى فليست هذه الصور صوراً للنفس ، وإنما نظير [ نظيره ] مقايسة كما إذا قلت بين زيد وبين عمرو فرق ، لأنّ زيداً يده ورجله جزء جسده وعمرو [ عمر ] قيامه وقعوده ليسا جزء جسده ، فهذا نظير مقايسته بين الهيولى والنفس ، نعم لو فرق بينهما في صور الهيولى وصور النفس التي هي جوهريتها لا الصور المثالية التي هي ظل تلك الصور [ الصورة ] الجوهرية فإنّ هذه الصور الجوهرية هي قابلية النفس [ قابليته ] لأنها من هيئة الإيجاد لتلك التأييدات العقلية التي هي الهيولى للنفس وبهذا الاعتبار ينتفي الفرق البتة .

**وقوله : ( ولا منافاة بين قبولها وفعلها فهي بجهة واحدةٍ فاعلة وقابلة للصور والأمثال معاً ) .**

يُقال عليه إنه إن أراد أنها فاعلة للقبول كان القبول والفعل واحداً بجهة واحدةٍ ، ولكن لم تكن فاعلة للمقبول إذ تكوين الشيء غير قبوله ثم المقبول الذي يريده أين محل قبوله من القابل ، هل هو في ذاته فتكون النفس فاعلة لذاته أم هو خارج عن ذات القابل فما معنى القبول حينئذ؟ ، فإذا كان كلامه في بيان تجسّم الأعمال ، وأنّ ليس إلّا النفس الإنسانية كما قال ، وأنه يريد أنّ هذا العمل الذي تجسم فصار ثواباً لا عقاباً هو بعينه ذلك الثواب ، أو ذلك العقاب في نشأة أخرى كان المراد أنّ عمل زيد الذي أوقعته نفسه في النشأة الدنيا هو عقابه ، وهو النار التي تحرقه في النشأة

الأخرى [ الآخرة ] ، وأنّ إيجاده في النشأتين وقبوله لنفسه إيقاعه [ إيقاع ] إيّاه في النشأة الدنيا كما هو رأيه ومراده من كلامه ، وكان المراد أيضاً أنّ قبوله له اتصافه به ، وكل ذلك مقتضى طبيعته ، ولا يكون [ بل يكون ] شيء أشد ملاءمة للشيء مما هو مقتضى طبيعته فيلزمه ، على ما قرر في كتبه خصوصاً في الأسفار أنه لا يكون ذلك عقاباً بل يكون ثواباً لما بينهما من شدة الملاءمة ، ويلزم [ يلزمه ] عدم صحة قوله : ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ ، لأنّ صحة هذا مبني على أنّ فاعل التكوين بقوله : ﴿ كُن ﴾ ، غير فاعل [ قابل ] التكون المعبر عنه بقوله : ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ ، لأنّ الفاعل غير القابل والمعروف في الشاهد أنّ الفاعل غير القابل ، ولو كان الفاعل قابلاً لما يفعله لوجب أن يتعدد الفعل فإنّ جهة الفعل غير جهة القابل ومكان الفاعلية غير مكان القابلية ، وقد قال الرضا عليه السلام : ( **قد علم أولو الألباب أنّ الاستدلال على ما هناك لا يعلم إلّا بما هاهنا** ) انتهى .

وأيضاً إن كانت مادة الثواب أو العقاب من النفس فما المراد من هذه المادة ، هل هي حصة قاطعة لها من ذاتها من ذات النفس أم من أثرها ؟ فإن كانت من ذاتها فما معنى كونها فاعلة له؟ هل هو تحصيصها [ يحصصها ] منها فتكون قاطعة له من ذاتها أم إحداثها منها فتكون والدة لها ؟ وإن كانت من أثرها عادت إلى مبدئها فلا يصح كونها قابلة لها ، ولا فعلها قبولها .

**وقوله : ( وكذلك علوم المبادئ ، إلى آخره ) .**

**أقول** : وكذلك ما حصل لها من علوم [ العلوم ] المبادئ بل والنهايات إذ لا فرق بينهما وما توهّمه من علم التوحيد من كون

الصورة [ المصورة ] المعقولة لا وجود لها إلّا وجود عقل العاقل لها . فإيجادها نفس وجودها ونفس وجود إيجادها وعقل عاقلها لها نفس وجود عاقلها ، وهو [ هي ] معنى اتحاد العاقل بالمعقول [ المعقول بالعاقل ] كما يراه ويعتقده غلط فاحش وقياس غيره عليه أفحش لأن دعوى ذلك في الحق تعالى يصح [ يقبح ] منها أنه تعالى موجد لتلك الصور بفعله ، ولا يصح أنّ وجود فعله عين وجودها بل وجودها أثر فعله والفعل هو الإيجاد والصور [ الصورة ] موجودة تقوّمت بالإيجاد تقوّم صدور ، وتقوّمت بوجودها تقوُّم تحقق يعني تقوُّماً ركنياً ، والموجود غير الإيجاد وهما غير الموجد والصور النفسانية أوجدها الله تعالى بفعله ، وإن كانت بسبب فعل النفس لأنه تعالى هو الموجد ، وهو القائل : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ، فهو تعالى أنزله [ أنزلها ] من خزائنها إلى النفس عند اقتضائها وتقوّمت تلك بفعل الله تقوُّم صدور ، وبوجودها الذي أنزله من الخزائن تقوُّم ركن وتحقق ، وبمتقضى النفس تقوُّم ظهور ، فصور النفس غير فعل الله وغير ما اقتضته النفس .

وعلى ظاهر الحكمة إنما انتزعت النفس تلك الصور من الموجودات الخارجية فهي أظلة للأمور الخارجية ، وقد دل على هذا العقل والنقل كما تقدم مما ذكرنا أنك لا تقدر على أن تذكر شيئاً غاب عنك إلّا إذا التفتَّ بمرآة خيالك إلى مكان إدراكك له أولاً ووقته ، وليس ذلك إلّا أنّ خيالك مرآة تنتقش فيها صورة المقابل [ القابل ] ، وأنّ مقال ذلك الشيء قد كتبته الحفظة في مكان رؤيتك لذلك الشيء ووقتها ، فإذا قابلتها بمرآة خيالك انتقش

[ انتقشت ] فيها صورته فذكرته فيكون ما في خيال ظل الشيء الخارج فإذا عرفت بوجدانك أنك لا تقدر أن تذكر شيئاً حتى يلتفت خيالك بمرآة نفسك إلى مكان ذلك الشيء ووقته فتقابل مثاله فتنتقش فيها صورة ذلك المثال ، عرفت أنه لا يكون في الأذهان إلّا صور الأمور الخارجة فهذا دليل عقلي ووجداني لا يمكن إنكاره .

ومن الأدلة النقلية ما رواه الصدوق في أول علل الشرائع بسنده عن الحسن بن علي بن فضال عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت له : لِمَ خلق الله عزّ وجلّ الخلق على أنواع شتى ولم يخلقه نوعاً واحداً ؟

فقال : ( **لئلا يقع في الأوهام على أنه عاجز ، ولا تقع صورة في وهم أحد إلا وقد خلق الله تعالى عليها خلقاً لئلا يقول قائل : هل يقدر الله عزّ وجلّ على أن يخلق صورة كذا وكذا لأنه يقول من ذلك شيئاً إلا وهو موجود في خلقه تبارك وتعالى فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كل شيء قدير** ) انتهى . وقد تقدم هذا [ هكذا ] مكرراً فراجع .

والحاصل [ الأصل ] أنّ ما حصل له من علوم المبادئ ليس بجهة واحدةٍ حصلت لأنّ جهة الفاعل غير جهة القابل ، وأيضاً ليست حاصلة من النفس ، وإنما حصلت من ظل الخارج ، ولا فيها ، وإنما هي في صدر النفس لأنها صور انتزاعية انتزعتها بمرآتها صوراً ظلية .

والنفس جوهر تنتقش صور المقابل الظلّيّة في وجهها فليست منها ، ولا فيها ، ولو كان قبولها للصور غير استعدادي ، ولا

إمكاني لما فقدت شيئاً وذلك صفة الواجب الحق سبحانه وتعالى ، على أنّ الصور العلمية للحق عزّ وجلّ لا تجوز [ لا نجوز ] أنها منه ، ولا فيه .

والمصنّف أوجب ذلك في القديم [ للقديم ] والحادث فيلزمه [ فيلزم ] أنّ للقديم مثلاً في خلقه ، وهو النفس ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وهو قد ذكر فيما سبق أنّ النفس طبيعة جسمانية فترقّت بحركتها الجوهرية بذاتها حتى تكمّلت في سيرها تدريجياً وإذا قال هنا : ( **إن قبولها ليس معنى القوة الاستعدادية والإمكان** ) ، فقد اعترف ببطلان أحد قوليه .

في قول المصنف : **ومنها أنّ هذه الصور كمالات لموادها . .**

**قال : ( ومنها أنّ هذه الصور كمالات لموادها وموضوعاتها وليست الصور الناشئة من النفس كمالات لها في حصول تلك الصور لها ، وإنما إكمالها في أن تكون بحيث تفعل تلك الصور وتجعلها مدركة لها وبين الاعتبارين فرق ثابت ، وقد بيّن في موضعه أنّ جهتَي القبول والفعل واحدة في لوازم الذات ) .**

**أقول** : هذه الصور كمالات لموادها في الأشياء كما بيَّنا في ذكر الاصطلاح أنّ الهيولى إنما تسمى مادة في الشيء وإذا نظرت إلى الشيء ، كزيد مثلاً ، وجدت الصورة كمالاً لزيد في مقتضى صورته

التي ركب عليها من خير أو شرٍّ ، إذ قبل الصورة لم تكن مادة زيد مقتضية لخير أو شرٍّ ، وبعد انضمام الصورة إليها كان المركّب منهما خيراً أو شراً ، لأنّ الصورة الشخصية هي قابليته [ قابلية ] للخلق [ في الخلق ] الثاني للخير أو الشر ، وإن كانت المادة بانضمام الصورة تنقلب إلى حال ما ، إلّا أنها بالنسبة إليها نفسها قد تنقلب إلى نفس .

وأمّا الصور الناشئة من النفس [ الناس ] فإنها كمالات لها ، أما عنده فلأنها إنما تترقى في مراتب كمالاتها حتى تكون عقلاً بما تكسبه [ تكتسبه ] من العلوم : ( **ما زال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به** ) الحديث .

فالفرق بينهما ، على العكس من مراده ، ولو سلّمنا أنها هي المخترعة للصور لقلنا : هو كمال ، وهذا كمال ألا ترى ما في الشاهد ، هل تجد في تحصيل العلوم لك كمالاً ، ولا تجد في حصولها لك كمالاً ، بل في كل كمال ، ولكنا لا نسلم أنها فاعلة للصور إلا على معنى انتقاشها في وجهها كما مرّ عليك .

**فإن قلت** : إنك لم تجعل الصور في صقع النفس ، وإنما تجعلها في صقع فعلها فكيف تكون كمالاً لها؟

**قلت** : قد برهن ، على معنى ما ذكرنا ، وإن كانت في صقع الأفعال في نظائرها من العلوم ، مثل علم الفقه في مسألة أنّ مكروه العبادة من المندوب وفيما قيل في كون دعاء الشيعة وعبادتهم وورعهم يزيد في درجة أئمتهم عليهم السلام كما يزيد الورق في حسن الشجرة مع احتياج الورق إلى الشجرة ، ولا عكس ، على أنّ

ما نحن فيه أبلغ من التمثيل بل التمثيل [ بالتمثيل ] الحق المطابق ما أشار إلى نوعه إمامنا وسيّدنا جعفر بن محمد عليه السلام ، في قوله : ( **بالحكمة يُستخرج غور العقل وبالعقل يُستخرج غور الحكمة** ) انتهى .

فإن هذه الصور العلمية إذا وجدت للنفس قويت على إيجاد صور غيرها ، على حدِّ قوله عليه السلام المتقدم .

**وقوله : ( وقد بيّن في موضعه )** ، ـ إلى قوله ـ **( في لوازم الذات )** ، فيه إنما ذكروه هؤلاء من حكم لوازم الذات ليس له ثبات ، وإنما هو من فروع وحدة الوجود التي ليس في الحق لها وجود فإنّ إحداث الصور وجعلها مدركة لها لا ينفي [ لا يتقي ] لها تغاير جهة الفاعلية بجهة [ لجهة ] القابلية كما ذكر قبل ، فافهم .

## في قول المصنف : **قاعدة في أنّ باقي الحيوانات هل لها حشر . .**

**قال : ( قاعدة في أنّ باقي الحيوانات هل لها حشر كالإنسان أم لا ، قد أشرنا إلى أنّ لكل جوهر طبيعي حركة ذاتية وخلقاً وبعثاً وبدايةً وعوداً ، والفلاسفة أثبتوا للطبائع عنايات [ غايات ] كما أثبتوا لها مبادئ ذاتية وعود كل شيء إلى ما بُدئ منه . فعود الأجسام إلى القوى وعود القوى إلى النفوس وعود النفوس إلى الأرواح وعود الكل إليه تعالى كما قال : ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ . وقوله : ﴿ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴾ ، فمن علم من أين**

**مجيئه علم إلى أين ذهابه ، لكن الكلام إنما هو في بعث الشخص الجزئي مع بقاء تعيّنه وتشخّصه الجامع للنشأتين وهذا في الإنسان أمر محقق لتجرد نفسه المتعلقة تارةً بهذا البدن المادي الدنيوي وتارةً بذلك البدن الصوري الأخروي ) .**

**أقول** : اتفقوا [ اتفق ] أهل الملل على أنّ بعد هذه الدار لا بدّ من البعث لكل مكلف في دار الجزاء ، ولكنهم اختلفوا في المكلف ، أما الإنسان هو مكلف اتفاقاً باعتبار نفسه ، وأما جسده ففيه الكلام بناء على أنه مكلف فيُعاد ، أو غير مكلف فمن أثبت له شعوراً وإدراكاً للّذة والألم حَكَم بإعادته ، ومن لم يثبت له ذلك فبعضهم حكم بإعادته تبعاً لحكم الوحي وبعضهم حكم بإعادة صورته إذ الشخص بها هو لا بمادته هو ومنهم المصنّف .

وبعضهم نفى الإعادة أصلاً . وكذلك الجن والشياطين والملائكة ، أما الجن فظاهر بعض الروايات أنهم أنواع ، وأنّ الحساب على النوع الكامل منهم ، وهو ما يكون قريباً من ( **أجسام** ) الإنسان .

وروى الصدوق في الخصال عن النّبي صلى الله عليه وآله قال : **( خلق الله الجن خمسة أصناف : صنف حيّات وصنف عقارب وصنف حشرات الأرض وصنف كالريح في الهواء وصنف كبني آدم عليهم الحساب والعقاب ) .**

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : **( الجن على ثلاثة أجزاء : فجزء مع الملائكة وجزء يطيرون في الهواء وجزء كلاب وحيات . والإنس على ثلاثة أجزاء : فجزء تحت ظل العرش يوم لا ظل إلّا**

**ظلّه وجزء عليهم الحساب والعذاب وجزء وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين )** انتهى .

وظاهر التقسيم والتشبيه أنّ ما كان مشابهاً لبني آدم عليه الحساب والعقاب خاصة ، وما سوى هذا النوع فحكمه حكم ما شابهه ، فالحيات والعقارب والحشرات من الجن فحكمهم حكم الحيّات والعقارب والحشرات من غيرهم فمن حكم بحشر الحيّات والعقارب والحشرات لم يفرّق [ لا يفرق ] بين الإنس والجن ، والذين مع الملائكة حكمهم كحكمهم فإنهم هم الذين يُقال لهم الملائكة السفليون والملأ الأعلى الذين يختصمون كما قال تعالى .

ومن تدبَّر في الآيات والروايات ظهر له أنّ كل مخلوق ممّن دخل في مشيَّة الله فهو مكلّف ، بل لا يوجد شيء إلّا بقابلية التكليف ، لأنّ من لم يكلّف لم يوجد لتوقف الإيجاد على القابلية للإيجاد ، إذ لو لم يقبل الإيجاد لم يوجد والقابلية هي تحمل الإيجاد ، والإيجاد هو التكليف ، ومن قبل التكليف وجد بنسبة قبوله ، وكل مكلف إن قام بما يُراد منه استحق الثواب ، ومن أعرض عنه استحق العقاب ، وكل من له ثواب أو عليه عقاب لا بدّ له من إيصاله ما يستحق من الثواب .

وأمّا العقاب فمن لم يعف عنه عوقب ، ومن عفي عنه استحق ثواباً ولو من جهة الفضل فلا بدّ من يوم يقوم فيه العدل ، وهو يوم الفصل فلا بدّ من الإعادة على تفصيل ما يأتي بعض الإشارة إلى بيان نوعه .

وقوله : **( إن لكل جوهر طبيعي حركة ذاتية )** ، اعلم أنّ هذه الحركة لا تختص بالجواهر بل والأعراض ، لأنّ الصانع سبحانه

واحد والصنع واحد والمصنوع واحد كل شيء مثل كل شيء : ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ ، وذلك ، لأنّ كل ممكن فهو مركب من مادة وصورة أما الجوهر فمادته حصة من ذات ، أي : هيولى أو مادة مخترعة لا من شيء وصورته انفعالها أي المادة عند تأثير الفعل فيها .

وأمّا العرض فمادته أثر الفعل أي المعنى المصدري ، أو حصة من لون وما أشبه ذلك وصورته هيئة معروضه [ معروضة ] مثلاً أثر الفعل الضرب وصورته هيئة فعل الضارب إن اعتبرنا قيامه به قيام صدور ، وهيئة انفعال المضروب إن اعتبرنا قيامه به قيام عروض .

وحمرة الثوب مادتها حصة من لون القرمز وصورتها هيئة الثوب ، ولا يُقال هنا إنّ التمثيل مستلزم لانتقال الأعراض الذي قيل بمحاليته لأنا نقول انتقال الأعراض جائز يشهد به الوجدان .

ودعوى أنه لم يزل من محله وإنما انتقل بمعروضه إلى الثوب دليلها دعوى بلا دليل لأنّ معروضها الآن هو الثوب حقيقة وهي محمولة عليه على سبيل الحقيقة لا المجاز ، وتوهم أنه لو انفك عن معروضه عدم إذ لا قيام له بدون [ بلا ] معروض ، لأنّ وجوده نفس وجوده لمعروضه عند المصنّف وأتباعه .

وأمّا وجوده بالمعنى الأول هو المادة ، وقد نبهّناك على نوع أصل مادة العرض .

وأمّا وجوده بالمعنى الثاني فغير مراد هنا لا لهم ، ولا لنا ، فإذا ثبت أنّ كل شيء يرجع إلى أصله لم يختص الجوهر بالحركة بل يرجع العرض إلى أصله كالجوهر ، وإن قيل إنّ أصله الجوهر .

وقوله : ( **والفلاسفة أثبتوا للطبائع غايات** ) ، لثباتهم [ إثباتهم ] ، على الظاهر صحيح إلّا أنه قشري ، لأنّ الأشياء في الحقيقة لا تسير إلى غاياتها بل الله تعالى يسيّرها كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ .

وكذا قوله : ( **وعود كل شيء إلى ما بُدئ منه** ) ، صحيح إلى قوله : ( **وعود النفوس إلى الأرواح** ) .

وأما قوله : ( **وعود الكل إليه تعالى كما قال** : ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ . **وقوله** : ﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾ ) ، ليس بصحيح إذا أراد به عود الكل إلى الذات .

وصحيح إن أراد به عود الكل إلى أمره وحكمه ، كما قال سيد العائدين عليه السلام : ( **كلهم سائرون إلى حكمك وأمورهم آئلة إلى أمرك** ) ، لأنّ العابد يتصل بالعود إليه بنوع من الاتصال ، ومن اللازم أن يكون بين المتصلين إحدى النسب الأربع ويكون بينهما واحد من الأكوان الأربعة الافتراق أو الاجتماع والحركة ، أو السكون متحدين أو متعددين متفقين أو مختلفين ، ولا تقع إحدى النسب أو أحد الأكوان إلّا في الحوادث فلا ينتهي شيء إلى ذات الله بحال وإليه الإشارة بقول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المسماة بالدرّة اليتيمة : ( **رجع من الوصف إلى الوصف وعمي القلب عن الفهم والفهم عن الإدراك والإدراك عن الاستنباط ودام الملك في الملك وانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله وهجم به الفحص إلى العجز والبيان على الفقد والجهد على اليأس والبلاغ على السهام ( القطع ) والسبيل مسدود والطلب مردود** ) ، إلخ .

وقوله : ( **فمن علم من أين مجيئه علم إلى أين ذهابه** ) ، يعني أنه

يعود إلى مبدئه فمعنى كلامه صحيح وعبارته [ عباراته ] غير كاملة وكمالها أن يقول فمن اعتقد أنّ شيئاً من الأشياء مبدأه أعتقد أنه يرجع إليه إذا كان يعلم أن كل شيء يعود إلى ما منه بدأ إذ ليس كل من علم مبدأه علم منتهاه إلّا مع الشرط والاحتمال المجاز في أحد العلمين علم الشرط وعلم الجزاء .

**وقوله** : ( **لكن الكلام إنما هو في بعث الشخص الجزئي** ) ، يعني أنّا لا نتكلم على جنس البعث والمبعوث ونوعهما ، وإنما نتكلم على خصوص البعث للشخص الجزئي لمعلومية العموم ولحصول الاشتباه في الشخص الجزئي مع تعيّنه وتشخّصه في النشأة الأولى والنشأة الأخرى .

أما في الإنسان وما يجري مجراه من الجن والشياطين فهو ثابت لاشك فيه ، لأنّ لهؤلاء نفوساً مجردة عن صفات الأجسام فلأجل تنزهها ترتبط تارة بالبدن المادي الدنيوي ارتباط [ بارتباط ] تدبير وإذا تغير المادي الدنيوي تعلّقت بالبدن الصوري النوراني الأخروي تعلق تقرير فتلزم الصوري حينئذٍ لزوماً قاراً لما بينهما من المشاكلة في اللطافة والثبات .

**وإنما قال** : إنّ تعلّقها بالمادي في الدنيا وبالصوري في الآخرة لما قرر فيما سبق في أصوله وغيرها من أنّ البدن المادي متغيّر متبّدل في كل آن غير مستقر في آنين فلا يصح [ فلا يصلح ] للبقاء ، ولا يبقى .

وأمّا الصوري فعنده أنه غير متغيّر ، ولا متبدل ، فهو يبعث ويحشر الشخص فيه إلى الجنة ، أو النار .

ومما استدل به على هذه الدعوى أنّ زيداً يعفن ويسمن حتى يكون عشرين مناً ، وهو زيد ويمرض ويضعف حتى يكون قدر من واحدٍ ، وهو زيد لان المادة تتغير بالزيادة والنقصان والصورة هي هي لا تتغير والجنة وما فيها وأهلها ، وأبدانهم لا تتغير واللائق لها الصورة لا المادة ولهذا قال : ( **البدني الصوري الأخروي** ) ، وقد قدّمنا الكلام في رد هذا وما يلزمه من أنّ الأعمال إنما هي صفات المواد والمباشر لها والمتّصف بها المواد فلو لم تعد المواد الأولى بعينها لعادت الصور في مواد ، جديدة لم تباشر شيئاً من الأعمال فتأتي لا ثواب لها ، ولا عقاب عليها ، فتنتفي فائدة العود والبعث وتبطل الجنة والنار ، وقد تقدّم بطلان ذلك .

في قول المصنف : **وأما غيره من الحيوانات ففي بقاء نفوسها . .**

**قال : ( وأما غيره من الحيوانات ففي بقاء نفوسها وعودها إلى الآخرة خلاف بين الحكماء والروايات فهي أيضاً متخالفة والآيات فيها متشابهة غير محكمة لاحتمال أن يكون المراد من مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ ، حشر طائفة من أفراد البشر نفوسهم من جنس أرواح الوحوش فحشروا وحوشاً لا أناساً والذي ثبت من طريق البرهان الحدسي هو القول بالتفصيل فكل حيوان يكون له نفس متخيلة متذكرة فوق النفس الحساسة فهو باقٍ بعد الموت محشور إلى بعض البرازخ غير معطّل عن مجازاة ، لأنّ العناية تأبى عن إهمال ما هو بصدد الاستكمال .**

وأمّا حشر النفوس الحاسة [ الحساسة لا ] المتخيلة المتذكرة فكحشر القوى النفسانية إلى مبدئها وُربَّ نوعها كما ذكره معلم الفلاسفة في كتابه في معرفة الربوبية .

وكذلك النفوس النباتية إذا قطعت الأشجار ، أو يبست ، كما ذكره بعض العرفاء ، وحشر المقلدين والأتباع إلى منازل الأئمة والمجتهدين يشبه حشر القوى النفسانية إلى الناطقة كما في قوله تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ .

**وكمثل قوله** : ﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ .

**أقول** : ما سوى الإنسان والجن والشياطين والملائكة فقد اختلف الناس فيه وأصل اختلافهم في أنّ غير ما ذكر مكلف أم لا واختلافهم في التكليف مبني على الاختلاف في أنّ هذه الأشياء من الحيوانات والنباتات والجمادات هل لها شعور وتمييز أم لا ؟

**فقيل** : إنّ الحيوانات والنباتات والجمادات ليس لها عقول ، ولا تمييز والتكليف منوط بأولي العقول وما ليس بمكلف لا فائدة في بعثه ، لما ذكر من أنّ البعث إنما هو للمجازاة على الأعمال بالثواب ، أو العقاب .

**وقيل** : إنّ لها عقولاً ، أو تمييزاً .

وأحب نقل كلمات للسيد نعمة الله الجزائري ، في رسالته التي صنّفها في الطاعون ، وأسبابه وأحكامه ، وإن كانت طويلة لأنه لما ذكر أنّ الوباء والطاعون ينقي الزمان من كثير من الفسقة والظلمة قال : ( **فإن قلت قد ذكرت الحيوانات والجمادات وأغلبها في**

**أحكام التنقية فهل يدخلون في نظام النفوس الناطقة وهل يتحصل لهم شعور وعلم وتكليف؟**

**قلت** : هذه مسألة غريبة والبحث عنها أغرب فالجواب : أنّ النطق والكلام للطيور والحيوانات مما وردت الأخبار متواترة به وكفى بذلك ما حكى الله تعالى في الكتاب المجيد عن النملة وكلامها مع سليمان عليه السلام ، وسمع سليمان عليه السلام عصفوراً يقول لعصفورته : لِمَ تمنعيني نفسك وأنا أقدر على أن آخذ سرير سليمان عليه السلام بمنقاري وأرمي به في البحر فطلبهما سليمان فقال : لا تقدر .

**فقال** : يا نبي الله ، الزوج يعظم نفسه عند زوجته كيلا تطمع فيه .

**ثم قال عليه السلام** للأنثى : لم تمنعيه نفسك ، وهو يحبك؟

**فقالت** : يا نبي الله إنه مدَّع يزعم أنه يحبني ، وهو يهوى غيري فأثّر كلام العصفورة في قلب سليمان ودخل بيته وبقي أربعين يوماً يعني أنّ العصفورة لا تريد الشركة في الحب فكيف يكون سليمان يحب الله تعالى ويحب الملك والسلطان .

وفي الحديث : (**إن القبرة وأنثاها كانا قد اتخذا عشّهما في جواد الأرض عند دنو وقت الفراخ فما شعرا إلا وقد أتى سليمان عليه السلام وعساكره ونزلا بالقرب منهما فخافا على فراخهما فقالت الأنثى : إنّ سليمان نبي كريم ، وهو يحب الهدية وكانا خبآ لأفراخهما تمرة وجرادة فحمل أحدهما التمرة والآخر الجرادة فلما أتيا سليمان عليه السلام بسط يديه فوقع الذكر على اليمين والأنثى على**

**اليسار فتكلما معه وقبل هديّتهما ودعا لهما بخير وأمر عساكره ألا يمروا على طريقهما ثم إنه مسح على رؤوسهما )** ، فكان التاج من مسح سليمان عليه السلام وتسبيحهما في الأسحار لعن الله مبغضي آل محمد صلى الله عليه وآله ، ومن ثم ورد النهي في كراهة ذبحهما .

**وقال عليه السلام : ( لا تدعوا صبيانكم يلعبون بالقنابر ) .**

وأمّا العصفور فورد في الخبر أنه من شيعة عمر بن الخطاب وأنه لما عرضت عليه ولاية أهل البيت عليه السلام لم يقبلها وكذلك الفاختة والرخمة [ الرحمة ] .

وفي الحديث : **( أنه ما صيد الصيد في برٍّ ، أو بحر ، إلّا في حال ترك التسبيح ) .**

وأئمتنا عليه السلام وخواص أصحابهم كانوا يعرفون كلام الطيور والحيوانات ويترجمونها للناس .

**وفي الرواية** : أن الخطاف دلّ آدم على الحواء ، حتى اجتمعا في مكة شرّفه الله تعالى فعاتبه الله على جمعه من فوقه [ فرقه ] الله تعالى فقال الخطاف : إلهي ألست قلت : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ ، ورأيت آدم منفرداً أردت أيضاً أن يكون مع حواء زوجين غيرة مني على وحدانيتك .

**فقال تعالى** : غفرت [ عفوت ] عن قبح [ سوء ] فعلك بحسن عذرك وجعلتك في جوار ذريتك وأمانهم .

وفي الحديث إنّ صوته قراءة سورة الفاتحة ومدّ صوته قراءة الأخير يقول فيه الضالين .

وبالجملة فكلام الحيوانات ولغاتها مما لا ينبغي إنكاره وعدم فهمنا له لا يدل على إنكاره فإنا نرى بعض الهنود يتكلمون بلغة تقع في الأسماع مثل أصوات الخطاطيف من غير حروف ولا تمييز كلمات مع أنها لغة عندهم يتعارفون بها .

وأمّا أنّ لها نفوساً ناطقة بمعنى الشعور والعلم بمصالحها ومضارها ونحو ذلك فذهب إليه قدماء الحكماء والمحققون منهم وصرّح به ابن سيناء في جواب أسئلة بهمنيار .

وقال القيصري في شرح فصوص الحكم : ( **لا تفاوت بين الإنسان والحيوانات في النفوس الناطقة ، ولا دليل على نفيه بل هي دراكة للكليات والجهل بالشيء لا ينافي وجوده وإمعان النظر بما يصدر عنها من العجائب يوجب أن يكون لها إدراك الكليات** ) .

**أقول** : والأخبار ظاهرة ودالة على أنّ لها تكليفاً من التسبيح والتقديس والطاعة لخالقها والقيام بولاية آل محمد صلى الله عليه وآله ومحبتهم وامتثال أوامرهم ونواهيهم .

وروي : ( **أنّ رجلاً من الصحابة مرّ بطريق فغطه ( فعضه ) كلب ومزّق ثيابه فأتى إلى النّبي صلى الله عليه وآله يشكو صاحب الكلب فقام صلى الله عليه وآله مع جماعة من الصحابة وأتوا إلى منزل صاحب الكلب فقال له : إن كلبك جرح فلاناً ومزّق ثيابه فأخرجه حتى نقتله فدخل ووضع في عنقه حبلاً وخرج به فلمّا رآه الكلب سلّم عليه فقال له النّبي صلى الله عليه وآله : لِمَ جرحت هذا الرجل ومزّقت ثيابه؟ فقال : يا رسول الله صلى الله عليه وآله هذا يبغض أهل بيتك وينصب العداوة لوصيك علي بن أبي طالب عليه السلام**

**ونحن معاشر الكلاب أمرنا بأنّ من ينصب العداوة لأهل بيتك نفعل به هذا الفعل فخجل ذلك المنافق وحسن النّبي صلى الله عليه وآله ما فعله الكلب ورجع )** .

وفي حديث : ( **إن بعض الحيوانات نكرت له أمه فنزا عليها ولما فرغ عرفها فعمد إلى ذكره فقطعه بأضراسه** ) .

وينبغي أن تعلم أنّ غاية الإدراك هو الإفراط في المحبة التي يسمى في عرف الناس عشقاً .

وصرّح الحكماء بأنّ من بلغ درجة العاشقين كان من أهل العلم والإدراك وذكروا أنّ الطيور أعشق من الناس حتى أنّ القماري ونحوها إذا مات ذكرها نَعَتْه الأنثى وبكت عليه حتى تموت وكذلك إذا ماتت [ مات ] الأنثى وهذا مشاهد في الخيل والبغال وأضرابهما فإنها تكثر الحنين إلى ما ألفته من جنسها حتى تلقاه .

وذكروا أنّ صاحب قندهار يحارب مع حاكم بخارى لما اصطفّت الناس كان مع كل عسكر أفيال فنظر فيل من أحد العسكرين إلى فيل من العسكر الآخر فعدى نحوه وعدى الآخر إليه فتلاقيا في الميدان ووضع كل واحدٍ منهما خرطومه على خرطوم الآخر وتعانقا طويلاً وسالت الدموع من أعينهما ثم وقعا على الأرض فوجدا ميتين .

وأمّا النبات فذكر الشيخ أبو علي في رسالة صنفها في العشق ( **إن العشق لا يختص بالإنسان بل هو موجود في الحيوانات والنباتات والمعادن** ) .

وفي كتب الفلاحة إنّ النخل يخاف تارة ويعشق أخرى قالوا :

صح أنّ النخلة إذا لم تحمل ضرب في أصلهما [ أصلها ] بفأس ويقول شخص لآخر لأي شيء هذا .

**فيقول الضارب** : دعني أقطعها .

**فيقول** : دعها في ضماني العام فإنّ لم تحمل فاقطعها .

وفي كتاب النفائس إذا زرع شخص أربع نخلات [ نخيلات ] فحسن ثمرهن سنين ثم يبست واحدة لم تحمل مقابلها .

وفيه أيضاً أنّ شخصاً كان له نخل وكانت واحدة منهن تزهر وتسقط قبل الانعقاد ، أو قبل البلوغ فشكا إلى حاذق فجاء حتى نظرها فقال : إنها عاشقة فدعا برصاص فصنع شريطاً وربطه منها إلى نخلة هناك فحسن ثمرها تلك السنة ودامت كذلك .

وإن صاحب البستان قطع [ قلع ] الشريط لينظر ، فأسقطت الزهر فأعاده فصلحت وذكروا من هذا الباب أشياء كثيرة .

وأمّا المعادن فروي في الحديث : (**إن نبياً من الأنبياء مرّ على جبل فرآه يبكي فسأله عن سبب بكائه؟ فقال : منذ سمعت قول الله تعالى** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ ، **فأخاف أن أكون من تلك الحجارة التي تكون من وقود تلك النار؟ فقال : ادع الله أن لا تكون من تلك الحجارة ، فسكن بكاؤه ثم إنّ ذلك النّبي صلى الله عليه وآله عليه السلام مرّ به بعد مدة فرآه يبكي ، فسأله ما هذا البكاء ، وقد أمنت أن تكون من حجارة جهنم ؟ فقال : هذا بكاء الشكر وذلك بكاء الخوف انتهى . والدال على هذا كله قوله تعالى** : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن

**﴿لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ ، حتى أنهم قالوا : إنّ تسبيح الحصى في يده صلى الله عليه وآله وكذلك حنين الجذع الإعجاز إنما هو في إسماع الحاضرين وإلا فكل شيء يسبح الله ، وكل شيء مخلوق يحن إلى النّبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام )** انتهى كلامه في رسالة الطاعون .

وإنما ذكرته مع طوله وعدم اشتماله على ما يناسب المقام من التحقيق لاشتماله ، على آيات وروايات وحكايات .

وأيضاً يدل على ما يوجب التكليف المستلزم للدعوى ، والحق الذي تشهد [ يشهد ] له الآيات والروايات والصحيح من الاعتبارات أنّ كل شيء مكلف ، وكل شيء له عقل وتمييز بنسبة حظه من الوجود فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ .

**فقوله تعالى :** ﴿فَقَالَ لَهَا﴾ ، ولم يقل لهم إشارة إلى جماديتها المعلومة .

**وقوله :** ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ، إشارة إلى تمييزها الموجب لإدخالها في مقام التكليف في جملة العقلاء ولذا لم يقل طائعات .

**ومثل قوله تعالى :** ﴿خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ، ولم يقل يسبحن للإشارة إلى أنّ تكليفهم الذي دخلن به في جملة العقلاء هو يسبحون في فلك .

وكل موضع من القرآن ذكر فيه النباتات والجمادات في مقام التكليف ذكرها لضمير [ بضمير ] العقلاء مثل قوله : ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ ، ولم يقل تسبيحهن .

ومثل : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ ، ولم يقل داخرات .

ولهذا ساوى بين الإنسان وبين سائر الحيوانات في موجب التكليف ، وفي التكليف ، وفي فائدة التكليف وغايته في كتابه فقال : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ، فذكر غاية التكليف لكل روح ، بأنه يحشر إلى ربّه المربي له بما يوجب حشره إليه ليوصل إلى ثمرة فعله الذي هو فائدة التكليف وغايته .

وذكر موجب التكليف في قوله : ﴿ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ ، حكمهم كحكمهم لمشاركتهم لكم في مناط التكليف الذي هو تمييز الصلاح من ضده والخير من ضده بنسبة رتبتهم من الوجود .

وذكر التكليف في قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ، وأمثال ذلك من الآيات .

وأمّا الأخبار الدالة على المدّعي فكثيرة لا تكاد تحصى بل لا يكاد يوجد منها شيء يخالف إلّا ما كان وجه الموافقة فيه ظاهراً في الظاهر والباطن ، وقد ذكرنا فيما سبق ما يدل على ذلك تلويحاً وتصريحاً من الكتاب والسنّة وأدلة العقل ما فيه كفاية لمن عرفه مثل ما أشرنا إليه من أنّ كل شيء إنما خلقه الله من الوجود المخترع الذي لم يكن شيئاً قبل الاختراع ، ولا ذكر له قبل الاختراع [ ذلك ] ولم يخلق الله تعالى شيئاً إلّا من الوجود المخترع ، وهو قسمان : وجود موصوفي ووجود وصفي .

والوجود الوصفي خلقه الله تعالى من الوجود الموصوفي وحكمه

في كل شيء حكم موصوفه بنسبته لأنه من نفسه من حيث نفسه إلّا أنه تابع له فيما يعطيه من فواضله .

والوجود الموصوفي الذي هو الذات ، هو أول أثر فاض من فعل الله فهو أثر فعل العالم القادر المختار فيكون عالماً قادراً مختاراً كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ ، إلّا أنه فعل المختار والأثر يشابه صفة مؤثره التي هو أثرها فكان ذلك الوجود المحدث من فعله تعالى نوراً ، ولا علم له ، ولا اختيار له .

والوجود الوصفي تابع لموصوفه في كل ما للموصوف بنسبته .

والوجود الموصوفي صفوته الإنسان وغير الإنسان من فاضله فهو أنزل منه رتبة في جميع تلك الصفات فمن دون الإنسان فيها الجن والملائكة ، ومن دونهم سائر الحيوانات ، ومن دون الحيوانات سائر النباتات ، ومن دون النباتات سائر الجمادات ، ومن دون الموصوفات صفاتها كل صفة دون موصوفها بنحو سبعين درجة فكل صفة فيها من جميع ما في موصوفها واحدٍ من سبعين فأنزل الجمادات بل أنزل صفاتها فيها ما في أعلى الإنسان بنسبتها .

ومثال ذلك السراج فإنه بمنزلة أمر الله الذي قام به كل شيء ، وكل شيء من الصفات والموصوفات بمنزلة أشعة السراج ، وكل ما قرب من الأشعة من السراج كان أشد نوراً وحرارة ويبوسة من الشعاع إلّا بعد منه من السراج حتى تنتهي إلى آخر الأشعة وأبعدها من السراج ، وهو الذي ليس بعد إلّا ظلمة بحت. فأقربها إلى السراج أشدها [ أمثلها ] في آثار صفات السراج وأبعدها أضعفها

في آثار صفات السراج وما بينهما بالنسبة وكلها تستمد من إشراق السراج فجميع ما في أقواها يوجد في أضعفها بنسبته فهذا مثال الأشياء .

فالإنسان كالشعاع الأقرب من السراج والجمادات بل صفاتها كالشعاع الأبعد من السراج ، فكل ما في الإنسان من العقل والشعور والاختيار فهو موجود في الجمادات وصفاتها بنسبة حظها من الوجود. فكل شيء مخلوق مكلف وإلا لما خلق كما تقدم .

وكل مكلف يحشر إلى ربّه في أحد الأوقات الأربعة ، على ما نبينه لك ، على نحو الاختصار إن شاء الله تعالى .

إما في الدنيا ، أو في البرزخ ، أو في الرجعة ، أو في القيامة وذلك ، لأنّ كل شيء يصير إلى ربّه في آخر ما قُبل منه في التربية فبعض الجمادات والأعراض كبعض الألوان .

والحركات تحشر إلى ربّها ثمرة ما ربّاها به من الدنيا وبعضها في البرزخ وبعضها في رجعة محمد وأهل بيته صلى الله عليه وآله وبعضها يوم القيامة ، لأنّ يوم الحشر يوم المجازاة على الأعمال فإذا كان شيء مجازاته في الدنيا وكان له ربط بمن مجازاته في الآخرة لا بد أن يرجع في الآخرة .

**مثاله** : روي عنهم عليهم السلام ما معناه أنه سئل أنه قد يكون في بعض التمر تمرة فيها سواد كالرماد ما أصل هذا؟

قال عليه السلام : ( **إن تلك التمرة تركت ذكر الله تعالى ذلك اليوم فأرسل عليها ملكاً فضربها بمنقاره فكانت هكذا** ) انتهى .

فهذه التمرة يوم حشرها إلى ربّها ساعة أرسل عليها الملك فضربها بمنقاره فأفسدها وليس لها يوم مجازاة حشر [ تحشر فيه ] إلى ربّها غير ذلك اليوم . نعم كان لها ربط بإنسان حشرت يوم القيامة لمجازاة ذلك الإنسان كما لو جمع منها زيد شيئاً في إناء مغطى الرأس وباعه من عمرو بقيمة الصحيح غاراً له بمحضر بكر وخالد والإناء معروف عند الجميع لا تشتبه معرفته على أحد من الأربعة ، وبعدما مضى به عمرو فتحه في بلية [ بيته ] وإذ الذي فيه من التمر باطل لا قيمة له فرجع على زيد فأنكر زيد ذلك وحلف عليه بأنّ هذا ليس هو التمر الذي باعه إياه مع اتفاقهم على أنّ هذا هو الإناء وأنكر زيد وحلف فإنه يأتي زيد يوم القيامة وعمرو وبكر وخالد وذلك الإناء عند عمرو بعينه وبما فيه من التمر الفاسد بعينه الذي كان في الإناء يوم القيامة يوم البيع في ساعة البيع والإناء إن كان من البيع [ المبيع ] مع التمر كان عند عمرو وإلا فالإناء عند زيد ويحشر ذلك المكان الذي وقع فيه البيع في تلك الساعة من ذلك اليوم .

والأربعة ، على هيئتهم من قيام أو قعود حال البيع فيفتح الظرف وترى فهي تلك التمرات الباطلة بحيث لا يشك أحد منهم في شيء مما كان ، لأنّ ساعة البيع والمتبايعين والشاهدين وهيئتهم والمبيع وهيئاته حاضرة يوم القيامة والحساب ، لأنّ الدنيا لما فيها مما له ربط بالحساب يوم القيامة تحشر بعينها في الوقت الأول بعينه فكما أنك أنت الآن في الدنيا بعينك المحسوسة هذه تعاد أنت بذاتك لا بدّ لك كما توهم [ توهّمه ] المصنّف كذلك تعاد الأوقات والأمكنة بعينها لا بدلها .

ومن أنكر هذا لزمه أنه لم يقل بالمَعاد الجسماني ، ونظير ما قلنا : إنّ الشمس ردّت للنبي يوشع بن نون (**على محمد** [ نبّينا ] **وآله عليه السلام**) ، في قتال الجبارين ، فصلى بعد ما غربت الشمس أداء .

وردت لأمير المؤمنين عليه السلام عندنا مرتين مرة حين كان رأس رسول الله في حجره في مرضه الذي توفي فيه بعدما غرب [ غربت ] وصلى الناس المغرب وهو عليه السلام لم يصلِّ الظهرين فدعا فردت إلى محل خمس وأربعين درجة من الأفق الغربي فصلى الظهرين أداء .

والمرة الثانية حين تجاوزه من بابل وإلى الآن محله حين ردت له قريباً من الحلة ، وقد بنى هناك منارة إلى الآن ، وهو سنة تاريخ تأليف هذا الشرح سنة ست وثلاثين بعد المئتين والألف من الهجرة هي موجودة فصلى الفرضين أداءً لا قضاءً كما توهّمه بعض من يتكلم بما لا يعلم ، ولا يفهم ركوناً إلى ما يقولون أمس الدابر لا يعود ، وأنّ الزمان غير قار الذات وما أشبه هذه الألفاظ التي يؤولونها [ يلوكونها ] ، ولا يفهمونها .

فبالله العجب الوقت الذي وجد كأمس دخل في ملك الله هل خرج من ملك الله فأين يذهب [ تذهب ] ولكن أكثرهم يجهلون .

وقد وردت أخبار كثيرة مصرّحة بإعادة الأوقات والأمكنة من الدنيا يوم القيامة فمن ذلك ما رواه في البحار عن تفسير الإمام عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (**أما أن الله عزّ وجلّ كما أمركم أنّ تحتاطوا لأنفسكم وأديانكم** [ إلى

أنفسكم وأياديكم ] **وأموالكم باستشهاد الشهود العدول عليكم فكذلك قد احتاط على عباده ولكم في استشهاد الشهود عليهم فلّله تعالى على كل عبد قياد من خلفه ومعقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ويحفظون عليه ما يكون منه من أعماله وأقواله ألفاظه وألحاظه والبقاع التي تشتمل عليه شهود ربّه له وعليه والليالي والأيام والشهور شهوده عليه ، أو له وسائر عباد الله المؤمنين شهود عليه ، أو له وحفظته المكاتبون** [ الكاتبون ] **شهود له ، أو عليه فكم يكون يوم القيامة من سعيد بشهادتها له وكم يكون يوم القيامة من شقي بشهادتها عليه . إن الله عزّ وجلّ يبعث يوم القيامة عباده أجمعين وإماءه فيجمعهم في صعيد واحدٍ ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي ) .**

ويحشر الليالي والأيام ويستشهد البقاع والشهور على أعمال العباد فمن عمل صالحاً شهدت له جوارحه وبقاعه وشهوره وأعوامه وساعاته وليالي الجمع وساعاتها وأيامها فيسعد بذلك سعادة الأبد .

ومن عمل سوءاً شهدت عليه جوارحه وبقاعه وشهوره وأعوامه وساعاته وليالي الجمع وساعاتها وأيامها فيشقى بذلك شقاء الأبد فاعملوا ليوم القيامة وأعدّوا الزاد ليوم الجمع يوم التناد وتجنبوا المعاصي فبتقوى الله يرجى الخلاص فإنّ من عرف حرمة رجب وشعبان ووصلهما بشهر رمضان شهر الأعظم شهدت له الشهور يوم القيامة وكان رجب وشعبان وشهر رمضان شهوده بتعظيمه لها .

**وينادي مناد** : يا رجب ويا شعبان ويا شهر رمضان كيف عمل هذا العبد فيكم وكيف كانت طاعته لله تعالى فيقول رجب وشعبان

وشهر رمضان : يا ربنا ما تزوّد بنا إلّا استعانةً على طاعتك واستمداداً لمراد [ لمزاد ] فضلك ولقد تعرض بجهده لرضاك وطلب بطاقته محبتك فقال للملائكة الموكلين بهذه الشهور ما تقولون في هذه الشهادة لهذا العبد .

**فيقولون** : يا ربنا صدق رجب وشعبان وشهر رمضان ما عرفنا إلّا متقلباً [ متلقياً ] في طاعتك مجتهداً في طلب رضاك صائراً فيه إلى البرّ والإحسان ولقد كان بوصوله إلى هذه الشهور فرحاً مبتهجاً منجحاً أمل فيها رحمتك ورجا فيها عفوك ومغفرتك وكان مما منعته فيها ممتنعاً ، وإلى ما ندبته إليه فيها مسرعاً لقد صام ببطنه وفرجه وسمعه وبصره وسائر جوارحه ولقد ظمأ في نهارها ونصب في ليلها وكثرت نفقاته فيها على الفقراء والمساكين وعظمت أياديه وإحسانه على عبادك ، صحبها أكرم صحبة وودعها أحسن توديع أقام بعد انسلاخها عنه على طاعتك ولم يهتك عنه أدبارها ستور حرماتك فنِعمَ العبد هذا ، فعند ذلك يأمر الله تعالى بهذا العبد إلى الجنة . . . ) ، الحديث ، وهو طويل ، فانظر إلى صراحة هذا الحديث الشريف في حشر الأوقات والأمكنة ، وكل ما توقف عليه الشهادة العيانية فبه عليه [ فيه علية ، فيه غلبة ] ، لأنّ التقرير في يوم القامة لا بدّ أن يكون على أكمل وجه ، وأكمل وجه ما يكون بنفس الشيء المختلف كما هو هو ، وهو الشيء بنفسه .

**مثال ذلك** : إذا سرق عمرو من دكان زيد في سوق بغداد يوم الخميس رمانة حشر يوم القيامة دكان زيد في سوق بغداد يوم الخميس وحشر عمرو وتراه الناس مادّاً يده إلى دكان زيد آخذاً للرمانة المسروقة في الدنيا بعينها في الوقت الذي أخذها فيه في

الدنيا كما أنك إذا رأيته في الدنيا سارقاً للرمانة من ذلك الدكان المعين في الوقت المعين فإنك ما دمت حيّاً كل ما ذكرته رأيته أخذاً لتلك الرمانة من ذلك الدكان في الوقت المعلوم فكلما ذكرته أحضرت الكل في ذهنك بلا تغيير [ تغير ] أبداً فذلك هو الذي يبعثه الله تعالى بجميع أحواله وأشخاصه : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، وما ذكرته بجميع شقوقه ضروري قطعي لأهل توفيق الله .

وقول المصنّف : ( **لاحتمال أن يكون المراد من مثل قوله : ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ ، طائفة من أفراد البشر نفوسهم من جنس أرواح الوحوش فحشروا وحوشاً لا أناساً** ). الاحتمال صحيح ، ولا ينافي حشر الوحوش الظاهرة فمن حصر معنى الآية في هذا المعنى الباطني فقد أبطل وأخطأ كخطاء من حصرها على الوحوش الظاهرة ، لأنّ القرآن له ظاهر وباطن وكلاهما صحيح ومما تواتر معناه بين المسلمين أنه يوم القيامة يقتص للجماء من القرناء ، وقد نطق نص الكلام [ كتاب ] المجيد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ ومما عبد من دون الله هبل ، وهو حجرة منحوتة والآن هو مدفون عند المسجد الحرام في باب السلام باب بني شيبة حتى إذا دخل الحاج المسجد للطواف يطأ عليه لكونه [ لأنه ] عبد من دون الله وإلا لكان مظلوماً والعدل الحكيم لا يعذّب من لم يقع منه تقصير ، وقد قدّمنا من الإشارة إلى تمييز الجمادات وأنها مكلفة من الأخبار ودليل العقل ما فيه كفاية لأولي الأبصار .

وقوله : ( **والذي ثبت عندي من طريق البرهان الحدسي هو القول بالتفصيل** ) ، يريد به أنّ بعض الحيوانات لها تصورات جزئية لأنها

لها نفوساً متخيلة متذكرة وما كان كذلك فإنها تحشر إلى مقابل إدراكاتها ومسامتها من البرازخ فإنّ تلك التصورات من نحو رتبتها أي رتبة ما تعود إليه وما ليس لها ذلك فلا عود لها .

والحق أنّ كل حيوان فله تصورات وتخيلات لما فيه صلاح معاشه ونظام نوعه وأي حيوان لا يميز طعامه مما يشابه لونه مثل التيس الذي هو شديد الغباوة يميز العلف الأخضر من الثوب الأخضر الذي لونه مثل لون الحشيش وإذا نقل من مكان مربطه ، أو موضع معتلفه إذا ترك يمضي إلى مكانه ومحل معتلفه لأنه يتصوّر ذلك ويتصوّر محل شهوته فيعرف الأنثى من الذكر ويخاف مما فيه مظنة هلاكه ، أو ضرره ويعرف من الناس من أَلِف به ممّن لم يألف به .

وبالجملة لا ينفك حيوان عن الصور [ التصوّر ] بل قيل إنها تدرك الكليات ، لأنّ لها نفوساً ناطقة ، نعم الأمر كذلك لأنها من فاضل أصحاب النفوس الناطقة ولكن نفوس [ نفوسها ] الناطقة بنسبة رتبتها من الوجود فهي ناقصة لضعفها وانحطاطها عن النفوس الناطقة الإنسانية فإذا حصل لها متمم نطقت كما تكون لبعض الحيوانات عند صاحب المعجز فإنه بفاضل نورانيته ربما تمّمها [ تممها ] فنطقت وأظهرت آثار الأفهام الإنسانية من المعارف والآثار العقلية وهذا في الحيوانات كثير بل وفي الجمادات والنباتات .

والحاصل الطريق إلى معرفة ما نشير إليه وإدراكه . إما العقل وإمّا النقل ، فأما العقل فيكفي صاحب العقل ما مثّلنا به من السراج وأشعته فتأمل فيه ، وإن أردت الزيادة فعليك برسالتنا الفوائد وشرحنا عليها .

وأمّا النقل فهو في الحيوانات والمعادن والجمادات أكثر من أن يُحصى من الكتاب والسنة .

**وقوله** : ( **فهو باقٍ** ) ، فنقول عليه أي شيء باقٍ بعد قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ ، فإن أريد وجه الشيء فقد اشتركت الأشياء فيه فكل الأشياء فانية ، وكل وجوهها باقية فلا تفصيل .

وإن أريد أنّ وجه الله بمعنى ذاته فكل الأشياء فانية ، ولا تفصيل .

وإن أريد وجه الله الذي تتوجه إليه الأولياء فكذلك .

وأيضاً أي شي فإنّ والله تعالى يقول : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ ، على أنّ العناية تأبى عن إهمال ما هو بصدد الاستكمال وأي فقير لم يكن مادّاً ليد السؤال من الكريم الفعال القابل : ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ ، وهو تعالى سبب من لا سبب له وسبب كل ذي سبب ومسبّب الأسباب من غير سبب ففي نفس الأمر كل شيء راجع إلى ما منه بُدئ رجوع مجاورة ، وهو كل شيء يدرك الأمور الكلية من الإنسان وغيره لأنه لا يزال متعينا متميزاً فهو باقٍ في تعينه وتشخّصه وتميّزه ، وكل شيء انحطّ عن تلك الرتبة فهو راجع إلى مبدئه رجوع ممازجة فهو باقٍ لمبدئه لا لنفسه . فاستكمال ذوي النفوس المدركة طلب الاستمداد للبقاء في تشخّصها لا نفسها واستكمال ما دونها طلب الاستمداد للبقاء في مبدئها إذ كل شيء مخلوق فقير إلى الغنى المطلق تعالى في استمداد الحميد وكل شيء محشور إلى مبدإ استمداد بقائه وهذا معنى ما ذكره معلم الفلاسفة كما ذكره المصنّف .

ومعنى ما ذكره المصنّف أيضاً في النفوس المتخيلة والنفوس

الحساسة ، وهو معنى ما ذكره معلم جميع الخلق جميع الحق أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله فيما تقدم من كلامه للأعرابي الذي سأله عن النفس حيث جعل عليه السلام النفس النباتية والنفس الحيوانية الحساسة الفلكية كلًّا منهما اذا فارقت عادت إلى ما منه بدئت عود ممازجة لا عود مجاورة والنفس الناطقة إذا فارقت عادت إلى ما منه بدئت عود مجاورة .

وقول معلم الفلاسفة وكذلك النفوس النباتية إذا قطعت الأشجار ، أو يبست يعني أنها تعود وتحشر إلى أصلها كحشر القوي النفسانية إلى مبدئها ورُبَّ نوعها .

والمعروف من عود الشيء إلى أصله أنه [ لأنه ] إن كان مركباً عاد كل جزء منه إلى أصله لأنه أي المركب لم يكن مأخوذاً من أصلٍ مركب ليعود المركب الثاني إلى المركّب الأول المأخوذ منه ، وإنما أخذ الثاني من مفردات الأول ، فالنفس النباتية جزء من النار وجزء من الهواء وجزآن من الماء وجزء من التراب فإذا اجتمعا ونضجا بطبخ حرارة الفصول والكواكب واعتدلت الأجزاء واعتدل طبخها ونضجت الأجزاء وتلطفت حتى كانت في لطافة سماء الدنيا تعلقت بها نفس سماء الدنيا التي هي نفس الحياة فتحركت ، فإذا فارقت عاد الجزء الناري إلى النار والهوائي إلى الهواء والمائي إلى الماء والترابي إلى التراب ، فإذا عاد جزء إلى أصله امتزج به بحيث لا يمكن تميزه منه إلّا لخالقه تعالى وعادت نفسه إلى نفس الفلك وامتزجت به كامتزاج الجزء المائي بالماء ، فالقِوَى النفسانية الإشراقية حكمها في العَوْدِ إلى ما منه صدّت حكم أجزاء النباتية كما سمعت من أنها تعود عود ممازجة .

والقوى النفسانية الأركانية إذا فارقت عادت إلى ما منه بُدئت عود مجاورة كالنفس الناطقة في عودها فعود [ وعود ] النباتية التي في الشجرة ، وفي أغصانها إلى ما منه بُدئت كعود القوى النفسانية الإشراقية لا كعود القِوى النفسانية الأركانية وعود المقلدين إلى المجتهدين كعود الأركانية وعود المجتهدين والمقلدين والأتباع إلى الأئمة عليهم السلام كعود الأركانية في الظاهر يعني عود مجاورة وكعود الإشراقيه في نفس الأمر .

وما في قوله تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ، كحشر المجتهدين والمقلدين والأتباع إلى الأئمة عليهم السلام .

في قول المصنف : **ختم ووصية ـ يقول هذا العبد الذليل . .**

**قال : ( ختم ووصية ـ يقول هذا العبد الذليل : إني أستعيذ بالله ربّي الجليل في جميع أقوالي وأحوالي ومعتقداتي ومصنّفاتي من كل ما يقدح في صحة متابعة الشريعة التي أتانا بها سيّد المرسلين وخاتم النبيين عليه وآله أجزل صلوات المصلين ، أو يشعر بوهنٍ بالعزيمة والدين ، أو ضعفٍ في التمسك بحبل الدين لأني أعلم يقيناً أنه لا يمكن لأحد أن يعبد الله كما هو أهله ومستحقه إلّا بتوسط من له الاسم الأعظم ، وهو الإنسان الكامل المكمل خليفة الله بالخلافة الكبرى في عالَمَيْ الملك والملكوت الأسفل والأعلى ونشأتَيْ الأخرى [ نشأتهما الآخرة ] والأولى ) .**

**أقول** : أحاديثنا التي نرويها [ مروية ] عن أهل العصمة أئمتنا عليهم السلام مختلفة في مثل حال المصنّف الذي أكثر اعتقاداته التي وقفنا عليها في كتبه مخالفة لكلام الأئمة عليهم السلام ومذهبهم مثل قوله بأنّ الوجود يصدق على القديم والحادث من باب الاشتراك المعنوي ، لأنّ الأشياء من سنخ ذاته تعالى ، وأنّ بسيط الحقيقة كل الأشياء ، ويريد ببسيط الحقيقة هو الله تعالى ، وأنّ معطي الشيء ليس فاقداً له في ذاته فإذا قيل له : الله تعالى أعطاني هذه العصا هو تعالى ليس فاقداً لها في ذاته ، قال : نعم بنحو أشرف ، وأنّ وجودات الأشياء ليست خارجة عن ذاته والأشياء الموجودة في الخارج أظلّة لتلك الحقائق انحطت عنها كانحطاط الأظلة عن الشاخص .

وأن الماهيات الثابتة في علمه الذي هو ذاته أعني ماهيات الأشياء هي شؤون الذات ولوازمها التي لا يمكن تصوّر انفكاكها عن الذات هي ليست مجعولة ، ولا يطرأ عليها التغيّر والتبّدل .

وأن الصور المعقولة متّحدة بعاقلها والمفعول متّحد بالفاعل والمحسوسة متّحدة بالحاس .

وأن الصور المحسوسة المتعلقة بالمواد ليست معلومة له بالذات وإنما هي معلومة له بتبعية حقائقها المتحدة به .

وأن أهل النار يؤول أمرهم على النعيم وأنه تعالى ليس له إن شاء فعل وإن شاء ترك ولهذا منع أن يكون الله فاعلاً بالقصد ، وإنما هو فاعل بالعناية بمعنى أنّ علمه بوجه الخير والصلاح ويكون فعله تابعاً لعلمه بوجه الخير مع [ من ] غير قصد زائد ، على علمه كما تقدم .

ويكون معنى كونه عنده مختاراً أنه إن شاء فعل ، وإن لم يشأ ترك [ لم يفعل لم يفعله ] ، وبينا فيما سبق أنّ هذه العباة تنافي الاختيار ، وإنما عدل عن العبارة المعروفة لأجل نفي القصد الزائد على العلم لما يلزم من اعتبار القصد عنده من المفاسد ، وقد ذكرنا فيما سبق جواب ما توهمه .

وأن المَعاد الجسماني عبارة عن إعادة الأشخاص [ الأشياء ] بصورهم لا بموادهم ، لأنّ المواد تتبدّل وتتغيّر ، ولا تبقى بخلاف الصور .

وأن علم الله بالأشياء مستفاد من الأشياء .

وأنه تعالى ليس له أن يهدي جميع الخلق إذ ليس له في الأشياء إلّا وجه واحد .

وأن جنّة زيد المؤمن وجميع ما فيها من القصور والولدان والحور والمطاعم والمشارب والمناكح والحلي والحلل وجميع أنواع النعيم التي أعدها الله تعالى له كل ذلك وجودها عبارة عن وجودها لأنها كلها من قبيل نياته ومعتقداته فليس لها وجود إلّا وجوده ، وأمثال هذه من اعتقاداته ، ومع هذا كله يقول : ( **أستعيذ بالله ربّي الجليل في جميع أقوالي وأحوالي ومعتقداتي ومصنّفاتي من كل ما يقدح في صحة متابعة الشريعة التي أتانا بها سيّد المرسلين وخاتم النبيين عليه وآله أجزل صلوات المصلين ، أو يشعر بوهني العزيمة والدين ، إلخ** ) .

والروايات المتكثرة دالة بصريحها على أنّ القائل بهذه المقالات وأمثالها كافر ومشرك .

وظاهر كلام العلماء ذلك في حق القائل بهذه المقالات ، نعم رُوي عن الباقر عليه السلام ما معناه : **(لو أنّ رجلاً سمع الحديث يُروى عنا ولم يعقله عقله وأنكره وكان من شأنه الرد إلينا فإنّ ذلك لا يكفره)** انتهى .

ومعلوم بأنّ مثله لا يريدون خلاف أئمة الهدى عليهم السلام ، وإنما دخلوا في هذه المقالات الباطلة لأنهم قرؤوا كتب الفلاسفة والصوفية ووجدوا فيها رموزاً وإشارات وتدقيقات وأنسوا بها أولاً فلما نظروا في كلام الأئمة عليهم السلام ، ووجدوا مخالفاً لما ذكره أولئك ، أولوا كلام الأئمة عليهم السلام على ما يطابق مرادات الحكماء والصوفية لتوهّمهم صحة كلام أولئك حيث ذكروا أدلة من المجادلة بالتي هي أحسن دخلت في أذهان هؤلاء فاعتقدوا صحة كلامهم وكلام أئمتنا عليهم السلام أغلب أدلته من أدلة الحكمة وهي غير مأنوسة لأنها جارية على الفطرة والبداهة وتستبعد النفوس بيان هذه المطالب العالية بهذه الأدلة التي ليس فيها غموض وتوهّموا أنّ هذه المطالب الغامضة ما تكشف عنها إلّا الأدلة المعقدة المشبكة فاعتمدوا على أدلة أشباههم .

وقوله : **(لأني أعلم يقيناً أنه لا يمكن لأحد أن يعبد الله كما هو أهله ومستحقه إلّا بتوسط من له الاسم الأعظم ، إلخ)** ، فاعتقد أنّ الأنبياء المتقدمين ، على محمد وآله وعليهم السلام ممّن لهم الاسم الأعظم والحكماء الأجلّة الثقاة الذين أفنوا أعمارهم في القراءة عليهم عليهم السلام فلاشك عنده أنهم عرفوا الله حق معرفته التي يمكن أن ينالها البشر مع ما يشاهد من انقطاعهم وصرف جميع

أعمارهم في أخذهم العلم عن الكمّل الذين لهم الخلافة الكبرى في عالم الملك والملكوت .

وأقول الأمر في حق الأنبياء عليهم السلام كذلك ولكنه ما أخذ عنهم مشافهةً ، وإنما أخذ من الوسائط مع بعد الزمان وطوله وأئمتنا عليهم السلام أتوا بعدهم وهم أعلم من أولئك توسطاً وواسطة وأضبط أخذاً عن الله فالذي ينبغي ترجيح قولهم وعلمهم ونقلهم ولأنهم مجددون لما درَس وحافظون لما تلف وكاشفون لما ستر فالأولى تأويل كلام غيرهم إلى كلامهم لا العكس .

**فإن قلت** : إنّ كلام أولئك مطابق للعقول وكلام الأئمة عليهم السلام بعيد عنها فلذا وجهوا البعيد عن العقول إلى القريب إليها؟

**قلت** : الأمر ، على العكس ، لأنّ كلام الأئمة عليهم السلام جاري على الطبيعة بخلاف كلام أولئك .

**فإن قلت** : هذا وجداني ، فإنّا نجد كلام أولئك أقرب؟

**قلت** : ليس كذلك فإنّي أجد كلام الأئمة عليهم السلام أقرب إلى فهمي من كلام أولئك .

والسرّ فيه أني ما اشتغلت بكلام أولئك واصطلاحاتهم فما وقع علي الكلامان قبل فهمي كلام الأئمة عليهم السلام لأنه جارٍ على الفطرة وفهمي كان على فطرته ما حصل له شيء آخر قبل هذا حتى تغير عن فطرته .

وأمّا مثل المصنّف ما وصل إليه كلام الأئمة عليهم السلام إلّا

بعد ما وصل إليه كلام الأغيار فاعوجّت به طبيعته وتبدّلت به فطرته وانحرفت به سليقته فلما وصل إليه كلام أئمة الهدى عليهم السلام لم ينطبق على فطرته لأنها مغيّرة وكان يعلم أنهم عليهم السلام على الحق من دليل خارج فاحتاج إلى تأويل كلامهم عليهم السلام .

والحاصل ظاهر حديث الباقر عليه السلام صادق عليه لأنه كان من شأنه الرد إليهم والله سبحانه أعلم بعواقب الأمور .

في قول المصنف : **وأوصيك أيها الناظر في هذه الأوراق أن تنظر . .**

**قال : ( وأوصيك أيها الناظر في هذه الأوراق أن تنظر فيها بعين المروة والإشفاق وأنشدك بالله وملكوته وأهل رسالاته أن تترك عادة النفوس السفلية من الألف بما هو مشهور بين الجمهور والتوحش عمّا لم تسمعه من المشايخ والآباء ، وإن كان مبرهَناً عليه بالحجة البيضاء فلا تكن ممّن ذمّهم الله على التقليد المحض من غير برهان في مواضع كثيرة في القرآن كقوله :** ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ ﴾ ، **فإيّاك أن تجعل مقاصد الشريعة الإلهية وحقائق الملّة الحنيفة مقصورة على ما سمعت من معلميك وأشياخك منذ أول إسلامك فتجمد دائماً على عتبة بابك ومقامك غير مهاجر إلى ربّك بل اتبّع ملّة أبينا الحقيقي إبراهيم حنيفاً مسلماً حيث قال لأبيه المجازي : يا أبت :** ﴿ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ ﴾ **، وقال :** ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ **، فاذهب إلى ربّك وسافر من بيت**

**حجابك وعتبة بابك مهاجراً إلى الله ورسوله لترى من آيات الجبروت وعجائب الملكوت ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، فإن أدركت الموت في هذا السفر فأجرك على الله لقوله : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ، الآية ) .**

**أقول** : إن المصنّف أوصاك أن تنظر في كتابه هذه بعيني المروّة يعني أنك لا تسرع بالرد ، ولا تكذب بما لا تعلم فإنّ ذلك خلاف المروة فإنّ من المروءة أنّ تتأمل في أنّ هذا الرجل ما تفرّد بشيء لم تقل به غيره ، بل اتّبع خلقاً كثيراً وطابق في هذه المطالب جمّاً غفيراً وتنظر بعين المحبة ، فإنّ المحب ربما يرى في الكلام على الظاهر خطأ وإذا نظر بعين المحبة أمعن نظره في تحصيل وجه مصحح ثم أقسم عليك وسألك بالله وملكوته ، وهو صفاته الذاتية عنده لأنها مغايرة للذات في المفهوم .

وأمّا عندنا فملكوته صفات أفعاله وأمثاله العليا وهي ما ظهر بها على عرشه فخلق ورزق وأمات وأحيا .

وأهل رسالته أنبياؤه والوسائط في الأداء والتبليغ إلى خلقه سألك بذلك أن تترك عادة النفوس السفلية الحيوانية الفلكية ، أو الطبيعية من كونها إذا أنسَت بشيء صعب عليها مفارقته ، وإن تبيّن لها عدم صحته بل تتكلف تصحيحه خصوصاً إذا كان مشهوراً بين جمهور العلماء وسألك بذلك أن تترك التوحش عن كل شيء لم تسمعه من مشايخك ، لأنّ النفوس السفلية حريصة على ملازمة ما سمعته من مشايخها بل ربما تأخذها الحمية الجاهلية بأن تقبله وتنصره ، وأنّ تبيّن لها وهنه وضعفه بل ربما عملت به لآخرتها لاسيما إن كان له

من أبناء الجنس الأحياء معارضاً له كما شاهدناه في زماننا كثيراً حتى قال بعض من يُفتدى به لمن يطيعه : ينبغي أن تقوي هذا الرأي ولو بشيء مفترى لئلا يقوى الضد ، وهو من مراد المصنّف بقوله : ( **وإن كان مبرهناً عليه بالحجة البيضاء** ) .

**فإن قلت** : كيف اعتذارك في ترك النظر بعين المروءة والإشفاق حتى بلغ بك الحال أنك ربما ما صححت له مسألة مع أني ما أظن أنك تعجز عن تصحيح أكثر المسائل ولو بالتوجهات البعيدة ولكنك لم تُرده؟

**قلت** : إني لم أرد التصحيح ولو أردت التصحيح لما عسر عليّ ولكن بعض التلامذة قال لي : إنّ الناس في هذا الزمان افتتنوا بكتب هذا الرجل واعتقاد حقيّة كلّ ما يقول حتى أن كثيراً منهم يسمع كلام الإمام عليه السلام بخلاف كلام المصنّف ويترك كلام إمامه عليه السلام ، ويأخذ كلام المصنّف فإذا قِيلَ له لم فعلت كذا؟

**قال** : إنّ المصنّف أعلم بمراد الإمام عليه السلام لأنه يأتي بالبراهين القاطعة فهو أدلُّ .

**فقال لي** : إن كنت تعرف بطلان قوله وأدلته فبيّن بطلان ذلك وما يلزمه ليجتنبه طالب الحق فسلكتُ هذا المسلك والله سبحانه يعلم أني ما قصدت خصوص تنقيصه ، وإنما أردت بيان الحق على نحو ما سلكه أئمة الهدى عليهم السلام ، ومن الذي أوصاك ألّا تكون ممّن ذمهم الله على التقليد المحض من غير برهان في مواضع كثيرة من القرآن كقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ، وهو

دليل المجادلة : ﴿ وَلَا هُدًى ﴾ ، وهو دليل الحكمة : ﴿ وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ ، وهو دليل الموعظة الحسنة ، يعني بعض الناس من يصف الله ، أو يعبده برأيه واستحسانه يقول في وصف الله وعبادته بالخرص والظن بغير دليل من الأدلّة الثلاثة فإذا قيل له لم تركت ما أنزل الله على نبيّه صلى الله عليه وآله؟

**قال** : هذا دين أسلافي والمشهور بين الناس .

وأنا أقول للمصنّف كما قال لك :

**وكلٌّ يدّعي وصلاً بليلَى**
**وليلى لا تقرّ لهم بذاكا**

والجواب الفاصل :

**إذا انبجست دموع في خدود ( من عيونٍ )**
**تبيّن مَنْ بَكى ممّن تباكَا**

إن كان كلام المدّعي يصدّقه الكتاب والسنّة ويشهدان له بحيث لا يُخَالِفُ ما عليه عامة المسلمين ، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أقرهم على ظاهر ما فهموا فإن كان ما فهموه حقّاً كان ما ذكروه أولئك مما خالف المشهور باطلاً ، وإن كان ما فهمه الجمهور من الدين الذي دعا إليه صلى الله عليه وآله غير الحق وغير مراده فقد مات ولم يبلغ ما أمره الله بتبليغه ولم يكن ذلك بإجماع المسلمين : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ .

**وقوله** : ( **فإيّاك أن تجعل مقاصد الشريعة الإلهية ، . . . إلخ** ) ، فيه أنّ المعلمين ربما أقروه على حقٍّ لا يجوز تجاوزه فعلى مثل

هذا يجب الجمود على عتبة الباب ، ولا يجوز المهاجرة عنه ، لأنّ هذا هو الاستقامة التي أشار سبحانه إليها في قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ ، وصاحب الشريعة صلى الله عليه وآله إنما بعث لتكميل الناقصين ولم يترك شيئاً مما فيه تكميل ، أو تتميم إلّا أتى به وبيَّنه على أكمل بيان ودلّ عليه بأوضح برهان فإنّ أمر بالمهاجرة ، وإن سكت وجب السكوت ، وقد أشار الصادق عليه السلام إلى هذا المعنى في جوامع الكلم التي علّم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام من الألف إلى الياء التي يتفتح من كل باب ألف باب ، وهو قوله عليه السلام : (**إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بأشياء ونهى عن أشياء وسكت عن أشياء ولم يكن سكوته عنها غفلة فابهموا ما أبهمه الله واسكتوا عما سكت الله**) انتهى . فليس كل من لم يهاجر مخطئاً بل المخطئ من أُمر بالمهاجرة ولم يهاجر ، فإنّ من أُمر بالمهاجرة إذا هاجر رأى من عجائب الملكوت وآيات الجبروت ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

والمراد بهذه العين وهذه الأذن وهذا القلب مدارك من لم يهاجر ولم يسافر عن بيته المحبوس فيه في حبس طبيعته فإن أدرك هذا المهاجر إلى الله الموت قبل بلوغه الغاية وكانت نيّته صالحة في سفره إلى الله .

فروى أصحابنا ما معناه : (**إن الله سبحانه يوكل به ملكاً ، أو ملائكة يعلّمونه ما أدركه الموت قبل إدراكه له حتى يأتي يوم القيامة ، وهو مدرك لما قطعه عن إدراكه الموت**) انتهى .

في قول المصنف : **فلا تُبالِ إن كنت مسافراً بمخالفة الجمهور . .**

**قال : ( فلا تُبالِ إن كنت مسافراً بمخالفة الجمهور فإنّ الجمهور واقفون في منزلهم والمسافر مرتحل من المنزل فكيف يقع الاتفاق بين الساكن والمتحرك والحال والمرتحل فكن كما قال إمامك وإمامنا أمير المؤمنين عليه وعلى أخيه وآله صلوات ربّ العالمين : ( لا تعرف الحق بالرجال ، بل اعرف الحق يعرف منه أهله ) ) .**

**أقول :** نعم لا يبالِ إذا كان مسافراً إلى حقٍّ بمخالفة الباطل .

وأمّا المسافر من حقّ إلى باطل فلا وذلك معلوم بالضرورة أنّ المقيم إذا كان على باطل لا يوافقه المسافر إلى الحق لا العكس فإنّ الغلاة سافروا إلى باطل والخوارج مرقوا بسفرهم عن الطريقة المأمور بالاستقامة عليها قال تعالى : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ .

وقوله عليه السلام : **( لا تعرف الحق بالرجال . . . إلى آخره )** ، صادق على بعض المسافرين ، وعلى بعض المقيمين فليس فيه دليل .

في قول المصنف : **واعلم أنّ المتّبع في المعارف الإلهية هو البرهان . .**

**قال : ( واعلم أنّ المتّبع في المعارف الإلهية هو البرهان ، أو**

**المكاشفة بالعيان كما قال تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، وقـــال : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ، وهذا البرهان نور يقذفه الله في قلب المؤمن تتنوّر به بصيرته فيرى الأشياء كما هي كما وقع في دعاء النّبي صلى الله عليه وآله لنفسه ولخواص أمّته وأوليائه من قوله : (( اللّهم أرنا الأشياء كما هي )) .**

**أقول** : كون المُتَّبَع المنجي في المعارف الإلهية هو البرهان ، أو المكاشفة بالعيان فمّما لا إشكال فيه ، وإنما الإشكال في البرهان ما المراد منه ، ولاشك أنّ البرهان الاصطلاحي ليس هو المراد ، على جهة الخصوص ، لأنّ مقدماته رتّبوها بنتائج عقولهم ونتائج عقولهم لا تقدّر بها عظمة الله ، لأنّ العقول لا تحيط بكنهه ، ولا تبلغ أدنى ما استأثر به من الغيب والقدس والتنزه عن الإدراك والإحاطة .

وأمّا دليل الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن فإنما تحصل بها المعرفة الصورية في دليل المجادلة والعقلية في دليل الموعظة والحقيقية في دليل الحكمة لأنه تعالى جعلها كذلك وتعرف منها على حسب جعله تعالى كذلك إلّا أنّ دليل المجادلة لما كان مأخذه من آثار العقول وأنظارها وكانت لا تدرك إلّا نظائرها وكان المؤسّس منها والهادم منها انحط عن رتبة معرفة الله فلا يدرك إلّا ما هو من الممكنات .

ودليل الموعظة أساسه يؤول إلى التقليد فكان في انحطاطه مثل الأدلة العقلية لا تتجاوز معرفة الحوادث والممكنات ، ولا يتوصل به إلى حقيقة المعرفة إلّا دليل الحكمة ، لأنّ الدليل الذي تتوقف

صحته ، على تصوّر المطلوب معرفته لا يمكن أن يستعمل إلّا في الحادثات فالبرهان الاصطلاحي لا يعرف به القديم تعالى .

وأمّا المكاشفة فقد تستعمل في الأمور المؤدية إلى الجهل بالله تعالى لأنها قد تكون ناشئة من الرياضات المنهي عنها شرعاً والأوراد التي تستعملها الصوفية التي لم ترد عن أهل العصمة عليهم السلام بل ورد عن الصادق عليه السلام إلّا أنّ أكثرهم يسفل يعني أنّ أكثرهم يخطئ الحق اللّهم إلّا أن يكون رجلاً قد راض نفسه بصدق الإخلاص في القيام بالامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه والتقرّب إليه بالنوافل وملازمة الآداب الشرعية ويجعل فهمه وعقله تابعَيْن للكتاب والسنّة لا يريد بجميع أعماله وأفعاله وأقواله إلّا ما يرضى الله سبحانه فإنّ الله عزّ وجلّ يسدّده للإصابة في جميع أعماله واعتقاده لما هو الأحب إليه ويعصمه من الخطأ في أمور دنياه وآخرته وهذا هو البرهان الحق لا البرهان الاصطلاحي وهذا هو معنى الحديث القدسي : ( **ما زال العبد يتقرّب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبُصره الذي يبصر به . . .** ) ، الحديث . فحينئذٍ يريه الله الأشياء كما هي .

وأمّا من كان برهانه من القضايا المنطقية فلا يدرك من الأشياء إلّا ألفاظ أسمائها .

في قول المصنف : **واعلم أنّ هذه المسائل التي وقع الخلاف فيها . .**

**قال : ( واعلم أنّ هذه المسائل التي وقع الخلاف فيها لجمهور**

**الفلاسفة مع الأنبياء عليهم السلام ولهم الدعاء لو كانت سهلة التناول والحصول ، ممكنة الاكتساب بأفكار هذه العقول المنطقية وأنظارهم التعليمية البحثية لما وقع الخلاف فيها من أولئك العقلاء المشتغلين طول عمرهم باستعمال آلة الفكر والنظر في اكتساب تصوّر الأشياء ولما نشأ منهم فيها الخطأ ولما وقعت الحاجة إلى بعثة الأنبياء فعلم أنّ هذه المسائل لا تحصل إلّا باقتباس الأنوار من مشكاة النبوة والتماس فَهْم الأسرار من باطن الولاية فعليك بتجريدٍ تامٍّ للقلب وتطهير بالغ للسرّ وانقطاعٍ شديدٍ عن الخلق ومناجاة كثيرة مع الحق في الخلوات وإعراض عَن الشهوات والرئاسات وسائر أعراض الحيوانات بالنية الصافية والدين الخالص ) .**

**أقول :** طريق المصنّف في كثير من اعتقاداته مثل طرق الفقهاء المجتهدين فإنه يذكر المسألة ويستدل عليها بكل ما يمكنه من الاستدلال من كلامه وكلام غيره ثم يحصل له بعض الأوقات عدول عن ذلك الرأي كما وقع له في بعض المسائل مثل حكمه على أنّ أهل النار إذا تطاولت عليهم الدهور تنّعموا بالعذاب ، وقد بسط الكلام في الاستدلال على هذه المسألة في سائر كتبه خصوصاً في الكتاب الكبير ، وفي هذا الكتاب جرى على طريقته في الاستدلال ، على ذلك المقال ثم ذكر في آخر كلامه أنهم لا يجدون راحة في النار لأنها دار المحن والبلاء ، وفي هذه المسألة التي نحن الآن بصددها في كتاب المشاعر ذكر أنّ الأنبياء عليهم السلام طريقهم في المعارف الإلهية البرهان وظاهر كلامه أنه طريق جميع العارفين ، وأنّ المراد به البرهان الاصطلاحي .

وهنا في هذا الكتاب أشار إلى أنّ المراد بالبرهان ليس هو البرهان الاصطلاحي الذي يبيّن تركيبه وإصلاحه وتصحيحه في علم المنطق ، لأنّ الفلاسفة أفنوا أعمارهم في استعمال آلة النظر والفكر ، وفي تصحيحها وضبطها فلو كان منشأ دليلهم ومبنى استنباطهم على ذلك لهذه المسائل لتناولوها بهذه الأدلة ولما وقع بينهم وبين أهل الوحي عليهم السلام اختلاف ولما احتاجوا إلى بعثة الأنبياء عليهم السلام في تحصيل مسائل قد أحكموا أدلتها التي بُنيت تلك المسائل عليها ، ولكن تلك المسائل لما كانت مبنية على أدلة لا يمكن تحصيلها إلّا من قبل الوحي وذلك لصعوبة تلك المسائل ودقة مأخذها فلم تنهض أدلتهم المنطقية بإدراكها ومعرفتها حتى أنّ أحدهم إذا تفردّ في استدلاله بقدر شعرة عن أدلة أهل الوحي عليهم السلام خالفهم وأخطأ الصواب .

ويُفهم من هذا أنّ المراد بالبرهان هنا البرهان الإلهي لا المنطقي ، وهو عين مانريد ، وقد ذكرنا في شرح المشاعر أنّ أدلة الأنبياء على محمد وآله وعليهم السلام هي البراهين الإلهية التي كثيراً ما تشير إليها بدليل الحكمة لا البراهين الاصطلاحية المنطقية التي هي دليل المجادلة بالتي هي أحسن ولكن إذا فرضنا مسألة من المسائل سهلة التناول يمكن المصنّف أنّ يقطع بارتفاع الخلاف فيها حيث ما كانت سهلة لم يقع فيها خلاف إذا كانت أدلة الباحثين فيها من البراهين المنطقية ليستدل على صعوبة هذه المسائل بوقوع الخلاف ليكون الحكم مطرداً إثباتاً ونفياً ، ولكن الاستدلال إذا كان من كل واحدٍ من الباحثين من نوع واحدٍ بمعنى أن تكون جميع استدلالاتهم مأخوذة من آيات الله المضروبة في الآفاق ، وفي

الأنفس بالطريق التي أمر عزّ وجلّ أن يؤخذ بها كما أشار إليه سبحانه في قوله تعالى من جهة باطن التأويل : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ ، فالنحل نفوس العلماء الذين ينتحلون الدين بمعنى عدم الواسطة بينهم وبين ربّهم بحيث يُنسب الدين إليهم لا الانتحال الذي هو الابتداع بل الانتحال هنا بمعنى الاختيار وكيف يكون هنا بمعنى الابتداع ، وهو يقول : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى ﴾ ، و﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ، و﴿ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ ﴾ ، أي الأجساد ، ومن الجبال أي الطبائع جمع جبلة ، على غير القياس بيوتاً أي متعلق أنظار النحل وأفكارها تأوي إليها ليستخرج من صفاتها ما تقتضيه من أحكامها وكذلك من الشجر أي النفوس بيوتاً : ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ ، من ارتباط النفوس بالأجسام كذلك وانظري فيها بكل علم واستنبطي أحكامها بالنحو الذي أمر الله فإذا سلك في الاستدلال سبل الله ، وإن تعددت صور البرهان فهو واحد ينفي الاختلاف بين الناظرين وطالبي حق اليقين .

والطريق الموصل إلى تحصيل هذه الملكة ، أو الحالة هو كما قال المصنّف تجريد تام للقلب بأنّ يكون قلبه مجتمعاً وتطهير بالغ للسرّ بحيث لا يغفل عن ذكر الله بأن لا يجده حيث ينهاه ، ولا يفقده حيث يأمره وانقطاع شديد عن الخلق وذلك بدوام ذكر الله ومناجاة كثيرة مع الله بدوام الدعاء والاستغفار وطلب التوبة في الخلوات خصوصاً آخر الليل وترك الشهوات والرئاسات وسائر أعراض الحيوانات فإنّ في ترك ذلك رضى الله سبحانه ) .

في قول المصنف : **وليكن نفس عملك نفس جزائك وعين علمك . .**

قال : ( وليكن نفس عملك نفس جزائك وعين علمك عين وصولك إلى مبتغاك حتى إذا كشف الغطاء ورفع الحجاب كنت كما كنت في الباب محضراً عند ربّ الأرباب فإنك لا تلحق غداً إلّا ما علمته ، ولا تحشر يوم القيامة إلّا إلى ما أحببته حتى أنه لو أحب حجراً لحشر معه كما ورد في الحديث فإيّاك أن تحب لما لا وصول لك إليه ، أو تعلم لما لا تحقق له في الآخرة فتهلك محترقاً بنار الحريق ، أو تهوي إلى مكان سحيق ، وقد علمتَ ألّا يحشر أحد إلّا إليه ، ولا يتألم ، ولا يلتذ إلّا بما فيه فهذّب نفسك وخلّص نيّتك وصحّح عقيدتك ونوّر قلبك للناظرين وطهر بيتك للطائفين والعاكفين فولّ وجهك شطر كعبة المقصود وتوجه إلى ولي الخير والجود فهذا غاية السفر والذهاب إلى عالم النور ، وهو حاصل التجارة التي لن تبور مَن بذل متاع هذا الوجه الفاني وأخذ العوض من الوجه الباقي : ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ ) .

**أقول** : من الوصية ما ذكره هنا بل هذا هو الأصل ، وهو ليكن نفس عملك نفس جزائك بأن تعتقد أنك تجازى يوم القيامة بعملك فاعمل ما تعلم أنك تجازى به وأنه عائد إليك ، وأيضاً تعلم وتيقَّن أنك إنما تصل إلى مطلوبك بعلمك فانظر إلى ما تحب أن تصل به فحصّله .

أما الفقرة الأولى فظاهرة التحقق ومحكمة الأساس .

وأمّا الفقرة الثانية فعند المصنّف على إطلاقها ، وهو أنّ مطلوبك من كل شيء عين علمك به سواء كان مطلوبك خالقك أم الجنة أم الحور العين أم النكاح أم الأكل والشرب وما أشبه ذلك .

وأمّا عندنا فإنّ كان مطلوبك معرفة خالقك فكذلك ، لأنّ العلم كالعمل كما في الفقرة الأولى .

وأمّا إن كان مطلوبك الجنة أو الحورية مثلاً فإذا قلنا بالاتحاد في العمل فعلى معنى ما سبق من أنّ العمل صورة الثواب والعقاب سواء كانت الصورة ذاتية أم تخصصية كما مثلنا سابقاً بالرمانة التي تباع في السوق فإنها موجودة قبل أن تشتريها بصورتها الذاتية فإذا اشتريتها صورت بصورة التخصيصية يعني أنها بعد الشراء كانت مختصة بك من جملة أملاكك ، وقد كانت قبل الشراء صالحة لك ولزيدٍ وعمرو .

وأمّا مادة الثواب فكما ذكرنا سابقاً من أنها من أمر الله الذي به قام كل شيء قد حمله الأمر التكليفي إليك فتخصص بحيازتك له التي هي عبارة عن امتثالك للأمر التكليفي الحامل لتلك المادة وهي حصة من شعاع الأمر القيومي فإذا قلنا بالاتحاد في العمل لم نقل بالاتحاد في العلم .

وأمّا المصنّف فعلى طريقته ورأيه من أنّ جنة زيد المؤمن وحورياته وجميع ما هو ملاقيه من أنواع النعيم فعبارة عن ملكاته ، لأنّ جنته وما فيها بمنزلة نياته معتقداته كما تقدم .

ففي الفقرة الثانية إن كان مبتغاك معرفة مولاك فنعم ما أولاك لأنه لا يُعلَم من نحو ذاته ، ولا يُدرك ، وإنما يُعرف بما عرّف به نفسه مما وصف من صفات أفعاله .

وإن كان مبتغاك معرفة مثواك ونعيمك فيما أعطاك فعلمُك غير مبتغاك فإذا تيقّنت أنّ عملك نفس ما تُجازى به وعملتَ بما ترضى به أن يكون جزاء لك كنت إذا كشفت الغطاء عنك بأن فارقت نفسك جسدك ورفع حجاب الطبيعة الجسمانية عنك كما كنت أي كنت عند مطلوبك ومحبوبك كما كنت في دار الدنيا لم تختلف عليك الأحوال ولم يغير نعيمك الانتقال .

وقوله : ( **فإنك لا تلحق غداً إلّا ما علمته ، ولا تحشر يوم القيامة إلّا إلى ما احببته** ) ، يريد به تعليل قوله : ( **نفس علمك نفس جزائك إلخ** ) ، وأنت قد سمعت تخصيص بعض ذلك إذ لا يصح الكلام كله على إطلاقه ، وحتى لو أحب حجراً لحشر معه إذا كان الحب ذاتياً لأنه ميل المتحدين بعضهما إلى بعض ولو كان الميل عرضياً لم يستلزم ذلك كما لو أحب كافر ممّن وجبت له النار مؤمنةً قد وجبت لها الجنة محبة نكاح فإنه لا يحشر معها .

وقوله : ( **أن تحب ما لا وصول لك إليه** ) ، كأن يحب رتبة النبيين عليهم السلام ( **أو تعلم ما لا تحقق له في الآخرة** ) ، كأن تعتقد نجاة المنافقين فتعذب بنار الحرمان وتلقى في غير مكان يقول : والحال أنك قد علمت أنّ كل أحد إنما يحشر إلى ما كان من اعماله ونيّاته فتكون لا إلى قرار ، وأنّ كل أحد إنما يتألم ويتلذّ بما فيه من الآثار فتكون بعلمك ما لا أصل له إلى بوار ، وهاتان الفقرتان مبنيتان ، على رأيه كما أشرنا إليه مراراً من أنه يذهب إلى أنّ خيرك وشرك أنت ، وهو كما سمعت ، ( **فصحح عقيدتك** ) ، بمتابعة أئمة الدين عليهم السلام ( **ونوّر قلبك بنور اليقين وطهّر بيتك أي قلبك للطائفين** ) ، أي : للملائكة الطائفين المستمدين من أنوار

أعمالك وأسرار اعتقاداتك والملائكة العاكفين المقيمين بفناء قلبك الحافّين بعرش ربّك ربّ العالمين (**فولّ وجهك شطر كعبة المقصود**)، بأن تقوم بوظائف سنّة نبيّك وآله صلى الله عليه وآله، (**وتوجّه بهم إلى ولي الخير والجود**)، مجدداً للعهد المعهود في أصل التكوين وتعاهد أمانتك يوم الشاهد والمشهود فإذا وصلت إلى الغاية التي نُدبت إليها أفاض عليك ما وعدك عليها فهذا غاية السفر إلى خير مستقر ونهاية الذهاب إلى جوار ربّ الأرباب في عالم النور ودار السلام والسرور وهذا ثمرة التجارة التي لن تبور حين جنيت الثمر والعوض الدائم من الوجه الباقي وحصدت الثمرة الباقية من زرع الوجه الفاني وذلك كله من فضل الكريم الغفار: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾.

في قول المصنف: **وهذا الوصول إلى كعبة المقصود ولقاء المعبود..**

**قال: (وهذا الوصول إلى كعبة المقصود ولقاء المعبود لا يمكن إلّا بالسير الحثيث العلمي بقدم التفكّر والنظر لا بمجرّد حركات البدن التي لا حاصل لها إلّا متاعب السفر دون تحصيل الزاد وأخذ المتاع للمَعاد ولهذا قال صلى الله عليه وآله: (تفكّر ساعة خير من عبادة سبعين سنة)**، وقال لخير أمته وباب مدينة علمه: (**يا علي إذا تقرّب الناس إلى خالقهم بأنواع البر تقرّب إليه بأنواع العقل حتى تسبقهم كلهم**)، فتحدس من هذا أنّ المقصود من العبادة البدنية والأوضاع الدينية كالقيام والصيام وغيرهما إنما هو تصفية القلب

وتهذيب السر بالنّية الخالصة فيها والفكر الباطن من حيث إنها تعبُّدٌ للمعبود الحق قربان للإله المطلق لا حركة الأركان وقلقلة اللسان قال تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ ، وقال : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ الآية .

**أقول** : يريد أنّ الوصول لما يشير إليه لا يمكن إلّا بالاجتهاد والسير الحثيث لا بقَدم الرجِل المعلومة بل بقَدم التفكّر والنظر كما قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ، ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ ، وقال : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ ، وقال : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ .

**وقول المصنّف** : ( **لا بمجرّد حركات البدن . . . إلخ** ) ، إن أراد به أنّ مجرد حركات البدن لا فائدة فيها فهو غلط بل هي عبادة البدن .

وإن أراد أنها عبادة ناقصة فكما قال ، لأنّ العبادة عبادة الباطن وحدها فهي ناقصة لا توصل إلى دار رضى الله تعالى وعبادة الظاهر خاصة ناقصة لا توصل إلى رضوان الله وعبادة الباطن والظاهر معاً وهذه إذا وقعت على وفق ما أمر الله كانت صحيحة موصلة إلى رضوان الله والجنة . قال الصادق عليه السلام ، على ما رواه الحسن بن سليمان الحلي في كتاب مختصر بصائر سعد بن عبد الله الأشعري ما معناه : ( **إنّ قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم يك**

**ينفعهم إيمانهم ذلك شيئاً ، ولا إيمان ظاهر إلّا بباطن ، ولا باطن إلّا بظاهر )** انتهى .

**وقوله : ( دون تحصيل الزاد وأخذ المتاع )** ، فاعلم أنّ العبادة الظاهرة الصورية إذا وقعت مطابقة لصورة الشرع مع خصوص النيّة كانت مجزئة ويُثاب عليها في الآخرة وربما كانت سبب دخوله الجنة .

وأمّا إذا عرت عن كل باطن حتى النّية فهي باطلة ومعاقَب عليها والأعمال منها ما حاصله في الدنيا خاصة كدفع البلايا والأمراض وإدرار الرزق .

ومنها ما يكون جزاؤه في البرزخ .

ومنها ما يكون جزاؤه في الآخرة وليس هنا محل تفصيل ذلك .

وأمّا الباطن مع القيام بالوظائف الشرعية الظاهرة كما هو المراد من مدحها في الكتاب فذلك هو مراد الله سبحانه من عباده المؤمنين كما قال صلى الله عليه وآله : **(تفكّر ساعة خيرٌ من عبادة سبعين سنة )** انتهى ، يعني بغير تفكّر .

والمراد بالتفكّر هو التفكّر في آلاء الله وعظمته ، وفي آثار قدرته ، وفي رتب أوليائه وما نالوا من الفضل بطاعتهم لله ، وفي الموت وأحوال القبر وأهوال يوم القيامة ، وفي الجنة والنار .

وقوله صلى الله عليه وآله لعلي أمير المؤمنين عليه السلام : **( تقرّب إليه بأنواع العقل )** ، أي : بأنواع دواعيه من صحة الاعتقاد وصحة الاعتراف بالتقصير وصحة التوبة وصحة الاستغفار وصحة

العمل وصحة التخلّص من هذه الدار دار الغرور وصحة المعرفة التي هي مِلاك الأمر كله .

وقول المصنّف : ( **فتحدّس من هذا أنّ المقصود من العبادات ، إلخ** ) ، أنّ المقصود لإصلاح الباطن كما قال : إنّ المقصود منها أصلاً وفرعاً ليس إلّا ذلك بحيث يكون لا فائدة فيها لذاتها بل فيها فوائد لا تُحصى لذاتها أيضاً ولما قال المصنّف من تصفية الباطن كما قال تعالى : (**ما زال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده الذي يبطش بها إن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته ، وإن سكت ابتدأته** ) انتهى .

**وقوله** : ( **لا حركة الأركان وقلقلة اللسان** ) ، فيه ما قلنا وظاهر كلامه عدم الفائدة فيها لذاتها ولابدّ من توجيهه ، على ما قلنا وإلا لزمه القول بمذهب الإباحيّة المستدلّين بقوله تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ .

وعلى قولهم لو سلّمنا لهم أنّ المعنى في الآية ما أرادوا لم يلزم ترك عبادة الجوارح ، لأنّ الجوارح مكلّفة فلو فرض أنّ قلوبهم مؤمنة وحاشى لله فأبدانهم وجميع جوارحهم كافرة .

واستدلال المصنّف بقوله : ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ ﴾ ، من باب التأويل ولابأس به ، وإن كان على خلاف ظاهر الآية ، إلّا أنّه إن لم يرد نفي ذاتي الظاهر كما قلنا فإن أراد فبه بأس وأي بأس ، لأنّ معنى الآية : لن ينال رضى الله ، ولا يوافق محبته : ﴿ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾ ، لأنهم كانوا في الجاهلية إذا

نحروا الإبل لطّخوا البيت بالدم فلمّا حجّ المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت فقال : ﴿ لَن يَنَالَ ﴾ ، رضى الله ﴿ لُحُومُهَا ﴾ ، التي تتصدقون بها من حيث هي لحوم : ﴿ وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾ التي تهرقونها من حيث إنها دماء أهرقت ولكن ينال رضى الله تقوى قلوبكم إذا أهرقتم الدماء تقرباً إليه وتصدّقتم باللّحوم أيضاً طلباً لرضاه وليست على ظاهرها ، لأنّ الله عزّ وجلّ لا يناله شيء لا لحومها ، ولا دماؤها ، ولا تقواهم .

وإنما المعنى ، وإنما ينال رضاه ما تطلبون به وجهه الكريم كما أمركم .

وكذلك الآية الأخرى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ ﴾ ، مجرّد توجّهكم إلى جهة من الجهات ولكن البرّ طاعة الله فيما أمر فلا فرق بين الظاهر والباطن ، وإنما البرّ ومعرفة الله على الحقيقة امتثال أمر الله على كل حال .

في قول المصنف : **ثم إن أفسد قواطع الدين وأكثف سدٌ . .**

**قال : ( ثم إن أفسد قواطع الدين وأكثف سدٌ على طريق السالكين هو إجابة دعوة علماء السوء وتتبّع آرائهم المضلّة وآثارهم المغوية ولاغترارهم بما يسمونه علماً وفقهاً وحكمةً اغترار الظمآن بالسراب عن عين ماءِ الحيوان كما قال تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا**

**يَخْرُصُونَ﴾ ، ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ ، أعاذنا الله وإخواننا المؤمنين من شرّ الشياطين والمضلّين ونوّر قلوبنا بأنوار الحكمة واليقين بحق محمد وآله الطاهرين ( سلام الله عليهم أجمعين ) )** .

**أقول** : إلى هنا انتهى كلامه وأراد بعلماء السوء علماء الظاهر لأنّهم يردّون عليه وعلى أتباعه ويحكمون بكفرهم ويحلّلون سفك دمائهم .

**وأنا أقول** : عافانا الله من البلاء وعجّل الله فرج قائم آل محمد صلى الله عليه وعليهم ليكشف هذه المحنة ويزيل هذه الغمّة عن هذه الأمّة لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله سادات الزمان .

إلى هنا ما أردت كتابته على هذه الرسالة المسماة بـ ( **العرشيّة** ) ، التي وضعها في المبدأ والمَعاد وقع الفراغ منه ومن تسويده بقلم مؤلّفه العبد المسكين أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن داغر المطيرفي الأحسائي ، على رأس سبع ساعات ونصف تقريباً من ليلة الأربعاء السابع والعشرين من شهر ربيع المولود السنة السادسة والثلاثين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية الشريفة على مهاجرها وآله أفضل الصلاة وأزكى السلام بدار الأمان كرمان شاهان حرسها الله من طوارق الزمان ونوائب الحدثان حامداً مصلياً تائباً مستغفراً .

# فهرس المحتويات

# فهرس المحتويات


في قول المصنف: قاعدة في النفختين قال الله تعالى . . .......... ٥

في قول المصنف: قاعدة في القيامتين الصغرى والكبرى . . ١٥

في قول المصنف: فمن أراد أن يعرف معنى القيامة الكبرى . . ......... ٢٢

في قول المصنف: ومن تنوّر بيت قلبه بنور اليقين شاهد تبدل . . ....... ٣٣

في قول المصنف: قاعدة في أرض المحشر ، هذه الأرض . . ......... ٤٠

في قول المصنف: قاعدة في أنّ الصراط حق ورد في الحديث . . ٥٢

في قول المصنف: وهذه الأحاديث المروية عن ساداتنا . . ٦٢

في قول المصنف: وذلك بحسب القوتين العملية والنظرية . . ......... ٧٠

في قول المصنف: والثاني : عبارة عن مرور النفس بقوته النظرية . . ٧٦

في قول المصنف: بصيرة كشفية اعلم أنّ الصراط المستقيم . . ......... ٧٩

في قول المصنف: قاعدة في نشر الكتب والصحائف . . .............. ٨٥

في قول المصنف: فإذا حان وقت أن يقع بصره ، على وجه ذاته . . ٩٢

في قول المصنف: قاعدة في ظهور كيفية ظهور أحوالٍ تعرض . . ....... ٩٨

في قول المصنف: والعارف قد يشاهد هذه الأحوال والأهوال . . ..... ١٠٦

في قول المصنف: ولها نحو آخر من الرؤية فليس لها في مشهد . . .... ١١١

في قول المصنف: وهذه النار التي تحرق الجلود والأبدان . . ......... ١١٣

في قول المصنف: أقول : وكلتاهما غير هذه النار التي في الدنيا . . .. ١١٩
في قول المصنف: ومن جملة الأحوال يومئذ أنّ المرء . . ١٢٢
في قول المصنف: ومنها أنّ المُلك يومئذ لله وذلك ، لأنّ الروابط . . ١٢٥
في قول المصنف: ومنها أنّ الملك يومئذ الحق ، وأن لا ظلم . . .... ١٣٠
في قول المصنف: ومنها أنّ القيامة يوم الجمع ، لأنّ الأزمنة . . ..... ١٣٢
في قول المصنف: ومنها أنها يوم الفصل ، لأنّ الدنيا دار اشتباه . . ... ١٣٧
في قول المصنف: ومنها أنّ المتخلّصين عن البرازخ والقبور . . ....... ١٤٢
في قول المصنف: ومنها أنّ الموت لكونه عبارة عن هلاك الحيوان . . . ١٤٣
في قول المصنف: ومنها أنّ الجحيم تحضر في العرصات . . .......... ١٤٧
في قول المصنف: قاعدة في العرض والحساب وأخذ الكتب . . ...... ١٤٩
في قول المصنف: وأما طول مدة الحساب ومكثهم في العذاب . . .... ١٥٥
في قول المصنف: وأما الكافر المحض فلا كتاب له والمنافق . . ....... ١٦٧
في قول المصنف: وأما وضع الموازين فالميزان عبارة عن معيار . . ... ١٧٠
في قول المصنف: وبالجملة ميزان القيامة نوع آخر من الموازين . . .... ١٧٣
في قول المصنف: قاعدة في الجنة والنار يجب أن تعلم أنّ الجنة . . .. ١٨٩
في قول المصنف: وإذا تقرر هذا فاعلم أنّ الجنة جنتان محسوسة . . .. ١٩٩
في قول المصنف: وقد علمت أن ليس لهما مكان في ظاهر . . ......... ٢٠٨
في قول المصنف: والعجب من عاقل يشك في النشأة الأخرى . . ..... ٢١٦
في قول المصنف: فاعلم يا حبيبي أنّا جئنا إلى هذا العالم . . .......... ٢١٩
في قول المصنف: قال بعض أهل الكشف اعلم عصمنا الله . . ......... ٢٣١

في قول المصنف: قاعدة في أنّ أي حقيقة إلهية أظهرت الجنة والنار . . ........................ ٢٤٤
في قول المصنف: ولها مثال كلي هو العرش الأعظم مستوى . . ٢٥٢
في قول المصنف: وكذلك النار لها حقيقة كلية هي البعد . . ........ ٢٥٤
في قول المصنف: وأبوابها سبعة لقوله تعالى . . ................ ٢٦٣
في قول المصنف: قاعدة في الإشارة إلى عدد من الزبانية . . .......... ٢٦٩
في قول المصنف: وأما الكلام في أصولها وسوابقها فاعلم . . ......... ٢٧٥
في قول المصنف: فالإنسان ما دام محبوساً بهذه المحابس الداخلة . . ٢٧٨
في قول المصنف: قاعدة في الأعراف وأهله قال تعالى . . ٢٨٢
في قول المصنف: والذي يدل على صحة ما ذكرناه أمور . . ......... ٢٩٤
في قول المصنف: قاعدة في معنى طوبى وهي مثال شجرة العلم . . ... ٢٩٧
في قول المصنف: وإنما نسب معنى طوبى إلى داره الأخروية . . ....... ٣١٠
في قول المصنف: وفروعها في دور صدور شيعتهم وبيوت قلوب . . .. ٣١٦
في قول المصنف: قاعدة ـ في دخول أهل النار فيها . . ............... ٣٢٥
في قول المصنف: وعندنا أيضاً أصول دالة على أنّ الجحيم وآلامها . . ٣٢٨
في قول المصنف: قاعدة ـ في كيفية تجسم الأعمال وتصوّر النيات . . . ٣٥٦
في قول المصنف: مثال ذلك أنّ شدة الغضب في رجل تَوَرث ثوران . . ٣٦٢
في قول المصنف: وأما مادة تكوّن الأجساد (الأجسام) . . .......... ٣٦٥
في قول المصنف: والفرق بين النفس والهيولى بأمور . . .............. ٣٧٦
في قول المصنف: ومنها أنّ النفس مادة روحانية لطيفة لا تقبل . . ..... ٣٧٩

في قول المصنف: ومنها أنّ قبول الهيولى للصور والأكوان . . .......... ٣٨٢
في قول المصنف: ومنها أنّ هذه الصور كمالات لموادها . . ........... ٣٨٨
في قول المصنف: قاعدة في أنّ باقي الحيوانات هل لها حشر . . ....... ٣٩٠
في قول المصنف: وأما غيره من الحيوانات ففي بقاء نفوسها . . ........ ٣٩٦
في قول المصنف: ختم ووصية ـ يقول هذا العبد الذليل . . ............ ٤١٥
في قول المصنف: وأوصيك أيها الناظر في هذه الأوراق أن تنظر . . .. ٤٢٠
في قول المصنف: فلا تُبالِ إن كنت مسافراً بمخالفة الجمهور . . ....... ٤٢٥
في قول المصنف: واعلم أنّ المتَّبَع في المعارف الإلهية هو البرهان . . ٤٢٥
في قول المصنف: واعلم أنّ هذه المسائل التي وقع الخلاف فيها . . .. ٤٢٧
في قول المصنف: وليكن نفس عملك نفس جزائك وعين علمك . . ... ٤٣١
في قول المصنف: وهذا الوصول إلى كعبة المقصود ولقاء المعبود . . . ٤٣٤
في قول المصنف: ثم إن أفسد قواطع الدين وأكثف سدٍّ . . ............ ٤٣٨